

ميخائيل رومان

ميراث الترجمة

# سارتورس

وليم فوكنر

مراجعة: محمد مصطفى بدوي  
تقديم: ماهر شفيق فريد

[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)

رواية

المجلس  
الأعلى  
للثقافة



المشروع القومي للترجمة

889



**[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)**

المشروع القومي للترجمة

# سارتورس

( رواية )

[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)

تأليف : وليم فوكنر

ترجمة : ميخائيل رومان

مراجعة : محمد مصطفى بدوي

تقديم : ماهر شفيق فريد

**[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)**



المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المحرر : طلعت الشايب

– العدد : ٨٨٩

– سارتورس ( رواية )

– وليم فوكنر

– ميخائيل رومان

– محمد مصطفى بدوي

– ماهر شفيق فريد

**www.library4arab.com**

– صدرت الطبعة الأولى ١٩٦٢

هذه ترجمة كتاب :

**Sartoris**

تأليف

**Willian Faulkner**

---

**حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة**

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.



**[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)**

---

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .



## تقديم

صدرت هذه الترجمة لأول مرة في سلسلة الألف كتاب ( ٤٢٧ ) عن مؤسسة سجل العرب في ١٩٦٢ . واليوم ، بعد قرابة أربعة عقود ، تعيد سلسلة " ميراث الترجمة " الصادرة عن المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة إصدارها في طبعة جديدة لكي تُعرف قراء اليوم ، وفيهم من لم يعاصروا الطبعة الأولى أو كانوا أصغر سناً من أن ينتبهوا إليها إبان ظهورها ، بأثر خالد من آثار الروائي الأمريكي وليم فوكنر، نقله إلى العربية كاتب مسرحي موهوب هو ميخائيل رومان ، وراجع ترجمته أستاذ للأدب الإنجليزي وناقد شاعر هو الدكتور محمد مصطفى بدوي .

ولد فوكنر في نيو أولباني عام ١٨٩٧ ، وتلقى دراسته في جامعة مسيسبي بأكسفورد ( ولكنه لم يتمها ) حيث كان أبوه يشتغل قائماً على خزائنها . التحق ببقاها في السنة الثانية في جامعة أكسفورد ، وكتب أولى أعماله الأدبية في تلك الفترة . بعض الوقت نقاشاً أبحر إلى نيو أورليانز؛ حيث أصبح صديقاً للروائي شيرود أندرسون ، وكتب روايته " راتب الجندي " ١٩٢٦ و " البعوض " ١٩٢٧ . في ١٩٢٩ نشر " الضجر والعنف " ، وهي أولى رواياته المكتوبة بطريقة " تيار الشعور " ؛ حيث يصف الكاتب الأفكار وردود الأفعال بدلاً من وصف الأحداث الفعلية . كان لتلك الرواية ، إلى جانب رواية " وأنا أرقد محتضرة " ١٩٣٠ ، الفضل في توطيد أركان سمعته ، رغم أن " الحرم " ١٩٣١ - وهي من قصص الرعب - كانت أول رواية له تحظى برواج حقيقي . وروايته " سارتورس " ١٩٢٩ فاتحة سلسلة من الروايات التي تتناول أسرة تشكل مركز قصة عن تدهور الجنوب الأمريكي . تقع أحداث هذه الرواية في مقاطعة يوكونا باتاوا بولاية مسيسبي ، ومدينة جفرسن التي تقع في تلك المقاطعة يمكن أن تعد معادلاً لمدينة أكسفورد الأمريكية . في ١٩٣٩ نال الجائزة الأولى في مسابقة أو . هنري



التذكارية ، وفي ١٩٤٩ نال جائزة نوبل للآداب . من بين رواياته اللاحقة : ضوء في أغسطس ، أبشالوم أبشالوم ، نخلات برية ، المحلة ( القرية الصغيرة ) ، خيل في الرغام ، قداس الراهبة . تشمل مجاميعه القصصية : قصيدة حاملة في الصحراء ، دكتورمارتينو ، انحدر ياموسى . إن إنتاجه سُخرى وغامض فى أغلب الأحيان ، ويوصف بأنه يجرى على سِنن قصص إدجار بو القوطية الحافلة بعناصر اللغز والقسوة والرعب والإثارة . وتوفى فوكنر فى ١٩٦٢ .

كان جد جده - الكولونيل وليم فوكنر - من الشخصيات القوية فى الجنوب الأمريكى ، ولم يكن كاتبنا مبرزاً فى دراسته ، وقد اشتغل فى بنك جده ، وظل يمارس مهناً متنوعة لعدة سنوات . وفى عام ١٩٢٩ - وهو عام زواجه - اشتغل فى محطة كهرباء لفترة الليل ، وكان يكتب روايته " وأنا أرقد محتضرة " فى الساعات الممتدة من منتصف الليل حتى الرابعة صباحاً ، وذلك خلال ستة أسابيع فى الصيف . وما لبث أن كتب روايته " الحرم " متقوياً أن يُعنى بجانب الإثارة فيها حتى يضمن لها الزواج ؛ لأن الإقبال لم يكن فى نصيبها الأولى .

كان فوكنر روائياً فى المقام الأول رغم أنه عالج الشعر ( دون نجاح ) والقصة القصيرة والمتوسطة الطول بنجاح ، ورواياته تغطى مسرحاً إنسانياً كبيراً ؛ ففي رواية " راتب الجندي " مثلاً نراه يروى قصة ضابط جريح عديم الحول محتضر يعود إلى الوطن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ليجد أباه المخلص ومحبوبته المتقلبة . ومسرح الرواية - بخلاف روايات فوكنر اللاحقة - هو ولاية جورجيا ، ولكنها تتضمن ما يوحى باهتمامه بالجنوب ، والأنماط البشرية التى تعيش فيه .

وعندما نشرت الرواية فى إنجلترا فى ١٩٣٠ كتب عنها الروائى البريطانى أرنولد بنيت ، ببصيرة مستقبلية ، يقول :

" إن فوكنر هو الرجل القادم ، إنه يملك إبداعاً لا ينضب له معين ، وخيلاً قوياً ، ومملكة مدهشة لرسم الشخصيات ، وبراعة مصقولة فى الحوار ، وهو - عموماً - يكتب كملاك . إنه يملك فى طواياه عناصر العظمة الحقّة ، و" راتب الجندي " تشتمل على عدة صفحات مدهشة تماماً " ( انظر طبعة پنجوین للرواية ، وقد استفدت فى كتابة



هذه المقدمة من تعليقات بلغت عبقرية فوكنر قمتها فى روايته المسماة " الضجر والعنف " ( نقلها جبرا إبراهيم جبرا إلى العربية ) وعنوان الرواية مستمد من مسرحية " مكبث " لشكسبير . ومنذ الضجة التى أثارتها هذه الرواية لدى ظهورها لأول مرة فى ١٩٢٩ وهى تعد واحدة من أهم روايات القرن العشرين ، ورغم أنها صعبة ، كما أن " يوليسيز " جويس صعبة ، فإنها تجزى القارئ عن المجهود الذى يبذله لفهمها . قلّ من القراء من لن ينفخس فى متابعة هذا الإبداع التخيلى لأسرة متدهورة متحللة ، هى أسرة كومپسون .

إن فوكنر لا ينظر إلى شخصياته على أنها بيادق تتحرك على رقعة شطرنج ، وإنما هو مهتم بعقولهم وانفعالاتهم ، بتفاعل الشخصيات والطريقة التى تؤثر بها الأحداث والمصادفات فى الأفراد وعلاقاتهم . وهو يحقق هذا من خلال تقسيم الرواية إلى أربعة أقسام : القسم الأول حكاية " يرويه أبله " : بنجى الذى ليس للزمن وجود بالنسبة إليه ، وإنما فى القسمين التاليين : حيث يسمع القارئ القصة كما يرويها

شقة تالينى تبدأ الرواية فى الكشف عن ألبانها .  
**www.library4arab.com**

هذه ، أساساً ، رواية عن غياب الحب : " الأبله وحده لا يعرف الحزن . الأحق وحده خلىق أن ينساه . أى شىء آخر فى عالمنا هذا حاد بما يكفى لجعلة يلتصق بأحشائك ؟ " . إنها رواية عن علاقات أسرة ، جادة ومفعمة بالعاطفة ، لا حب فيها ، وإنما هى متركزة حول الذات فحسب .

وفى رواية " وأنا أرقد محتضرة " بلغ فوكنر قمة نضجه الفنى بعد أن تخلص من تأثير أولدس هكسلى وجيمز جويس فيه . ويرى كثير من النقاد أن هذه الرواية تحفته الكبرى . إنها عن عائلة تحاول دفن الأم أدى باندرين . والرواية تُروى على السنة أفراد العائلة؛ إذ ينقلون تابوت أمهم إلى جفرسن بالميسيسيپى كيما تدفن بين أهلها . وبين فوكنر مخاوف هؤلاء الأفراد ورغباتهم من طريق المونولوج الداخلى والحوار العامى ، ولكنه يبنى فى الوقت ذاته عملاً ملحمياً كالتوراة أو العهد القديم ، فيه من روح الملهاة ما فى أبى الشعر الإنجليزى تشوسر ، وفيه من الخصائص الأمريكية الصميمة ما فى مارك توين .



فإذا جئنا إلى رواية " الحرم " وجدنا أن مسرح هذه الدراما الجياشة المعتكرة هو ولاية تنسى وأعماق الجنوب . وشخصياتها مجموعة من الناشزين والمنبوذين اجتماعيا تتداخل مصائرهم في إساءة تطبيق للعدالة يدعو للأسى ، لكن ما من قارئ نافذ البصيرة لهذه المأساة عن منحلين وجانحين سيعدها ميلودراما شنيعة عن العنف . إن فوكنر يستكشف الدوافع الملتوية التي تحدد السلوك الإنساني في مظاهره الوضيعة كما في مظاهره النبيلة . ومن النقاد من يرى أن " الحرم " هي أفضل رواياته .

وعندما نشرت رواية " ضوء في أغسطس " لأول مرة في ١٩٢٢ عدها كثير من النقاد فانتازيا قبرية ، بل ذهب أحدهم إلى حد القول بأنها " نوبة صرع " . أما الآن فقد غدت من علامات الطريق في مسيرة القصة الأمريكية .

إن البطل هنا ، واسمه على نحو ساخر ، چوكرسماس ( نسبة إلى السيد المسيح ) ، يقتل عشيقته التي أمرته بالركوع والصلاة تحت تهديد المسدس ، ولا يلبث أن يطارده جمهور متعطش إلى شنقه دون محاكمة . ومن خلال ملاحظته لشخصية هذا الرجل والأناس الذين يلتقى بهم ، يتوغل نوكنر عميقاً في الزوايا المخيفة للروح الكاثينية

ومجتمع الولايات الجنوبية  
www.library4arab.com

كتب ناقد " ملحق التايمز الأدبي " : " من خيوط البشاعة والكراهية والشهوة والوحشية والأفكار المستحوذة ينسج نموذجاً متداخلاً لطنفسه مظلمة ، يقيناً ، ولكنها غنية لامعة بجمال مرعد مهدد " .

وكتب ناقد مجلة " سيكتيتور " عن الرواية : " إنها تشتعل طوال الوقت بحرق صارٍ ضد القسوة والغباء والتحيز .. كتاب عظيم " .

وفي رواية " نخلات برية " نقراً : لكنى لم أر بوضوح إلا حديثاً : مقتنياً النتيجة المنطقية ، إن إحدى ما ندعوه الفضائل الأولية - الاقتصاد ، الجو ، الاستقلال - هي ما يولد كل الرذائل : التعصب ، والتباهى ، والتدخل في شئون الغير ، والخوف ثم أسوأها قاطبة : الوقار " .

هذه الكلمات المحيرة يضعها فوكنر على لسان هاري وليورن؛ إذ يهرب مع حبيبته من حبائل شيكاغو والحياة الآمنة . إن ظلال السجن ( بتعبير وردزورث ) والجائحة

والموت يلوح أنها تنطبق عليهما؛ إذ يوليان الحياة ظهرهما كي يحفظا حبهما . وكما هو الشأن مع نزلاء إصلاحية الولاية - الذين تتواشج مصائرهم ومصائر الجييين - فإن هاري وشارلوت سجينان، إن لم يكن لشيء فداخل ذواتهما . وعلى نحو أعمى لا يعرف الندم ، يطاردهما ازدرأؤهما للمجتمع والأمن وأعمق ينابيع الحياة إلى الهوة الأخيرة

**www.library4arab.com**

كتبت عنها مجلة " تايم آند تايد " : " لامعة ، شاطرة ، بارعة ، خطيرة بصورة بالغة وناجحة بصورة غريبة .. يجب أن يقرأها كل امرئ مهتم بإمكانات الشكل الروائي " وإلى جانب قصة " الدب " ، وهي نوفيلا ( قصة متوسطة الطول ) ، أخرج فوكنر عدداً من القصص القصير جمع بعضه في كتابه المسمى " انحدر يا موسى " . إن القصص الدرامية السبع التي يشتمل عليها هذا المجلد ، المنشور لأول مرة في ١٩٤٢ ، تبين فهم فوكنر المتعاطف لعالم الزوج في أعماق الجنوب . شخصه هم الأناس المتضعون الذين يقضون حياتهم في دائرة صغيرة من الأرض ، ويموتون دون أن يسجل ذكراهم أحد . وتثره القوى مثقل بعاطفة وعذاب الجسد والروح الإنسانية .

وفي رواية " جناز لراهبة " يصور نانسي وهي مربية أطفال زنجية قتلت طفل سيدتها وحكم عليها بالإعدام . ولا يلبث محامى المربية ، چاقين ستقنز ، أن يرغب السيدة على الاعتراف بسبب إقدام المربية على الجريمة . ولا يلبث القانون أن يأخذ مجراه ، وإن يكن فوكنر يرى أن ما حدث عدل .

ويلاحظ النقاد أن روايات فوكنر ذات طابع درامى : فهو يضيف على هذه الرواية ، مثلاً ، شكل المسرحية ، ويمهد لكل فصل فيها بنبذة تؤرخ لما سيحدث . والرواية على ذلك ذات أبعاد ثلاثة : فهي تصور دراما الجريمة والاعتراف من ناحية ، وتصور العواطف الإنسانية من ناحية أخرى ، كما تصور الماضى الذى يتحكم فى توجيه الحاضر . وجدير بالذكر أن الأديب الفرنسى ألير كاموق قد حول هذه الرواية إلى مسرحية ناجحة مثلت على مسرح " رويال كورت " بلندن عام ١٩٥٨ .

ومع صدور " جناز لراهبة " انطلق كوراس النقاد محيياً : مستترفوكنر .. هو أعظم روائى بقيد الحياة فى اللغة الإنجليزية " ( نيوستتسمان ) ، " ثمة فى هذه



الدراما ما فيه الكفاية من التوتر والعاطفة . إن زخمها لا يصبه وهن قط " أوبزرقر ) ،  
" إنها حاذقة مستخفية ، متفجرة ، درامية ، تدعم حق فوكنر فى أن يعد الأعظم بين  
الروائيين الأمريكيين المعاصرين " ( كوين ) ، " مثل مدهش لقدرة فوكنر على توليد  
إثارة درامية .. إن فوكنر شاعر وتراجيدى عظيم " ( ليسنر ) .

فى هذه الأعمال كلها - ويمكن أن نضيف إليها " الذين لا يقهرون " ( ١٩٣٨ )  
و" دخیل فى الرغام ( ١٩٤٨ ) وغيرها - نجد أن فوكنر كاتب أخلاقى معنى بطبيعة الشر ،  
يكتب قصصاً عن الانحراف والبشاعة والقنوط ، تحفل بمشاهد التدهور والجريمة  
والرعب ، وتقوم بتحريف متعمد للتتابع الزمنى ومراحل الفعل التاريخية ، مع استخدام  
لعنصر الترقب والتشويق بحجب المعلومات الأساسية عن القارئ . ثمة ، عنده ، نقاط  
تقاطع كثيرة بين الآن وأنداك ، هنا وهناك ، لا تكاد تلمها العين أو الأحرى أن الكاتب  
يتم عينا عاماً

**www.library4arab.com**

قال الناقد البريطانى ولتر آلن فى كتابه " الموروث والحلم " : " ليس فوكنر بشيء  
إن لم يكن كاتباً رومانتيكياً بكل ما تتضمن هذه الكلمة من قدح ومدح " . إنه يعبر عن  
اتجاه تشاؤمى إزاء الحياة ، وكراهية للجنس البشرى ، قدرى النظرة ، يواصل ما دعاه  
الناقد الأمريكى مالكولم كاوى ( وقد حرر مختارات من أعمال فوكنر ) " موروث  
البشاعة السيكولوجية فى الكتابة الأمريكية " . إن عالمه مركب من شناعات المسرح  
اليعقوبى ( أى المسرح الإنجليزى فى عصر الملك جيمز الأول الذى خلف الملكة إليزابيث  
الأولى ) وتوكيد ناتوراى لما هو فظ وعنيف فى الطبيعة البشرية . أسلوبه النثرى مشتق  
من الشعر الإليزابيثى ، فيه خاصة باروكية عنيفة ، يسرف فى استخدام النعوت  
ويخطئ أحياناً فى النحو ، جملة ملفوفة معقدة ( فى قصة " الدب " جملة واحدة تغطى  
ست صفحات ) ، أعماله مثقلة بالانفعال . قيل عن أسلوبه إنه يقع فى مكان ما بين  
دستويكى وكتاب سناريوهات أفلام هوليود .

" سارتورس " ( نيويورك ١٩٢٩ ) أولى سلسلة من الروايات يصف فيها فوكنر  
اضمحلال أسرته كومپسون وسارتورس ، ممثلى الجنوب القديم ، وعلو نجم أسرة  
سنوپس الفجة التى لا تلقى كبير بال لمتطلبات الضمير . والمهاد الأساسى لهذه

الروايات هو " جفرسن " - صورة مركبة لعدة بلدات في إقليم المسيسيبي - في مقاطعة يوكنبا باتاوا التي ابتدعها خيال المؤلف . وتدهور أسرة كمبسون يتمثل في إدمان الخمر ، ورفض العمل والحياة ، والتعلق بماضٍ أسطوري ، والانغماس في خطابة جوفاء .

تقوم الرواية على هرمية من القيم ، وتقرر - بشكل جنيني على الأقل - أغلب الخيوط التي طورها فوكنر فيما بعد في سلسلة من الأعمال ، وكثيراً ما كان يشير إليها - وفي ذهنه الصلات الداخلية بين روايات بلزاك وپروست - باسم " الكتاب " : أثر الماضي في الحاضر ، عزلة الفرد ، تآكل تقاليد الجنوب تحت وطأة القيم العلمانية للعصر الحديث . وفي " سارتورس " تتمثل الحداثة في السيارة التي يقودها بايارد سارتورس على نحو أهوج في الدروب المتربة ؛ حيث قُتل أخوه التوأم ، ومات جده

**www.library4arab.com**

وآل سنوېس هم محدثو النعمة الذين جاءوا من قرية فرنش مانزبند خلال السنوات العشر الأخيرة ، وفلم هو أول شخص من أسرة سنوېس ينتقل إلى جفرسن - ورغم أنه كان عاجزاً جنسياً فإنه ، روحياً ، أبوهم جميعاً ( انظر الكتاب " أدب الولايات المتحدة " لمؤلفه مارشال وكر ) .

وصف فوكنر الإقليم الذي تخصص في الكتابة عنه بأنه " طابع بريد صغير خاص به من الأرض المحلية " ، و " سارتورس " رواية عن الحياة في شمالي المسيسيبي : ثمة شعور بالملل من الحياة ، كذلك الذي كان يخامر " الجيل الضائع " عند جرتروود ستاين وسكوت فنزجرالد وهمنجواي ، يسرى فيها ، ولكن أجزاء منها ترتفع إلى مستوى الواقعية والانفعالية والتاريخية التي تبلغها أعماله عن يوكنبا باتاوا . قص الرواية متجذر في الذاكرة الشعبية ، وليس نتاج تجريد أولى ، وفكاقتها منحدره من قصص المبالغات الكوميديّة ومن مارك توين . إن منهج فوكنر هو المأساة وإن تكن مأساة ملهوية أحياناً ، والملحمة وإن تكن ملحمة ساخرة . وتومي رواية " سارتورس " إلى ما سيحيى بعدها : ف " الذين لا يقهرون " تصل فصولاً ، سبق نشرها على شكل قصص قصيرة ، في رواية عن أقدار أسرة سارتورس في الحرب الأهلية الأمريكية بين الجنوب والشمال ، وبين مجتمع تقليدي كان يعيش على زراعة القطن واستخدام الزنوج رقيقاً ومجتمع اليانكي الصناعي المادي . ويفصل خط ميسون ويكسون بين هذين العالمين .



تقع رواية " سارتورس " فى نقطة مفصلية من إنتاج فوكنر . إذ تسبقها روايتا " راتب الجندي " و " البعوض " وتسبقها روايتا " الضجر والعنف " و " وأنا أرقد محتضرة " . وهى بهذه المثابة جسر بين بداياته ونهاياته . إنها رواية نهريّة ، أو رواية أجيال مثل " بودنبوك " توماس مان ، ذات نفس ملحمى ، تجمع بين ذكريات الحرب الأهلية وذكريات الحرب العالمية الأولى . تصور زوال مجتمع تقليدى ، بخيره وشره ، وتنقل حساً مخامراً بالحنين إلى الماضى وانقشاع الأوهام . كتب سارتر فى مقالة له عن " سارتورس " ( فبراير ١٩٣٨ ) : " تأدى بى هذا الكتاب إلى فهم لينبوع فن فوكنر . هذا ينبوع هو الوهم . من الحق أن كل فن زائف . ففن التصوير يكذب فى صدد المتصور " . " سارتورس " رواية عن الصراع بين الواقع والوهم ، بين ماضٍ أخذ فى الزوال وحاضر أخذ فى الهيمنة ( سلفت الإشارة إلى حفيد بايارد العجوز الذى ينطلق بالسيارة ، بسرعة مجنونة ، فى شوارع البلدة ) . وسرعان ما تحل

الطاقة من أجل الإشارة .  
**www.library4arab.com**

نسيج الرواية كثيف أشبه بدغل متشابك الأفنان ، وهو فى هذا شديد الاختلاف عن وضوح ستاينبك البلورى ، أو خلوص نثر همنجواى من الزوائد ( كتب الروائى البريطانى أنطونى بيرچس عن فوكنر فى كتابه المسمى " الرواية الآن " : " إنه ليس روائياً إقليمياً قدر ما هو تجريبى مثير للغيظ . إنه - من عدة زوايا - أصعب من چويس بجملة التى لا تنتهى ، والتى تقل فيها علامات الترقيم ، ومونولوجاته الداخلية الثقيلة . إن تعقيد نثره يعكس حالات ذهنية معقدة " ) . نحن هنا نرى خريطة لبلدة جفرسن ، ومعمار البيوت ، وموضات اللباس ، وحواجز الأجران ، وزرائب الخنازير ، وبيوت الدجاج . ونحضر حفلات الرقص فى البيوتات العريقة حيث يتعارف الشبان والفتيات وتنشأ زيجات وتترعرع ، فى ظل العاطفة الجنسية ، جرائم الحب والكراهية والغيرة ( انظر أقصوصة فوكنر " وردة لإميلى " وقد ترجمها إلى العربية إدوار الخراط ، ومن قبله العقاد ) . هكذا يتجاوز الخير والإحساس والشجاعة والتسامح والجلد مع الجريمة وإشعال الحرائق والقتل والفسق والعنف والزنا . على الحيطان - فى « سارتوس » - تقوم لوجات كورو ، وقرب الفراش روايات ألكسندر ديما الأب . وفى حدائق البيوت والحقول البعيدة والأجام الملتفة أشجار المنوليا والبلوط والشربين والصنوبر والشجيرات

المزهرة والياسمين البرى وزهور الزينيا والديلفنيم . الظلمة تضئها حبايب مضيئة  
سابعة ، والسكون تقطعه بين الحين والحين مرخة بومة أو أصوات جدجد أو ضفدع .

وعلى طول أجزاء الرواية الخمسة تتجاوز بلاغة العهد القديم وسبجات خيال  
شكسبير وملتون . ففوكنر صاحب أسلوب غنى مثقل بالإحياءات والرموز ، فيه من  
الشعر تركيزه وزخمه وفورانه ( أخرج ديوانين من الشعر فى أواخر العشرينيات وأوائل  
الثلاثينيات ) . لن تخطئ الأذن صور الشعر الإنجليزى وإيقاعاته فى تسعينيات القرن  
التاسع عشر ، أصدا سونبرن وپاترو وايلد فى مثل هذه القطعة :

" وبعد ذلك استقلت فى غرفتها المعتمة ، وعبر الممر كانت العمة سالى تغط فى  
نومها ، وشخيرها هادئ منتظم ، وقد استلقى هوراس أيضاً فى الغرفة المجاورة ،  
بينما ارتجل ضياعه الوحشى الضارب فى الخيال من حوله وذهب يجوب أماكنه العزلاء  
الوحيدة ، فيما وراء القمر ، بين مراعى ثبتت بمسامير من نجوم إلى سقف كل الأشياء  
الأعلى ، حيث يملأ وقع أقدام حيوانات وحيد القرن الهواء المحمل بحمحماتها أو تشغل

هناك يأكل الكلا ، أو تستلقى على ظنورها فى استراحة نسيئة الحافر " .  
كذلك تزخر " سارتورس " بأصدا من الشعر الرومانتيكى الإنجليزى فى مطلع  
القرن التاسع عشر . عندما يقول فوكنر " كل صنوف الربيع لا تستطيع أن تكون ربيعاً  
واحداً كشفاه سيدات بيرون " نتذكر كيف تمنى شاعر " تشايلد هارولد " و " بون  
جوان " لو كان لنساء الأرض جميعاً ثفر واحد يقبله ويستريح ! وحين يقول فوكنر " أنت  
يا عروس الصمت التى لم يمسهأ أحد حتى الآن " ندرك أن هذه إشارة إلى البيت  
الافتتاحى لقصيدة كيتس " أنشودة إلى إناء إغريقى " وهكذا . لكن هذا الحضور  
الرومانتيكى لا ينفصل عن حس واقعى قوى ، بل ناتورالى كما أسلفت : انظر مثلاً  
مشاهد الصيد قرب نهاية الجزء الرابع من الرواية ، أو المشهد الختامى فى المقبرة .

أود أن أختتم بهذه الكلمات للناقد والشاعر والروائى الأمريكى روبرت بن وارن -  
وهو مثل فوكنر وآلن تيت ويودوراوتى وتنسى وليمز وتوماس ولف من أدباء الجنوب  
الأمريكى . كلمات بن وارن ترد فى مقال له نشر عام ١٩٤٦ ، وقد ساقها وليم فان  
أوكونر فى كتابه عن فوكنر ( ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ) :



" لقد كتب وليم فوكنر تسعة عشر كتاباً ليس ما يضاهيها في بلدنا وعصرنا، هذا من حيث الاتساع والقوى والعمق الفلسفى وأصالة الأسلوب وتنوع الشخصيات والفكاهة والتوتر المأسوى ولنسلم جدلاً ، برغم ذلك ، أن فى كتب فوكنر نواقص جسيمة . فالتوتر المأسوى يتحول أحياناً إلى مجرد تهويل عاطفى ، والبراعة الفنية تتحول إلى مجرد تعقيد ، والعمق الفلسفى يتحول إلى مجرد فوضى ذهنية . فلنسلم بذلك كله ، ففوكنر كانت متفاوت ، ولكن هذا التفاوت نفسه إن هو إلا دليل على حيويته واستعداده للمجازفة ومحاولة خلق التأثيرات الجديدة ، واستقصائه المستمر إمكانيات المادة والأسلوب " .

بين يديك أيها القارئ رواية تجمع ، رغم أى عيوب أو شروخ بين بعض صفات شكسبير ودكنز وپو دوستويفسكى . هذا فن عميق إنسانية يخاطب الروح ، مهموم بقضايا فكرية كبرى تخاطب العقل ، وله حضور فيزيقى كثيف يخاطب الحواس . قد يكون فوكنر ميلودرامياً أو ميالاً إلى التهويل أو الإثارة أحياناً - أى كاتب من هؤلاء الذين ذكرتهم قد نجا من هذه الآفات ؟ - ولكنه دائماً يستند إلى أساس راسخ من معرفة القلب وتلايف العقل ونبضات البدن ، حتى لنغدو مع - كما قال فى خطاب تسلمه خلال جائزة نوبل - على ذكر من تلك القيم الخالدة التى هى مناط فخر الإنسان ومحك امتيازه على سائر الكائنات : " الحب والشرف والرحمة والكبرياء والعطف والتضحية " ، وإن نصيبه من ذلك كله لعظيم .

[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)

## إشارات

وليم فوكنر ( ١٨٩٧ - ١٩٦٢ )

أكبر روائى الجنوب الأمريكى فى القرن العشرين . ولد فى أولبانى ، وتلقى دراسته فى جامعة مسيسى بأكسفورد، ولكنه لم يتمها . التحق بالقوات الجوية الكندية فى الحرب العالمية الأولى ، وجرح فى فرنسا . تقلب بين عدة مهن ، وفى أواخر حياته كتب عدداً من السيناريوهات لهوليوود . له مجاميع قصصية ودواوين شعرية . أهم رواياته : سارتورس - الضجر والعنف - وأنا أرقد محتضرة - ضوء فى أغسطس - أبشالوم ، أبشالوم - نخلات برية - جناز لراهبة . نال جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٥٩ .

**www.library4arab.com**

مikhail Roman ( ١٩٢٠ - ١٩٧٣ )

كاتب مسرحى ومترجم . ولد بمحافظة أسيوط، وتخرج فى كلية العلوم بجامعة القاهرة فى ١٩٤٣ ، وعين مدرسا للعلوم بإحدى المدن الصغيرة حيث أمضى عامين ، فمدرسا وأستاذاً مساعداً للفيزياء بالمعهد العالى الصناعى بشبين الكوم . ساهم منذ أواخر الخمسينيات فى إمداد البرنامج الثانى بإذاعة القاهرة بعدة برامج درامية وترجمات وأحاديث . له أكثر من أربع عشرة مسرحية منها : الدخان - المعار والمأجور - الليلة نضحك - العرض الحالى - ليلة مصرع جيفارا - إيزيس حبيبتي . ترجم أعمالاً من الأدب الأمريكى لأرثر ميلروتسى وليمز وغيرهما .



## محمد مصطفى بدوى :

كان قبل تقاعده زميلاً بكلية سانت أنطونى بجامعة أكسفورد حيث لعب دوراً كبيراً فى تقديم الأدب العربى إلى قراء الانجليزية بترجماته وكتاباتهِ والرسائل الجامعية التى أشرف عليها ومشاركته فى إصدار " مجلة الأدب العربى " السنوية ( بالإنجليزية ) .

ليسانس من قسم اللغة الإنجليزية بآداب الإسكندرية ( ١٩٤٦ ) وليسانس الشرف من جامعة لندن ( ١٩٥٠ ) ، ومن هذه الأخيرة حصل على درجة الدكتوراه . من مؤلفاته بالعربية : رسائل من لندن ( شعر ) - أطلال ورسائل من لندن ( شعر ) - كولردج - دراسات فى الشعر والمسرح - قضية الحداثة . من مترجماته : " مبادئ النقد الأدبى " و " العلم والشعر " ل " أ.أ. رتشاردز " - الحياة والشاعر لستفن سبندر - الإحساس بالجمال لجورج سانتيانا - الشعر والتأمل لروستريفور هاملتون - الملك لير لشكسبير - الفكر الأدبى المعاصر لجورج واطسون - مختارات من شعر فيليب لاركن . نقل إلى الإنجليزية : سارة للعقاد ، قنديل أم هاشم ليحيى حقى ، " السلطان الحائر " و " أغنية الموت " لتوفيق الحكيم ، و « اللص والكلاب » لنجيب محفوظ ( مع تريفورلى جاسيك ) .

# www.library4arab.com

ماهر شفيق فريد

ناقد ومترجم وقاص . ولد بالقاهرة فى ١٩٤٤ . تخرج فى كلية الآداب بجامعة القاهرة فى ١٩٦٥ . أستاذ مساعد الأدب الإنجليزى بجامعة القاهرة . ماجستير من جامعة كيل البريطانية ، ودكتوراه من جامعة القاهرة برسالة موضوعها " أثرت . س إليوت فى و . ه . أودن " . من مؤلفاته : النقد الإنجليزى الحديث ١٩٧٠ - الشعر الإنجليزى الحديث ١٩٧١ - خريف الأزهار الحجرية ( قصص قصيرة ١٩٨٤ / طبعة ثانية مزيّدة ومنقحة ١٩٩٩ ) - فسيفساء نقدية : تأملات فى العالم الروائى لمحمد

جبريل ١٩٩٩ - أربعة نقاد معاصرون ١٩٩٩ - الرجل ذو الجيتار الأزرق : تأملات في شعر أحمد تيمور ١٩٩٩ ، من ترجماته إلى العربية : قصائد ت . س . إليوت ١٩٩٦ - شذرات شعرية ومسرحية لإليوت ١٩٩٨ - المختار من نقد ت . س . إليوت ( المشروع القومي للترجمة - ٢ أجزاء ٢٠٠٠ ) وله في سلسلة آفاق الترجمة : هبوط الليل : مختارات من شعرو . ه . أودن ١٩٩٦ ، حرر عدداً من الكتب والمختارات الشعرية بالإنجليزية بالاشتراك مع د . محمد عناني ، ونقل إلى الإنجليزية - بالاشتراك مع سعاد نجيب - مختارات من شعر محمد إبراهيم أبو سنة .

**[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)**

**[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)**



# تاريخ

تصدره هذه السلسلة بمعاونة  
المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم الاجتماعية

وزارة الصحة للطباعة  
شارع الجيش - كنيسة الأرمن

الآلف كتاب

# سارنورس

تأليف وليم فوكسر

رابعه: الدكتور مصطفى بدوي

ترجمه: ميخائيل دومان

مؤسسة سجل العرب  
بإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده  
٢٦ شارع شريف باشا - القاهرة  
تليفون ٤٩٩٩٩

١٩٦٢



هذه ترجمة كتاب :

Sartoris .

تأليف

William Faulkner

# مُقَدِّمَةٌ

بقلم  
روبرت كاستويل

- ١ -

تعتبر سارتورس ثلاثة روايات ولیم فوکنر التي نشرت للمرة الأولى سنة ١٩٢٩ ، سفرأ أساسياً بين أعماله كلها وذلك من عدة نواح . فهي تحدد الإطار لها جميعاً . وسارتورس تقدم لنا الأسرتين العظيمتين اللتين تظهران بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في حلقة رواياته كلها ، أسرتي سارتورس وسنوبس . وفي سارتورس رسم فوکنر - أول مارسم - مدينة جيفرسون التي هي مركز رواياته ، وشهدت سارتورس أيضاً تغيراً حاسماً في موقف فوکنر من أعماله فقد كان أول كتابين له « أجرة الجندي » و « البعوض » لما حين الآخرين وفي بعض أجزائها ممتازين ، كروايات ، إلا أنها تتميزاً بمحو عفوى غير مستهدف ولا مبال ، أما في سارتورس فإن عمله أصبح جاداً وظل كذلك بعدها دائماً .

أما التطور ، الذي يكاد أن يلبس في أسلوب فوکنر والرواية تتقدم في صفحاتها فإنه يعتبر من أغرب وأشد ما شوهد في تاريخ الأدب .

وقد تحدث فوکنر عن بداية كتابته للرواية تحت تأثير شيروند اندرسون ، الذي أهدى إليه سارتورس بعد ذلك . فقد لاحظ أن اندرسون كان يحيا حياة راضية طيبة ، فلم يكن يعمل إلا في الصباح . لذلك تصور أنه يود أن يكون كاتباً أيضاً . وقالت له زوجة اندرسون إنه إذا كتب رواية فإنها ستجعل شيروند يقرأها ، فإذا وهي عنها شيروند فسيجعل ناشره ليفرايت يقول أمر نشرها .

وقد كتب فوكنر « أجرة الجندي » في ستة أسابيع ، وأخذ مخطوطها إلى مسز أندرسون ، فأعادته إليه في اليوم التالي ، وقالت له ، « شيرود يقول لك إنه إذا لم يكن مطلوباً منه قراءتها فسيكلف الناشر بطبعها ، وهكذا أصبح فوكنر روائياً . ودفع له الناشر مائتي دولار مقدماً عن كل من عمليه التاليين . قال فوكنر « وبعد » ، فقد استملحت هذه النقود ، وبدأ لي أن هذه طريقة سهلة جداً لكسب المال .

قال الناقد إيرفينج هو في كتابه الأخير « وليم فوكنر » إن الكاتب يحاول الضحك من الجماهير بقصته هذه ولكنه وصل إلى هذا الاستنتاج بتجاهله لأكثر أجزائها أهمية . إن ما قصد إليه فوكنر هو أن ذلك كان موقفه من كتاباته حتى كتب سارتورس . كان في منتصف الطريق للإنتهاء منها عندما قال ، « فجأة » ، اكتشفت أن الكتابة عمل يبلغ أقصى درجة من الروعة . إن في استطاعتك حينئذ أن تجعل الناس يقفون على أطرافهم الخلفية ويرمون ظلالهم . أحسست أنني أملك كل هؤلاء الناس ، وفي اللحظة التي اكتشفت فيها هذا ، أخذتني رغبة في استحضارهم جميعاً للوجود .

وبما يؤكد صدق هذه القصة الطفرة التي حققها أسلوبه في سارتورس . وبعد سارتورس أتم فوكنر ، في بضعة أشهر في فورة غير متقطعة من النشاط الخلاق ، الروايات العظيمة التي تتركز عليها مكاتبه كروائي : « الجلبة والهياج » ، و « أنا مضطجع للموت » ، و « المحراب » ، ( رغم أنها لا تصنف عادة معها ، وقد كتب مقللاً من شأنها ) و « الزور في أغسطس » ، وعندما عرج مبتعداً عن موضوع سارتورس ومدينة جيفرسون ، إلى « بايون » و « النخيل الوحشي » ، ظهر في رواياته إحساس من الإجهاد ، بدا وكأنه يحاول أن يلتقط فيها منابع إلهامه الأولى ، أكثر من كونه ملهماً فعلاً ، وعندما عاد مرة أخرى في سنة ١٩٤٢ إلى قصة سارتورس وأجوائها في رواية « القرية » ، كتب واحدة من أحسن رواياته .



وفي سارتورس يقع الخط الفاصل في أعماله بين مرحلتها الأولى التي تتميز بالخفة والاصطناع الفني ، ومرحلتها العظيمة التالية المملوءة بالقوة .  
وبتحديد أكثر ، أنه في شيء ما في سارتورس ، خلق فوق الرواية نفسها ،  
وأتيح له رؤية شاملة لأعماله كلها ، لقد كان أول ما كتب روايتين من  
« النقد الساخر » ، إلا أن الأساس الفني لما فيهما من نقد ساخر لم يكن  
منتظماً أو سوياً ، إلى الدرجة التي بدا فيها وكأنهما تعبير عن المضايقة  
الشخصية والنفور العصبي . فإذا تركناهما إلى سارتورس فإننا نجد أنفسنا  
على الفور في واقعية بلدة جيفرسون المحددة ، التي تبعد عن ممفيس خمسة  
وسبعين ميلاً ، وهي بلدة تقع في منطقة مرتفعة وقائمة فوق منحدرات  
مائلة ومن ورائها زرقة تلال متصلة ، وفي أحضان حقول غنية عريضة ،  
وسنانة دأما في ثرائها . وإذا تمضى الرواية بنا ، يفيض بنا وعى بإحساس  
غامض بالإثارة والحدة والاحتدام ، تنقله إلينا صور البلدة الحسية والريف  
والغابات ، أكثر مما تنقله إلينا أفعال العنف ، أو صور العنف ، كما هي  
العادة في أعمال فوكنر .

وهنا توجد علامات الطريق التي توجد بكثرة في أعمال فوكنر ،  
بيت القضاء المبني من الآجر ذي الأقواس الحجرية وهو يصعد بين أشجار  
الدردار ، وتمثال الجنسدى الاتحادى تحت الأشجار ، وهو يظل عينيه  
المنحوتتين بيده الحجرية ، وميدان بيت القضاء ، ونخط الأفق المتصل من  
حواله الذى يحده جدار قديم ملوح من الآجر . وعلى بعد أربعة أميال  
من الميدان ، من وراء الشوارع التي تشعقد فوقها أغصان الأشجار ،  
يقع بيت آل سارتورس ، أبيض وبسيط ، بمر منحن وبوابات حديدية ،  
وقد أقيم بين أشجار الخروب والبلوط ، بأشجار الويستريا والورد عند  
أحد طرفي الشرفة ، وداخلة درج متعرج عليه دعائم بيضاء وبساط  
أحمر ، وحزم مقطوعة من ضوء الشمس تتكسر على الثريا البلورية  
والمرآة الطويلة .

ومن هذه الشرفة ، كان في استطاعة الكولونيل سارتورس أن يرى القطارين اليوميين في جريهما فوق خط السكة الحديدية الذي بناه . كان يراها وهما د يزغان من التلال ، ويعبران الوادي إلى التلال ، بأضواء ودخان وادعاء بالسرعة عجاج ، وأمام بيت سارتورس يوجد حوض السيلفيا حيث أوقفت دورية اليانكي التي كانت تبحث عن الكولونيل خيولها . وعلى أحد الجانبين يوجد الجرن الذي قبع . وراءه ، متوقفا في أية لحظة طلقة نارية بين كتفيه . وفي معازل بيت سارتورس الرطبة الممتعة توجد آثار الكولونيل — سيفه في غمد مخملي ، حزامه الذي كان يقاتل به فوق حصانه ، قبعة مشاة الجيش سنة ١٨٤٠ ، قنينة زيت فضية أهديت إليه عند الانتهاء من مسد خطه الحديدي . سترة جيش الجنوب مزينة بأشرطة ومشقوقه من الخلف ، غدارتا نزال مطليتان بالفضة ، وغدارة ثقيل ذات ثلاث أنابيب . أما الهر الذي استلقى فيه كولونيل سارتورس بعد أن قتل فإنه لا يستخدم بكثرة في الرواية ، وكذلك قطع الأثاث المغطاة المتشاحة في الغموض الوقور ، « بسمه من الرقة الشبحية » . وفي ختام سارتورس ، وعند بداية أسطورة سارتورس ، لا يبقى من الأسرة ثمة شيء ، ويفتقد البيت الحياة إلا من همهمة الزنوج وموسيقا أرملة آخر آل سارتورس الشابة ، وهي تعزف على البيانو في ساعة الغسق ، المأهولة بشبح أشياء عتيقة فتانة وفاجعة معاً .

إننا نجد في سارتورس أصول المسائل الكبرى التي يعالجها فوكنر في روايته التالية ، وأصول الكثير من شخوص هذه الروايات ، وأحسن قصصه وأحياناً روايات كاملة له لا تعتبر إلا تطورا ، وامتداداً واستمراراً لأحداث في هذا الكتاب ، فإن جملة واحدة في الجزء الثالث ، « ظهر فليم أول أفراد آل سنوبس ، دون مقدمة . ذات يوم وراء نضد في مطعم صغير في شارع جانبي يؤمه أهل الريف ، تطورت إلى رواية هي مزيج من

المأساة والمهابة يبلغ عدد صفحاتها ٤١١ صفحة وهي «القرية» ، التي كتبت بعد نشر سارتورس بثلاثة عشر عاماً . أما القصص القصيرة ، «كانت هناك ملكة» ، و«القطر وس» ، و«بغل في الغناء» ، و«نحو النجوم» ، و«عبر المقهور» ، و«جميع القباطنة الموتى» ، و«جدي ميلارد» ، و«وردة لاميلى» ، و«لن يغنوا» ، فهي تكملة لقصص في سارتورس ، وتدر حول نفس الشخص . وتظهر بلدة فرنشمانزبند الشريرة أول ما تظهر في الرواية . وبعد أسابيع من الانتهاء من سارتورس جعل فوكنز من فرنشمانزبند مسرحاً للشهد الافتتاحي المروع في روايته المحراب . لقد أصبحت الآن غداً للسفاحين ، وعندما يتوقف هوارس بينبو ( الذي يظهر في سارتورس ) عندها من أجل جرعة ماء فإنه يرى خلال الأعشاب عبر النبع عيني بوبي الزجاجيتين وغدارته ، وهو الصادي والقاتل ، وبعد ذلك خصص فوكنز كل روايته القرية لعملية استيلاء عائلة سنوبس الرهيب على قرية فرنشمانزبند ، بحياتها المتكاثفة والموحلة ، كأدغال الغاب المحيطة بها ، ملوثة المنطقة كلها ، وكأنها فيض من مجرى ماء مسمم .

وأهم من ذلك أن الموضوع الذي تدور حوله أعمال فوكنز كلها يظهر في سارتورس يقول جورج أودرنيل وهو أول من درس مضمون هذه الرواية إن موضوعها هو الصراع بين عالم سارتورس وعالم سنوبس : وآل سارتورس بشر محترمون يسلكون حسبما تقتضى التقاليد ، وبمقتضى قانون اجتماعي حيوى الأهمية ، وآل سنوبس ناس يسلكون بدافع المصلحة الذاتية ، ودون اعتبار لمدى شرعية وسائلهم . وفي مفتتح سارتورس ، نجد آل سنوبس وقد اتخذوا لأنفسهم موطئ قدم في جيفرسون ، إذ أصبح أحدهم نائباً لمدير مصرف سارتورس . وعلى أحد الجانبين يوجد الذين يقبلون بدرجات مختلفة القيم السارتورسية أو يمثلونها — أسردى سبين ، وساتين ، وكومبسون ، وبينبو ، وجريرسون ، وملاك المزارع وأبطال الحرب الأهلية ، وعلى الجانب الآخر يوجد أب سنوبس عميد هذه القبيلة ، حارق الأجران ،

الذى يفتح الطريق للغزو الذى تقوم به أسرته ، بتهديده بحرق أجران من يعترض طريقه من ملاك الأراضى ، وقليم سنوبس الذى يصبح من العاملين فى ميدان المصارف ، وموتجورى وارد سنوبس ، الهارب من التجنيد ، و . . . سنوبس ، أحد أبطال قصة « بغل فى الفناء » ، الذى يسوق بغاله إلى خط السكة الحديدية ليتمكن بذلك من الحصول على تعويض من إدارتها ، ومنك سنوبس ، القاتل فى رواية القرية - البهايل ، والقوادون، والمبتزون، وسارقو الخيل، والشواذ، والصاديون، والقتلة ، والعاملون بأسلوب منيع من الانتهازية - التى تعتبر عند أهل الريف - وأهل المدن أيضاً براعة أمينة . . . يأخذ آل سنوبس بالمداهنة الوظائف ، ويزورون ، ويكذبون ، ويخدعون ويسرقون ، ويحرضون أحد العمال الزوج ضد زميله ، إذ يسرون لكل منهما أن الآخر يسعى لاستلاب وظيفة ، ويتجرون بزوجاتهم من أجل الوظائف السياسية الصغيرة ، أو المشاركة المحدودة فى الأعمال ، وهم يتسلقون ويتسلقون ويتسلقون ، مكرسين دون تعب فى سبيل تحقيق مصالحهم الشخصية عقولهم الكبيرة ، وقلوبهم الباردة ، وشرفهم المقدس .

تبدأ سارتورس بمشهد يتحدث فيه كهلان عن كولونيل سارتوس ، وشبحه الذى يتلصق فى الخرفة بعد أن صمتا . لقد أصبحت البلدة على وشك الوقوع تحت سيطرة أسرة سنوبس . وهذه سلالة كولونيل سارتورس - ناس عالم سارتورس ، عاجزون عن الوقوف فى طريقها . فهوراس بينبوفى « سارتورس » ، والمحارب ، غير ذى فاعلية ، ويقتل كوتتان كومبسون فى « الجلبة والهياج » نفسه ، أما جاسون كومبسون فى نفس الرواية فإنه يعيش ويقاوم آل سنوبس ، إلا أنه يتمكن من ذلك بتحوله هو بشكل ما إلى سنوبس متمسك . وقد قتل أحد أحفاد سارتورس المتهورين فى الحرب ، أما الآخر ، بايارد ، فهو يقوم بسيارته بجنون فى طرق الريف ،



ويوجه الإهانات إلى أهل البلدة ، ويبدد حياته التي يكاد أن يزدريها .  
 ويحتفظ بايارد العجوز المصرفي بالشكل الخارجي لأساليب الحياة القديمة ،  
 ورمز ذلك أنه يذهب إلى المصرف في عربته . ولا يبقى حياً من أيام  
 الكولونيل إلا العمة جيني سارتورس دوبرى ، شقيقة الكولونيل . وهي  
 مشغولة في المحل الأول بترتيب زواج بايارد سارتورس وناريسيا بينبو ،  
 ليكون بذلك وريثاً للأسرة . ولكن ناريسيا تقع فريسة تهديد أحد أفراد  
 أسرة سنوبس ( في قصة نشرت بعد ذلك بعدة سنوات ) كانت هناك ملكة ،  
 نعرف أن ناريسيا عندما تعترف للعمة جيني ، تموت السيدة العجوز في مقعدها ،  
 فتحطم الإهانة الأخيرة لقيم آل سارتورس لإرادة الحياة فيها . يقول الطاهي  
 الزنجي ، « أن تولد من سبط سارتورس ، أو تولد من عليّة القوم على  
 الإطلاق ، ليس شيئاً سليماً لأنه ذو قاعلية . لأن مس جيني من عليّة القوم ،  
 هذا هو السبب . وهذا شيء لا تعرف عنه شيئاً على الإطلاق ، لأنك  
 ولدت متأخراً جداً عن أن ترى أى شيء منه عدا رؤيتها هي ) .

وكولونيل سارتورس (١) ليس إلا شبحاً في مدخل سارتورس ، ولكنه  
 شبح يتميز بالرقّة : « متحرراً كما كان من الزمن والجسد ، فقد كان وجوده  
 أشد جلاء من أى من العجوزين ... ، إنه حقيقة حية بالنسبة لمن عرفوه  
 من الرجال ، وذكرياتهم عنه رقيقة وودودة ، رغم أنهم فيما يبدو  
 يستذكرون أعمال عنفه ، التي تتعلق بها . بشكل ما أهمية شديدة رغم  
 أن الآثار الفعلية - تذكارات العائلة القليلة ، والأساطير ، والتفسيرات الحائرة  
 لحياته - قليلة وغير كافية بالنسبة للشعور المستثار . كان يلقي فيما يبدو على  
 الحياة دثاراً من الرقة الشبحية التي تتعلق بالهو المغطى حيث اضطجع  
 إثر مقتله .

---

(١) كولونيل سارتورس الذي مات في الرواية في سنة ١٨٧٦ كان حياً لا يزال في سنة  
 ١٨٩٤ في رواية « وردة لإميلي » . كانت أهميته في القصة القصيرة محدودة : قال لمس إميلي  
 إنها ليست مدينة بأية ضرائب ، لأن البلدة كانت مدينة لأبيها .

وهو يهيم على الرواية . وإن كنا في الواقع لا نقرأ عنه الكثير جداً ، لا في هذا الكتاب ، ولا في حلقة الروايات كلها التي كان منبع الوحي بها . وفي قصص الحرب الأهلية في رواية « غير المقهورين » يسلك كولونيل سارتورس بشجاعة وعبقرية وبوقار الشيوخ ، الأمر الذي يجعل منه ، مثل لي ، تجسيدا لشهامة القضية الخاسرة أما الاستهتار البطولي الذي تميز به بعض فروع أسرة سارتورس فقد حد منه في حالته إحساسه بالمسئولية الاجتماعية . أما فشلهم في الحياة في مستوى مثله ، والفروق بين الجنوب الجديد الفج وأرض المزارع اليانعة في أيامه ، ونبل جيله المذهب ، فهي تسهم في الإحساس بعذاب العجز في جيل كويتان كومبسون وبايارد سارتورس . وبنفس الشكل أيضاً ، فإن تجسد سمات المرأة الجنوبية المصنفة في العمة جيني ، وملاحمها الرقيقة وشعرها الأبيض ، وماضيها البطولي ، بما في ذلك مشاركتها في الرقص مع جب ستيوارت ، والوقت الذي قهرت فيه المحرضين السياسيين والملتكئين من رجال الجنوب بوجودها المسيطر - تقابل وتبرز بوضوح أزمت النساء الجنسية في الروايات التالية .

كانديس كومبسون ودالتون أمس في « الجلبة والهباج » ومشاهد دار الدعارة في تمبل دريك ورد في « المحراب » ، والصراع الذي يعانيه ليس صراع ضمير ، كما هو الأمر في روايات هوثورن عن نيوانجلند ، ولكنه ينبع من انتهاكهما لإحساسهما بأنهما تنتميان إلى عليا القوم : تمبل وكانديس ، بل وكل البنات في روايات فوكنر يواجهن في الجنس صراعاً اجتماعياً ، أما الاعتداء على شيء تنقصب من جيني كرمز له ، كما في « المحراب » أو قبول دور لا يعني إلا الإحساس الذاتي بالخروج من عالمها كما هو الأمر في « الجلبة في الهياج » ، « وقديس على روح راهبة » ،

وبنفس الشكل أيضاً ، فإن الرجال لا يستطيعون الحياة في مستوى أسطورة سارتورس . وهكذا فإن اليأس الوحشي الذي يفيض بحياة بايارد سارتورس الصغير يسبب الأزمة القلبية التي تقتل بايارد العجوز . ويحقق موته استراحة وقيته في انحدار آل سارتورس اللولي الذي تتبعه الرواية . إنها عودة مفاجئة وإن تكن قصيرة إلى الواقع : الإدراك المتزايد الذي نجده في وصف هروب بايارد إلى كوخ في التلال وفي صيد الثعالب - الصقيع في الهواء الساكن ، والصوت الجاف الوحشي في أشجار الصنوبر والأرض الزرقاء في لون الدخان ، وكبرياء أهل الريف الأليفة الهادئة ، والبيوت المضيئة في الداخل بنيران المدافئ ، والدخان الأزرق الشاحب المحمل بروائح الطهو ، وأصوات الكلاب الرنات كالنواقيس وأصداؤها التي تتردد بين التلال حيث يجلس الصيادون في سكون تام على خيولهم في ضوء القمر المحمل بالصقيع . لقد حدث تغير للأسلوب في هذه الفقرات فيه وفي الجزء الأول من الكتاب ، وتغير أيضاً أكثر أهمية فيما بينهما ومرح فوكنر النقدي في كتبه الأولى . إنه قبول مفاجئ للعالم المحيط ببايارد سارتورس وشعور دائم بالاستمتاع به والمشاركة فيه .

إن المشهد الرائع الذي نرى فيه عيد الميلاد الذي شهده بايارد مع العائلة الزنجية ، ليشير العاطفة بتواضعه الخجول ، ويفيض بالمأساة عند كشفه عن الحذر الذي أصاب عقل بايارد . . . حدة عينيه على الغرفة التي تناثرت فيها الأشياء ، وعشى عينيه عن رؤية الأطفال الزنوج . إنه موسيقى - فقرات من الشعر المصنفي رغم جفوة سطحها ، إنها فقرة من السلام ، تحقق سحر جمالها ، لا ببراعة الأسلوب ، وبالتأكيد ليس بذلك النثر الشعري أو الشعر المنشور من النوع الذي يحاول فوكنر أحياناً كتابته ، ولكن بقبول المعتاد أو المؤلف في الأشكال التي يوجدان بها . والأثر الذي يولده هذا المشهد هو أنه يكشف الأوهام الحادة التي تفيض بها حياة بايارد في الفترة التي سبقت المشهد . فكأن المجتمع لم يعرف أبداً إلا توهجات وزوايا

حادة في علاقاته الاجتماعية ، أشبه بصور بيكاسو ، ثم يعى فجأة من حوله بيوتا هادئة نقشت في لوحات رسامين من المدرسة الفلمنيكية . كذلك فإن المهروب إلى الغابات والمشهد في كوخ الزنجي ( الذي يقارنه هو بشيء من العدل بمشهد صيد الذئب في الحرب والسلام ، لتولستوى ) يلقى ضوءاً على ضياع بايارد ورحلاته الشاردة بعد ذلك ، رحلته الغامضة إلى المكسيك والبرازيل ، وموته وهو يحاول التحليق بطائرة حديثة صممها مخترع مجنون ، التي ربما يبدو فيها التشويه مبالغاً فيه وتدل العواطف الخفية الغامضة على إهمال وعجلة في الكتابة .

وهكذا فلن نجد في النهاية إلا أرملة بايارد الصغير وهي تعزف على البيانو في ساعة الغسق في بيت سارتورس القديم ، وبفضل احتدام في أسلوب الرواية ، أكثر من أن يكون بفضل أفعالهم وأقوالهم ، فإننا ندفع إلى الإحساس بأن مصير آل سارتورس تراجيدي حقا . وتظهر فعلا بعض سمات الغموض والغايات السامية ، على الرغم من أنه كثيراً ما تبدو تصرفات الأشخاص ميلودرامية ، وشجاعتهم مجرد استهتار أحمق وإخلاصهم لمثلهم ليس إلا كبرياء أسرية ضيقة الأفق . وفي كتابات فوكنر توجد فقرات قليلة ، ترقى فيها دقائق أسلوبه إلى مستوى الفكرة الكلية للعمل . وحتى في مشاهد التلال فهناك صور غير مناسبة - الشمس التي انتشرت كبيضنة قرمزية تحطمت على التلال النهائية ، أو الصقيع الذي قارنه بغلاف وردى لآلاء من السكر على كعكة العيد - ذلك في الوقت الذي تذكر فيه في عالم الرواية الكثرة التي ألفت حلقات من الروايات حول أسر ، وكيف أصابنا السأم حتى من أفضلهم من أمثال الدينبروك والفورسايت نتيجة لشعورهم الزائد بالأهمية . ولكن سارتورس ينجو من هذا المصير بالجدية البالغة التي تلتصق على نحو غامض بمصير الأسرة . إن سقوط سارتورس له علاقة بانفصال بايارد عن تلاله ، وربما بانفصالنا جميعاً عما ننتسب إليه ، وانعدام الحس الذي تؤدي إليه الحياة الاجتماعية والذي تصبح فيه لحظات الوعي

بالعالم المادى ، وبالعلاقات البسيطة أمراً نادراً وقليل الوقوع أو اضطرارياً :  
ربما بعذاب ، « الجلبة والهياج » - وبانتصار بوبى الوحشى فى المحراب  
وفليم سنوبس فى « القرية » .

الإلهام هو الشيء الذى يضيف إلى سمة الاحتدام فى سارتورس ، ومنابع  
الإلهام دائماً بعيدة عن متناول التحليل النقدى . وكل ما يمكن أن يقال  
هو أن الجهد المتصل فى اتجاه من المرجح أن يكون مشمراً يضمن للإلهام  
حين يأتى ، إذا جاء على الإطلاق ، أن يجد لنفسه مخرجاً ، كأن فوكنر  
قد قضى جانباً كبيراً من الوقت وهو يكتب « أجر الجندى » و « البعوض »  
عندما ألهم فكرة كولونيل سارتورس التى جاءت مع هذا الكتاب . وقد  
شجنت رؤى روايات جيفرسون التى لم تكن قد كتبت بعد ، كل جزء من  
هذه الروايات باحتدام أقوى من محتواها المباشر . . . وأحياناً ، وعلى سبيل  
المثال ، كما هو الحال فى الحادثة التى وقعت بين كولونيل سارتورس والمحرضين  
السياسيين ، فإن الدرس الوحيد المستخلص منها يبدو وكأنه يريد أن يقول  
إن العالم كان سيصبح مختلفاً لو أن الجانب الذى يقف فيه الكولونيل كسب  
الحرب الأهلية ولكن كثيراً ما يبدو وكأن هناك أشياء ذات فائدة عملية  
كانت فى حياته ، رغم أننا لسنا على معرفة واضحة تماماً بحقيقة معناها .  
كأنه قد اخترع للجمهور شيئاً مفيداً فقد بعد ذلك . وهناك منابع أخرى  
واضحة لإلهام فوكنر . . . لقد عاد إلى ربوعه الريفية وجدانياً وجسدياً ،  
وإلى أسطورة أسرته الخاصة ، ذلك أن كولونيل سارتورس قد رسم على نبط  
كولونيل ولیم س . فوكنر ، جده الأكبر . إلا أننا نعتقد أن المنبع  
الرئيسى يكمن فى التوتر الداخلى الذى تكون بمحاولة التوفيق بين شخصية  
كولونيل فوكنر التاريخية وشخصية كولونيل سارتورس الخيالية كتجسيد  
لفضائل الجنوب العتيقة .

ولد كولونيل فوكنر فى إقليم نوکس فى تينيسى الشرقية عام ١٨٢٥



( رغم اختلاف الثقة حول تحديد المكان والتاريخ ) ، ثم أخذ إلى سانت جينيف بولاية ميسوري حيث مات أبوه وهو لم يزل طفلاً . وكيتم سار عل قدميه من ميدلتون بتنيسي إلى ريبلي يولاية ميسيسي ، ليتخذ من بيت عمه موثلاً . وكانت سنه حينئذ تتراوح بين العاشرة والرابعة عشرة . . كانت رحلة تاريخية كتب عنها عرضاً وضاء وإن كان رومانسياً في روايته « وردة بمفيس البيضاء » . وقد عمل لمدة أربع سنوات ، بينما كان تلميذاً في المدرسة ، في سجن بلدة ريبلي ، حيث استخدمه مأمورها . . وقد أفاد من هذه التجربة أيضاً في نفس الرواية .

وفي سنة ١٨٤٥ توقفت أسرة مهاجرة تسمى أدكوك ، في أثناء رحيلها من تنيسي إلى الغرب لقضاء الليل في أرض للتخيم شمالي ريبلي . وقتل رجل يسمى ماك كانون كل أفراد الأسرة بفأس ، وسرق العبيد ، ورحل عائداً إلى تنيسي . وقد قبض على ماك كانون بالقرب من تنيسي وأُعد جمهور من الدهماء العدة لقتله . ولكن فوكنر الشاب أقلع في منتصف الليل مع تجريدة مسلحة وراء ماك كانون ، ورحل عشرين ميلاً ، وعاون على إنقاذ القاتل من يد الدهماء ، رغم الأسلحة التي شهِرت في وجهه . وأُعيد ماك كانون إلى ريبلي ليقف أمام المحكمة إلا أن حشداً آخر من الدهماء اقتنصه من السلطات ، ومرة أخرى وهو على وشك الموت شُنقا اكتسب ماك كانون فسحة من الوقت بالوعد الذي بذله برواية الحقيقة كلها عن الجريمة . وقد اعترف . وفي الفترة التي سبقت تنفيذ حكم الموت فيه ، حكى قصة حياته لفوكنر الشاب ، الذي كتبها ، وطبعها بالأجل في كتيب في مطبعة جريدة « أدفرتايزر » بريبلي .

وقد عرض الكتيب للبيع في يوم لإعدام ماك كانون ، فحقق نجاحاً ساحقاً ، وكسب فوكنر منه بعد دفع دين المطبعة ١٢٥٠ دولاراً . وكانت أول ما اكتسب من نقود . وقد صورته أعداؤه بعد ذلك يتجول في الجموع منادياً على كتابه ، بينما جسد ماك كانون لم يزل يتأرجح من غصن شجرة

في ساحة محكمة ريبلي - وما زالوا يهاجمونه في الواقع حتى اليوم بهذه المنمة ..  
إلا أنه لا يوجد دليل معاصر على وقوع مثل هذا المشهد المروع ، ولا أى  
دليل في خلق فوكنر على الانحراف إلى العمل بهذا الأسلوب .

إلا أنه يوجد الكثير من الأدلة المعاصرة على أن كتيب فوكنر أثار  
عداء حاداً من بعض الأشخاص البارزين في المناطق القريبة - تاسكامبيا ،  
والاباما ، وهولي سبرنجز ، وميسيسيبي ، وغيرها ، وهم ممن جاء ذكرهم في رواية  
ماك كانون كأصدقاءه ومعاقري الخمر معه . وقد هدد هؤلاء بعقاب  
فوكنر بالسياط وبما هو أسوأ . وقد هبت جريدة الأدفرتايزر - بريبلي  
لعونه . وأعلنت أنه لا يوجد بين شباب البلدة من يفوق فوكنر في  
ملاعبة الخلق والشجاعة . وقد نشرت هذه الآراء في سنة ١٨٤٦ . وفي  
مايو من هذا العام عندما بدأت الحرب المكسيكية ، انتخب فوكنر  
نقيباً أول لفصيلة متطوعي تيباه ، وكان تاريخ توليه سلطات هذا المنصب  
هو أول يونية ١٨٤٦ . وقد ألحقت الفصيلة باللواء الثاني في فرقة مشاة  
الميسيسيبي الثانية ، واشتركت في الحرب في المكسيك حيث أصيب فوكنر  
بجراح في ١٤ أبريل ١٨٤٧ .

كان النقيب الثاني لهذه الفصيلة هو روبرت هندمان الذي كان شقيقه  
توماس هندمان جندياً عادياً في الصفوف (١) . كان الاثنان ولدى أسرة  
بارزة عريقة ، وكان أبوهما أحد أبطال حرب ١٨١٢ ، وكان يعيش في  
بيت كبير جديد يبعد عن ريبلي ميلين ونصف ميل . كانت ثمة صداقة بين  
فوكنر الشاب وأبناء أسرة هندمان . وقد عادوا بعد الحرب إلى ريبلي ،

---

(١) حسبما جاء في « التمريف بالأشخاص الذي كتبه جنرال بات كليورن وجنرال ت . س .  
هندمان ، بقلم شارلز إدوارد ناس ، أحد أبناء هندمان ، فإن هندمان الذي كان بتميزاً ووهبة  
جبارة لوقوع في المشكلات » وكان « شديد الطموح شديد الصاف » قد رقى في الماء كعبدك إلى  
وظيفة نقيب أول لما أبداه من بسالة .

حيث تزوج فوكنر مس هولاند بيرس من نوكسفيل بولاية تيسي . وبدأ في العمل بالمحاماة في مكتب عمه القانوني .

وفي يوم ٨ مايو ١٨٤٩ التقى فوكنر بروبرت هندمان ، وفيما يبدو بجوار بيت الأخير . وقد هاجمه هندمان بعنف ، الأمر الذي أثار دهشته . وقد صرح فوكنر بأنه لا يدرى سبباً لثورة هندمان الجنونية . وما قاله مقنع تماماً . وشهر هندمان غدارة ، فقبض فوكنر على ذراعه . فرماه هندمان - وكان الأقوى - على جدار البيت ( كان الشقيقان هندمان كبيرى الحجم قويين ، يذكran بين أهل المنطقة كرجلين شجاعين سريعى الانفعال لا يخشيان شيئاً ، بل وعدوانيين إلى أقصى حد ، يميلان للاستهتار ، ولكن لم يعيش بين الناس قط أشجع من الشقيقين ، ) وسدد هندمان غدارته إلى صدر فوكنر وداس على الزناد .

لم تنطلق الرصاصة من الغدارة . وسحب فوكنر سكينه . وسدد هندمان غدارته مرة أخرى وأطلق ومرة أخرى لم تنطلق الرصاصة . وقد تبين من فحص الغدارة بعد ذلك . أن الطلقات لم تكن تناسبها ، فإن شاكوشها لم يكن يقع على رأس الرصاصة تماماً . وإذا كان هندمان يحاول إطلاق النار للمرة الثالثة ، طعنه فوكنر وقتله .

قبض على فوكنر ، ووجهت إليه تهمة القتل . وقد شقت القضية البلدة شطرين .

ولم تعقد جلسات المحاكمة إلا في فبراير التالى ١٨٥١ ، في الدورة القضائية لدائرة المحاكمة . وفي أثناء هذا مانت زوجة فوكنر ، بعد أن ولدت له طفلاً ، وهو جد وليم فوكنر . وقد ألقى توماس هندمان الذى تصادف أن حصل على أجازة القانون في ذلك الوقت خطبته الأولى بصفته نائباً عاماً . وكانت معبأة بالتشهير المرير . إلا أن الشواهد رسمت حالة واضحة من حالات الدفاع عن النفس ، وأطلق سراح فوكنر .

وبمجرد أن خرج من ساحة القضاء إلى شارع ريبلي هاجمه توماس هندمان . ومن ثم قتل فوكنر ، في أثناء الشجار رجلا يسمى موريس ، وكان من أنصار هندمان في الصراع الذي قسم البلدة .

وعلى الفور قبض على فوكنر مرة أخرى ، وحوكم بتهمة قتل موريس ، وأطلق سراحه مرة أخرى وبعد إطلاقه من السجن ، التقى بتوماس هندمان في غرفة الطعام بفندق ريبلي ، وشهر هندمان مسدسه . ولكنه سقط من يده ، وانطلق عند اصطدامه بالأرض فأصاب الطلق الناري السقف فوق رأس فوكنر .

تحدى هندمان فوكنر للبارزة ، وكان فوكنر لا يؤمن بهذه الوسيلة من ناحية المبدأ ، ولكنه قبل التحدى ، وأعد الأمر للالتقاء بهندمان في الساعة السادسة من صباح أول إبريل ١٨٥١ في ساحة النزال التي تبعد أربعمائة قدم من شاطئ أركانساس على نهر المسيسيبي ، أمام نهاية شارع جيفرسون بمدينة ممفيس . وكان المفروض ألا يكون هناك رفاق للمبارزين ، ولا جراحون ، ولكن شاهد واحد فقط ، لم يكن عليه أن يفعل شيئا ، إلا أن يظل بعيداً لايهتد به طريق المبارزين - وكان المفروض أيضا أن يكون كل منهما مسلحا ببغدارة ويقف على بعد خمسين خطوة من الآخر ، وعند صدور الإشارة يتقدم كل منهما من الآخر وهو يطلق النار بقدر ما يشاء أو ما يستطيع .

وقبل النزال ، التقى فوكنر وصديق له هو دكتور دي سوتو بهندمان . وشهر دي سوتو مسدسه ليطلق النار على هندمان ، ولكن فوكنر قبض المسدس ، واصطدم شاكوشه بيده .

كان كولونيل جالواي هو الشاهد المختار ، وكان أحد محرري جريدة النداء ، التي تصدر في ممفيس ، وله سمعة كرسول سلام بين الناس .

وقد علم أن فوكنر لا يدرى لعداوة هندمان سبباً ونجح في منع المبارزة ،  
ومن ثم ارتحل هندمان إلى أركانساس .

وقد ظل فوكنر في ريبلي حيث أصبح أحد زعماء جماعة الجامهين  
بكل شيء (١) ، ورئيس تحرير جريدتها العم سام ، التي كانت تجمع شمل هذه

(١) حزب الذين يجهلون كل شيء . كان محاولة لتنظيم التهيج والإثارة ضد الكاثوليك  
والأجانب ، كوسيلة لطمس مشكلة المييد التي شطرت البلاد شطرين . وعندما بلغ الحزب قوة  
نفوذه في سنة ١٨٥٥ انتخب الجامهون بكل شيء الحكام والشرعين في نيوهامبشير ،  
وماساشوسيتس ، ورودايلاند وكونتكت ونيويورك وكينزوكي وكاليفورنيا ، واكنسوا  
تقريباً تكساس وفرجينيا وجورجيا وألاباما وميسيسيبي ولوزيانا . كانت تنظيمها سرياً بشكل على  
هيئة محافل كالاسون ، ولم يكن يعرف اسم الجمعية السكالي ولا أهدافها الحقيقية من أعضائها إلا  
من بلغوا أعظم المراتب فيها . أبناء سنة ٧٩ ، أو من كانوا من درجة الاواء المراكز بالانجوم ،  
وكانوا يجهلون عما يوجه إليهم من أسئلة عن الجمعية بقولهم : أنا لا أعرف ، الأمر الذي  
أعطاهم اسمها الشعبي .

قام هندمان ، بعد رجوله من السيدى ، بصفته محامياً وسياسياً بقيادة حملة عاصفة ضد الذين  
يجهلون كل شيء في أركانساس ، وقد كانوا على وشك الانهيار كحزب على نطاق الأمة كلها ،  
وبذلك اكتسب شهرة لقيامه بسحق الذين يجهلون كل شيء في أركانساس بصفة نهائية . وقد  
قاتل ، أو تخشى القتال في آخر لحظة بتدخل الوسطاء ، في عدة مبارزات . وفي اجتماع سياسى عام ،  
تكلم فوكنر في صالحه ، الأمر الذى كان محل دهشة من الناس .

وفي سنة ١٨٥٨ اتهم هندمان سياسياً يسمى رايس بالحياة لحساب حزب الذين يجهلون كل  
شيء . وقد غادر رايس البلدة هيلينا بأركانساس وعاد بشقيقه . وإذا خشي هندمان ألا يعطى فرصة  
عادية ، طلب مونة كاذب في محل عقاقير هو بات كليبورن . كان بات ضابطاً سابقاً في الجيش  
البريطانى ، ثم أصبح بعد ذلك من أحسن ضباط جيش الجنوب . وبينما كان الرجلان يعبران  
الطريق أمام متجر مور للسلم الجافة في هيلينا ، أخطأ طاق ناري جاء من وراء باب المتجر على  
بعد ثلاث أقدام ، أخطأ هندمان ، وأصاب طاق نان كليبورن في ظهره ، وأطلق طبيب من  
أبناء عمومة رايس ، وكان واقفاً على الجانب الآخر من الطريق ، أطلق النار على صدر هندمان  
إلا أن الطبيب قتل برصاص هندمان وكليبورن إذ أطلقا النار على بطنه قبل أن يسقطا وقد ظلت  
حياة كليبورن معلقة بين الحياة والموت لمدة عشرة أيام . أما هندمان فلم تسكن إصابته خطيرة .



الجماعة . وعندما بدأت الحرب الأهلية كون فوكنر فصيلة التي سماها فصيلة رماة المانوليا بإقليم تيباه وانتخب قائدا لها في ٢٣ فبراير ١٨٦١ . وقد أصبحت فصيلة رماة المانوليا جزءاً من فرقة المشاة الثانية بجيش الجنوب ، التي انتخبت فوكنر كولونيلا لها . كان ، في أثناء هذا ، قد تزوج للمرة الثانية ، وأنجبت له زوجته الثانية أربعة أطفال ، ثلاثة من البنات وولداً . وقد لعبت الفرقة الثانية تحت قيادته دوراً هاماً في معركة بول رن ، ذهبت بعده إلى معسكراتها في هاربرز فيري لقضاء الشتاء . وهناك التحقت مسز فوكنر والأطفال بالكولونيل ، وكان ابنه وطفلة وليدة عمدت باسم إليزابيث ماناساس ، قد ماتا في ريبلي في أثناء غيبته . وفي الانتخابات التالية في ربيع ١٨٦٢ انتخب جون م . ستون وهو معاون محطة سابق في بلدة يوكا على خط سكة حديد ممفيس شارلستون ، انتخب كولونيلا لفرقة المسيسيبي الثانية ، ومن ثم عاد كولونيل فوكنر إلى ريبلي . وكان لديه تكليف من جيفرسون ديفز بتجنيد لواء من الفرسان .

وتقول بعض مصادر ريبلي إن تقارير كولونيل فوكنر عن نشاطه في الحرب الأهلية لم تكن شيئاً مشرفاً .

يمكن أن يكون محل فخر . وفي الواقع ليست ثمة حاجة لإعطاء مثل هذا التفسير لعودته إلى البلدة . لقد حدث هذا بعد كارثة الجنوبيين باستيلاء

---

أما دكتور باش الذي كان يعمل في متجر عقائره كابورن ، والذي كتب مذكرة عن الرجاء فقد خفي أن يستخرج الرصاصة ، من ظهر كابورن الأمر الذي فعله بعد ذلك زوج شقيقة هنري . وأصبح هنديان قوة سياسية في أركانس وبنى قصراً في هيلينا ( أصبح بعد ذلك مدرسة كاثوليكية ) واستقال من الكونغرس عند ظهور الحركة الانفصالية فيه . ونطوع كجندي في لواء مشاة بيل ، وانتخب ضابط وأصبح لواء في جيش الجنوب وفر إلى المكسيك حيث أدار مزرعة للبن بعد انتهاء الحرب الأهلية وقد اعترض أهل زوجته على مغازاته لها وأرسلوها إلى مدرسة سانت أجنس الكاثوليكية بمفيس وذلك لإبعادها عنه . وقد استطاع هنديان أن يزورها في المدرسة بتظاهره بأنه عمها ومن ثم تزوجا بعد ذلك . ويبدو أن هنديان قد أثرى في المكسيك وأمكن زوجته اعترضت على تربية الأطفال على المذهب الكاثوليكي وعاد إلى هيلينا والبلاد في مرحلة التعمير وفي اجتماع سياسي اعترض هنديان على تصريحات ألقاها كلايتون بول في حشد من الزوج وقاتل .

جرائنت على قلعة دونلسون والجزيرة رقم ١٠ واشتداد الحاجة للفرسان للعمل في أرض شاسعة ، أصبحت مفتوحة للغزو . لقد كان هذا واضحاً حتى قبل سقوط شيلوه التي تبعد أكثر من واحد وأربعين ميلاً . يضاف إلى هذا الموقف المحلى الغريب في شمال المسيسيبي ، وكان له دائماً شذوذه في التاريخ الأمريكي ، الأمر الذي أوجد الحاجة إلى ضابط بحرب يعرف المنطقة . وقد نظم فوكنر لواء الفرسان السابع بالمسيبي ، الذي أطلق عليه أحياناً اسم حرس الأنصار الأول . وقد استكمل لواءه قوته كلها في الربيع ولكن تمزق تماماً قبل نهاية نفس العام . وفي مارس ١٨٦٣ نجده يبلغ رئاسة المخابرات السرية بحيش الجنوب في الغرب الأوسط أن الرجال يتخلون عن الجيش النظامي لينضموا إلى الوحدات غير النظامية بالولايات ، حيث لا يقعون تحت فاعلية النظم العسكرية ويستطيعون المعيشة في بيوتهم . وقد بلغ أيضاً أن هؤلاء الجند ينهبون جميع الأهالي ويسرقون الخيل ( وفي ذلك نبوة عن آب سنوبس ) ويروعون النسوة ويصادرون ممتلكات من كانوا يطلقون عليه اسم المحافظين ، وأبلغ أيضاً أن جرائم السرقة وقتل المواطنين غير المسلحين قد أصبحت أحداثاً يومية وأن الفصائل المستقلة يتزايد ثراؤها بالمضاربة والاتجار مع العدو ، وأن الأهالي لن يستطيعوا جمع محصول من الأرض إلا إذا وفرت لهم الحماية ، وأضاف هذه الملاحظة إلى الجنرال وكان يقصد فورست أن ليس عليك أن تخشى أن أفاجأ أو أغلب لأنني أعرف كل جرف وطريق ودرب في هذه المناطق الشمالية .

وقد أبلغت حملة شمالية قامت من ممفيس إلى ريبلي في مايو ١٨٦٤ أن التخريب الكامل قد لحق بالمنطقة لمسافة أربعين ميلاً . وفي يوليو من نفس العام دمرت ريبلي نفسها . وكانت ظروف ذلك غريبة . فقد خرج شيرمان متجماً إلى أتلانتا ، وأمر بتحريك ٨٠٠٠ جندي من ممفيس لتشغل فوريسست ولتمنعه من ضرب خطوط مواصلاته وعندما وصلت هذه القوة إلى ريبلي سأل كولونيل دي ويت توماس زوجة فوكنر ( التي وصفها بأنها امرأة ذكية جداً ) . عن مكان جنرال فوريسست وعن عدد جنده . فضحكت

مسز فوكنر وقالت إن فوريسست قد غادر الإقليم ليطارد شيرمان ولكنه عاد وسيبدأ الهجوم بعد بضعة أيام . وقالت إن فوريسست لديه ٢٨ ألف رجل . وقد توقف القائد الشمالى فى ريبلى . وعقد مؤتمراً مع كبار ضباطه ، وأعلن عن رغبته فى العودة لأنه يعتقد أن فوريسست قد قام - فى المرجح - بتعبئة قوة ساحقة ضده .

وقد مال ضباطه للاتفاق معه ، ولكن لما كانت حملة سابقة قد ارتدت أيضاً منذ وقت قصير فقد أحسوا أن الضربة ستصيب معنويات الجند بكارثة .

وهكذا كان الاستمرار فى الزحف هو قرارهم . وفى صبيحة ١٠ يونيو سنة ١٨٦٤ التقى الجيشان فى جنتاون أو عند تقاطع طرق برايس بالقرب من جرف تشمينجو .

ومن أوصاف البلدة يرجح أن تكون أصل بلدة فرنشمانزبند فى قصص فوكنر . وكانت النتيجة كارثة للشماليين . كانت خسائر الشماليين ٢٢٤٠ قتيلاً ومصاباً ومفقوداً ، و ٢٢ مدفعاً ، و ٢٥٠٠ عربة كل منها ذات ستة خيول ، وألف مجموعة من قذائف المدافع ، و ٣٠٠ ألف ربطة من ذخائر الأسلحة الصغيرة ، ومخازن هائلة من المهمات الطبية والتبوية .

أما فوريسست الذى كان لديه ٨ آلاف وليس ٢٨ ألف جندي فقد خسر ٩٦ قتيلاً . وعند فجر اليوم التالى وصل الضباط الشماليون الفارون إلى ريبلى . وقد أعدت مسز فوكنر طعام الإفطار ودعت كولونيل توماس لمشاركتها . قال ، « لقد أرادت أن تعرف إن كنت لم أجد كلماتها صادقة إلى حد كبير جداً ، (١) »

بعد أن انتهت الحرب ، وكما جاء فى سارتورس ، مد كولونيل فوكنر خط سكة حديد ريبلى - شيب أيلاند - وكنتوكى . وفى قبة ثرائه كان يدير

---

(١) تقرير كولونيل توماس عن أحاديثه مع مسز فوكنر ، موجودة ضمن الجزء ٧٧ من التقارير الرسمية عن حرب الأهلىان .

مزرعة من ١٢٠٠ فدان ويشرف على مائة مستأجر وشغل أيضا طاحون غلال وحلاجة وورشة نجارة وبدأ مشروع كاية هي كاية شيونويل وكتب وأخرج مسرحية عن الحرب الأهلية ، هي مسرحية « المسألة المفقودة » . وفي سنة ١٨٨٠ احترقت مطبعة جريدة ريبلي « الأدفرتايزر » ، وزود فوكنر الجريدة بالمال اللازم لتبدأ من جديد ، وكتب قصة سلسلة هي « وردة ممفيس البيضاء » ، ليعاون الجريدة على التوزيع . وقد كانت الوردة البيضاء حدثاً هاماً ذلك أنها كانت تروى أسرار شيء يشبه الصراع بين فوكنر وهنريمان وأسهمت في مضاعفة توزيع الجريدة قبل أن تطبع في كتاب ( طبعت خمسا وثلاثين مرة وباعت ١٦٠ ألف نسخة قبل أن تنفذ في سنة ١٩٠٩ ) وقد كتب بعد ذلك رواية تاريخية هي « الكنيسة الصغيرة المبنية بالآجر » وكتابتها عن رحلاته في أوروبا .

وفي سارتورس يأتي في وصف كولونيل سارتورس أنه انتخب في المجلس التشريعي بعد معركة قاسية . وفي الحياة انتخب فوكنر في المجلس التشريعي لولاية المسيسيبي بينما كان غائباً في نيويورك . وفي الساعة الخامسة من مساء يوم انتخابه مضى إلى الميدان العام بريبلي . وحسبما جاء في وصف الصحف حينئذ ، توقف للحديث مع صديق قديم هو توماس راكر عن قطع بعض الخشب . وتقدم منهما ج . ه . ترموند وهو أحد رجال الأعمال بريبلي وشريك فوكنر في مد خط السكة الحديدية ثم بعد ذلك منافسه في ميدان الأعمال وخصمه الشخصي . وحسبما جاء في جريدة النداء التي تصدر في ممفيس شهر ترموند غدارة ووجهها إلى الكولونيل دون أن ينطق بكلمة .

قال فوكنر « ديك » ، ماذا تقصد ؟ لا تطلق النار ، .

ولكن ترموند أطلق النار ونفذت الرصاصة وكانت من عيار ٤٤ ر . من فمه ومرت تحت لسانه ، محطمة عظيمة الفك واستقرت في الجانب الأيمن من عنقه تحت الأذن . وكانت الطلقة من مدى بلغ من قربه أن أحرق البارود وجهه

راكر . سقط كولونيل فوكنر على الطوار وجاء زوج ابنته الدكتور كارتر ومسح الدم من على وجهه وقد استدار فوكنر بعد أن أجلسوه على الطوار إلى ترموند الذى ظل مكانه واقفاً وسأله : « ديك لم فعلت هذا ؟ »

ومات فى ليلة ذلك اليوم فى الساعة الحادية عشرة . وقد حوكم ترموند وأطلق سراحه وكانت عماكة من أهم المحاكات وأشدّها إثارة فى تاريخ المسيسي الشمالية . ثم ارتحل بعد ذلك إلى كارولينا الشمالية حيث تمكن من عمل ثروة فى صناعة النسيج ، أما آل فوكنر فقد باعوا خط السكة الحديد وبدأت هجرتهم التى أدت إلى استقرارهم فى أكسفورد بولاية المسيسي حيث يعيش فوكنر الآن فى بيت يواجه بيت جاكوب توسون القديم .

يقول أحد شخوص فوكنر من الزوج تعليقاً على كارثة مشابهة ديا إلهى هؤلاء البيض ، وهو تعليق يتفق مع مثل هذه الحياة الغريبة العنيفة . وقد ظلت أسطورة كولونيل فوكنر حية فى أثناء شباب فوكنر . ولم تكن الطريقة التى مات بها محلاً لأى حديث عابر ، وما زالت فى الإقليم حتى اليوم موضوعاً حساساً . وعندما كان ولیم فوكنر منهمكاً فى كتابة رواياته العظيمة كان كولونيل فوكنر لم يزل حقيقة حية بالنسبة للناس الذين يعيشون حول ريبلى . كانوا يتحدثون عنه وكأنه لا يزال حياً يرزق ، وفى مكان ما من التلال ، ومن الجائز أن يعود فى أية لحظة . وحتى عام ١٩٣٨ عندما سألت هناك عن الكولونيل فوكنر واجهت الإحساس الذى تلتقى به فى العبارات الافتتاحية من سارتورس ، الإحساس بوجود حى فى الغرفة استحضّر بفعل المشاعر الشديدة التى أثارها حياة الكولونيل وموته .

وفى العادة أنا لا أقيم كبير وزن لما يقال عن زيارات الأرواح إلا أننى يجب أن أسلم بأننى شعرت بشيء من الخوف مما لقيت من انفعال الناس عندما سألتهم عن كولونيل فوكنر ، وأن هؤلاء الناس كانوا أشد منى خوفاً . وفى العام الماضى عندما كنت أقوم بجمع المزيد من المعلومات من ريبلى ، واجهت شعوراً أعنى بالقلق ، كان الناس الذين



زودوني بالمعلومات كانوا يخشون - بما يفعلون - أن يتعرضوا لخطر إثارة أرواح كولونيل فوكنر وأرواح منافسيه السابقين فيستأنفون مشاجراتهم من جديد . وهكذا فإن العبارات الافتتاحية في سارتورس تعتبر بداية غاية في الشذوذ لرواية . ماذا كان هذا الوصف بالتحديد؟ المصرفى والفقير يجلسان فى صمت فى حضرة الرجل الميت الذى كان أشد منهما وجوداً ؟ افتتاح غريب لرواية سارتورس ، ولكنه افتتاح أغرب لحلقة الروايات التى أوحى بها .

أما الاكتشاف الذى عرفه فوكنر وهو فى منتصف الطريق فى ( سارتورس ) وهو أن الكتابة شئ رائع جبار فقد كانت رؤيا ذات فعالية . لقد أدت إلى خلق صورة مجتمع بأكمله ، ومنطقة بأكملها ، خلال ثلاثة أجيال ، إلى تصور نوع ما من الحياة لم يكن يحسب قبل ذلك موجوداً . لقد رسم صورة للجنوب ، وللحياة فى بلدة جنوبية صغيرة صورة أدت إلى تغيير أساسى فى الفكر الأمريكى وأثرت فى الأدب الأمريكى إلى درجة بلغت من العمق أن الكثير من الكتابات المعاصرة لاتعكس غير هذا الإماندر . لقد أدت إلى سنوات العمل الثلاثين التى أشار إليها خطاب فوكنر عند قبوله جائزة نوبل .

حضور روحى قوى . وفى حالتى خاصة ، عند سؤالى عن كولونيل فوكنر لم أحصل تماماً على نفس الإحساس برقة الشبح المستحضر ، وهو الوصف المعطى لعودة كولونيل سارتورس فى الرواية . الخوف كلمة أفضل . ولكن من الصدق أن يقال إن الشبح نفسه كان رقيقاً ، ذلك أن الخوف كان مصطحباً لشيء آخر غير تذكر كولونيل سارتورس شخصياً وعلى أى حال فإنه يبلغ من صدق أسطورة سارتورس أن المشهد الافتتاحى فى سارتورس ليس إلا وصفاً ممتداً لحقيقة اجتماعية فى المنطقة المحيطة برييل وهذا يؤدى إلى ملاحظة يجب أن توجه كل قارئ يحاول أن يربط بين خيال فوكنر وبين ريف المسيسيبي .

ومن المعتاد الزعم أن قوة روايات فوكنر تنبع من عمق اندماجه بالحياة في إقليمه ويتفق معظم النقاد على أن الضعف السائد في الأدب الأمريكي الحديث يعود إلى انعدام مثل هذا الإحساس بالاندماج عند أغلب الكتاب . وكنتيجة لهذا أصبح فوكنر وظل دائماً شخصية مركزية للكتاب الإقليميين . وكان هو البرهان الذي يقدمونه على ميزات بقاء الكاتب في بلده الأصلية قريباً من أصوله ، بين ناس يعرفهم بتقاليد يفهمها ، بعيداً عن الجواهر النكرة في المدن ، التي لا يستطيع أن يعقد معها إلا علاقة شكلية . وأنا أتفق معهم بصفة عامة فيما يقولون . ولكن سارتورس وأكثر منها أسطورتها كولونيل فوكنر ، يبدو أنها تثبت لي أن الكاتب يجب أن يدقق تماماً في اختيار البلدة الصغيرة التي ينوي الإقامة فيها . وما حققه فوكنر لا يعسود إلى اختياره الحياة في مجتمع إقليمي ولكن في اختياره هذه المنطقة بالذات . ذلك أن الحياة في المسيسيبي الشمال التي ركن عليها نشاط خياله تحتاج لمن يفسرها ، كما تحتاج مناطق الصحراء للرى أما الأثر الهائل الذي تركه عمله فهو يقوم كدليل جديد على ما يستطيع أن يفعله رجل واحد .

وبنفس الطريقة ، فإن أهمية سارتورس لا تعود إلى تمجيد فوكنر كبطل إقليمي كان يمثل روح الجنوب العميق . ولكن في تركيزه قدراته التخيلية على التعقيدات الاستثنائية التي سادت حياة كولونيل فوكنر . ويتضح تناقض كولونيل فوكنر بما كان معروفاً عنه من حب للسلام رغم عنف أسطوره . وقد ذكروا عنه ، عندما نشرت «الوردة البيضاء» أنه عاش في نفس البلدة أربعين عاماً بعد نزاعه مع هندمان ، ولم يشترك فيها بأي مشكلة وقد ذكر عنه أيضاً أنه كان يمشي لمدة سنوات عدة في البلدة وهي في قمة التوتر ، رافضاً أن يسفر لاستعمال العنف ومتحاشياً مع ذلك المصير الذي جاء إليه في عشية نوفمبر وهو في سن الشيخوخة . وقد عرف أيضاً بشخصيته غير العادية . وكان رجل أعمال استطاع أن يجمع بين

إدارة الأعمال وبين ملكة الخيال التي وضحت في الوردة البيضاء وكان من ملاك المزارع ويميزا بالتهذيب الجنوبي الرفيع وبروح المنافسة العملية وكان بناء للخطوط الحديدية أسبغ على الصناعة شيئاً من قوانين المزارع الأرستقراطية ، وضابط جيش جمع بين الانتصارات العسكرية والاهتمام بالسكان المدنيين وأخيراً كان رجلاً ذا ميول سلمية قام بمقاومة فعالة للعنف . ومن هنا تأتي السمة الغريبة التي تتميز بها فقرات من سارتورس حيث تستذكر أفعاله العنيفة جنباً إلى جنب مع السلام والرفقة . ومن هنا يأتي الانطباع الغريب الذي ينقله الكتاب وهو أن كولونيل سارتورس وإن كان مجرد مجرّد مجرّد من الجنوب فإن قصته رغم ذلك ذات معنى عملي غامض بالنسبة للعالم الحديث - شيء يبرر روايتها لتتفرع إلى قصص أفراد سنوبس وفرنشمانزبند - وتلك حصيلة ثلاثين عاماً من العمل وهذا ربما يكون السبب ، في شعورنا بأن روايات سارتورس تجعلنا نحس بأن انتصار الجانب الذي يمثله كان سيجعل العالم شيئاً مخالفاً فعلاً ، تماماً كصورة المسيحيين الشمالي في عقوانا ، ستكون أمراً مخالفاً لو أن فوكزر لم يكتب رواياته ، وأن انتصار كولونيل يسمى فوكزر أو يسمى سارتورس لو حدث لما كان انتصاراً للجنوب العتيق في الحرب الأهلية ، بل انطلاق جزء من الجنوب العتيق وحده بين أحسن صفاته وبين شيء أفضل .

## الجزء الأول



كالعادة ، استحضر العجوز فولزجون سارتورس إلى الغرفة . وكالعادة ، مشى الأميال الثلاثة من ملجأ الفقراء في الإقليم حاملاً معه ، كعطر ، وكراتحة ملابسه النظيفة الباهتة المغبرة ، روح الرجل الميت إلى تلك الغرفة حيث كان ابن الرجل الميت جالسا ، وحيث سيجلس كلاهما ، المعوز وصاحب المصرف ، لمدة نصف ساعة ، في حضرة ذلك الذي مضى وراء الموت ثم عاد .

على الرغم من أنه كان متحرراً من الزمن والجسد ، إلا أن وجوده كان أشد جلاءً من أي من العجوزين اللذين جلسا يتصايحان واحداً بعد الآخر عبر صمم كل منهما بينما كانت أعمال البنك تمضي في سبيلها في الغرفة المجاورة ، والناس في المتاجر الملاصقة ينصتون إلى ضجيج صوتيهما مستحيل التمييز ، والناقد إليهم من خلال الجدران . لقد كان أشد وجوداً من أي من الرجلين العجوزين ، اللذين اتحدا بصمم مشترك إزاء مرحلة ميتة ، وازدادا شفافية بفعل الأيام الملطف البطيء . وحتى بعد ذلك ، ورغم أن العجوز فولز قد رحل ليقطع الأميال الثلاثة على قدميه عائداً إلى ما كان يسميه البيت ، فإن جون سارتورس بدا وكأنه مازال متشائخاً في الغرفة ، فوق ابنه ومن حوله . بلحيته ووجهه الصقري ، ولذا فإن بايارد العجوز ، إذ جلس وقدماه معقودتان ، ومستندتان إلى ركن المدفأة الباردة ، وقد قبض على غليونه في يده ، بدا له ، وكأن في استطاعته أن يسمع حتى أنفاس أبيه ، وكان ذلك الآخر كان أشد حضوراً من مجرد جسد مشكل زائل ، إلى الدرجة التي استطاع معها أن ينفذ إلى أقصى أعماق قلعة الصمت التي يقيم فيها ابنه .

كان اتفاح الغليون مزداناً برسوم محفورة ، وكان متفجهاً من طول الاستعمال ، وعلى الفوهة كانت ، آثار أسنان والده ، هنالك ترك انطباعات عظامه التي لا تمحى وكأنها منحوتة في الحجر الخالد ، كآثار تلك المخلوقات



من أيام ما قبل التاريخ ، التي صورت ونفذت بنسب وأبعاد هائلة ، لم تكن تتيح لها أن تعيش طويلاً جداً ، أو تفنى تماماً ، من أرض شكلت وأعدت لخلوقات أضال . جلس بايارد المعجوز والغليون في يده ، ثم سأل .

« لماذا تميده إلى ، بعد كل هذا الوقت ؟ » .

قال المعجوز فولز ، « أظنني احتفظت به إلى المدى الذي أراده لي الكولونيل . إن ملجأ الفقراء ليس مكاناً مناسباً لأي شيء يخصه يا بايارد . وأنا أمضي الآن في السنة الرابعة والتسعين من عمري » .

وبعد ذلك ، جمع لفافاته الصغيرة ومضى ، ولكن بايارد المعجوز ظل جالساً مدة من الوقت والغليون في يده ، وهو يدلك يبطء انتفاخه بإبهامه . وبعد برهة ، رحل جون سارتورس أيضاً ، وأخذ على الأرجح إلى ذلك المكان حيث يستغرق الموتى المطمئنون في تأمل خيبة أيامهم الرائعة ، ثم وقف بايارد المعجوز ودفع الغليون في جيبه . وأخذ سيجاراً من المربط الموضوع على الرف ، وإذا أشعل الثقاب ، انفتح الباب ودخل رجل يضع مظلة خضراء على عينيه واقترب منه .

قال الرجل بصوت منعدم الانفعال تماماً : « كولونيل سيمون هنا يا كولونيل » .

قال بايارد المعجوز والثقاب في يده « ماذا ؟ » .

« سيرن جاء » .

« أوه . طيب » .

استدار الآخر وخرج ، ورى بايارد المعجوز يتعاطب في فجوة المدفأة ، ووضع السيجار في جيبه ، وأغلق مكتبه ، وأخذ قبعته اللبادية السوداء من فوق المكتب ، وتبع الآخر من الحجرة ، كان الرجل ذو المظلة الخضراء والصراف مشغولين وراء الحاجز . ومضى بايارد المعجوز عبر البهو وخرج من الباب الذي أنزلت مظلته الخضراء . ونفذ إلى الشارع ، حيث كان سيمون في انتظاره . كان يرتدى معطفاً ثيلياً وقبعة عالية عتيقة وقد جلس في مكانه من العربة وأعنته الحصانين الخصبين المتكافئين في يده ، كانا يتألاآن في أصيل الربيع بجوار الطوار .

كان ثمة مكان لربط عربات الخيل كان بإيارد العجوز قد احتفظ به متجاهلا في ذلك للتقدم الصناعي الذي كان يضيق به ، ولكن سيمون لم يكن يستغنى عنه مطلقا . وقد ظل سيمون في مقعده ، حتى انفتح الباب وخرج بإيارد العجوز من وراء المظلة المنشورة التي تحمل الكلمتين « المصرف مغلق » في حروف ذهبية متشقة . كان سيمون جالسا في مقعده ، وأعنة الخيل في يده اليسرى ، والسوط ملقى إلى الخلف برشاقة من يده اليمنى ، وعادة ، عقب سيجار لا يتغير ، وفيما يبدو لا يحترق ، مثبت بزاوية متعجرفة في وجهه الأسود ، كان يتحدث إلى زوج الخيل اللامعة ، في همس ناعم منتظم يشبه حديث العاشقين . كان يدلل الخيل ، وكان معجبا بآل سارتورس ويحس نحوهم بشعور قوى من الرعاية إلا أنه كان يحب الخيل ، وبين يديه كان في استطاعة أنفاس الحيوانات أن يزدهر ويكتسب حسنا وكأنه امرأة مدللة ، ومزاجا وكأنه نجمة من نجوم الأوبرا .

أغلق بإيارد العجوز الباب من ورائه ، ومضى إلى العربية ، وقامته منتصبة متصلة ، بالطريقة التي جعلت أحد أهالي البلدة يقول معلقا : إنه لو تعثر يوما فسينتكفئ بطوله على الأرض . وحياء بذلة مبالغ فيها رجل أو رجلان من المارة وتاجر أو أكثر ممن كانوا واقفين بالأبواب المجاورة .

ولم ينزل سيمون من العربية حتى بعد ذلك . ولكنه ، وبما جبل عليه أبناء جلدته من إحساس رفيع بالمواقف المسرحية ، نصب قامته ، وسوى أطراف معطفه وبطريقة ما ، أشعر الخيل باللمحة المسرحية ، فهزت هي الأخرى معاطفها ، المتلاثة وهزت بعنف رؤوسها الملجمة ، وفي اللحظة التي لمس فيها سيمون طرف قبعته بمقبض السوط ، طفا إلى وجهه الأسود المتغصن شعور هائل لا يوصف بالمجد ، ودخل بإيارد العجوز العربية ، وألقى سيمون إلى الخيل بأمر الرحيل ، وعبرت وخلقت العربية وراءها المارة الذين توقفوا ليشهدوا بإعجاب مسرحية الرحيل القصيرة .

كان ثمّة شيء غريب في مظهر سيمون اليوم ، في نفس شكل ظهره وزاوية قبعته . بدا وكأنه يكاد يتفجر بشيء خطير لا يستطيع كتمه ، ولكنه احتفظ به إلى حين ، واندفع بالعربة بسرعة محكمة بين العربات المقيدة في الميدان ، ثم استدار إلى شارع عريض حيث كان من يسميهم بيارد العجوز بالمعوزين يسرعون جيئة وذهابا في سياراتهم ، احتفظ بالسر حتى أصبحت البلدة خلفه ، ومضوا في خطو سريع عبر ريف مزدهر ، ينتشر فيه أيضاً معوزون يحملهم الجازولين ولكن على مسافات أكثر تباعداً ، واسترخى سيده في مقعده ، واستسلم لرتابة الرحلة الهادئة ذات الأميال الأربعة ، ثم شد سيمون الخيل إلى سرعة أكثر رصانة وأدار رأسه .

لم يكن صوته متميزاً بالقوة ولا كان رناناً إلا أنه كان يستطيع بشكل ما أن يتحدث دون صعوبة إلى بيارد العجوز ، أما الآخرون فقد كان عليهم أن يصيحوا حتى يستطيعوا اختراق جدار الصمم الذي كان بيارد العجوز يعيش داخله .

كان سيمون يستطيع ، وكان يدخل معه في أحاديث طويلة مطوقة ، بصوته الرتيب العالي المنظم ، وخاصة في العربة ، إذ كان اهتزازها يساعد سيمون قليلاً .

قال سيمون كمن يمضي في حديث « مستر بيارد عاد إلى البلدة » .

ظل بيارد العجوز جالساً في سكون وصدره يهوى بالغضب ، بينما يمضي قلبه يديق بسرعة أكثر قليلاً ، وبخفة أكثر قليلاً ، وظل يلعن حفيده في لحظات غضبه الشائنة ولكنه ظل جالساً في سكون إلى الدرجة التي جعلت سيمون ينظر إلى الخلف ليراه متطلعا بهدوء عبر الحقول . رفع سيمون صوته قليلاً .

قال « نزل من قطار الثانية ، قفز من اليسار ومضى إلى الغابات . سكبون رآه . لم يكن قد عاد إلى البيت عندما غادرته . وظننته معك » . وثار الغبار تحت أقدام الخيل في دوامات ، ثم تجمع خلفها في سحابة متكاسلة . واندفعت ظلالها في هجمات فاشلة على حاجز الشجيرات المتكاثفة على جانب الطريق ، هجمات بأسنة مبرقة ، وميقان خطواتها مرتفعة في عبث من الحركة لا يتقدم ، ومضى سيمون يقول وشعور السخط المفيظ يغلب عليه « لم يشأ حتى أن ينزل في المخزن - المخزن الذي بناه أهله هو

ويقفز بل قفز من يسار القطار وكأنه أفاق شرير ولم يكن حتى يرتدى ملابس الجندي . مجرد سترة كبائع جوال أو ما يشبهه . وعندما أتذكر تلك الأحذية اللامعة والسرراويل الصفراء الخفيفة ، والشريط المزدوج الذي يدور حول كتفه ، التي كان يرتديها هنا في العام الماضي . . . ، ثم استدار ونظر إلى الخلف مرة أخرى وقال « كولونيل ، هل تظنهم ، الناس الأجانب ، فقد فعلوا به شيئاً ؟ » .

فرد بايارد متسائلاً ماذا تعني ؟ هل أصبح أعرج ؟

- أعني ، أن يعود إلى بلده وهو متاخص . أن يتسلسل إلى البلدة ، على نفس السكة الحديدية التي مدها جده الأكبر ، بالضبط وكأنه قامة . هؤلاء الأجانب فعلوا به شيئاً ، أو ربما يتعقبونه بشرطتهم . ظلت أقول له عندما رحل إلى تلك الحرب الأجنبية ، هو ومستر جوني ، لم يكن لايهما شأن ب . . .

وقال بايارد : امض بالعربة . . . . . اللعنة على جلدك الأسود .

وهتف سيمون بالخييل بالصوت الذي تألفه ، ودفعها للجرى بسرعة أكبر ، ومضى في الطريق بين صفين متوازيين من الشجيرات المتكاثفة ، تصحبهم حركات ظلالها الماجنة المروعة . ومن وراء أشجار الصمغ والخروب والكروم المتكاثفة التي تحدد الطريق ، انتشرت حقول استصلاح بعضها حديثاً ، بينما كان البعض الآخر تحت الإصلاح ، وامتدت إلى مساحات متباعدة من أرض الغابات التي اخضرت منذ حين ، وقد تناثرت فيها شجيرات الدوجوود ذات الزهور البيضاء والثمار المستديرة القرمزية ، وأشجار الأرجوان ، ومن وراء المحاريث العاملة ثلاثيات في ضوء الشمس كتل لزجة رطبة من التربة المقلوبة حديثاً .

وكانت تلك أرضاً عالية ، استلقت في منحدرات مائلة ، ومن ورائها زرقة التلال المتصلة ، ولكن سرعان ما انحدر الطريق بشدة إلى واد من الحقول الطيبة العريضة ، وسنانة في ثرائها في الأصيل المتداعي ، ثم دخلوا أرض بايارد الخاصة ومن حين إلى حين كان فلاح يرفع يده من وراء المحراث تحية للعربة ، ثم اقترب الطريق من خط السكة الحديدية وعبره ، وأخيراً بدا البيت الذي بناه جون سارتورس بين أشجار الخروب والبلوط ومضوا بين البوابات الحديدية إلى عمر منحن .

وكان ثمة حوض من السافيا حيث حطت ذات يوم دورية من اليانكي واستراحت منذ زمن بعيد . وهنا أوقف سيمون العربية بحركة استعراضية ، ونزل بايارد ، وهتف سيمون بالخیل مرة أخرى ، وأدار سيجاره إلى زاوية ملائمة ثم أخذ الطريق مرة أخرى إلى البلدة .

وقف بايارد برهة أمام بيته . وقد بدت بساطته البيضاء مناسبة كالحلم بين أشجار عتيقة لوحتها الشمس . وقد أزهرت الوستيريا التي تسلفت جانبا من الشرفة ، وتساقطت أوراق زهورها ، ومن حول جذورها المعتمة ، وجذور شجرة ورد وجهت أغصانها إلى نفس الشرفة ، تناثرت كومة شاحبة من وريقات الزهور الذابلة . كانت شجرة الورد تفتح ببطء ولكن بانتظام الكرمة الأخرى . وكانت مزدهرة ، وقد تكاثفت عليها البراعم التي لا تزيد في الحجم على ظفر الإبهام وزهور متفتحة لا تكبر الدولار الفضي ، كانت في أعداد جسيمة وبلا رائحة ، وغير قابلة للقطف .

ولكن البيت نفسه كان ساكنا وفيه نبل وصفاء ، وصعد إلى الشرفة الخالية ذات الأعمدة ، وعبرها ودخل إلى البهو . وكان البيت صامتا ومقفرا من كل حركة وصوت ، ثم توقف وسط البهو .

« بايارد ،

تصاعد الدرج بعمده البيضاء وبساطه الأحمر في قوس طويل ناعم إلى العتمة العليا . ومن وسط السقف تدلت ثريا من الممشورات والقطع الصغيرة البلورية ، جهزت في الأصل للشموع ، ثم وصلت بعد ذلك بالأسلاك الكهربائية . وإلى يمين المدخل ، وبجوار باب مطبق يؤدي إلى حجرة معتمة يشع منها جو من الآهة الوقورة التي قل أن تقتحم وتسمى بالردهة ، انتصبت امرأة طويلة ازدحت بالغموض الحزين ، وكأنها بحيرة ساكنة من ماء الأصيل . وفي الطرف الآخر من البهو ، نفدت أشعة الشمس المنمنمة في شق طويل عبر الباب ، ومن مكان ما من وراء حزمة نور الشمس ، كان ثمة صوت يصعد ويهبط في رتابة منغمة مستفرقة ، وكأنه ترتيلة . لم يكن من الممكن تمييز كلماتها ، إلا أن بايارد لم يسمعها مطلقاً ، ثم رفع صوته مرة أخرى منادياً : « جيني ، .

توقف الترتيل ، وإذ كان يستدير إلى الدرج ، ظهرت امرأة خلاصيه طويلة في أشعة الشمس المائلة عند الباب الخلفي ، ودخلت إلى البيت ، وهي تحدث بقدميها صوتاً كالفحيح . كان ثوبها الأزرق حائل اللون مثبتاً بدبابيس حول ركبتيها . وكان ملطخاً ببقع غامقة مبللة غير منتظمة . ومن تحته كانت ساقاها مستقيمتين ورفيعتين وكأنهما ساقا طائر طويل ، وكانت قدميها الحافيتان بقعا بنية اللون باهتة على الأرضية الغامقة المصقولة .

قالت وهي ترفع صوتها لتخترق صممه : « هل كنت تنادي أحدا يا كولونيل ؟ »

وتوقف بإيارد ويده على دعامة الدرج المنحوتة من خشب الجوز والتفت إلى وجه المرأة الأصفر اللطيف .

سألها : « هل جاء أحد هنا أصيل اليوم ؟ »

قالت النورا : « لا سيدي . لا يوجد أحد هنا على الإطلاق . هذا ما أعرفه . مس جيني ذهبت إلى اجتماع ناديها في البلدة أصيل اليوم ، ووقفت بإيارد ، وقدمه على أول الدرج وهو يحملق فيها بوحشية .

ولجأة انفجر غاضباً : « بحق جهنم ، أتم أيها السود لم لا تستطيعون أن تصدقوني القول عن أي شيء ؟ أو لا تقولون لي شيئاً على الإطلاق ؟ »

« بالله ، يا كولونيل ، من سيأتي هنا ، دون أن تراه أنت أو مس جيني ؟ » ولكنه مضى يصعد الدرج ، وقدماه تدكانه بغضب ثائر . وظلت المرأة تنظر إليه ، ثم رفعت صوتها وقالت : « هل تريد ايزوم أو أي شيء ؟ » لم يستدر إليها وربما لم يسمها ، وظلت ترقبه حتى اختفى من أمام عينيها .

قالت محدثة نفسها : « لقد تقدمت به السن » ثم استدارت ومضت من البهو وخرجت من حيث جاءت ، وهي تحدث بقدميها الحافيتين صوتاً كالفحيح .



وقد توقف بإيارد مرة أخرى في البهو العلوى . كانت النوافذ الغربية  
مستورة بستائر شبكية . انساب من خلالها نور الشمس في حزم صفراء  
هزيلة ، أسهمت فقط في تعميق العتمة وعند الطرف الآخر ، كان ثمة باب  
عال يؤدي إلى شرقه ذات سور منخفض من الحديد المشغول ، تطل على  
الوادي ، وشبه دائرة التلال الشرقية التي تحتضنه في مشهد شامل عريض .  
وعلى كل من جانبي هذا الباب ، كانت نافذة ضيقة ثبتت فيها ألواح  
من الزجاج الملون كانت هذه الألواح ، مع من أحضرتها ، هي وصية أم  
جون سارتورس له ، وهي على فراش الموت . وقد أحضرتها أصفر شقيقاته  
من كارولينا في عربة مملوءة بالتبن في سنة ٦٩ .

كانت تلك هي فيرجينيا دى برى ، التي جاءت إليهم لتقضى عامين  
كزوجة ، وسبعة أعوام كأرملة في سن الثلاثين - امرأة دقيقة ، بصورة  
طبق الأصل وإن تكن رقيقة لأنف آل سارتورس ، ورسم الملل الشامل  
الذى لا يقهر على وجهها ، وهو التعبير الذى تعلمت كل نساء الجنوب  
أن يحملنه على وجوههن . وقد جاءتهم لا تحمل إلا الملابس التي كانت  
ترتديها وسيلة مصنوعة من الخيزران ومملوءة بالزجاج ، وكانت هي التي أخبرتهم  
عن الطريقة التي لاقى بها بإيارد سارتورس الموت قبل معركة ماناساس الثانية ،  
وقد روت القصة مرات كثيرة بعد ذلك ( وفي سن الثمانين كانت ترويها  
أيضا ، وفي مناسبات غير ملائمة عادة ) ، وكما تقدمت بها السن ، كانت  
القصة تزداد ثراء وثراء ، مكتسبة سحرا ولطفاً كالنبيذ حتى أصبح  
ما كان نزوة ولدين فارغى العقل ، طائشين مستهترين ، في شبابهما ، لحظة  
بطولية فاجعة نبيلة ، رفع إليها تاريخ الأسرة ، من مستنقعات الاسترخاء الروحي  
القديمة التي تموج بالأبحرة العفنة ، بوساطة ملاكين ، سقطا ببطولة وضاعا ،  
فغيرا بذلك مجرى الأحداث الإنسانية وطهرا أيضا نفوس الرجال .

وهذا الرجل بإيارد القادم من كارولينا لم يكن بالرجل الهين حتى بالنسبة  
لآل سارتورس . كان مبعث ضيق ، أكثر منه شاة ناشزة ، وكل صفاته  
كانت إيجابية ، لا يمكن التنبؤ بها .

عيناه كاتتا زرقاوين مرحتين ، وشعره الذى كان يميل إلى الطول ينسال فى خصل نحاسية على فوديه . وكان وجهه المملوء بالحياة الشديدة يحمل رسم الصراحة والبلادة التى تخفى الشجاعة البالغة ، إنه التعبير الذى لك أن تتصوره مرسوماً على وجه ريتشارد الأول قبل أن يمضى إلى حربه الصليبية ، ومرة طارد عدداً من الثعالب خلال خيمة خلوية ، كان يعقد فيها عدد من طائفة الميثوديست اجتماعاً روحياً ، وبعد ثلاثين دقيقة (وبعد أن أمسك بالثعلب ) عاد وحده وامتطى حصانه وسط الاجتماع الساخط . لقد صنع ذلك بروح المرح وجدها ، إذ أنه كان يؤمن بكل قوة بالعناية الإلهية ، كما بينت كل أفعاله بوضوح . إلى الدرجة التى لم تمكنه قط من اعتناق أى عقيدة دينية كانت . ولذا فإنه عندما سقطت قلعة مولترى ورفض حاكمها أن يسلمها ، فإن آل سارتورس كانوا فى دخائلهم إلى حد ما مسرورين ، ذاك لأن بايارد كان سيجد حينئذ شيئاً يعمل به .

وفى فيرجينيا وجد الكثير ليعمله كأركان حرب لجب ستيوارت . وكأركان حرب خاصة ، ذلك أن ستيوارت ، رغم أنه كانت له أسرة عسكرية كبيرة ، فإنهم كانوا جنوداً يحاولون أن يكسبوا حرباً ، ويحتاجون للنوم من حين إلى حين . أما بايارد سارتورس وحده فقد كان راغباً ، بل مشوقاً ، إلى تأجيل النوم ، حتى ذلك الوقت الذى تعود فيه الرتبة إلى العالم . ولكن تلك كانت عطلا .

وقد كانت الحرب هبة إلهية لستيوارت أيضاً ، وبعد ذلك بوقت قصير ، وفى ظلة المعارك الدموية فى فرجينيا الشمالية الدموية ، لمع ستيوارت وهو ابن ثلاثين عاماً وبايارد سارتورس ابن الثالثة والعشرين عاماً ، لمعا لفترة قصيرة وكأنهما نجمان متوجان بإكليل الشهرة المصنوعة من أغصان الغار المزهرة وبريحان الموت ووروده . ظهرا بغتة فى سماء جنرال بوب العسكرية المضطربة ، فخلعا عليه وكأنها ثوب غير طيع ، تلك الشهرة التى ما كان فى استطاعة مهارته كجندى أن تكسبها له أبداً ، وقد حدث هذا كله أيضاً ، بروح المرح الخالصة ، فلم يكن لجب ستيوارت ولا لبايارد سارتورس ،

كما أظهرت أفعالها بوضوح ، أى معتقدات سياسية متصلة بالحرب على الإطلاق .

روت العمه جيني القصة أول ما روت بعد وقت قصير من مجيئها إليهم . كان ذلك في عيد الميلاد ، وقد جلسوا حول نار من أغصان الجوز في مدفأة المكتبة التي أعيد بناؤها . جلست العمه جيني ووجهها حزين حازم ، وجون سارتورس ووجهه ملتج شبيه الصقر ، وأطفاله الثلاثة وضياف . كان مهندساً اسكتلنديا التقى به جون سارتورس في المكسيك في سنة ٤٥ ، ثم جاء به ليعاونه في مد سكتة الحديدية .

كان العمل في مد الخط الحديدى قد توقف لموسم الأجازات ، وعاد جون سارتورس ومهندسه راكبين ساعة الغروب ، من نهاية الخط في التلال الشمالية ، ثم جلسا بعد تناول العشاء في وهج النار الموقدة ، كانت الشمس قد غربت حمراء وخلفت الهواء مشا مثل الزجاج الرقيق الذى يعلوه الصقيع وهنا جاء جوبى بحمل ذراعه من خشب الوقود . ووضع قطعة حطب أخرى في النار وفي الهواء الجاف ، طقطقت السنة النيران وقفزت ، وتساقطت في جمرات حمراء خاية حول المدفأة .

هتف جوبى ، وقد فاض به شعور أهل جنسه الجاد البسيط بالبهجة ، عيد الميلاد ، وأخذ في تقليب قطع الخشب المشتعلة بماسورة بندقية اليانكى المسندة إلى ركن المدخنة ، قلبها حتى تصاعدت الشرارات في دوامة ، وهى في أقنعتها الذهبية الوحشية ، إلى ظلام انتفاخ المدخنة ، وصاح : انظروا يا أطفال .

كانت كبرى بنات جون سارتورس في الثانية والعشرين ، وكانت ستزوج في يونية ، وكان بايارد في العشرين ، وابنته الصغرى في السابعة عشرة ، ولذا ، فإن العمه جيني ، بالنسبة لجوبى ، كانت ، رغم كل ترملها ، طفلة أيضا . ثم أعاد البندقية إلى ركنها وأشعل عودا طويلا من الصنوبر من المدفأة ليضيء به الشموع ، ولكن العمه جيني أوقفته ، ثم

ذهب رجلا متشاقلا في ستره رسمية عتيقة ، اكبر جدا من أن تناسبه ،  
عنى الظهر شائب الرأس من الشيخوخة ، وروت مس جيني حكايتها ، وهي  
تشير دائما إلى جيب ستيوارت بمستر ستيوارت .

كان الأمر يتصل بأمسية من أمسيات إبريل والقهوة ، أو على الأرجح  
بنقص القهوة ، وقد جلس أفراد أسرة ستيوارت العسكرية في الظلام العطر  
تحت قر شهر جديد ، كانوا يتحدثون عن السيدات والمتع الميته ، وفي  
قلوبهم حنين إلى البيت ، وبعيدا في العتمة تحركت الخيل المظلمة في الظلام  
في أصوات مكتومة ، وتخافتت نيران المعسكر إلى نقاط متوهجة ، وكأنها  
بعض ذباب النار وقد استنفذ جهدها ، وفي مكان ما ، ليس بالبعيد ولا  
بالقريب ، لمس خادم الجنرال الخاص قيثارة وبعث أنغاما متكاملة  
عشوائية . وهكذا جلسوا في حدة الربيع مع أسى الشباب الموهل في  
القدم ، غافلين عن العمل والمجد ، ذاكرين ، بدلا منها ، أمسيات مع  
ضحك رقيق ، وأقدام أرق ، وسؤال في رؤوسهم متى سيأتي هذا مرة  
أخرى ؟ هل سأشارك فيها مرة أخرى ؟ ، حتى مضى بهم الحديث إلى  
حالة من الحنين الوحشي ، وأصبحت الكلمات أقصر ، وأصبح تردددها أقل  
وأقل . ثم استنهض الجنرال نفسه وأخرجهم بما هم فيه مرة أخرى بحديثه عن  
القهوة أو عن نقصها . شارف الحديث عن القهوة نهايته بعد وقت قصير ،  
بمخرج إلى الطريق في منتصف الليل ثم مضى خلال غابات مظلمة كالقار ،  
حيث سارت الخيل في طريقها بخطو بطيء ، وراكبوها فوق صهواتها  
والسيوف والبنادق مشرعة أمامهم حتى لا تكبتسحهم من فوق الخيل  
أغصان غير مرئية ، ومضوا حتى قل تكاثف الغابة وبدأت أشباح الفجر ،  
وكانت الفصيلة المكونة من عشرين شخصا ، داخل الخطوط الاتحادية تماما .  
ثم حقق الفجر وجوده أكثر فتخلت الفصيلة عن محاولة الاستخفاء  
وانطلقوا بخيولهم مرة أخرى ، محترقين وحدات الحراسة الأمامية المذهولة  
وهي في طريق عودتها آمنة إلى المعسكر ، ووحدات العمل بالمعاول  
والفئوس والمجارف في لحظة شروق الشمس الذهبية ، وانقضوا وهم

يتصايحون على الأكمة حيث كان جنرال بوب وأركان حرب جالسين لتناول الإفطار .

أسر رجلان ضابط أركان حرب سميئا . وطاردا الآخرون الجالسين إلى المائدة للإفطار مسافة قصيرة حتى حى الغابات ، ولكن غالييتهم اندفعت إلى خيمة تموين الجنرال الخاصة ، وخرجوا منها فى الحال بعد عاصفة من التخريب حاملين الغنائم ، وأوقف ستيوارت والضباط الثلاثة المرافقين له خيولهم المتراقصة عند المائدة ، واجتاح أحدهم من فوقها إناء قهوة مسود ، وقدمه إلى الجنرال ، وبينما كان العدو يتصايح ويطلق نيران البنادق من بين الأشجار تبادلوا التحية بالأنخاب ، بقهوة ساخنة تشوى الفم ينقصها السكر والقشدة ، وكأنها كأس حب .

قال ستيوارت وهو ينحنى للضابط الأسير « سيدى ، فى صحة الجنرال بوب ، ، وشرب وقدم الإناء .

وأجاب الضابط « سيدى ، سأشربه . شكرا لله إنه ليس هنا ، ليرد التحية شخصياً ، .

وقال ستيوارت « لاحظت أنه فيما يلوح قد رحل على عجل . موعد سابق ، ربما ، .

وقال الضابط مؤيداً بجفاف « نعم يا سيدى ، مع جنرال هالك . أنا آسف أن يكون جنرال هالك خصماً لنا بدلا من لى ، .

وأجاب ستيوارت « كذلك ، أنا يا سيدى ، أنا أحب أن ألتقى بجنرال بوب فى ساحة حرب ، .

كانت الأبواق تدوى حادة من بين الأشجار القرية والبيضة ، وهى ترسل النذر فى أصدااء متطايرة من لواء إلى لواء ، حيث تمسك فى الغابة ، وكانت الطبول تدق بوحشية داعية للسلاح وقذائف البنادق الشاردة تصطبغ وتتقاطر على امتداد النقاط الأمامية المتباعدة ،

وكأنها قمعة مروحة متفتحة ، ذلك لأن اسم جون ستيوارت ، وقد انتقل من حارس إلى حارس ، ملا الغابات الهادئة المزهرة بالأشباح الرمادية .

استدار ستيوارت في سرجه وهرع إليه رجاله وكفوا خيولهم عن الحركة وتطلعوا إليه مترقبين ، وكانت وجوههم المتلهفة المعروقة مرايا تعكس لهب نيران زعيمهم المشتعلة دائما ، ثم جاء من أحد الجانبين شيء ما وكأنه طلقات منسقة ، أطاحت بإناء القهوة من يد بايارد سارنورس ، ومضت تلطم وتعض بين الأغصان المبرقشة فوق رؤوسهم

قال ستيوارت للضابط الأسير « سيدى ، رجاء أن تمتطى حصانك ، ورغم أن لهجته كانت مهذبة إلى درجة ساحرة ، فقد اختفت منها كل آثار الطيش . ثم قال « كابتن ويل معك أقوى الخيل ، هل تسمح . . . » وترك الكابتن ركاب السرج ورفع الأسير وأجلسه وراءه . وصاح الجنرال ، « إلى الأمام ، ودار كالدوامه ، ووخز حصانه ، وبذلك التناسق العاصف الذى يتميز به « السنطور » ( حيوان الأسطورة الذى هو إنسان وحصان فى نفس الوقت ) اندفعوا هابطين من الآكمة ، وانقضوا على الغابة فى النقطة التى جاءت منها القذائف المنسقة ، قبل أن يتيسر إطلاقها من جديد . وغطست أشكال ترتدى أردية زرقاء وتناثرت أمامهم ومن تحتهم ، ومضوا مندفعين بين أشجار شريرة اختفت فيها ، كالزناير ، بنادق مينة . وقد أمسك ستيوارت بقبعته ذات الريش فى يده ، واهتزت خصلات شعره النحاسية مع إيقاع سرعته . وكان يبدو كلب نيلية يتصاعد منها دخان جرأتها الوحشية التى تلتهم نفسها .

ومن ورائهم ومن أحد الجناحين ظلت البنادق تنفجر وترمى قذائفها على أشباحهم المبرقة ، ومن الألوية المعسكرة فى الغابة الجذلة على مسافات متباعدة ، تصايحت الأبواق المبرقة فى أصواتها الحادة بنذرهما اللحوة ، ومال ستيوارت ببطء إلى اليسار ، فجعل بذلك الضجيج خلفه . ثم تكاثف الأشجار ومضوا مسرعين فى ظلمة . وكان الضابط الأسير يعلو ويهبط بعنف وراء كابتن ويل ، وشهد الجنرال أعنة حصانه حتى أصبح بجوار الأسود « الجرى » المندفع كالرعد تحت حمله المزدوج .



قال بركة ساحرة ، سيدى ، يحزنى أن أضايك هكذا ، إذا ذلك على الموقع العام لأقرب حارس راكب ، فإنه سيسعدنى إلى أقصى حد أن استولى لك على حصان .

أجاب الضابط ، شكراً لك أيها الجنرال ، ولكن الضباط يمكن استبدالهم بسهولة أكثر من الخيل . لن أزعجك .

وقال ستيوارت بجفاف ، كما تشاء يا سيدى . . . ودفع حصانه مرة أخرى إلى مقدمة الطابور ثم مضوا بخيولهم مسرعين ، متبعين أثراً ضئيلاً لما كان يوماً طريقاً ، واستداروا ونفذوا بين سياجين من أعشاب الربيع ، ومضوا فيه باندفاع منضبط ، ثم خرجوا فجأة إلى أرض مكشوفة وشدت فصيلة من فرسان اليانكى أعنة خيولها مذهولة بالمفاجأة ، ثم اندفعت مرة أخرى إلى الأمام .

ودون تردد دار ستيوارت بفصيلته واندفع مرة أخرى إلى الغابة وكانت طلقات الغدارات تحوم حول رؤوسهم ، وكانت أصوات الطلقات الغليظة تافهة كأصوات الأغصان المتكسرة فوق هزيم حوافر الخيل المنقضة ثم انحدر ستيوارت من الطريق واندفعوا مباشرة خلال الشجيرات والأعشاب وجاء فرسان الاتحاد من ورائهم وهم يتصايحون ، إلا أن ستيوارت جمع فصيلته في دائرة محكمة وأوقفها وهي تلمث في أجمة كثيفة موحلة ، ومن هناك سمعوا أصوات المطاردين وهم يندفعون بعيداً .

ثم استأنفوا سيرهم وعادوا إلى الطريق ومضوا في اتجاههم السابق ، صامتين ولكن في انتباه شامل . ومن اليسار قعقت أصوات المطاردين ثم ماتت في النهاية ثم أسرعوا مرة أخرى ولكن الغابات تكاثفت أيضاً فأرغمهم على الإبطاء ثم على المشى فقط ورغم أنه لم يعد ثمة مزيد من إطلاق النيران ، كما كفت الأبواق ، وصمتت ، فإنه - وفوق أنفاس الخيل القوية والسريعة ، ودوى قلوبهم أنفسهم في آذانهم - كان ثمة

شيء بلا اسم ، نوتر ينسال من شجرة إلى شجرة وكأنه سحابة غير مرئية ،  
حاشداً غابات الصباح الندية بنذر الشؤم ، رغم أن الطيور ظلت تنقض  
مبرقة من شجرة إلى شجرة ، غير واعية أو متجاهلة هذا كله .

وثمة شيء يلتصع أمامهم من خلال الأشجار . رفع ستيوارت يده  
فتوقفوا وأسكتوا خيولهم ومضوا يرقبونه بهدوء وهم يحبسون أنفاسهم  
وينصتون . ثم تقدم مرة أخرى واخترق الأعشاب والشجيرات إلى أرض  
مكشوفة أخرى ، وتبعوه ، ومن أمامهم كانت الربوة ومائدة الإغطار  
المهجورة وخيمة التويز المسلوكة ، واتجهوا إليها حذرين بخطى سريعة  
وتوقفوا عند المائدة بينما مضى الجنرال يكتب بسرعة على قطعة من  
الورق .

استلقت الربوة تحت ذلك الصباح الذهبي ، هادئة خالية من كل نذير  
وقد استلقى في أعماقها ، وكأنها بحيرة ، سلام عميق أزلي ، كأنه نبيذ  
ذهبي ، ولكن تحت هذه الوحدة وفي ثناياها ، كان نذير الشؤم الذي لا يحمل  
اسماً في الانتظار ، صابراً متأملاً بشريراً .

قال ستيوارت أمراً « سيدى ، سيفك » ، وخلع الأسير سلاحه  
وأخذه ستيوارت ، وثبت به مذكرته المخطوطة إلى المائدة .  
« تحيات جنرال ستيوارت إلى جنرال بوب ، إنه يأسف لأنه لم يجده  
مرة أخرى سيأتى للزيارة أيضاً شتاءً » .

جمع ستيوارت أعباءه في يده وصاح « إلى الأمام » ،

نزلوا من الربوة وعبروا الأرض الفراغ ، ومضوا ، بسرعة معتدلة ،  
في الطريق الذى قطعوه فجر ذلك اليوم ، وهو الطريق الذى يؤدى إلى  
مواقعهم . وألقى ستيوارت نظرة إلى الخلف على الأسير ، على الأسود  
النحيل بحمله المزدوج ، وقال مرة أخرى « إذا قدتما إلى أقرب جنسدى  
من حراسكم الراكبين فساؤودك بحصان مناسب » .

قال الضابط : « هل يعرض جنرال ستيوارت ، قائد الفرسان ، وعين

الجنرال لى ، سلامته وسلامة رجاله ، وقضيته للخطر لى يوفى لضابط صغير راحته الوقتية بإعادة سيفه إليه ؟ ليست هذه شجاعة ، إنها اندفاع ولد متهور عنيد . يوجد خمسة عشر ألف جندى فى حلقة حول هذه النقطة وعلى بعد منهما لا يزيد على ميلين ، حتى جنرال ستيوارت لا يستطيع أن يقهر وحده هذه الكثرة ، رغم أنهم من جنود اليانكى .

وأجاب ستيوارت مترفعاً : سيدى ، ليس هذا من أجل الأسير . ولكن من أجل الضابط الذى يعانى تقلبات الحرب . مامن سيد مذهب يفعل أقل من هذا ،

وأجاب الضابط : مامن سيد مذهب له شأن بهذه الحرب ، ليس له ثمة مكان هنا .

« إنه خطأ تاريخى ، كإسماك الأنشوقة . على الأقل جنرال ستيوارت لم يستول على أنشوقتنا ، ثم استطرد يقول ساخراً : قد يرسل لى شخصياً من أجلها . »

« إسماك الأنشوقة ، صاح بايارد سارتورس الذى أسرع بحصانه حتى اقترب منهما ، ثم استدار وهتف به ستيوارت ، ولكن سارتورس رفع يده المستهترة العنيدة ومضى مسرعاً ، بينما أخذ الجنرال عدته لمتعقبه ، أطلق حارس من اليانكى سلاحه من جانب الطريق واندفع إلى الغابة ، وهو يصرخ منذراً . وعلى الفور انطلقت بنادق أخرى من كل جانب ، ومن الغابة إلى اليمين جاء صوت وحدة كبيرة أخذت فجأة فى الحركة ، ومن ورائهم ، ومن اتجاه الآلة غير المرئية انفجرت دفعة من الطلقات . وأسرع ضابط ثالث وقبض على سرج ستيوارت . قال منفعلًا : سيدى ماذا ستفعل ؟ »

قبض ستيوارت على حصانه ، وهو ينكص على ساقيه الخلفيتين وانفجرت مجموعة أخرى من القذائف من ورائهم ، ثم تناقصت إلى طلقات متناثرة ، ثم انفجرت مرة أخرى ، واقترب الضجيج القادم من يمينهم . وصاح ستيوارت : « الآن دع الحصان . إنه صديق . »

ولكن الآخر ظل متعلقا بالسرج وصاح : لقد انتهى الأمر ، سارتورس  
يستطيع أن يقتل ، أما أنت فستأمر .

وقال الضابط الأسير : سيدى ، أضرع إليك ، إلى الأمام . قيمة إنسان  
بالنسبة لإيمان مجدد البشرية .

وقال الضابط أركان الحرب : يا جنرال ، حياً فى الله ، اذكر لى ، وصاح  
: إلى الأمام ، دافعاً حصانه ، وبمجرراً حصان الجنرال وراءه ، فى اللحظة  
التي اندفعت فيها فصيلة من فرسان الاتحاد من الغابات وراءهم .

واختتمت العمة جينى قصتها قائلة : وهكذا مضى مستر ستيوارت وركب  
بايارد عائداً للبحث عن أسماك الأنشوجة ، وكل جيش بوب يطلق عليه  
النار ، اندفع على حصانه وهو يصيح : يا إيه ، على يا فتيان ، حتى  
وصل إلى أعلى الربوة وقفز بحصانه فوق مائدة الإفطار ودخل به خيمة  
التبوين المحطة وطاه كان مختبئاً تحت الركام مد ذراعه وأطلق الرصاص على ظهر  
بايارد من غدارة كبيرة .

د قاتل مستر ستيوارت حتى خرج وعاد إلى المعسكر دون أن يفقد إلا  
رجلين . كان يتحدث بالخير دائماً عن بايارد ، قال عنه إنه كان ضابطاً طيباً ،  
وفارساً ممتازاً ، إلا أنه كان مستهتراً جداً ، وقد ظلوا جالسين فى صمت برهة  
من الزمن فى ضوء نار المدفأة وتصاعدت ألسنة النار وتلوت حول المدفأة  
وحلقت الشرارات فى المدخنة فى أعمدة وحشية دوامة ومضت حياة بايارد  
سارتورس القصيرة كأنها نجم محترق مرق فوق السهل المعتم الذى يزدحم  
بذكرياتهم وعذاباتهم المتبادلة ، فأضاه بوهج عابر كأنه رعد مكتوم الصوت  
تاركاً وراءه بعد موته ، نوعاً ما من الإشعاع . أما الضيف ، المهندس  
الإسكتلندى فقد جلس فى صمت ينصت وبعد قليل تكلم .

د وعندما ارتد عليهم لم يكن واثقاً تماماً من وجود الأنشوجة ،  
أليس كذلك ؟ ،

وأجابته العمة جينى : الضابط اليانكى قال إنه هناك أنشوجة ،

قال الإسكتلندي مرة أخرى : « آي ، وهل عاد مستر ستيوارت في اليوم التالي كما قال في المذكرة ؟ » .

وأجابته مس جيني : « عاد ذلك الأصل ليبحث عن بايارد سارتورس ، وتساقطت قشور متوهجة من رماد ناعم كالريش الوردي على الأرض حول المدفأة ، ثم غاضت إلى لون رمادي غاية في الرقة . وانحنى جون سارتورس على ضوء نار المدفأة وقلب قطع الخشب المشتعلة بماسورة بندقية اليانكي .

قال : « أظنه كان ألين جيش عرفه العالم على الإطلاق » .

وقالت العمدة جيني : « آي بايارد كان ألين رجل فيه » .

وأيدھا جون سارتورس قائلاً برصاة : « نعم بايارد كان طائشاً » .

وتسكلم الإسكتلندي مرة أخرى : « هذا السيد ستيوارت الذي قال إن شقيقك كان مستهتراً ... من كان هو ؟ » .

قالت مس جيني : « كان قائد الفرسان ، جوب ستيوارت » . وظلت تتطلع إلى النار لحظة وهي مستغرقة في تأملاتها ، وللحظة قصيرة طوفت بوجهها الشاحب الذي لا يقهر رقة هادئة . قالت : « كان له مزاج مرح غريب . مامن شيء كان في استطاعته فيما يبدو أن يسليه قدر تصويره لجنرال بوب في جلباب النوم » ومضت تحلم مرة أخرى بمكان بعيد جداً وراء الجمرات الحمراء المتعاركة ، ثم قالت : الرجل المسكين ، ثم استطردت تقول بهدوء :

رافقته في رقصة فالس في بالتييمور عام ٥٨ وكان صوتها فخوريا وهادئاً كبنود معفرة في التراب .

ولكن الباب كان مغلقاً الآن ، وما نفذ من ضوء خلال زجاج النوافذ الملون كان عميقاً وحزيناً وإلى يسار بايارد ، كانت غرفة حفيده ، حيث ماتت زوجة هذا الحفيد وطفلهما في أكتوبر الماضي وقد وقف بجوار هذا الباب

برهة ، ثم فتحه بهدوء ، كانت الستائر مسدلة ، وقد احتوى الغرفة ذلك الهدوء مبهور الأنفاس الذى يميز الأماكن غير المأهولة .

ثم أغلق الباب ، ومضى متباطئاً ، ووقع أقدامه ثقيل ، شأن من بهم صم ودخل غرفة نومه الخاصة ، وصنع الباب بعنف من ورائه ، كما كانت طريقته فى غلق الأبواب .

جلس وخلق حذاءه ، وهو الحذاء الذى كان يفصل على مقاسه مرتين كل عام ، فى مصنع فى سانت لويس ، ومضى إلى النافذة ، وهو مرتد جواربه وتأمل فرسه المرسجة ، وهى مقيدة إلى شجرة توت فى الفناء الخلفى ، وصديقاً أسود نحيفاً ككلب صيد ، واقفاً بجمود تام بجوارها ، ومن المطبخ ، الذى لا يرى من هذه النافذة ، كان غناء النورا الذى لا ينقطع يفيض على المشهد الهادى . ويفيض دون أن يسمعه بايارد .

عبر الغرفة إلى الصالون وأخرج زوجاً من أحذية الركوب المخدشة ، ووضع قدميه فيهما وأخذ سيجاراً من المرطب الموضوع على المنضدة بجوار فراشه ، ثم ظل واقفاً لحظة والسيجار البارد بين أسنانه . ومن فوق نسيج سترته لمست يده الغليون فى جيبه ، فأخرجه ونظر إليه مرة أخرى وبدأ له وكان فى استطاعته ، أن يسمع ولا يزال ، الفاظ العجوز فولز ، وهى تتردد فى ضجيجها مرة أخرى . « كان الكولونيل جالسا هناك على مقعد ، وساقه مستندة إلى حاجز الفناء ، وكان يدخن من هذا الغليون نفسه . وكانت لوفينيا جالسة على الدرج ، تقشر ملاء قدر من البقول للعشاء ، وفى تلك الأيام ، كان يسعد الرجل أن يحصل على البقول أحياناً . وأنت كنت جالسا هناك مستنداً إلى هذا العمود . لم يكن ثمة شخص آخر ، عدا عمك التى كانت قبل أن تأتى مسجيني . أرسل الكولونيل البنتين إلى جدك فى ممفيس ، عندما ذهب لأول مرة إلى فرجينى مع ذلك اللواء الذى انقلب عليه ، وصوت ضده ، وطرده من القيادة . صوت ضده لأنه رفض أن يرفع السكافة مع كل من هب ودب وكل لص عاص من اصوص المعسكرات ،



الذين يأتون ببندقية مخطوفة زاعمين أنهم جنود . أظنك كنت في منتصف الطريق إلى أن تبلغ أشدك يا بيارد ، كم كانت سنك حينئذ ؟

« أربعة عشرة . هل على أن أقول لك هذا كل مرة تروى فيها هذه القصة الملعونة ؟ »

وكنت جالسا هناك ، عندما دخلوا من البوابة ، واندفعوا بخيولهم في طريق العربة ، أسقطت لوفيتا إناء البقول من يدها ، وأطلقت صرخة واحدة ، ولكن السكولونيل أسكتها وأمرها أن تسرع وتعد له حذاءه وغداراته وتنتظره عند الباب الخلفي ، وأنت جريت إلى الجرن لتسرج الحصان . وعندما دخل جنود اليانكي وتوقفوا — توقفوا هناك بالضبط حيث تجد حوض الزهور هذا الآن . لم يكن ثمة أحد على مرأى منهم عدا السكولونيل وهو جالس هناك وكأنه لم يسمع قط عن اليانكي .

« وجلس جنود اليانكي على خيولهم ، يتحدثون معاً ، ويتساءلون إذا كان هذا هو البيت المقصود أم لا ، والسكولونيل جالس هناك ، وساقه ذات الجورب القصير على سور الفناء ، يحمل فيهم وكأنه جدى وحشى من التلال . ثم طلب ضابط اليانكي من أحد رجاله أن يركب عائداً إلى الجرن ويبحث عن الحصان ، ثم يقول الضابط للسكولونيل .

« جوني ، اسمع ، أين يقيم العاصي جون سارتورس ؟ »

ويقول السكولونيل دون أن تطرف له عين « يقيم في بيت على الطريق ، على بعد ميلين تقريباً . ولكنك لن تجده الآن . لقد ارتحل مرة أخرى ، ليحارب اليانكي . »

قال ضابط اليانكي ، « حسنا . أظنه من الأفضل ، على أي حال ، أن نأتي معنا ، لتدلنا على الطريق . »

« ثم وقف السكولونيل متباطئاً ، وطلب منهم أن يسمحوا له بإحضار حذاءه وعكازته وطلع نحو البيت ، وتركهم هناك جالسين ينتظرونه . »

« وبمجرد أن اختفى من مجال رؤيتهم ، جرى . وكانت لوفينيا العجوز تنتظر عند الباب الخلفى بسترته وحذاءه وغداراته وتصميرة من خبز القمح . أما اليانكي الآخر فقد ركب إلى الجرن ، وأخذ الكولونيل الأشياء من لوفينيا وطواها في سترته ، ومضى عبر الفناء الخارجى ، وكأنه يتمشى . وقرابة هذا الوقت جاء اليانكي أيضا إلى الجرن . »

ويقول اليانكي « لا يوجد حصان هنا على الإطلاق . »

ويقول الكولونيل وهو ماض فى طريقه « أظن ذلك . الكابتن يطلب منك أن تعود . » وكان فى استطاعته أن يشعر بذلك اليانكي وهو يرقبه ، ويتطلع مباشرة إلى ما بين كتفيه حيث يمكن أن تقتل الرصاصة . ويقول الكولونيل إن ذلك كان أشق الأشياء التى فعلها فى حياته على الإطلاق ، أن يتمشى عبر ذلك الفناء ، وظهره إلى ذلك اليانكي ، دون أن يندفع جارياً . كان متجهاً نحو ركن الجرن ، حتى يصبح فى استطاعته أن يجعل البيت بينهما . قال الكولونيل إنه بدا له وكأنه ظل ماشيا عاماً كاملاً دون أن يتقدم ، ولا يجرؤ فى نفس الوقت على النظر إلى الخلف . وقال الكولونيل إنه لم يفكر فى شيء أبداً ، عدا شعوره بالسرور لأن البنتين لم تكونا فى البيت ، وقال إنه لم يفكر قط فى عمته التى كانت هناك فى البيت ، لأنها كما قال . كانت تحمل دم آل سارنورس الخالص . وكانت نداء لآى دسته من جنود اليانكى . »

ثم هتف به اليانكى ، ولكن الكولونيل مضى فى طريقه ، دون أن ينظر إلى الخلف ، أو يفعل شيئاً ، ثم ناداه اليانكى مرة أخرى ، ويقول الكولونيل إنه كان فى استطاعته أن يسمع حركة الحصان وقرر أن اللحظة مناسبة لأن يحرك ساقيه ، فأسرع إلى ركن الجرن ووصل إليه فى اللحظة التى أطلق فيها اليانكى رصاصة الأولى ، وفى الوقت الذى وصل فيه اليانكى إلى الركن ، كان الكولونيل فى الأرض المسيجة مندفعاً خلال الأعشاب متجهاً نحو الخور حيث كنت تنتظره بالحصان النخبأ بين أشجار الصفصاف .

« وكنت هناك واقفاً ، وممسكا بالحصان ، وذلك اليائكي هناك وراءكم يصيح ، حتى وضع الكولونيل حذاءيه في الركاب ، ثم قال لك بعد ذلك أن تجرب عمّتك أنه لن يعود للبيت للعشاء . سأله وهو يتحسس الغليون بأصابعه ، « ولكن لأي سبب تعيده إلى ، بعد كل هذا الوقت ؟ ، وقال العجوز فولز إن ملجأ الفقراء لم يكن مكاناً مناسباً له .

« شيء كان يضعه في جيبه ، ويستخلص منه في تلك الأيام البعيدة متعه . أحسب الأمر كان مختلفاً - على ما أظن - حينما كان يبني خط السكة الحديدية . كان يردد كثيراً جداً ، في تلك الأيام ، إننا كلنا سنذهب إلى ملجأ الفقراء قبل حلول مساء السبت إلا أنني سبقته إلى هناك . وصلت إلى هناك قبل أن يفعل . أو الأرجح ربما كان يقصد المقبرة ، وهو راكب حصانه صاعد هابط حيث كان يبني الخط ، وحقيبة مملوءة بالنقود مثبتة إلى سرجه ، ليلاً ونهاراً ، وكما قال كان بينه وبين الإفلاس مسافة قصيرة كان هذا عندما تغيرت الأمور ، عندما تحتم عليه أن يبدأ في قتل الناس . فهناك المحرضان السياسيان اللذان أخذوا في إثارة السود ، دخل مباشرة إلى الغرفة ، حيث كانا جالسين وراء منضدة ومسدسهما موضوعان أمامهما ، وذلك اللص ، والشخص الآخر الذي قتله ، كاهن بنفس هذا المسدس الأمر بكى الثقيل - عندما يضطر رجل إلى أن يبدأ في قتل الناس ، فالمرجح دائماً أن يضطر إلى المضي في قتلهم ، وعندما يفعل ، فإنه يكون قد مات بالفعل .

« طفت ظلال الشؤم والهلاك المحتوم على جبين جون سارنورس في تلك الليلة حينما كان جالساً يتحدث إلى ابنه في ضوء الشموع ، في غرفة المائدة وهو يدير كرأساً من النييد بين أصابعه .

كان خط السكة الحديدية قد تم ، وفي ذلك اليوم انتخب للجلس التشريعي للمقاطعة بعد معركة عنيفة مرة ، حينئذ اضطجع الموت على جبينه ، والتعب . قال « وعلى ذلك ، سيقتلني ردلو غداً لأنني لن أكون مسلحاً - تعبت من قتل الرجال . . ناولي النييد يا بايارد . .

وفي اليوم التالي كان ميتا ، ومن ثم ، وكأنه لم يكن عليه إلا أن ينتظر هذا لكي يتحرر من قوقعة العظم والنفس الفبية ، ويتخلص من نقائص جسده ذاته ، ومن ثم ، أصبح الآن في استطاعته أن يشدد ويشكل ذلك الشيء الذي خرج من ظهره ، فكان أشبه بحلم مشثوم يحمله المرء ، وأن يستحضر كروح الجن أو كإله عن طريق ذكريات رجل عجوز أمي مملة أو بغليون متفحم غاضت منه ، منذ زمن بعيد ، حتى رائحة الطبايق المحترق العطنة .

ونفض بإيارد العجوز ، وذهب ووضع الغليون على صوانه ، ثم غادر الغرفة ومضى متساقلا على الدرج وخرج من الباب الخلفي .

تنبه الصبي الأسود بسرعة . وفك عقال الفرس وأمسك بالركاب . وامتطى بإيارد العجوز حصانه ، وتذكر السيجار أخيراً ، فأشعله . وفتح الزنجر البوابة إلى الأرض الفضاء وركض في مقدمة الحصان ، وفتح البوابة الثانية ، التي تؤدي بالراكب إلى الحقول ومضى بإيارد وهو يخرج ورائه دخانه ذا الرائحة النفاذة ، ومن مكان ما جاء كلب صيد مرقط ومشى بين عقي الفرس .

وقفت النورا حافية على أرض المطبخ ، ثم قذفت مسحها في دلو الماء ، ثم ضربت الأرض بها مرة أخرى .

الخاطئ . يقف من على دكة المنتحبين

الخاطئ . يقفز إلى دكة التائبين

عندما يسأله الراعي ما السبب ، لماذا

يقول « الراعي أخذ المرأة تماماً مثلي ،

أوه ، يا الله ، أوه ، يا الله !

تلك هي مشكلة الكنيسة اليوم .

كانت وجهة سيمون بيتاً كبيراً من الآجر ، بنى قريباً جداً من الشارع ، كانت الأرض مكاناً لبيت ريفي عتيق جميل ، استقر بين أشجار المنوليا والبلوط والشجيرات المزهرة . ولكن البيت احترق ، وقطعت بعض الأشجار لتدع مكاناً لبشاعة معمارية بلغت من الفظاعة المهيبة حداً أكسبها نوعاً ما من الجلال . كانت تذكراً لحسن تدبير أحد رجال التلال ، وكانت كذلك ضريحاً لأمنيات نسائه الاجتماعية . نزع رجل التلال هذا من ضيعة صغيرة تسمى فرنشمانزبند ، حيث كان قد بنى فيها - كما تقول مس جيني دوبري التلال بيت على أجل قطعة أرض في جيفرسون . وقد احتمل رجل أجل هذه الحياة عامين كاملين ، كانت نساء بيته خلالها يقضين ساعات الصباح كله جالسات في الشرفة بقبعات النوم الموشاة حوافها بالدانتلا ، ويقضين ساعات الأصيل مرتديات الحرير الملون ، ويتجولن في المدينة في عربات ذات إطارات مطاطية ثم باع رجل التلال بيته لرجل وافد على البلدة ، وعاد بنسائه إلى الريف ، ودون شك ، دفعهن للعمل من جديد .

اصطف عدد من السيارات على امتداد الطوار ، فأشاعت في المكان جو الاحتفالات الرسمية واستدار سيمون بعقب سيجاره المائل ، وشد الأعنة ، ودخل في مهارة مختصرة صاخبة مع زنجي جالس أمام عجلة قيادة سيارة كانت تنتظر أمام مكان وقوف العربات . واختتم سيمون صخبه بقوله : « أيها الولد الأسود ، لاتسد الطريق أمام أي من عربات سارتورس ، وذلك في الوقت الذي دفع فيه الآخر السيارة ، وترك له منفذاً إلى عمود ربط الخيل ( ثم قال ) : سد الطريق أمام الدهماء ، إذا أردت ، ولكن لاتعرض عربة تنتظر الكولونيل أو مس جيني . لإنهما لن يقبلا شيئاً من هذا » .

ونزل وقيد الخيل ، وقد طاب خاطره باللوم الذي وجهه ، واغتسلت روحه

بجمال الفوز الذى حققه . توقف سيمون وأمعن النظر فى السيارة بشغف وقدر غير قليل من العجرفة المختلطة ببعض من الغيرة والاحترام ، وتحدث رقة مع سائقها . لكنه لم يتحدث طويلا ، ذلك لأن سيمون كانت له أخوات فى الله فى المطبخ ، وفى الحال سمح لنفسه بالدخول فى الفناء ومضى فى الممر المغطى بالحصى حول البيت إلى خلفه . كان فى استطاعته وهو يمر تحت النوافذ ، أن يسمع ضجيج الحفل . تلك الثروة المتصلة غير المفهومة التى تستطيع السيدات البيضاء أن يحطن أنفسهن بها بلا جهد ، والتى يبدو أنهن يعتبرنها شيئا ضروريا ( أو على الأقل لامناص منه ) لقضاء وقت طيب . أما كونه حفلا للعب الورق ، فلم تبد هذه الحقيقة بالنسبة لسيمون أمرا غير مألوف أو مشيرا للدهشة ، لأن الزمن والتجربة العميقة الطويلة قد أكسبته حاسة رفيعة من السباحة تجاه أهواء البيض ، والسيدات من كل لون .

بنى رجل التلال بيته قريبا جدا إلى الشارع فظل بذلك الجزء الأكبر من المرج الأصيل بأشجاره العتيقة الجميلة خلف البيت . وبوما ما كانت هناك أشجار ريحان شامى أسود وبرتقال كاذب ، وسوسن أرجوانى ، وخمائل ياسمين منتشرة بلا نظام ، وحشود من الياسمين البرى فوق الأسوار وسيقان الأشجار ، وبعد أن احترق البيت الأول ، احتلت المسكن كله ، واصطنعت ، من أشكالها الشعثاء ، دغلا مزدحما معطرا ، . أحبته البغاوات وطيور السماء المفردة ، حيث كان الأولاد والبنات يتلبثون فى أمسيات الربيع والصيف بين الحياض المضئية السابحة ، وتراتيل حشرات الهيبيروويل ، وعادة صرخة من بومة صياحة تنسال متقطعة صاعدة هابطة . ثم اشتراه بعد ذلك رجل التلال وقطع البعض من الأشجار ليبنى بيته بالقرب من الشارع على طراز الريف ، وقطع الدغل وطلّى الأشجار المتبقية باللون الأبيض ، ومد حواجز أجرانه وزرائب خنازيره وبيوت دجاجة بين سيقانها التى كانت تبدو كالأشباح . ولم تطل إقامته حتى يعرف عن الجراجات شيئا .

وعد تناقص بعد ذلك عقم الدمار الذي ألحقته إقامته بالمكان ، فقد زرع المالك الجديد مزيداً من الشجيرات - ياسمين وبرتقال كاذب وبريتا - ووضع تحتها مواد ومقاعد حديدية خضراء ، وبني حمام سباحة وملعب تنس ، ومضى سيمون بثقة وحذر وأخذ طريقه إلى المطبخ مهتدياً بطنين أصوات نسائية رتيب ، حيث كانت امرأة نحيفة مرتدية عمامة حداد بنفسجية ، ترفع بصعوبة بسكوتة إلى فمها كومت عليها المايونيز ، وأخرى جسيمة هائلة الحجم قد ارتدت ممزرة الخدم الملطخة . وكانت تشرب الجيلاتى الذائب من طبق . وقد أدارت المرأتان أعينهما نحوه .

كانت الضيفة تقول : رأيت في الشارع - كان في حالة سيئة . إنه لا يهتم بنفسه أبداً .

ثم دخل سيمون فتركنا موضوع الحديث ورحبنا به .

قالتا معاً : « إن لم يكن هذا هو الأخ ستروثر ، تفضل يا أخ ستروثر ، كيف خالك ؟ »

أجاب سيمون : « في حالة سيئة ياسيداتي ، في حالة سيئة ، وخلع قبعته وألقاها جانبا ونزع عقب السيجارة من فمه ووضعها في القبة ، ثم قال : « إن ظهري يؤلمني المأ شديداً ، هل كلكم بخير ؟ »

وأجابت الضيفة : « على مايرام ، أشكرك أيها الأخ ستروثر ، وجر سيمون مقعداً إلى المائدة كما طلب إليه أن يفعل .

سأله الطاهية بكرم ، « أخ ستروثر ، ماذا ستأكل ؟ هنا بعض أطعمة الحفل وتوجد بعض الخضر الباردة ، وقليل من الجيلاتى السائل المتبقى بعد العشاء . »

أجاب سيمون : « أخت راشيل . أظنني سأخذ قليلاً من الجيلاتى وبعض الخضر ، ثم استطرده يقول : « لم تعد أسنانني تحتفل أطعمة الحفل ، ونهضت



الطاهية بتودة مهيبة وتهادت عبر المطبخ إلى صوان الآنية وأخذت طبقا .  
كانت واحدة من أفضل طاهيات جيفرسون ، وما من سيدة كانت تجرؤ  
على نقد مستوى مطبخ راشيل الاجتماعي الرفيع .

قالت الضيفة : « إذا لم تكن أشقى رجل أ تأكل الجيلاتى فى سنك ! »  
وقال سيمون : « ما زلت آكل الجيلاتى ستين عاما . أى مبرر عندى  
لكى أقلع عنه الآن ؟ »

قالت الطاهية مؤيدة ، وهى تضع الطبق أمامه : « هذا صحيح أيها الأخ  
ستروثر كل الجيلاتى عندما تستطيع الحصول عليه . دقيقة واحدة وسأ . . .  
ميلونى ، اسمى ، قطعت حديثها عندما دخلت زنجية شابة رشيقة ترتدى مئزرة  
بيضاء أنيقة وقبعة . كانت تحمل صينية من الأطباق تحوى بقايا المستحضرات  
الغذائية المنقولة من صور المجلات النسائية ، كانت تخلو من الحجم والقوت ،  
كانت المحفلات يخمدن بوساطتها شهيتهن لتناول العشاء . قالت الطاهية :  
« حبيبتي ، أحضرى للأخ ستروثر ملء هذه القصعة من الجيلاتى » .

قذفت الفتاة الصينية فى حوض الغسيل ، وشطفت الإناء بماء الصنبور ،  
بينما كان سيمون يرقبها بعينيه الصغيرتين الثابتتين ، ثم جففته بمنشفة بسرعة  
البرق ، باستعراض رفيع من عدم الاهتمام المهين ، ومضت توقع عبر المطبخ  
بكعبى خذائها العاليين ، وذقنها مرفوعة بزاوية متشاحنة ، بينما كان سيمون  
يرقبها بعينيه اللتين لا تطرفان ، ثم صفقت الباب وراءها وأدار سيمون رأسه .

قال مرة أخرى : « نعم . سيدتى . ما زلت آكل الجيلاتى منذ زمن طويل  
جداً بحيث إنه لا يمكننى أن أقلع عنه فى سنى هذه » .

وقالت الطاهية مؤيدة ، وهى ترفع مرة أخرى طبقها إلى شفيتها : « لن  
يؤذيك أى نوع من الطعام ما دام فى استطاعتك أن تهضمه » . ثم عادت  
الفتاة ، وما زالت تصرخ خدما ، ووضعت قصعة السائل المزج أمام سيمون  
الذى تستر بحركتها ، وأسقط يده على نخلها ، فصفعته الفتاة بكفهم بعنف  
على مؤخرة رأسه الشيباء .

قالت : مس راشيل ، ألا تستطيعين أن تجعليه يحتفظ بيديه لنفسه .  
فسأله راشيل لائمة ، ولكن دون مرارة ، ألا تخجل ؟ رجل عجوز أشيب  
مثلك ، وبعائلة وأبناء بالغين ، وإحدى قدميه في القبر ؟

قال سيمون بنعومة ، وهو يضع السباغ في الجيلاتن الذائب : اقل  
فك يا امرأة . السن على وشك الانتهاء من حفلين هناك ؟

قالت الضيفة وهي تضع ، بحركة رقيقة متأنقة بسكوتة في فمها  
: أظهن على وشك . يبدو أنهن يتكلمن بصوت أعلى . .

فصحح سيمون ما قاله : إذن ، فقد بدأ اللعب من جديد . هبط  
الحديث فقط عندما كن يأكلن . نعم ياسيدي لقد بدأ اللعب من جديد .  
هؤلاء هم البيض . ليس للسود ما يكفي من إدراك ، ليلعبوا الورق في مثل  
هذا الضجيج . .

إلا أنهن كن قد أخذن في التفرق . وقد انتهت مس جيني دوبري ،  
ولم تسكد ، من قصة ، تركت الثلاث اللاتي كن معها على المائدة ، خجلات  
إلى حد محدود . وعينا كل منهن تتحاشى الأخرى ، وتلك كانت طريقتهما ،  
كانت مس جيني تسافر قليلاً جداً ، ولم تكن تركب عربات البولمان على  
الإطلاق . وكان الناس يعجبون من أين تأتي بقصصها هذه ، ومن الذي  
رواها لها . وكانت تعيد روايتها في أي مكان وفي أي وقت ، متخيرة  
في ذلك اللحظة غير المناسبة والجمهور غير المناسب . وبجراحة باردة مرحة  
وكان الشباب يميل إليها ، وكانوا يلحفون في طلبها وصحبها في رحلاتهم .

وقد وقفت تتحدث إلى مضيفتها عبر المائدة وتقول : بيل ، سأعود  
إلى البيت الآن . أظننا تعبنا جميعاً من حفلك . أنا أعرف أنني على  
الأقل قد تعبت . أما المضيضة فقد كانت امرأة ممتلئة ، شابة إلى حد ما ،  
وطفا على وجهها الجميل بالمساحيق ببراعة ، استغراق عصبي كاد أن يكون  
استرخاء تاماً . ثم غاض بسرعة ، عندما اقتحمت مس جيني وعيها بحديثها  
عن الانصراف ، وعادت إلى وجهها ملاحمة المعتادة التي تعبر عن التوتر

والتبرم الفامض ، واحتجت كما تقتضى ذلك التقاليد ولكن بإخلاص نزيق ،  
كما قد تفعل فتاة حسنة التربية .

ولكن مس جيني قد عقدت عزمها بإصرار . فوقفت ، ونفضت  
يدها المفضنة فتات خبز غير مرئية من صدر ثوبها الأسود الحريري ،  
وقالت بصراحتها المعتادة ، إذا انتظرت أكثر ، فسيفوتنى وقت عشاء  
بايارد ، نارسيسا ، هيا ، تعالى أوصلك فى عربتى إلى بيتك ، .

قالت المرأة الشابة التى وجهت إليها دعوتها ، « معى سيارتى ، شكراً  
لك يا مس جيني » .

وكان صوتها جاداً رناناً رخياً ، ثم وقفت ، ووقفت الأخريات  
كذلك وأخذن فى التجمع وأثوابهن تحدث أصواتاً رفيعة غطت على  
احتجاجات المضيفة المنفمة النزقة ، وسرن ببطء إلى البهو ، وتجمعن مرة  
أخرى أمام المرايا المختلفة ، وكلهن ألوان وصنعب حاد . ومضت مس  
جيني بانتظام نحو الباب .

قالت مرة أخرى « هيا . . . هيا . . . هارى متشل لن يحب أن يجد  
نفسه فى كل هذا الضجيج عندما يعود من عمله إلى البيت » .

وهنا ردت عليها المضيفة بعنف « إذن فسيكون فى استطاعته أن يجلس  
فى السيارة بالخارج فى الجاراج . مس جيني ، أنا أريد منك فعلاً ألا  
تذهبي . أحسبى لن أدعوك لزيارتى مرة أخرى » .

ولكن مس جيني قالت بلطف بارد ، « وداعاً . وداعاً » ووقفت  
على أول الدرج ، وأنفها صورة رقيقة طبق الأصل لأنف آل سارتورس ،  
وظهرها مستقيم كظهر الجندى ، لا يتحداه فى الاعتدال ظهر آخر  
فى البلدة ، خلا ابن أخيها بايارد . وقفت عند أول الدرج حيث لحقت  
بها نارسيسا بغبو ؟ وقد حملت معها كعطر ، هالة الصفاء الحزين الوقور  
التي كانت تعيش فيها .

قالت مس جيني . د بيل عنت هذا أيضاً ؟

د عنت ماذا يا مس جيني ؟

د ما قالته عن هاري . . . الآن ، أين تظنين هذا الأسود الملعون قد ذهب ؟ ، ثم نزلنا الدرج ، ومن السيارات المنتظرة بجوار الطوار جاءت انفجارات تحركها المكتومة ، وقطعت المراتان المشي القصير الذي تحده أحواض الزهور إلى الشارع ، ثم سألت مس جيني زنجياً في سيارة قريبة ، د هل رأيت في أي طريق مضى سائق ؟

- د ذهب متجها إلى خلف البيت يا سيدتي .

وفتح الزنجي باب السيارة ، وانزلق بقدميه منها . كان يرتدى سترة عسكرية وسروالا من اللينوليم .

قال د سأذهب لاستدعائه ،

قالت د أشكرك . ثم استطردت تقول د حسنا . شكراً لله . أن انتهى الحفل ، ثم أضافت د من السيء جداً ألا يكون لدى الناس من حسن التدبير والشجاعة ما يهديهم إلى إرسال الدعوات ثم إلى إغلاق بيوتهم والذهاب بعيداً . كل متعة الحفلات هي في ارتداء الملابس والذهاب إليها ، جاءت السيدات عبر المشي في مجموعات تتحدث بأصوات رفيعة ، وركبن السيارات ، أو عدن على الأقدام ، وهن يتبادلن النداءات والتحية بالفاظ بهيجة وإن لم تكن حلوة الوقع تماماً . وكانت الشمس قد انحدرت وراء بيت بيل ، وعندما عبرت النسوة الظل إلى أشعة الشمس الأفقية ، أصبحن رقيقات لامعات كاليفغاوات الصغيرة . كانت نارسيسا بذو ترتدى ثوباً أزرق وكانت عيناها بنفسجيتين ، وعلى وجهها ، كان استرخاء السوسن الهادي .

قالت محتجة . أنت لا تقصدين حفلات الأطفال .

قالت مس جيني د أنا أتكلم عن الحفلات ، لا عن قضاء وقت ممتع . تتكلمين عن الأطفال . . . هذه المناسبة ، ما هي أخبار هوراس ؟

قالت الأخرى بسرعة ، أوه ، ألم أقل لك ؟ وصلتني برقية أمس .  
نزل في نيويورك يوم الأربعاء الماضي . كانت أشد ما تكون اضطراباً . لم  
أستطع أبداً أن أفهم ما حاول أن يقوله لي عدا أن عليه أن يبقى في نيويورك  
لمدة أسبوع أو ما يقرب من ذلك . كانت أكثر من خمسين كلمة .

سألت مس جيني : وهل كانت رسالة مباشرة ؟ ، وقالت الأخرى نعم ،  
فاستطردت تقول : هوراس لابد وقد أصبح ثرياً ، كما يقول الجنود عن  
كل أعضاء جمعية الشبان المسيحيين . حسناً ، إذا كانت الحرب قد علمت  
رجلاً مثل هوراس كيف يكتسب المال ، فإن الحرب تكون شيئاً طيباً  
جداً ، رغم كل شيء . . .

مس جيني ، كيف تستطيعين أن تتحدثي بهذه الطريقة بعد جون - بعد ... ،  
قالت مس جيني : هراء . أعطت الحرب جون مبرراً طيباً لكي  
يقضى على حياته ، ولو لم تتيسر له الحرب ، لقضى على حياته بأسلوب  
آخر يكون مصدر ضيق كل شخص من حوله . . .

مس جيني . . .

أنا أعرف يا عزيزتي . لقد عشت مع روس الثيران هؤلاء آل  
سارتورس ، ثمانين عاماً ولن أمنح شبحاً واحداً منهم مطلقاً شعور الرضا  
بدمعة أزرقها عليه . ماذا قال هوراس في رسالته ؟ ، .

قالت الأخرى ، كانت عن شيء سيحضره إلى البيت .

وامتلاً وجهها الهادي . بنوع ما من الحق الودود ، وقالت . كم  
كانت مفككة ومضطربة ، تلك الرسالة - ما استطاع هوراس أبداً أن  
يقول لي - وهو بعيد عني - أي شيء - بوضوح ، وعادت إلى  
تأملاتها من جديد ، وهي تتطلع إلى الشارع الممتد ، الذي يشبه سرداباً  
من أشجار البلوط والدردار ، تنفذ منه أشعة الشمس على مسافات متباعدة ،  
لترسم على الأرض وكأنها جلد نمر مبرقش . قالت : هل تظنينه تبنى  
طفلاً من أيتام الحرب ؟

قالت مس جيني مرددة ، ، طفلا من أيتام الحرب ، الأقرب أن تكون أم طفل من أيتام الحرب ؟ ، .

ظهر سيمون من وراء ركن البيت وهو يمسح فيه بظهر يده ، وعبر المرح مسرعا وهو يخرج قدميه على الأرض ، ولم يكن سيجاره ظاهرا .

قالت الأخرى بسرعة وقلق بالغ ، ، لا . أنت لاتعتقدين أنه فعل هذا ؟ . لا ، لا.. لن يفعل ، هوراس لن يفعل هذا . إنه لايفعل شيئا دون أن يخبرني عنه مقدما . لو فعل لكتب لي . أنا أعرف أنه كان يكتب لي . أنت لاتعتقدين فعلا ، أن هوراس يفعل مثل هذا الأمر ، أليس كذلك ؟ مثل هذا الأمر ؟ ،

قالت مس جيني ، وهي تزفر من أنفها النورماندية ذات العظمة المرتفعة .

رجل برىء كهوراس ، بما يتميز به من ثقة وبساطة ، وقد ضل طريقه بين كل هؤلاء النسوة الأوربيات اللاتي يعانين من مجاعة للرجال . لن يعرف هو نفحة الأمر ، قبل قوات الأوان . وخاصة بلغة أجنبية . أنا أراهن ، في كل بلد أقام فيها أكثر من سبعة أيام ، فإن صاحبة البيت أو امرأة ما كانت تحتفظ له بعشائه دافئا على الموقد إذا تأخرت عودته إلى البيت ، أو كانت تحجز له السكر من الرجال الآخرين لتحلى به قهوته . . بعض الرجال قد ولدوا لتكون لهم دائما امرأة تجعل من نفسها وطاء ينظفون عليه أحذيتهم ، تماما كما ولد آخرون لتخونهم زوجاتهم . . كم عمرك ؟

قالت المرأة الأخرى بصوت متزن ، ، مس جيني ، مازلت في السادسة والعشرين ، . فك سيمون مقاود الخيل ، وقد وقف الآن بجوار العربة ، بالطريقة التي يقف بها لمس جيني ، وهي تختلف عن وقفته أمام المصرف . فيها الآن شهامة ورعاية وإكرام . ونظرت مس جيني إلى الصفاء الهادى المرتسم في وجه المرأة الأخرى ، وقالت :

« لم لا تتزوجين ، وتدعين هذا الطفل يعني بنفسه فترة من الزمن ؟  
اذكري كلماتي . لن تمضي ستة أشهر حتى تفعل امرأة أخرى كل ما في  
وسمها لكي تفوز بامتياز تجفيف قدميه وحينئذ لن يشعر حتى بغيابك ،

قالت الأخرى بهدوء دون أن تغضب ، لقد وعدت أمي . لا أدري  
لم لم يستطع أن يبعث إلي رسالة يمكن أن تفهم ؟ ، .

قالت مس جيني وهي تستدير إلى عربتها ، حسنا . ربما يكون يتم  
حرب فقط ، ، ولم يكن في كلماتها المطمئنة ثمة عزاء .

قالت الأخرى ، « على أي حال ، سأعرف قريباً ، وعبرت إلى سيارة  
صغيرة بجوار الطوار وفتحت الباب .

ركبت مس جيني عربتها وصعد سيمون وجمع الأعة في يده ، ثم  
هتف بها والعربة تتحرك ، « دعيني أعرف عندما يبلغك شيء ، تعالى  
إلينا وخذي زهورا عندما تريدين ، .

« شكراً لك . وداعا ،

« سيمون هيا ، وتحركت العربة مرة أخرى ، ومرة أخرى حبس  
سيمون أخباره حتى أصبح خارج البلدة .

قال بأسلوبه السابق في الحديث ، « مستر بايارد عاد إلى البلدة ،

فسأله مس جيني على الفور « أين هو ؟ ،

وأجابها سيمون : « لم يأت بعد إلى البيت . أظنه ذهب إلى المقابر ،

فصاحت مس جيني . « هراء . ما من سارتورس يذهب إلى المقابر  
لأمرة واحدة . هل يعلم السكولونيل أنه عاد إلى البلدة ؟ ،

« نعم ياسيدتي . أنا أخبرته . ولكنه يتصرف وكأنه لا يصدق أنني  
قلت له الحقيقة ،

- أنت تعنى أنه مامن شخص رآه إلا أنت ؟

فأنكر سيمون فى الحال قائلاً ، « ولا أنا أيضاً رأيته . سكسيون رآه  
يقفز من القطار وأخبرنى ، ..

فانفجرت مس جينى صائحة ، « أنت أيها الأسود الغبي الملعون ! أنت  
ذهبت وقلت شيئاً غيبياً كهذا لبايارد ؟ إلا تستطيع أن تتصرف بحكمة  
أكثر بما تفعل ؟ ، ..

قال سيمون مكرراً بعناد ، « سكسيون رآه . أظنه يستطيع أن يتعرف  
على مستر بايارد عندما يراه ، ..

- حسناً ، أين هو إذن ؟

قال مرجحاً ، « ربما يكون قد ذهب إلى المقابر ،

- و امض ، ..

وجدت مس جينى ابن أخيها مع كلبى الصيد فى مكتبه . كانت الغرفة  
محاطة بخزان من الكتب التى تحتوى صفوفاً من كتب القانون الثقيلة المغلفة  
بجلد العجول السنجابى اللون وكانت تبعث من حولها جواً من القدم والتأمل  
الهادئ المتصل ، وأخلطاً من الروايات من المدرسة التاريخية الرومانسية  
( كل مؤلفات دوماس كانت هناك ، والمجلدات التى ترد منها بانتظام تكون  
كل ما يقرأه بايارد ، ويوجد مجلد منها دائماً على المائدة الصغيرة بجوار  
فراشه ) وبمجموعة من الأشياء بلا تمييز - لفافات صغيرة تحوى بذوراً ومهاميز  
عتيقة صدئة ، وشكائم ، وعقد معدنية لسروج الخيل ، وكتيبات عن أمراض  
الحيوان والخضر ، وأوان مزخرفة لحفظ الطبايق أهداها إليه الناس فى مناسبات  
مختلفة وفى أعياده السنوية ولم يستعملها قط ، وقطع غامضة من الصخور ،  
وجذور مجففة ، وسنابل قمح جمعت كل فى وقتها ولأسباب غابت كلها منذ زمن  
طويل من ذاكرته ومع ذلك فقد احتفظ بها ، واحتوت أيضاً الغرفة صواناً



هائلا . بياب أغلق بقفل ومنضدة كبيرة تنثر عليها مزيد من الأشياء العرضية ، ومكتب بحصيرة مغلقة أيضاً بقفل ( المفاتيح والأقفال كانت بالنسبة إليه فكرة ثابتة مسيطرة ) وأريكة ، وثلاثة مقاعد كبيرة مكسوة بالجلد . كان يطلق دائماً على هذه الحجرة كلمة المكتب .

أما بايارد ، فقد كان جالساً وقبعته على رأسه ، وفدماه في خذائي الركوب . كان ينقل ويسكى البوربون من برميل مستدير صغير إلى دورق ذي غطاء فضي ، والسكبان يرقبانه بوقار مهيب .

كان أحد السكبين عجوزا جدا ، ويكاد أن يكون أعمى . كان يقضي معظم اليوم مستلقيا في نور الشمس في الفناء الخلفي ، أو في العتمة الرطبة المتربة وراء المطهى في أيام الصيف القاتظة ، فإذا تقدم النهار وأوشك العصر أن ينتصف ، دار حول البيت وذهب إلى الفناء الأمامي حيث ينتظر بهدوء ووقار ، حتى تأتي العربية من الممر ، وعندما ينزل بايارد ويدخل البيت ويعود إلى الفناء الداخلي حيث ينتظر مرة أخرى ، حتى يحضر ليزوم الفرس ، ويخرج بايارد ويركب ، ثم يقضيان معاً الأصيل ، وهما يتجولان بهدوء ودون عجلة بين المروج والحقول والغابات في تحولاتها الموسمية ، الرجل على حصانه ، وكلب الصيد المرقط الجاد بجواره . ومساء حياتهما الزاحف ، يقترب من ختامه الهادي . على الأرض الحنون التي أرضعتهما لبانها معاً .

لم يكن السكاب الصغير قد بلغ العامين بعد ، كان دمه أسرع من أن يحتمل رصانة مجتمعهما طويلا ورغم أنه كان يخرج معهما بين الحين والحين ، أو يأتي جاريا من مكان ما ، وقد تنثر الماء عليه وأخذته الشوق ليلحق بهم وهم في منتصف الطريق ، فإنه لم يكن ينتظر معهما طويلا ، فما أسرع ما يندفع مبتعدا ، ولسانه مدلى من فمه ، وریش ذيله الدقيق متوتر ، باحثا عن الروائح المغرية المثيرة للجنون التي أحاطته بها الدنيا وأخذت نوسوس بها له من كل من دغل وغابة وفج عميق .

كان حذاءا بايارد مبللين حتى القمة والتصقت طبقة من الوحل بينهما  
وقد انحنى باهتمام واستغراق تام على برميله ودورقه ، والكلبان يرقبانه  
بشغف وقور . كان البرميل مرفوعا على مقعد ثان ، وكان يسحب الخمر  
البنية اللون الفاخرة بحذر إلى الدورق عن طريق أنبوبة من المطاط ثم  
دخلت مس جيني ، وقبعتهما السوداء مازالت مستقرة فوق قمة رأسها  
البيضاء الأنيقة بالضبط ، ونظر الكلبان إليها ، الأكبر بكرامة وقورة ،  
والأصغر بسرعة أكبر وهو يضرب ذيله بالأرض بحياء وتملق . ولكن  
بايارد لم يرفع رأسه . وأغلقت مس جيني الباب ، ونظرت ببرود إلى  
حذاءيه .

قالت ، « قدمك مبتلتان » ، ومع ذلك لم ينظر إليها ، ولكنه ثبت  
الأنبوبة بعناية في عنق الدورق ، بينما أخذ السائل يرتفع فيه ، لقد كان  
صممه متكأ راحة له أحيانا ، وربما كان يدعى الصمم بنية الراحة .  
ولكن من الذي يستطيع أن يعرف بالضبط ؟ قالت مس جيني آمرة ،  
وبصوت مرتفع : « اصعد إلى الطابق العلوى واخلع هذا الحذاء .  
سأملأ الدورق ، . . »

ولكنه ظل هادئا رابط الجأش وهو قابع في برج صممه المسور  
الهادئ حتى امتلأ الدورق ، ثم ضغط على الأنبوب بإصبعه ورفع ،  
وصفاه في البرميل . ولم يتحرك الكلب الأكبر أثناء ذلك ، ولكن  
الأصغر تقهقر وراء بايارد ، حيث استلقى دون حراك ويبقطة تامة ،  
ورأسه على قدميه الأماميتين المعقودتين ، ومضى يرقب مس جيني بعين ناعمة  
لأن طرف . سحب بايارد الأنبوب من البرميل ، ونظر إليها للمرة الأولى  
وقال « ماذا قلت ؟ » .

ولكن مس جيني عادت إلى الباب وفتحته وصاحت في الهو ، فأثارت  
استجابة مزعجة من المطبخ ، لحق بها في الحال سيمون شخصيا . فقالت له  
وهي تشير بيدها « اصعد إلى الطابق العلوى وأحضر خنك الكولونيل » .  
وعادت إلى الغرفة ولكن لا بايارد ولا البرميل كانا ظاهرين للعيان ،

ولكن من باب المقصورة المفتوح برزت مؤخرة الكلب الصغير ، وقد أثير اهتمامها فتتحرك ذيلها البارومتري حركة شديدة ، ثم دفع بايارد بحذائه الكلب خارج المقصورة ، وخرج هو نفسه ، وأغلق الباب من ورائه .  
سأل ، ، ألم يعد سيمون بعد ؟ ،

أجابته قائلة ، ، سيأتي الآن . لقد ناديتك اللحظة . اجلس واخلع هذا الحذاء المبلل ، وفي هذه اللحظة دخل سيمون بالخفين ، وأطاع بايارد وجلس وركع سيمون وخلع الحذاءين تحت عيني مس جيني المدققتين ، ثم سألت ، ، هل جواربه جافة ؟ ،

أجاب سيمون ، ، نعم سيدتي . ليست مبللة ؟ ، ولكنها انجحت وتحسستها بنفسها . قال بايارد بغضب : كفى ، ولكن مس جيني أجرت يدها برباطة جأش عنيفة فوق ساقيه معا .

قالت عبر جدار صممه الصاعد إلى أعلى بلا نهاية ، ، إنها ليست غاطته إذا كانت غير جافة ، ثم يتحتم عليك أنت ، أن تأتي إليه بقصتك الغبية ، ،

قال سيمون بعناد مرة أخرى : سكسيون رآه ، ثم دفع الخفين في قدمي بايارد ، ، أنا لم أقل أبدا إنني رأيته ، ثم وقف ومشى وكفاه على نؤذيه .

وقف بايارد ووضع قدميه في الخفين وقال : سيمون ، احضر معدات الشراب ، ثم قال لعمته بلهجة حارل أن يجعلها عرضية ، سيمون يقول إن بايارد نزل من القطار أصيل اليوم ، ، ولكن مس جيني كانت تصبح مرة أخرى في سيمون كالعاصفة .

، عد إلى هنا وخذ هذا الحذاء ، وضعه وراء الموقد ، وعاد سيمون ، ومال بسرعة إلى الحذاء وأخذه . واستطردت تقول : وخذ هذين الكلبين من هنا ، أيضا ، شكراً لله إنه لم يدر بخلده أن يحضر معه حصانه ، وعلى الفور هم الكلب العجوز واقفا ، ولحقت به رشاقة الأصغر الحية ،

وخرج بنفس التروى الظاهري ، الذي يستجيب به بايارد وسيمون لصرامة مس جيني الغنيمة .

قال بايارد مرة أخرى ، « سيمون يقول ... »  
صاحت مس جيني ، « هراء ما يقوله سيمون . هل عشت مع سيمون ستين عاما دون أن تتعلم أنه لا يعرف الحقيقة عندما يراها ؟ »  
ومضت مس جيني وراء سيمون من الغرفة ، وتبعته إلى المطبخ ، حيث كانت ابنة سيمون الطويلة الصفراء منحنية على منضدة عجن ، وملا سيمون إناء زجاجياً بالماء وشطائر الليمون ، ووضع مع إناء به سكر وكوبين زجاجيين طويلين على صينية ، وقفت مس جيني بالباب ، وجعدت ما تبقى من شعر سيمون المفلفل ، في عقد أشد ضيقاً مما هي عليه .  
كانت تتميز دائماً بسيطرة رائعة على اللغة ، ولكن إذا ما أثرت أعصابها ، فإنها تخلق دون مجهود إلى ارتفاعات سامقة . كان أسلوبها وضوحاً قوياً ، وبساطة ملونة ، وجرأة على استخدام الاستعارة والمجاز يحسدها عليها ديموستين لو استطاع ، وتفهمها حتى البغال ، وعن مرامها لا يبقى أشد الناس غباء في الشك طويلاً ، ومن تحت سقط رأس سيمون وتبدد تظاهره الدقيق بالانشغال التام وتساقط من عليه وكأنه ريش ، حتى أمسك الصينية ، وغطس من الغرفة وصوت مس جيني يتعقبه لينقض عليه بسهولة بإدراك كاسح تضمن تحذيراً ، وتوجيها لسلوك سيمون والنورا في المستقبل وسلوك سلا الواقعية والفرضية لعدة أعوام قادمة .

قالت مختمة : « وفي المرة القادمة ، أنت أو أي سكيون يعمل في المزرعة ، أو سانس خيل أو خادم في البيت يرى أو يسمع أي شيء يعتقد أنه سيكون محل اهتمام السكولونيل ، عليكم أن تقواوه لي أولاً . وسأقوم أنا بروايته عليه بعد ذلك ، ثم ألق على النورا نظرة أخرى وحشية وذلك تطفيفاً للكيل ، وعادت إلى المكتب ، حيث كان ابن أخيها يقلب الماء والسكر بعناية في الكوبين .

كان سيمون يقوم بواجبه الرسمي كساق ، وهو مرتد سترة بيضاء ،  
وقد تقول في وصفها إنها كانت بصفين من الأزرار النحاسية . إلا أنها  
لم تكن من النحاس ، ولكن من الفضة . الفضة التي بلغت حداً من الرقة والطلاوة  
أن البعض من الملاحق قد تأكلت حيث أمسكت بها أصابع الأجيال المتعاقبة  
حتى أصبحت في مثل رقة الورق ، وهي الفضة التي دفنها جوني ، جد  
سيمون ، مرة ، تحت أرضية الجرن النوشادرية ، بينما كان سيمون - وكانت سنه حينئذ  
ثلاث سنوات وفي ثوب مفرد قدر ، ينظر باهتمام الطفل العميق إلى اللعبة الغريبة .  
وقد تعلق به - رغم كل شيء - رائحة حرقته الأولى الكريهة ، حتى  
عندما كان ينظف ويزين للكنيسة ، ويرتدي سترة فضفاضة من طراز الملك  
ألبرت نبذها بايارد . وفي كل مرة كان يدخل فيها غرفة المائدة بالأطباق  
كان يحضرها معه ، وفي الأوضاع المسترخية التي كان يتخذها بجوار الصوان  
الجانبى وهو يجيب أسئلة مس جيني المباحثة أو عندما يتابع بقايا حديث  
دار بينه وبين بايارد في أثناء اليوم ، كان يبتها ، وبعد خروجه كان يترك  
دائماً من ورائه رائحة الاسطبلات الخافتة . أما الليلة فقد أحضر الأطباق  
ووضعها ثم انحدر على الفور عائداً إلى المطبخ . لقد أدرك سيمون أنه قد تسكلم  
مرة أخرى أكثر مما ينبغي .

وضعت مس جيني شالاً من الصوف الأبيض حول كتفها لتحتمي من  
برودة المساء ، وكانت تقوم بالحديث ، مغرقة نفسها وابن أخيها في فيض  
من التفاهات . كلمات تافهة وأعمال تافهة ، وما يدور على الألسن - وهو  
سلوك غير معهود في مس جيني . كانت لها أرائها ، وطريقة لاذعة مرحة  
بشكل شرس في إعلانها ، إلا أنه كان من النادر جداً أن تنزل إلى مستوى  
الغيبة ، وفي أثناء ذلك كان بايارد قد أغلق على نفسه برج صممه المشور ، ورفع  
المعبر ، وأنزل البوابة الحديدية ، ومن ثم لم يكن في استطاعتك أبداً أن تعرف  
إن كان قد سمعك أم لا ، بينما مضت ذاته البشرية تأكل طعام العشاء بانتظام ،  
ثم انتهيا من الطعام ، ودقت مس جيني الجرس الفضى القريب من يدها ،  
وقفتح سيمون الباب الجانبى واستقبل مرة أخرى برود استيائها الشامل ،

فأغلق الباب ، وجلس وراءه حتى غادرا الغرفة

أشعل بايارد سيجاره في مكتبه ، وتبعته مس جيني إلى هناك ، وجرت مقعدها إلى المائدة تحت المصباح ، وقتحت جريدة ممفيس اليومية . وكانت تستمتع بالإنسانية في صورها الأكثر تلوناً ، مفضلة القصص المفرقة في الخيال والحيوية على أشد الحقائق المعتمدة دقة ، ولذا اشتركت في جريدة المساء الأكثر إثارة رغم أنها تصبح جريدة الأمن عند وصولها إليها ، وكانت تقرأ بشراهة غير مكترثة وعلى مهل . تفاصيل جرائم إشعال النار والقتل والفسق والعنف والزنا . وقد زودتها الحياة الأمريكية بعد ذلك بشكل جديد من التسلية في صورة حروب مهربي الخمر ، إلا أن هذا لم يكن موعده قد حان بعد وقد جلس ابن أخيها وراء دائرة ضوء المصباح الناعمة . وقد استندت قدماءه إلى ركن المدفأة ، حيث أبلى الطلاب من عليه منذ زمن بعيد ، أبلاه نعلا حذاءه ، ونعلا خذاء جون سارتورس من قبله . ومضى ينفخ أنفاس سيجاره ، ولم يكن يقرأ ، وكانت مس جيني تلتقي عليه نظرة من الحين والحين ، من فوق نظارتها وعبر جريدتها . ثم تستأنف القراءة من جديد ولم يكن ثمة صوت في الغرفة عدا طقطقة الجريدة بين الحين والحين .

وبعد وقت قصير هم واقفاً بحركة مفاجئة مندفعة تميز بها ، وراقبته وهو يعبر الغرفة ، ويخرج من الباب ويصفقه من خلفه ، ثم مضت تقرأ لحظات أخرى ، ولكن اهتمامها كان قد مضى يتابع وقع أقدامه الثقيلة في الردهة ، وعندما غاض الصوت ، نهضت ، ووضعت جريدتها جانباً ، ومضت وراءه إلى الباب الأمامي .

كان القمر قد صعد من وراء جدار التلال الشرقية الأسود ، واستلقى هادئاً فوق الوادي ومضى يصعد - وكأنه بالون أطفال - من وراء أشجار البلوط والخروب الممتدة على طول الممر الخاص . وقد جلس بايارد في الشرفة في ضوء القمر وقدماءه مسندتان إلى حاجزها . وكان سيجاره يتوهج

في فترات منتظمة ، وتصاعد صرير منتظم رفيع من الجداجد السكامة في الحشائش القريبة ، ومن بعد أكبر ، ومن خلال الأشجار ، جاء أيضا صوت الضفادع الصغيرة ، كأنه صغير جان ، كأنه فقاعات فضية صغيرة تصعد أبداً . . . وطففت رائحة خروب رقيقة ، لا منبع لها . وغير محسوسة ولا مدركة ، كأياف دخان الطبايق الغائضة ، ومن مؤخرة البيت ، عبر البهو المظلم طفا صوت النورا متقطعا متردداً هزيباً بلا معنى .

تحسست مس جيني طريقها في الظلام بالقرب من الباب ، ومن جوار المرآة حيث العتمة المثابتة أقل حدة ، أخذت قبعة بايارد من على المشجب ، وحماتها إليه ، ووضعتها في يده ، وهي تقول : لا تجلس هنا طويلاً . لم يأت الصيف بعد .

وزام بالفاظ لا يمكن تمييزها ، ولكنه ارتدى القبعة ، واستدارت مس جيني وعادت مرة أخرى إلى المكتب ، وانتهت من الجريدة ، وطبقتها ، ووضعتها على المنضدة . ثم أطفأت النور وصعدت الدرج المظلم إلى غرفتها ، وكان القمر يلعب من فوق الأشجار المرتفعة ، وينفذ من النوافذ الشرقية في حزم فضية عريضة ، وقبل أن تضيء النور مضت إلى الجدار الغربي وفتحت نافذة على الجداجد والضفادع وبيغاء في مكان ما ، كانت ثمة شجرة مانوليا خارج النافذة إلا أنها لم تكن قد أزهرت بعد ، ولا أيضا الياسمين البري ، المتسكائف على جدار الحديقة إلا أن هذا كله كان وشيك الحدوث . ومن مكانها كان في استطاعتها أن تشمل الحديقة بنظرتها ، وترى حشد الياسمين والبرتقال الكاذب والسوسن ناصع البياض حيث يضطجع القمر على نعاسها البرنزي الذي لم يزهر بعد ، وعلى بعض البراعم والأغصان المطعمة والمستحضرة من حدائق كارولينا البعيدة جداً التي عرفتها جيداً وهي فتاة .

ومن وراء الركن بالضبط ، ومن المطبخ المختفي ، تصاعد صوت النورا ناعماً ، صاعداً وهابطاً - كانت ترتل - كل الذين يتحدثون عن الجنة لن يذهبوا إليها ، ثم طلعت هي وسيمون إلى ضوء القمر وأخذوا الطريق إلى عشة سيمون وراء الجرن . لقد أشعل سيمون سيجاره أخيراً ، وتبعبته -

وهي تفيض - راتحته الفظيعة ولكن عندما ذهب . بدا وكأن الرائحة البشعة قد تلكأت داخل أصوات الجداجد والضفادع المعلقة في الهواء الفضى ، واختلطت ، واندجت بلا أمل في استخلاصها مع صوت النورا وهو يفيض . كل الناس الذين يتكلمون عن الجنة لن يذهبوا إليها .

كان سيجاره خامدا . وتحرك ، وأخرج ثقابا من صدره ، وأشعله من جديد . وأسند قدميه مرة أخرى إلى السور ، ومرة أخرى استلقت رائحة الطباقي الحادة المتراكمة على امتداد تيارات الهواء الفضى ، التي انعدمت منها الرياح . وهي تتبدد وتفيض ببطء مع أنفاس الخروب ، وترديد الجداجد والضفادع المسحور الذي لا ينقطع . كان ثمة بهاء في مكان ما من الوادى ، وبعد قليل شدت أخرى من شجرة المانوليا عند ركن سور الحديقة . ومرت سيارة في طريق الوادى المستوى ، وأبطأت عند تقاطع السكة الحديد ، ثم أسرع مرة أخرى . وقبل أن يفيض صوتها سبحت صفارة قطار التاسعة والنصف هابطة من فوق التلال .

صغيران طويلان ثم أصدااء غامضة ، ثم تبعها صغيران قصيران ولكن قبل أن يظهر القطار كان سيجاره باردا مرة أخرى ، وقد جلس وهو بين أصابعه ، يرقب القاطرة وهي تجر صف نوافذها الصفراء عبر الوادى إلى التلال مرة أخرى ، حيث صفرت بعد قليل أيضا ، متغطرة مجلجلة حزينة . لقد جلس جون سارتورس ، كذلك ، على هذه الشرفة يرقب قطاربه اليوميين وهما يزرغان من التلال ويعبران الوادى ثم يصعدان إلى التلال مرة أخرى بأضواء ودخان وضجيج يدعى السرعة ، أما الآن فقد أصبح خط السكة الحديد ملكا لاتحاد روس أموال ، ويجرى عليه أكثر من قطارين يسيران من بحيرة متشجان إلى خليج المكسيك ، فتحقق بذلك حلم جون سارتورس الذى كان الآن مضطجعا بين ملائكة الزواج المجنحة وفي المجد الكاذب للإله الذى لم يتنازل بالاعتراف به .

ثم أصبح سيجار بايارد العجوز خامدا مرة أخرى . جلس ، وسيجاره



ميت بين أصابعه ، يرقب شبحاً طويلاً وهو ينفذ من بين شجيرات الليلق المتكاثفة بجوار سور الحديقة ويعبر ضوء القمر المبرقش متجهاً نحو الشرفة ، لم يكن حفيده يرتدى قبعته ، وقد أقبل وارتقى الدرجات ، ووقف ، وقد جسم ضوء القمر ملامح وجهه شبيه الصقر تجسماً شديداً ، بينما ظل جده جالساً ينظر إليه ، وسيجاره الميت في يده .

قال بايارد العجوز ، « بايارد ، ولدي ، ؟ » . وظل بايارد الصغير واقفاً في ضوء القمر ، وكانت عيناه كهملين مظلمين .

قال أخيراً ، بوحشية مستغرقة عميقة ، « حاولت أن أمنعه من الصعود في بندقية الهواء الصغيرة الملعونة تلك » . ثم تحرك مرة أخرى ، وأنزل بايارد العجوز قدميه ، ولكن حفيده جر بهتف مقعداً إلى جواره ثم ألقي نفسه عليه .

سأله بايارد العجوز ، « بحق جهنم ، لم لم تخبرني أنك قادم ؟ ماذا تعني بمجيئك هكذا متخفياً ؟ »

قال بايارد الصغير ، « أنا لم أخبر أحداً ، ثم أخرج سيجارة من جيبه وأشعل ثقاباً من حدائه .

« ماذا ؟ »

قال وقد أحاط الثقاب المشتعل بكفه ورفع صوته ، « لم أخبر أي شخص بحضوري » .

« سيمون كان يعرف . هل تخبر الخدم السود عن تحركاتك بدلاً من جذك أنت نفسك ؟ »

صرخ بايارد الصغير ، « اللعنة على سيمون ياسيدي من الذي كلفه بمراقبتي ؟ » .

وصرخ بايارد العجوز بدوره « لاتصيح في وجعي يا ولد » .

ورمى حفيده الثقاب بعيداً ، وسحب أنفاساً مضطربة عميقة من  
السيجارة . ثم قال بايارد المعجوز برقة أكثر وهو يشعل ثقاباً لسيجاره  
« لا توقف جيني . أنت بخير أليس كذلك ؟ » .

قال بايار الصغير وهو يمد يده « هاته » . دعني أمسكه لك . ستشعل  
النار في شاربك ، ولكن بايارد المعجوز صده بعنف ، وسحب بعناد  
ودون جدوى من سيجاره ، والثقاب بين أصابعه المضطربة .

قال مرة أخرى ، « قلت ، هل أنت بخير ؟ » .

أجاب بايارد الصغير على الفور ، « لم لا ؟ يحتاج الأمر لأحق كبير ملعون  
لكي يصاب في الحرب ، كما هو الحال في وقت السلم . نعم . أحق ملعون .  
هذا هو الأمر . » ثم سحب أنفاساً من السيجارة ، مرة أخرى ، وقذفها  
بعيداً ، ولم يكن قد استهلك نصفها بعد إشعالها . « كان هناك أحدهم ، كان  
على أن أتربص به أربعة أيام لأصيده . كان على أن أغريه على الخروج  
إلى حيث كنت أتربص به » ، بطائرة قديمة كالصندرق وضعت فيها زميلي سلبى . لم  
أكن أرى أمامي إلا اللحم البارد ، وهو ، وجمجمته ، وعظامه . حسناً ، لقد  
نالها . لبثت فوقه ستة آلاف قدم ، وأفرغت حزاماً كاملاً من الطلقات  
في كايينته . كان في استطاعتك أن تغطيهم جميعاً بقبعتك . ولكن ابن  
الزنا رفض أن يحترق ، وعلا صوته مرة أخرى وهو يتحدث وسبح عطر  
أشجار الخروب في موجات عذبة ، وكان صوت الجداجد والضفادع صافياً  
رتيباً مثل زمامير ينفخها صبي أبله ناعس ، وأطل القمر من شرقته الفضية  
على الوادى الذى تهادى فى سلام ساحر الألوان إلى آفاق التلال الهادئة  
اللامتناهية المشحونة بالأسرار ، ومضى صوت بايارد الصغير ، يروى عن  
العنف والسرعة والموت .

قال بايارد المعجوز مرة أخرى ، « هش ، ستوقف جيني » . وانخفض  
صوت حفيده مطيعاً ، ولكن سرعان ما ارتفع مرة أخرى ، وبعد وقت

قصير برزت إليهما مس جيني بالشال الصوفى فوق ثوب نومها وجاءت  
وقبلته .

قالت ، ، أظنك بخير ، وإلا فلن تكون فى مثل هذا المزاج العكر .  
أخبرنا عن جوفى . .

رد بإيارد الصغير بشدة . كان مخوراً ، أو أحرق . حاولت أن أمنعه  
من التحليق هناك على تلك ، الكامل ، الملعونة . لم يكن باستطاعتك أن  
ترى يدك فى هذا الصباح . والهواء كله مملوء بكتمل من السحاب ،  
وكان فى استطاعة أى أحق أن يعرف أنه على الجانب الآخر ، سيكون  
الجو مملوءاً بطائرات الموكر التى تستطيع التحليق على ارتفاع خمسة وعشرين  
ألفاً ، وهو فى طائرة ، كامل ، ملعونه إلا أنه كان مصراً كالشيطان  
على التحليق هناك بالقرب من ليل الملعونة . لم أستطع أن أمنعه . أطلق  
على الرصاص . ، وقال بإيارد الصغير ، حاولت أن أردّه ولكنه أطلق  
النار ، كان فعلاً على الارتفاع الذى يستطيع أن يبلغه ، ولكنهم كانوا -  
ولا بد - فوقنا بخمسة آلاف قدم طاروا كلهم فوقه . وطارده من كل  
جانب وكأنه عجل ملعون محبوس فى حظيرة . وبينما استقر أحدهم على  
ذيله ، وظل كذلك حتى أمسكت به النار وقفز . ثم مضوا واندأ إثار  
الآخر إلى مطاراتهم . ، ومضى عطر الخروب يسبح على متن الهواء  
الساكن وخير الصفادع الفضى . وعلى المانوليا فى ركن البيت غنت بيغاة  
ورددت غناها أخرى فى الوادى .

قال بإيارد الصغير ، ، انحدر عائداً إلى مطاره مع بقية عصابته . هو  
وجمعيته وعظامه . كان بلويختر . كان من أحسن من لديهم تلميذ . رشتهم وفن .  
وفى هذه اللحظة كان صوته هادئاً ، لا يضطرب بالكبرياء الجريئة .

قالت مس جيني وهى تمضى بكفها على شعره ، ، حسناً . هذا شيء .  
ومضى بإيارد الصغير فى تأملاته لحظة ، ثم انفجر مرة أخرى قائلاً ، حاولت

أن أمنعه من التحليق في بندقية الهواء الملعونة تلك .

قالت مس جيني : وماذا كنت تتوقع منه بالطريقة التي أنشأته عليها أنت الأكبر . . . أنت كنت في المقابر ، أليس كذلك ؟ ؟ .

قال بهدوء : نعم ياسيديتي .

سأل بايارد العجوز : ما هذا ؟ .

قالت بحدة وحزم : ذلك العجوز اللاحق سيمون قال إنك كنت هناك . . هيا تعال وتناول عشاءك ودخلت حياته من جديد دون أن تستأذن منه ، والتقطت خيوطها المقطوعة بطريقتها العنيفة القادرة ، فأطاعها ووقف .

قال بايارد العجوز مرة أخرى : ما هذا ؟ .

: وأنت أيضاً ، قم وادخل ، واكتسحته هو الآخر إلى مدار إرادتها ، بالطريقة التي تلتقط بها قطعة من ثياب من على المقعد وأنت مار به . وقالت : كان عليك أن تكون في الفراش في هذا الوقت المتأخر ، . وتبعها إلى المطبخ وظلا واقفين ، بينما ذهبت هي إلى المبرد ووضعت الطعام على المائدة ، ودورق لبن وجرت مقعداً .

قال بايارد العجوز مقترحاً ، : جيني أعدى له شراباً ، وعلى الفور رفضت مس جيني الاقتراح .

: اللب هو ما يحتاج إليه . أحسبه قد تحتم عليه أن يشرب من الويسكي خلال تلك الحرب ما يكفيه إلى حين ، اعتاد بايارد ألا يعود إلى البيت قط ، دون أن يتمنى أن يصعد درجات البيت الأمامية على حصانه ويدخله راكباً ، وسأقت بايارد العجوز بحزم خارج المطبخ وإلى الدرج ورأت بابه يفتح ، ثم دخلت غرفة بايارد الصغير وأعدت فراشه وبعد هنية سمعته من غرفتها وهو يصعد الدرج .

كان القمر قد أضاء بمكر غرفته ، ودون أن يشعل النور ، ذهب

وجلس على الفراش . أما خارج النوافذ فقد كانت الجداجد والضفادع لا أول لها ولا آخر ، وكأن أشعة القمر كانت زجاجاً رقيقاً يتصادم بين الأشجار والشجيرات ويتحطم متساقطاً على الأرض في مطر موسيقى حاد النغم ، ومن فوق هذا وفي صوت عميق ، كأنه دق الدفوف ، تصاعدت أنفاس المضخة منتظمة ، بطيئة ، من المحطة الكهربائية وراء الجرن . وقد أخرج سيجارة أخرى من جيبه وأشاعها . ولكنه لم يأخذ منها إلا نفسين ثم قذفها بعيداً ، ثم جلس في سكون الغرفة التي تقاسمها مع جون ، في عتف صباهما الذكرى وعلى الفراش حيث اضطجع هو وزوجته ليلة رحيله ، الليلة التي سبقت عودته إلى إنجلترا ، ومنها إلى الجبهة مرة أخرى ، حيث كان جون بالفعل . وبجواره على الوسادة كتم الظلام دوامات شعرها البرنزية الوحشية واستلقت بجواره وهي تقبض على ذراعه بيديها معاً ، وتضمها إلى صدرها ، بينما أخذنا - آخر الأمر - في حديث هادئ .  
رصدنا .

ولكنه لم يكن يفكر فيها حينئذ . عندما تذكرها ، من اضطجعت بجواره في الظلام دون حراك ، وقد قبضت على ذراعه بشدة وضمتها إلى صدرها ، فلم يكن ذلك إلا ليفيض به شعور وحشي بالخجل من الشيء الذي ارتكبه في حقها ، كان يفكر في أخيه الذي لم يره عاماً بأكله وقد كان يتصور أنهما سيلتقيان خلال شهر .

ولم يكن يفكر فيها أيضاً الآن ، رغم أن الجدران قد أمسكت - كما يمسك الإناء بزهور ذابلة - بأثر من الفوضى السحرية التي عاشا فيها شهرين ، كانت عميقة ووقتيّة كتفتح زهرة ياسمين ، وحادة كرائحة النعناع ، كان يفكر في أخيه الميت ، وروح أيامهما الأخيرة العنيفة تستقر كالتراب في كل مكان من الغرفة ، طامسة ذلك الوجود الآخر ، قابضة على أنفاسه .

وذهب إلى النافذة ، وقذف حصيرتها إلى أعلى ، فاصطدمت بالعارضة بصوت عنيف ، واتسكأ عليها ، وهو يأخذ الهواء إلى رثتيه في دفعات هائلة سريعة ، وكأنه رجل أغرقته المياه ، ولم يستطع بعد أن يصدق أنه قد عاد إلى السطح مرة أخرى .

وبعد ذلك ، وقد نام عاريا بين الأغطية أيقظه أذنه العميق . حينئذ كانت الغرفة ممتلئة بضوء رمادي ، قارس بلا منبع ، وأدار رأسه ورأى مس جيني ، والشارال الصوفي حول كتفها ، كانت جالسة على المقعد بجوار الفراش . قال : « ما الأمر ؟ »

فأجابته مس جيني ، « هذا ما أريد أن أعرفه . أنت تحدث من الضجيج أكثر مما تفعل مضخة الماء تلك ، .  
« أريد شرابا ، .

انحنى مس جيني والتقطت كوباً من الأرض بجوارها ونهض بإيارد واستند إلى منكبها وأخذ الكوب وتوقفت يده قبل أن يصل الكوب إلى شفتيه ، قال ، وهو محدودب فوق منكبها والكوب تحت فمه .  
« بحق جهنم . أنا قلت شرابا ، .

قالت مس جيني « اشرب يا ولد هذا اللبن . أتظنني أقضي الليل ساهرة فقط لأسفك ويسكى ... اشربه ، .

أطاعها وأفرغ الكوب في جوفه واستلقى على ظهره . ووضعت مس جيني الكوب على الأرض .

« ما الساعة الآن ؟ »

قالت وقد وضعت يدها على جبينه ، « نم الآن ، .

أدار رأسه على الوسادة ، ولكنه لم يستطع أن يتحاشى يدها .

قال « اذهبي . . دعيني وحدي ، .

وقالت مس جيني « صه ا . . . نم الآن ، .

## الجزء الثاني





قال سيمون : أنت لم تزرعى أبداً أى نبات حيث ينبغي أن يزرع .  
وجلس على الدرجة السفلى يشحذ نصل فأس بمبرد ، وقد وقفت مس  
جيني مع ضيفتها على حافة الشرقة ، وكانت ترتدى قبعة رجل لبادية  
وقفازات ثقيلة ، وكان يتدلى تحت خصرها مقص يومض في أشعة الشمس  
الباكرة

سأله . . . شأن من هذا ؟ شأنك أنت أم الكولونيل ؟ أيكما يستطيع  
أن يتسكع في هذا الغناء ، ويرشدني إلى المكان الذي ينمو فيه النبات  
أحسن نماء ، ويبدو في أجمل صورة . ولكن إذا كان أى منكما قد  
استتب من الأرض بنفسه حتى الآن ولو عشبة واحدة ، فأنا لم أرها ،  
أنا لا أضع قدمي في المكان السيء ، الذي يعتقد أيكما أنت أو الكولونيل أنه  
ينبغي أن تزرع فيه زهرة . أنا أزرع زهورى بالضبط تماماً ، حيث أريد  
لها أن تثبت . .

قال سيمون : . . وبعد ذلك تتحدثينها أن تجرؤ على عدم الخروج من  
باطن الأرض . هذه هي الطريقة التي تفلحين بها الحديقة ، أنت ولإيزوم .  
شكراً لله أن ليس عليه أن يكسب عيشه بهذا النوع من فلاحه البساتين  
الذي يتعله في هذا المكان . .

ومضى يبرد نصل الفأس ثم مد رأسه فجأة نحو ركن البيت .  
كان يرتدى قبعة مشينة من نسيج ما زال مجهول النوع منذ سنوات  
عدة . قبعة حدقت فيها مس جيني بازدياء وبرود ، قالت له : . . وإيزوم  
كسب عيشه بكونه ولد أسود . لم لاتسكف عن برد نصل هذا الفأس  
وتجرب إن كان في استطاعتك أن تتحدثي بعض هذه الحشائش في حوض  
السيلفيا أن تخرج من باطن الأرض؟ . .

قال سيمون : . . على أن أصنع سناً لمشط الخيل هذا . اذهبي أنت إلى

حديثك هناك . وسأقوم بتنظيف هذا الحوض ، ومضى يشغذ بانتظام  
نصل الفأس ، .

قالت مس جيني : لقد أنفقت في هذا وقتا يكفي لتدرك أنه ليس  
ممكنا أن تبلى هذا النصل بمبرد فقط حتى مقبضه . إنك لا تزال منكبا عليه  
منذ ساعة الإفطار . أنا سمعتك . اخرج إلى هناك حيث الناس يمرون  
فيحسبوا على أي حال أنك تعمل ، تأوه سيمون باكتئاب ، وقضى نصف  
دقيقة وهو يضع المبرد جانبا . وضعه على درجة ثم التقطه ونقله إلى درجة  
أخرى ثم وضعه على الدرجة التي وراءه ، ثم أجرى إبهامه على امتداد  
النصل مختبرا لمياه بأمل مبهتس .

قال : يجب أن يصلح الآن ، ولكن الأمر سيكون بالضبط كقطع  
الحشائش بمشط ، .

قالت مس جيني : جربه على أي حال . ربما تظنه الحشائش فأسا  
اذهب وامنعها فرصة لأن تفعل ، على أي حال ، .

فأجابها سيمون مشاكسا وهو يقف ويحجل مبتعدا . أنا ذاهب ، أنا  
ذاهب . اذهبي أنت واهتمي بحديثك هناك . سأعني أنا بهذه ، .

وهبطت مس جيني وضيقتها الدرج ، ومضت معا نحو ركن البيت .

وقالت مس جيني : لا أستطيع أن أتصور لماذا يفضل أن يجلس  
هنا ، ويعمل بمبرده في هذه الفأس الجديدة بدلا من أن يقتلع قبضة من  
أنصال الحشائش في حوض السيليفيا هناك ، .

ومضت تقول : ولكن هذا هو ما يريد أن يفعله ، أن يجلس هناك  
ويبرد هذه الفأس حتى تصبح وكأنها نصل منشار إذا سمحت له . منذ  
ثلاث سنوات أو أربع اشترى بيارد آلة لتقليم الحشائش والله يعلم لماذا ،  
ثم سلها إلى سيمون ، والذين صنعوها ضمنوها لمدة عام ، ولكنهم لم يكونوا

يعرفون سيمون . كثيرا ما تصورت وأنا أقرأ في الصحيفة في العام الماضي عن التدمير وغيره أى وقت تمتع كان سيمون سيقضيه في الحرب . كان في استطاعته أن يريهم صوراً من التخريب لم تدر فقط بخاطرهم ، ثم صاحت منادية : إيزوم ! ، ، .

دخلتا الحديقة ، وتوقفت مس جيني عند البوابة وصاحت : أنت ، إيزوم ! ، وفي هذه المرة كان ثمة رد ، ومضت مس جيني مع ضيفتها ، بينما قدم إيزوم من مكان ما متلكثا ، وشد البوابة من ورائه فانغلقت بالمزلاج .

نظرت مس جيني من فوق كتفها إلى الخلف ، وقالت : لم لم . . . ثم توقفت ونظرت إلى هيئة إيزوم العسكرية المفاجئة نظرة مدهوشة سريعة باردة . كان يرتدى حينئذ رداء عسكريا وشعارا لفرقة فوق كتفه ، وشريط خدمة حائل اللون فوق كفه ، وقد برز عنقه الرفيع ذو الستة عشر عاما من الياقة المتهدلة الأوسع من مقاسه كثيرا وبان من تحت الكم جزء كبير يدعو للدهشة من رسغه وانحشر السروال مستينسا داخل لفافات القلشين ، غير المتقنة ، التي - وقد يكون هذا بحاسة رفيعة للفريد والفذ أو بتجاهل لطيف للتقليد العسكري - كان قد قام بطيها قبل ارتداء خذائه . وهبطت قبعة ماوراء البحار الملوثة بأسف فوق رأسه المستديرة .

« من أين حصلت على هذه الملابس ؟ ، ولمعت أشعة الشمس على مقص مس جيني . أما مس بينبو ، في ثوبها الأبيض وقبعتها الخوصية الرقيقة ، فقد استدارت أيضا ونظرت إليه نظرة غريبة .

أجاب إيزوم : إنها ملابس كازبي . استعرتها منه فقط ، ، .

قالت جيني : كازبي ؟ هل عاد ؟ ، ، .

قال : نعم ، سيدتى ، عاد ليلة أمس في قطار التاسعة والنصف ، ، .

- « ليلة الأمس ؟ حقا ؟ أين هو الآن ؟ نائم على ما أظن ، » .

- « نعم ، سيدتى ، هذا ما كان عليه عندما غادرت البيت ، » .

قالت مس جينى بطريقة لاذعة : « وهذا بين ، على ما أظن ، كيف استعرت ملابسك الرسمية ، حسنا ، فليتم هذا الصباح ، أعطه يوما ليفيق من آثار الحرب ، ولكن إذا كانت الحرب قد صنعت منه أحق ، كما فعلت مع بايارد ، فالأفضل له أن يرتدى هذا الشيء مرة أخرى ، ويعود إليها . وأنا أعلن ، أن الرجال لا يستطيعون ، على ما يبدو أن يصمدوا لأى شيء ، ومضت والضيقة في ثوبها الأبيض البسيط تتبعها . قالت مس جينى : « أنت بالغة القسوة على الرجال وليس لك ثمة زوج تشغلين به فضلا عن أنك تقدرين كل الرجال بمقياس رجالك من آل سارتورس ، » .

وتبرأت مس جينى منهم على الفور وقالت : « ليسوا برجالى ، أنا ورتهم فقط وأنت ماعليك إلا أن تنتظري ، سيكون لك قريبا رجل من أهلك تشغلين به ، عليك أن تنتظري فقط حتى يعود هوراس إلى البيت وسترين كم سيطول به الوقت حتى يفيق منها ، ثم قالت مرة أخرى : « الرجال لا يستطيعون الصمود لأى شيء ، لا يستطيعون حتى احتمال التسكع كشياطين جهنم ، بلا هم ولا مسئولية ، وبلا حد للدناءات التي يستطيعون أن يفكروا فيها ويرغبون في ارتكابها . هل تظنين أن في استطاعة رجل أن يقعد يوما بعد يوم ، وشهرا إثر شهر في بيت على بعد أميال من العمار ، قاضيا وقته بين قوائم الخسائر وهو يمزق أغطية الفراش ويستأثر النوافذ ومفارش الموائد ليصنع منها ضمادات وهو يرى السكر والدقيق واللحم تنافس ويستخدم براعم الصنوبر للإضاءة ، لأنه لا يوجد شمع ولا شمعدانات لوضع الشمع فيها إن كان منه شيء ، ويختبئ في أكواخ الزوج بينما يشعل جنرالات اليانكي السكرى النار في البيت الذي بناه جد جد جدك ، وأنت وكل أهلك ولدتهم فيه ؟ لا تتحدثى إلى عن رجال يتعذبون في الحرب ، » .

وقطفت مس جيني لسان العصفور بوحشية ومضت تقول : انتظري  
أنت فقط حتى يعود هوراس ، حينئذ سترين ، مجرد عنر طيب لهم ،  
ليجعلوا من أنفسهم أشياء مزعجة وليعطلوا كل شيء . بينما تحاول النساء  
أن ينظمن الفوضى التي تركوها وراءهم بحربهم . جون على الأقل ، توافر  
له الكرم والطيبة فبعد أن ذهب وزج بنفسه فيما ليس له به شأن لم يعد  
ليزعج كل شخص إلى حد الذهول . ولكن - الآن وقد عاد بايارد في  
وسطها وترك لكل شخص أن يتصور أنه قد استقر أخيرا ، ذهب ليقوم  
بالتعليم في مدرسة مافيس للطيران تلك ، ثم تزوج تلك الفتاة الحقا .

- مس جيني -

- حسنا أنا لا أعني هذا ، إلا أنه كان ينبغي أن تضرب بشدة . أنا  
أعرف هذا . ألم أفعل أنا نفس الشيء . لقد كان السبب هو ذلك البرع الذي  
ارتداه بايارد . تكلمى عن رجال يفريهم رداء عسكري ! ثم بترت لسان  
العصفور جرونى إلى هناك ، إلى حفل الزفاف ، وانتهى ، في كنيسة  
ملوءة بالسيوف المستأجرة والبعض من تلاميذ بايارد الذين حاولوا  
أن يلقوا عليهما ورودا وهما خارجان . وأنا أعتقد أن البعض منهم  
لم يكن من تلاميذه ، لأن واحدا منهم ، فعلا ألقى ، في النهاية ملء يده  
منها ، فأخطأت كل شيء وسقطت في الشارع ، وقطفت لسان العصفور بوحشية ،  
تناوات معهم طعام العشاء ذات ليلة . جلست في الفندق ساعة حتى تذكر أن يأتيا  
إلى . ثم توقفنا عند متجر لبيع الحلوى وخرج بايارد وكارولين ودخلا وعادا بما  
يقرب من القطار من اللقافات . ألقيا بها في السيارة ، حيث سال منها  
الدهن على جواربي الجديدة . كان ذلك هو العشاء الذي دعيت إليه ،  
واعلى ، لم يكن في البيت كله أثر لأي شيء يبدو عليه أو يشتم منه رائحة  
موقد . لم أعرض عليهما أن أساعدهما قلت لكارولين إنني لا أعرف

شيئاً عن هذا النوع من التدبير المنزلى . لأن أهل كانوا من طراز قديم إلى درجة أنهم كانوا يطهون الطعام ، .

ثم جاء الآخرون — بعض من أصدقاء بايارد العسكريين — وقطيع من زوجات الآخرين على حد ما فهمت . نسوة صغيرات كان ينبغي أن يكن في البيوت يعنين بطعام العشاء . كن يثرثن ويصرخن بهذه الطريقة الحقاء التي تصطنعها النسوة الصغيرات المتزوجات عندما يفعلن شيئاً ، يأملن ألا يرضى عنه أزواجهن . كانوا جميعاً يخرجون الزجاجات من لفائفها — حوالى دسيتين على ما أظن . ثم جاء بايارد وكارولين بأدوات المائدة الفضية التي أعطيتها لهما ، والفوط المطرز عليها أسماؤهما وعلف هذا الحلواني الذي يشبه مذاقه عشب المستنقعات في أطباق من الورق . أكلناه هناك ونحن جلوس على الأرض ، أو واقفون ، أحياناً كنت في تلك اللحظة ، .

كانت هذه هي فكرة كارولين عن التدبير المنزلى ، قالت إنها سيستقران عندما تتقدم بهما السن ، إذا انتهت الحرب عندئذ . في حوالى الخامسة والثلاثين . أظنها عنت هذا . رفيعة كقضيبي . لم يكن يوجد فيها الكثير لتضرب عليه . إلا أنه كان ينبغي مع ذلك أن تضرب . وبمجرد أن عرفت عن الطفل أسمته قبل أن يولد بتسعة أشهر . وأخبرت كل شخص عنه . . اعتادت أن تتكلم عنه وكأنه جدّها أو شيء من هذا القليل . ودائماً تقول بايارد لن يسمح لي أن أعمل هذا أو ذاك أو غيره ، .

ومضت مس جيني تقطف لسان العصفور والضيقة بجوارها تبدو طويلة في نوبها الأبيض وبرزت بساطة البيت الجميلة الهائلة من بين الأشجار المتكاثفة واستلقت الحديقة في ضوء الشمس مزهوة بأزهارها المفتحة ، فواحة بالمطر ، زاخرة بطنين النحل الوسنان — صوت ذهبي رتيب ،

كأنه ضوء الشمس وقد أصبح مسموعاً .. كل الحجاب غير المحسوس  
للمباشر والمعتاد .. ومن ورائه بالضبط فتاة بدوامة برنزية من الشهر ،  
وجسم صغير لبن ، في حركة لا أنثوية غير متوقفة ، كأنها تجسم دينامي  
لأحد الأشكال عديمة الجنس المنحوتة ، وقد التقطت في لحظات العمل وهي  
تناضل كأنها تنظم ميكانيكي كل عضو من أعضائه يجب أن يتحرك في أداء  
أقل الحركات شأناً ويداهما المتوحشتان من وراء الحجاب غير المحسوس وإن  
كان كافياً ، لا توجهان اتهاماً بل تتدفقان بالعاطفة .

انحنيت مس جيني على حوض الزهور ، وظهرها الضيق رغم انحنائها  
مستقيم مع ذلك لا يقهر ومرق طائر سمان برقة عبر الهواء اللامع إلى  
شجرة المانوليا متجها إليها في قوس منحن مبتور ، « وبعد ذلك عندما  
اضطر إلى العودة إلى الحرب ، أحضرها طبعاً هنا . وتركها بين يدي .  
ووقفت الضيفة دون حركة في ثوبها الأبيض وقالت مس جيني : أنا  
لم أعن هذا ، وقطعت لسان العصفور .

قالت « يا للنساء المساكين ؟ . أحسب أن علينا فعلاً أن نتقاضى  
انتقامنا ، أينما وحينما نستطيع أن نتقاضاه . كان عليها أن تتقاضاه من  
بايارد فقط . »

قالت نارسيسا « عندما ماتت ، لم يكن باستطاعته أن يعرف ، لم يكن  
باستطاعته أن يأتي لو عرف ؟ وأنت تستطيعين أن تقول هذا ؟ » .

« بايارد ، أتظنين أن بمقدوره أن يحب أي شخص ، هذا الشيطان البارد ؟ »  
وقطعت مس جيني لسان العصفور « طوال حياته كلها لم يعنه أن يحرك  
إصبعها من أجل أي شخص سوى جون ، وقطعت لسان العصفور بوحشية .  
« يتبعجون هنا . وكأنها كانت غلطتنا . كأننا دفعناهم إلى الذهاب لتلك  
الحرب . والآن ، يتحتم عليه أن يملك سيارة ، يتحتم عليه أن يقطع كل

الطريق إلى ممفيس ليشتري واحدة . تصورى سيارة فى فناء بايارد  
سارتورس وهو الذى لا يقرض أموال المصرف إلى رجل يملك واحدة . .  
هل تريدون بعض البسلة ؟

أجابته نارسيسا : نعم ، أرجوك ، وانتصبت مس جيني ثم توقفت فى  
جمود تام . وقالت ، انظرى فقط إلى هناك ، أرجوك ، وأشارت بمقصها ،  
هذه هى الطريقة التى يتعذبون بها من الحرب ، هؤلاء المساكين ، ومن  
وراء تسكعينة بسلة ، كان إيزوم فى ردائه العسكرى يسير بوقار فى خطوات  
واسعة جيئة وذهابا ، وفوق كتفه البني فأس وعلى وجهه رسم الاستغراق  
الذاهل . وعندما استدار فى نهاية مساره غمغم فى نفثات رتيبة .

صاحت مس جيني ، إيزوم ، أنت يا إيزوم ! . .

فتوقف فى الحال وسلاحه ما زال على كتفه ، وقال برقه : سيدتى ؟  
ومضت مس جيني تحملق فيه . ففاضت هيبة العسكرة وخفض فأسه ،  
وأدى حركة ما من حركات التخاذل وهو فى ردائه العسكرى .

ضع هذه الفأس ، وأحضر هذه السلة هنا ، هذه هى المرة الأولى فى  
حياتك التى تمسك فيها إحدى أدوات الحديقة بمحض اختيارك . ليتنى  
أستطيع أن أكتشف نوع الرداء الرسمى الذى يدفعك لحفر الأرض وأنت  
ترتيبه ، فأشتري لك واحداً بالتأكيد .

- نعم ، سيدتى .

- إذا أردت أن تلعب لعبة الجند ، فإذهب مع بايارد إلى مكان ما  
رافعلما . وأضافت : أنا أستطيع أن أزرع الزهور دون أية معونة  
من الجيش . . ثم تحولت إلى ضيفتها وفى يدها قبضة من لسان العصفور .  
وسألتها : وما الذى تضحكين عليه ؟ . .



قالت المرأة الصغرى : كلا كما يبدو مضحكا جداً . أنك تشبهين جندياً  
أكثر بكثير من إيزوم المسكين ، رغم كل ردائه العسكرى ، ولمست  
عينها بأطراف أناملها وقالت : أنا آسفة . أرجوك ، اغفري لى  
ضحكى .

ودفعت مس جينى زفيرها بعنف : أوف ! .

ووضعت لسان العصفور فى السلة . رمضت إلى البسلة ، وقطفت منها  
بوحشية . وتبعتها الضيفة كما فعل إيزوم حاملاً السلة وسرعان ما انتهت  
من البسلة ومضت مرة أخرى مع تابعيها وهى تتوقف من حين لآخر  
لتقطف وردة ، ثم توقفت أمام حوض زهور ، رفعت فيه الزنايق  
أجراسها اللامعة المقلوقة . لقد توقعت هى وإيزوم هذه اللحظة فى سعادة  
ذلك أن الألوان المختلفة قد كونت زخرفاً متناسقاً .

قالت لضيفتها : عندما جمعناها فى الموسم الماضى ، كنت أضع واحدة  
حمراء فى يد إيزوم اليمنى ، وواحدة صفراء فى يسراه . ثم كنت أقول  
له : حسناً . إيزوم ، أعطنى الحمراء ، فلم يكن يخطئ قط فى مد يده  
اليمنى . وإذا نظرت إليه طويلاً ، مد يديه معاً . ألم أقل لك أن  
تمسك هذه الزهرة الحمراء فى يدك اليمنى ؟ ، هكذا كنت أقول له . فيقول  
: نعم سيدتى . هذه هى . وفى الحال تمتد يده اليسرى مرة أخرى .  
ياغبي ليست هذه يدك اليمنى ؟ ، هكذا كنت أقول له . فيقول : هذه  
هى اليد التى قلت منذ لحظة إنها يدى اليمنى . أليس كذلك أيها  
الأسود ؟ ، وحملت مس جينى فى إيزوم الذى أدى مرة أخرى حركاته  
المسترحة المتدلة من وراء ابتسامته الرصينة المتباطئة .

نعم . سيدتى . أعتقد أنه كذلك .

ردت عليه مس جينى محذرة : وهذا أفضل لك . والآن كيف يستطيع

أى شخص أن يكون لديه حديقة محترمة بمحاونة غبي كهذا ؟ أنا أتوقع كل ربيع أن أجد القمح أو حشائش الليزبوديزيا ، وقد نمت في حوض السوسن الأرجواني أو غيره ، ثم فحست الزنايق مرة أخرى ، وهى تختبر في خيالها الألوان المتوازنة واحداً مع الآخر . ثم قالت وهى تحسم الأمر : لا . أنت لا تريدن أية زنايق ، ومضت .

« لا يا مس جينى ، رافقتها الضيفة بوقار ، ومضوا إلى البوابة وتوقفت مس جينى وأخذت السلة من إيزوم .

« وأنت اذهب إلى البيت واخلع هذا الشيء ، أسمعنى ؟ »

« نعم . سيدتى ، .

وأنا أريد أن أطل مر هذه النافذة بعد بضع دقائق ، وأراك فى الحديقة مرة أخرى بهذه الفأس ، ثم أضافت . « وأريد أن أرى كلتا يديك فوق هذه المرة ، وأريد أيضاً أن أراه يتحرك . أسمعنى ؟ »

« نعم ، سيدتى ، .

« وقل لكازى أن يستعد لاستئناف العمل فى الصباح ، حتى السود الذين يأكلون هنا ، عليهم أن يعملوا قليلاً ، ولكن إيزوم كان قد ذهب ومضتاً معاً وسعدتاً إلى الشرفة . وأسرت مس جينى إلى ضيفتها وهما تدخلان الهواء ، « ألا يبدو عليه وكأن هذا هو ما سيفعله بالضبط ؟ إنه يعرف كما أعرف أنا ، لئننى لن أجرؤ على التطلع من هذه النافذة ، بعد أن قلت ما قلته . ادخلى ، وفتحت أبواب الردهة .

لم تكن الحجرة تستخدم إلا نادراً الآن ، رغم أنها كانت فى عهد جون سارتورس تستخدم بصفة مستمرة . كان يدعو دائماً لحفلات العشاء ، وحفلات الرقص فى المناسبات . حينئذ تفتح الأبواب المغلقة بينها وبين غرفة الطعام ، وثلاثة زنوج بآلات وترية على الدرج ، وكل الشموع

موقدة . وقد أحاط نفسه بأبهة من اللون والعطر والموسيقى وهو يختال فيها بعظمته وعجرفته المرحية . وفي هذه الغرفة ، أيضاً اضطجع ليلة في رده العسكري الرمادي حيث اختتم مهرجان ماضيه الخاص اللون ، وإن لم يكن غير الملطخ دائماً ، وتأمل للمرة الأخيرة ألوهيته الجائسة من نعومة بيته الكريمة المرحية .

ولكن ، في أيام ابنه ، قل استعمالها ، رويداً رويداً ، ويبطء وبطريقة غير محسوسة فقدت ذكورتها المرحية والمجيدة في نفس الوقت ، وأصبحت بالاتفاق المتبادل مكاناً لزوجته ولزوجة ابنه جون ومس جيني لينظفنه تماماً مرتين كل عام ، وليناد من فيه أيضاً ضيوفهن الأكثر رسمية ، بعد القيام بطقوس فك لفائف زجاجات خمر الهولند . كانت هذه هي حالها عند مولد أحفاده ، وظلت هكذا حتى وفاة أبويهم ثم وفاة زوجته . وبعد ذلك لم تشغل مس جيني بالضيوف الرسميين إلا قليلاً ، ولم تشغل بالردهة قط . قالت إنها تبعث فيها قشعيرة .

وهكذا ظلت مغلقة باستمرار تقريباً ، ويبطء اكتسبت جواً من الوخامة الضريبية المهيبة وأحياناً قد يفتح بايارد الصغير أو جون الباب ويحمل في الغموض الحزين ، حيث يتشامخ الأثاث المغطى ، ويلوح بشكل ما من الرقة الشبيهة وكأنه حيوانات المستادون المنقرضة ناصعة البياض ، إلا أنهما لم يكونا يدخلان ، ذلك أن الحجرة قد ارتبطت في عقولهما من قبل بالموت ، وهي فكرة لم تستطع حتى شجرة أيام عيد الميلاد ولا زيناته اللامعة أن تحجبها تماماً . كانا بعيدين عن البيت في المدرسة عندما بلغا سن الحفلات . ولكن حتى خلال العطلات ، ورغم أنهما كانا يملآن البيت بمجون معاصريهم الممذهب ، فإن الغرفة لم تكن تفتح إلا ليلة عيد الميلاد ، حينئذ كانت الشجرة تقام ونار تشعل ، وإناء به مشروب البيض والجمعة الساخنة على المائدة وسط الغرفة . وبعد أن ذهبوا إلى انجائرا في سنة ١٦

كانت تفتح مرتين في العام ، لتنظف حسب الطقوس القديمة ، التي ورثها حتى سيمون عن آبائه الأولين ، وليشد البيانو . أو عندما تقضى مس جيني ونارسيسا هناك ضحى أو أصيلا ، ولكنها لم تكن تفتح رسميا على الإطلاق .

تشاخ الأثاث بلا شكل محدد في أعطيته الغبراء . كان البيانو وحده مكشوقا ، وجرت نارسيسا المقعد خارجا وخلعت قبعتها وألقته بجوارها . ووضعت مس جيني السلة . ومن الظلام وراء البيانو جرت مقعداً خشبي القاعدة مستقيماً ، وكان مكشوقاً أيضاً ، وجلست وخلعت قبعتها اللبادية من على رأسها الأنيقة البيضاء . جاء الضوء عبر الباب المفتوح ولكن النوافذ كانت مغلقة وراء ستائر ثقيلة قرمزية ، قامت فقط بتعميق الدكنة ويجعل الأثاث المغطى غير الواضح السمات يبدو أكثر غموضاً .

ولكن خلف هذه الكتلة المظلمة ، وفي جميع أركان الغرفة ، كانت شخوص تنتظر هناك - كممثلين يقفون في الأجنحة بجوار المسرح - مرتدية نقبا مبطنه بالسلك والموسلين والحرير المنفوخ بالأطواق ، وربطات عنق جامدة وسترات مناسبة ورمادية أيضاً وأوشحة قرمزية وسيوفا مغمدة في اضطجاعة جريئة . جيب ستيوارت نفسه . ربما على حصانه البراق المتوج بالزهور . أو بشعره اللامع المنسال فوق ثوبه الصوفي السميك الثمين ، تحب أشجار الدابوق ، وأغصان شجرة عيد الميلاد بالتيemor سنة ٥٨ . جلست مس جيني ، وظهرها كظهر جندي عملاق لا ينحني ، واحتفظت بقبعتها فوق ركبتيها ، وأعدت نفسها للإنصات ، عندما مست ضيفتها أوتارا من المقاتييع ثم دمجتها في موجة واحدة ، ثم شدت الستار مرة أخرى على المشهد .

وفي المطبخ كان كازي يتناول إفطاره بينما كان سيمون والده ، والنورا شقيقته . وإيزوم ابن أخيه ( في ثوب عسكري ) يرقبونه . لقد كان تلميذاً

لسيمون في الإسطبلات ، وخادما يؤدي كل شيء في البيت ، فكان يقوم بكل العمل الذي يشرف عليه سيمون ، الذي كان يلتقى على كتفيه كل أعبائه ، متعللا بمبرر الشيخوخة الفسيح ، وإقرارا بفضل الآباء ، كما كان يقوم أيضا بكل ما كانت مس جيني تستطيع أن تتكره له ، ولا يستطيع هو أن يتفاداه وكان بايارد العجوز يستخدمه أحيانا في الحقول . ثم جاء التجنيد وحمله إلى فرنسا ، إلى أرصفة ميناء سانت سولييس ، كمنفر في فصائل العمل حيث قام بما استطاع الأومباشية والشاويشية أن يضعوه على كتفيه غير المسكيتين من عمل ، وما استطاع أن يتكره له الضباط البيض ولم يستطع هو أن يتفاداه .

وهكذا آل العمل كله في المكان إلى سيمون وإيزوم ، ولكن مس جيني احتفظت بإيزوم ليقوم بالتوافه في البيت جزءا طويلا من الوقت ، إلى الدرجة التي سرعان ما جعلت سيمون شديد المرارة ضد أمراء الحرب ، كأي ديمقراطي محترف حينئذ ، كان كازي يعمل قليلا ، ويتسلى بالتوافه من حياة القارة في صورها الحربية . الأمر الذي ألحق بمستقبله الضرر إلى حد ما ، لأن العجيج في النهاية مات . ورحل الضباط ، وتركوا فراغا مملوا بالمنازعات المرة المعتادة بين وريثة أرماجدون الشرعيين . ورجع كازي إلى موطنه الأصلي وهو خسارة كاملة ، من وجهة النظر الاجتماعية ، ذلك أنه عاد بنفور قاطع من العمل شريفا كان أو تقيض ذلك ، وبمجرد حين مشرفين اكتسبا في إحدى مباريات المبارزة بالموسى ولكنه عاد فعلا ، إلى رضى أبيه المشاكس ، وإعجاب النورا وإيزوم ، وقد جلس الآن في المطبخ يتحدث إليهم عن الحرب .

كان يقول : أنا لأقبل مزيداً من أي إهانة من أي شخص أبيض . غيرت الحرب كل هذا . إذا كننا نحن ، الناس الملونين صالحين بما فيه الكفاية ، لإنقاذ فرنسا من الألمان . إذن فنحن صالحون بما فيه

الكفاية لتلك نفس الحقوق التي يصلح لها الألمان . على أى حال هكذا يفكر الفرنسيون وإذا كانت أمريكا لا تفعل ، فثمة طرق لتعليمها . . . نعم ياسيدى ، كان الجندى الملون هو الذى أنقذ فرنسا ، وأمريكا قبلها ، الكتائب السوداء قتلت من الألمان أكثر مما قتلت الجيوش البيضاء كلها معا ودع جانبا تفريخ السفن التجارية خلال اليوم بطوله . مقابل دولار واحد .

قال سيمون ، « الحرب لم تؤذ فك الكبير هذا ، على أى حال ، » .

وصحح كازبى ، « الحرب أطلقت فم الرجل الأسود . أعطته الحق فى أن يتكلم . اقتلوا الألمان ثم ألقوا خطبكم . هذا هو ما قالوه لنا . حسنا ، وقد فعلنا هذا . »

سأل إيزوم كازبى باحترام ، « عم كازبى ، كم عدد الألمان الذين قتلتم ؟ »

« لم أزعج نفسى قط بإحصائهم . مرات قتلت فى صباح واحد ، أكثر من كل الخلق فى هذا المكان كله . مرة كنا فى قاع إحدى السفن التجارية المقيدة إلى الشاطئ . وواحدة من هذه الغواصات جاءت وتوقفت ، وكل الضباط البيض جروا على الشاطئ . واختفوا . نحن الأولاد فى القاع ، لم نعرف قط أن شيئا ما قد وقع ، حتى بدأ رجال يهبطون الدرج إلى أسفل . لم يكن معنا فى ذلك الوقت بنادق . ولذلك فعندما رأيناها - السيقان الخضراء - وهى تهبط الدرج زحفنا وراءها . وبمجرد أن يصل الواحد منهم إلى القاع ، كان أحد الأولاد يضربه على رأسه بقطعة خشب ويجره آخر بعيدا ليخلى المكان ، ويقطع زوره بفأس لحم . وكان منهم حوالى الثلاثين . . النورا هلبقى مزيد من القهوة ؟ »

غمغم سيمون « بالتأكيد ، وجهظت عينا إيزوم بهدوء . ورفعت النورا لنا . القهوة من فوق الموقد ، ومئات فنجان كازبى مرة أخرى .

ومضى كازني يشرب القهوة برهة .

• ومرة أخرى كنت أنا وولد آخر نسير في الطريق ، ألم بنا التعب من تفريغ هذه السفن التجارية طول اليوم ، ومرة اكتشف خادم الضابط اللص أين يحتفظ ببطاقات جوازات المرور ، فأخذ ملء قبضة منها . كنا في الطريق إلى البلدة أنا وهو عندما مرت بنا سيارة نقل ، وسألنا الولد إن كنا نريد توصيله . كان تلميذ مدارس وكان يكتب أسماءنا على ثلاثة جوازات منها كلها وصلنا إلى مكان قد يكون موبوءاً بالشرطة العسكرية وهكذا مضينا في حالة طيبة . متجولين في الريف في سيارة النقل الخاصة هذه ، حتى كان صباح تطلعنا فيه إلى حيث كانت سيارة النقل ، كان شرطى عسكري يجلس فوقها بينما كان الولد سائق السيارة يحاول أن يشرح له . ولذا رجعنا إلى الطريق الآخر ومشينا وبعد هذا كان علينا أن نروغ من مدن الشرطة العسكرية ، لأنني والولد الآخر لم نكن نستطيع أن نكتب أسماءنا على هذه الجوازات .

• وكنا يوما نمضى في طريق - كان طريقاً مخرباً ، ولم يبد لنا وكأنه منطقة شرطة عسكرية ، ولكن كان عدد منهم في آخر بلدة رغنا منها ، ولذا لم نعرف أننا كنا قريبين إلى هذا الحد من حيث يدور القتال . حتى مشينا إلى كوبرى ، ووقعنا فجأة على فصيلة كاملة من الألمان يستحمون في النهر . رأونا تقريباً في نفس اللحظة التي رأيناهم فيها ، وغطسوا تحت سطح الماء ، أمسكنا أنا والولد الآخر رشاشين كانا موضوعين هناك ، وجلسنا على سور الكوبرى وكلما أبرز ألماني رأسه يلتقط نفسه أطلقنا عليه الرصاص كان بالضبط كصيد السلاحف في بركة . أعتقد أن عدد من قتلناهم ، يقارب المائة إلا أن الرشاشين نضبا وهذا ما منحوني من أجله هذه . وأخرج من جيبه ميدالية مطالية زاهية من أصل بورتوريكي وجاء ليؤم بهدوء ليراها .

وغنم سيمون وقد جلس ويداها على ركبتيه ، يرقب ولده بعجب ذاهل . وجاءت النورا أيضا وقد تغطى ذراعاها بالدقيق .

سألت النورا ، ، وماذا يشبهون ؟ هل هم كالناس ؟ ،

وأجاب كازبي ، ، إنهم ضخام ! الأجسام وحر البشرة بصورة ما . حوالى ثمانى أقدام فى الطول . جماعات الملونين فى الجيش الأمريكى كله هم وخدمهم الذين استطاعوا أن يخضعوهم .

وعاد إيزوم إلى ركنه بجوار الصندوق الخشبى .

وسأله سيمون ، أليس عندك يا ولد - عمل تؤديه فى الحديقة ؟ ،

أجاب إيزوم ، لا سيدى ، ونظرتة المفتوحة ما زالت مركزة على عمه ، ، مس جينى ، قالت إننا لانعمل هذا الصباح . .

فأجابه سيمون بحذرا ، ، حسنا ، لاتأت إلى معولا عندما تقفز عليك ، ثم سأل ابنه ، أين قتلت الجماعة التالية؟ . .

أجاب كازبي ، ، لم نقتل مزيداً بعد ذلك . رأينا أن نكتفى بهذا القدر . وأن الأفضل أن ندع الباقين للأولاد الذين يأخذون أجراً على قتلهم . مضينا حتى انتهى الطريق إلى حقل . كانت هناك بعض القنوات وحواجز قديمة من الأسلاك ، وحفر فى الحقل وبعض الناس مقيمين فيها . الناس كانوا جنودا أمريكيين ونصحونا أن نبحث عن حفرة ، ونقيم هناك مدة إذا كنا نريد سلام الحرب وراحتها . ولذا اخترنا حفرة جافة وانتقلنا إليها . لم يكن ثمة شئ نعمله طول اليوم - إلا أن نستلقى فى الظل ونرقب البالونات الهوائية ونستمع إلى القصف على بعد أربعة أميال على الطريق تقريبا . ادعى الولد الذى كان معي أنهم كانوا بعض صيادى الأرانب . ولكننى كنت أكثر منه معرفة . الأولاد البيض كانوا يستطيعون الكتابة ولذا أعادوا لنا الجوازات ، وقضينا بعض الوقت فى الذهاب إلى حيث كان الجيش للحصول على الطعام وعندما نفذت الجوازات عرفنا أين يقيم جيش فرنسى معه مدافع فى بعض الغابات البعيدة . وهكذا كنا نذهب حيث كانوا ونأكل . .

، استمر هذا مدة طويلة ، حتى كان يوم ، إذ ذهبت البالونات . وقال الأولاد البيض إن الوقت قد حان للتحرك مرة أخرى . ولكننى والولد



الآخر لم نجد ثمة فائدة في الذهاب إلى أى مكان آخر . ولذا بقينا مكاثا  
وفي هذا المساء ذهبنا إلى حيث الجيش الفرنسى ، للحصول على بعض الطعام  
ولكنهم كانوا قد ذهبوا أيضا ، والولد الذى كان معى قال إن الألمان أمسكوا  
بهم ، إلا أننا لم نكن نعرف . لم نسمع قصفا كبيرا منذ اليوم السابق  
لذا عدنا مرة أخرى إلى الحفرة ولم يكن ثمة طعام ، ولذا زحفنا إليها وعدنا  
إلى الفراش ، ونمنا ليلتنا . وفي صباح اليوم التالى جاء شخص إلى الحفرة  
وداس علينا وأيقظنا . كانت واحدة من مرفهات الجنود تبحث عن  
البنادق الألمانية وعقد الأحزمة المعدنية . وصاحت : من هنا ؟ فقال لها  
الولد الآخر : نحن . جنود الصدام ، وهكذا خرجنا ولكن لم يمض  
إلا القليل حتى جاءت سيارة مملوءة بالشرطة العسكرية وكانت الجوازات  
قد نفذت .

سأل سيمون : وماذا فعلتم بعد ذلك ؟ ، وجمحت عينا ليروم بهدوء  
في العتمة وراء الصندوق الخشبي .

« أخذونا ، وحبسونا في سجن لمدة من الزمن ، ولكن الحرب كانت قد  
أوشكت على الانتهاء فاحتاجوا إلى الأيدي لتعيد شحن السفن التجارية ، ولذا  
أرسلونا إلى بلدة اسمها بريس - وقال مرة أخرى : أنا لا أقبل أى إهانة من  
أى رجل أبيض ، سواء كان شرطيا عسكرياً أو لم يكن ، . ونحن الأولاد  
كنا في غرفة ذات ليالة نلعب الزهر ، وعزف البوق فعلا أمر إطفاء الأنوار  
إلا أننا كنا في الجيش ، حيث يستطيع الرجل أن يفعل ما يريد ، ماداموا يسمحون  
له أن يفعله ، ولذا فعندما جاء الشرطى العسكرى وقال أطفئوا هذه الضوء  
قال له أحد الأولاد : ادخل أنت وسنطفئك . كان ثمة شرطيان عسكريان  
فاقتحما المكان وبدأ في إطلاق النار ، وقلب أحدهم المصباح ومربنا .  
وفي صباح اليوم التالى ، وجدوا أحد الشرطيين العسكريين بلا شيء يمسك  
بأقنه وكان اثنان من الأولاد ميتين أيضا ولكنهم لم يستطيعوا أن يكتشفوا  
من كانوا معنا وبعد ذلك عدنا إلى الوطن .

وأفريغ كازبي قنجاناه وقال . أنا لا أقبل إهانة من أى رجل أبيض بعد الآن ، تقيبا كان أو رئيسا أو شرطيا عسكريا . الحرب أثبتت للبيض أنهم لا يستطيعون أن يفلحوا دون الرجل الأسود . يسحقونه فى التراب . ولكن عندما تنفجر المتاعب وتنطلق لإنها من فضلك ، سيدى . أيها السيد الرجل الملون . من هذا الطريق حيث يعزف النفير . أيها السيد الرجل الملون أنت منقذ الوطن ، والآن فإن الجنس الأسود سوف يحنى فوائده الحرب ، وهذا وشيكاً .

ونغمم سيمون : بالتأكيد .

- نعم . سيدى والنساء أيضاً . حصلت على امرأتى البيضاء فى فرنسا . وسوف أحصل عليها هنا أيضاً .

قال سيمون : د دعنى أقل لك شيئاً أيها الأسود ، لقد رعاك الله الطيب مدة طويلة حتى الآن ، إلا أنه لن يشغل بك دائماً .

أجاب كازبي فى الحال : إذن أظننى سأمضى دونه ، ووقف وتمطى . أحسبى سأذهب إلى الطريق الكبير وأخطف توصيلة إلى المدينة . ليؤزم أعطى هذه الملابس .

كانت مس جينى وضيفتها واقفتين فى الشرفة عندما مر بجوار المنزل ثم انحرف عنه متجهاً إلى الممر .

قالت نارسيسا : هذا بستانيك يمضى . وتطلعت مس جينى ثم قالت مصححة : هذا كازبي ، وأضافت : والآن ، أين تظنينه يمضى ؟ إلى المدينة وأراهن بدولار ، ومضت ترقب ظهره الخاكي المسترخى ، الذى تمكن بوساطته من أن يعبر بشكل ما ، عن شئ ما من الوقاحة المتبلدة . ونادت : أنت يا كازبي !

تباطأ عند مروره بسيارة نارسيسا الصغيرة ، ودقق فيها النظر باستخفاف تسكسل حتى عن السخرية ، ثم مضى فى استرخاء ونادت مس

جيني مرة أخرى ، وهي ترفع صوتها « أنت يا كازبي ، ولكنه مضى  
في الممر الخاص بانتظام وقحا مسترخيا ، وفي غير عجلة . قالت منذرة  
بالسوء « سمعني ، ستنظر في هذا عندما يعود . من كان ذلك النبي على أي  
حال ، الذي فكر في وضع السود في نفس الملابس العسكرية مع البيض ؟  
مستر فاردامان كان أبعد نظراً . قال حينئذ لهؤلاء الأغبياء في واشنطن ،  
إنه ليس من الحكمة في شيء . ولكن رجال السياسة ! ، وصمت الكلمة  
البريئة بتشويه شامل مدمر ، ومضت تقول « إذا سئمت يوماً صحبة السادة  
المهذبين ، فإنني أعرف ما سأفعله ، سأشرح نفسي للكونجرس . . . استمعوا  
إلي وأنا أمضي في نقدي مرة أخرى . وأنا أعلن أنني أعتقد أحياناً أن  
كل أفراد عائلة سارتورس وكل ممتلكاتهم قد عقدوا النية فقط على تعذيب  
وإزعاجي . وشكراً لله إذ لن يتحتم علي أن أرتبط بهم بعد موتي .  
لا أدري أين سيكونون . ولكن ما من سارتورس سيفقم في الجنة وقتاً  
أطول مما سيضطر إليه » .

وضحكت الأخرى وقالت « مس جيني ، يبدو أنك متأكدة تماماً من  
مصيرك الشخصي » .

« ولم لا أكون ؟ أما زلت أكتنز الإحسانات والتراتيل مدة طويلة ؟  
ثم ظلمت عينيها بيدها ونظرت إلى آخر الممر . كان كازبي قد وصل إلى  
البوابة ، ووقف بجوار الطريق في انتظار عربة تمر ، وهنا قالت فجأة  
« إياك أن تتوقني له ، أسمعيني ؟ ثم « لم لا تبقي للعشاء ؟ » .

أجابت الأخرى « لا ، يجب أن أعود إلى البيت ، العمة سالي ليست  
في حالة طيبة اليوم ، ثم وقفت لحظة في ضوء الشمس وقبعتها وسلة زهورها  
على ذراعها ، واستغرقت في التأمل ، ثم أخرجت بهزم مفاجئ من صدر  
ثوبها ورقة مطوية .

سألها مس جيني وهي ترقبها « وصلت آخر ، أليس كذلك ؟  
دعيني أراه » .

أخذت الورقة وفتحتها ، وخطت إلى الخلف بعيداً عن الشمس كانت نظارتها معلقة في قيطان ، حريري ينتهي إلى زنبرك في غلاف ذهبي صغير معلق إلى صدرها بدبوس . شدت القيطان ، خارجاً . وثبتت النظارة على عظمة أنفها العالية ومن ورائها ، كانت عيناها باردتين نقاذتين كعيني جراح .

كانت الورقة قطعة واحدة من حجم الفولسكاب ، وقد حملت كتابة في حروف واضحة متباعدة . لا تعبر عند النظرة الأولى عن أى شخصية من أى نوع ، يد شابة إلا أنها مع ذلك وفي نفس الوقت ، لطيفة وصریحة وأنيقة إلى الدرجة التي تبعث في الحال على القليل من الدهشة . (١)

« أنت لم تردى على الخطاب الخامس والعشرين . أنا لم أتوقع أن تردى عليه بعد . ستردين في القريب وأنا أستطيع أن أنتظر . أنا لن أؤذيك . أنا صريح وأمين وستعرفين عندما يلتقي طريقانا معا . أنا لا أتوقع بعد أن تردى . ولكن أنت تعرفين أين تعملين إشارة ، .

أعادت مس جيني تطبيق الورقة بإيماءة اشتمزاز رفيعة رقيقة وقالت « كنت سأحرق هذا الشيء ، لولا أنه الوحيد الذي لدينا لنمسكه به . سأعطيه لبايارد الليلة ، احتجت الأخرى بسرعة وهي تمديدتها . لا لا . أرجوك . لا تفعل . دعيني أخذه وأمزقه ،

« طفلى ، إنه الدليل الوحيد . هذا والآخر . سنستدعى مخبرا ، .

« لا . لا . أرجوك . لا أريد لأى شخص آخر أن يعرف عنه مس جيني ، أرجوك ، . ومدت يدها مرة أخرى .

قالت لها مس جيني متهممة . أنت تريد أن تحتفظى به ، تماماً كما تفعل امرأة صغيرة حمقاء يطريها مثل هذا الشيء .

قالت الأخرى مرة ثانية ، سأمزقه . كنت سأفعل هذا قبل الآن ، إلا أنني أردت أن أخبر شخصاً ما . إنه — إنه . . . تصورت أنني

لن أشعر بالدنس كثيراً بعد أن أريه لشخص آخر . دعيني أخذه أرجوك .  
« هراء . لا ينبغي عليك أن تشعري بالدنس . أنت لم تشجعيه ،  
أم فعلت ؟ » .

- « مس جيني أرجوك » .

إلا أن مس جيني ظلت قابضة عليه وقالت بسرعة « لا تكوني  
حقاء . كيف يستطيع هذا الشيء أن يجعلك تشعرين بالدنس ؟ أي امرأة  
شابة معرضة لأن يصلها خطاب خلو من التوقيع . وحشد ممن يستحسن  
هذا . نحن جيداً مقتنعات أن الرجال يفكرون فينا بهذه الطريقة . ونحن  
لا نستطيع إلا أن نعجب بمن أوتي الشجاعة فيصارعنا ، دون اعتبار  
لمن يكون » .

- « فقط لو وقع الخطاب . لن يهني من يكون . ولكن بهذه  
الطريقة . . . مس جيني ، أرجوك » .

قالت مس جيني مرة أخرى ، لا تكوني حقاء . كيف نستطيع أن  
نعرف من هو إذا دمرت الدليل ؟

- « لا أريد أن أعرف » وتخلت مس جيني عن الورقة ، وقطعتها  
نارسيسا مزقا صغيرة رمتها من فوق الحاجز ، ومسحت يديها في ثوبها  
« لا أريد أن أعرف . أريد أن أنسى كل شيء عن هذا الموضوع » .

- هراء . أنت - اللحظة - تموتين شوقاً لتعرفي . أراهن أنك  
تنظرين إلى كل رجل تمرين به ، وتساءلين إن كان هو وسيستمر هذا طالما  
أنك لا تفعلين ثمة شيئاً ، والمرجح كذلك أن يسوء . الأفضل لك أن  
تدعيني أخبر بيارد » .

- « لا . لا . أنا أكرهه أن يعرف . أن يفكر أنني قد . . . ربما . . . حسناً جداً  
بعد هذا ، سأحرقها في الحال دون أن أقتحها . . . يجب أن أذهب فعلاً » .

وقالت مس جيني ساخرة ببرود طبعها ، ستلقين بها مباشرة في الموقد .

ونزلت نارسيسا الدرجات ، وعادت مس جيني إلى ضوء الشمس مرة أخرى ،  
وهي تدع نظارتها تندفع إلى غلافها « هذا شأنك طبعاً . إلا أنني ما كنت أحتمله  
لو كنت مكانك ولكن ليست سني ستة وعشرين . . . حسناً تعالى لزيارتي ثانياً  
إذا وسلك آخر ، أو إذا أردت مزيداً من الزهور .

- نعم سأفعل . وشكراً لهذه .

- ودعيني أعرف ما يبلغك من هوراس . شكراً لله . لأنها مجرد آلة لنفخ الزجاج  
ولست أرملة حرب . .

- . نعم . سأفعل . وداعاً . .

ومضت عبر الظل المبرقش ، في ثوبها الأبيض البسيط ، وسلة زهورها مرسومة  
فوقه . ودخلت سيارتها . كان سقفها مرفوعاً ، وارتدت قبعتها ، وقومت المحرك  
ونظرت إلى الخلف مرة أخرى ولوحت بيدها . وداعاً . .

وقد سار الأسود في الطريق ببطء ، ثم توقف مرة أخرى وكان يرقبها خفية  
وهي تقترب ، وإذا مرت به نظر إليها بملء عينيه ، وعرفت أنه يوشك أن يناديها  
ففتحت صمام الوقود ومرت به بسرعة متزايدة . قادت سيارتها بسرعة إلى المدينة  
حيث كانت تقيم في بيت من الآجر وسط أشجار الشربين ، فوق ربوة .

كانت تنسق لسان العصفور في وعاء ليموني معتم فوق البيانو ، وكانت العمة  
سالي ويات تتأرجح بانتظام في مقعدها بجوار النافذة ، وهي تصفق ملء قدميها  
بالأرض عند كل اهتزازة . وقد استقرت سلة شغلها على حاجر النافذة ، بين  
تموجات الستائر الرقيقة ، واستندت بجوارها عكازتها الأبنوسية .

سألها ، « وأنت ظلت هناك ساعتين ولم تريه قط ؟ »

أجابت نارسيسا ، « لم يكن هناك . ذهب إلى ممفيس . .

وتأرجحت العمة سالي بانتظام « لو كنت مكانهم - لأرغمته على البقاء هناك .  
لن أقبل أن يبقى هذا الولد قريباً مني . سواء كان من دى أو لم يكن . . . من

أجل أى شى ذهب إلى ممفيس ؟ ظننت هذه الطائرة أو - ماذا تسميها قد تحطمت .  
- أظنه ذهب لعمل ما . .

- وأى عمل لديه فى ممفيس ؟ بايارد سارتورس أعقل من أن يحول أى عمل  
إلى عقل الأرنب الأحمق هذا . .

قالت نارسيسا وهى تنشق نسان العصفور . لا أدرى . أظنه سيعود قريباً .  
تستطيعين أن تسأليه حينئذ . .

- وأنا أسأله ؟ أنا لم أقل له كلمتين فى حياته . وأنا لا أنوى أن أقبل لعداءتد  
أن أعاشر السادة المهذبين . . وكسرت نارسيسا بعضاً من الأعناق ونسقت الزهور  
فى باقة جميلة . . وما الذى فعله ، ولا يفعله سيد مهذب أيتها العمة سالى ؟

- القفز من فوق خزانات المياه والصعود فى الجو فى بالونات . لمجرد تخويف  
الناس . أنت تظنينى أسمح لهذا الولد أن يظل فى جوارى ؟ كنت أحتجزه فى  
مستشفى المجانين ، لو أتى كنت بايارد أو جينى . .

- لم يقفز من فوق الخزان . انزلق فقط فوق حبل مربوط بالخزان ثم  
قفز وغطس فى حمام السباحة . والذى صعد فى البالون كان جون . .

- وليس هذا ما سمعته . سمعت أنه قفز من فوق هذا الخزان ، عبر صفّاً كاملاً  
من عربات البضائع وأكوام الخشب . ولم يخطئ . حافة الحمام . . بهوّة واحدة .  
- لا . لم يفعل . انزلق على حبل من قبة بيت ثم غطس فى الحمام .  
كان الحبل مربوطاً بالخزان . .

- حسناً . ألم يكن عليه أن يقفز فوق الكثير من الخشب وعربات  
البضائع . ألم يكن فى استطاعته بهذه الطريقة أن يكسر عنقه . وبنفس  
السهولة ، كما يكسره بالقفز من فوق الخزان ؟

أجابت نارسيسا ، « نعم » .

- كفى . ماذا ينبغي على أن أقوله لك ؟ وما جدوى هذا ؟

- لا أعرف .

- طبعاً لا تعرفين وذلك كان السبب في أن يفعل ما فعله . وتأرجحت الامة سالى برهة وهى مزهوة بانتصارها ووضعت نارسيسا اللسان الأخيرة لباقة لسان العصفور الزرقاء . ولجأة وبسكون قفزت قطعة رقطاء إلى النافذة بجوار سلة الشغل ، وكأنها تريد أن تعرض حيلة سحرية ، وبينما ظلت جاثمة ، نظرت داخل الفرقة لحظة ثم هبطت على بطنها . وبصق مقوس أقبلت على تنظيف كتفها بلسان أحمر رفيع .

وانتهت نارسيسا إلى النافذة ووضعت يدها على ظهر الحيوان الأملس .

- وبعد ذلك ، الصعود في ذلك البالون . عندما .

قالت نارسيسا مرة أخرى « هذا لم يكن بإيارد . هذا كان جون .

- وهذا ليس ما سمعته . أنا سمعت أنه كان الآخر . وأن بإيارد وجينى كانا الاثنان يرجوانه والدموع في أعينهما ألا يفعلها . أنا سمعت . . .

- ولم يكن أحدهما هناك . حتى بإيارد لم يكن هناك . جون هو الذى فعلها ، وقد فعلها لأن الرجل الذى جاء مع البالون مرض . جون صعد فيه حتى لا يخيب أمل الريفيين . أنا كنت هناك .

وقفت هناك . وتركته يفعلها ، عندما كان فى استطاعتك أن تتصلى تليفونيا بجينى أو تعبرى الميدان إلى البنك حيث تجدىن بإيارد ، وقفت هناك ولم تفتحى فمك قط ، هل فعلت هذا ؟

أجابت نارسيسا « نعم . وقفت هناك بجوار هوراس فى حلقة الريفيين المتباطئة المنتبهة ترقب الكرة وهى تتنفخ وتشد حبالها ، راقبت جون سارتورس فى قميص صوفى حائل اللون وسراويل من النخل بينما



مضى رجل الكارنفال يشرح له استعمال حبل فتح صمام الغاز والمظلة .  
وقفت هناك وهي تحس أنفاسها تخرج بأسرع مما تستطيع أن تستردها مرة  
أخرى وراقبت الشيء وهو يترشح إلى أعلى وجون جالس على قضيب  
هش يتأرجح به تحته ، وبعينين لم تستطع أن تغضهما رأت البالون  
والناس وكل شيء يدور ببطء إلى أعلى وبعد ذلك وجدت نفسها ملتصقة  
بهوراس وراء ستر العربة وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها .

هبط على بعد ثلاثة أميال في دغل من الورد الوحشي ، وتخلص من  
المظلة ، وعاد إلى الطريق ونادى زنجياً عابراً في عربة . وعلى بعد ميل  
من المدينة التقيا ، بإيارد العجوز مندفعاً بضراوة في العربة . وتوقفت  
العربتان بحوار بعضهما البعض في الطريق ، بينما أفرغ إيارد العجوز في  
إحداهما ثورة غضبه الجنوني المتراكمة . وفي الأخرى جلس حفيده في  
ملابسه الممزقة وعلى وجهه المخدوش نظرة ذلك الذي حقق في لحظة خاطفة  
رغبة رائعة إلى الدرجة التي تجعل الوقوع في إثمها تطهراً لاختساره .

وفي اليوم التالي ، وبينما كانت تمر أمام متجر اندفع منه فجأة ، بذلك  
العنف المبالغ الذي تتميز به هو وشقيقه ، متوقفاً في اللحظة الأخيرة  
ليتحاشى الاصطدام بها .

قال : أوه معذ . . . هالو ، ومن تحت الأربطة المتقاطعة كان وجهه مرحاً ،  
جريئاً ، ووحشياً . ولم يكن يرتدى قبعة . وللحظة قصيرة حلقت في  
وجهه بعينين واسعتين بآستين ثم صفقت يدها على فمها ومضت مسرعة ،  
تكاد أن تجري .

ثم رحل مع شقيقه وقيدتهما الحرب ، ككلبين مزعجين حبساً بعيداً  
جداً في قفص . وكانت من جينى تحكى لها أخبارها عنهما ، عن الخطابات  
المملة الممثلة التي كانا يرسلانها إلى الوطن في فترات متباعدة ، ثم مات  
ولكن بعيداً وراء البحار . لم يكن ثمة جسد ليعاد بغلظة إلى الأرض .

ولذا فقد بدا بالنسبة لها ، وكأنه لا يزال يضحك على هذه الكلمة - كما ضحك على كل الأصوات التي تخرج من الفم وتعنى الراحة ، ذلك الذي لم ينتظر الزمن ومقوماته أن يعلمه أن نهاية الحكمة هي أن تحلق عالياً بالحلم إلى الدرجة التي لا تفقد معها الحلم في البحث عنه .

واهتزت العمة سالى بانتظام في مقعدها .

« حسنا ليس يهم من كان منهما . أحدهما سيء . كالآخر إلا أنني لأحسبها غلطتهما بالطريقة التي أنشأ بها . مدللين حتى العفن ، كليهما . لم تكن لوسى سارتورس طوال حياتها تسمح لأي شخص أن يسوسهما ، لو كانا ولدي . . . ومضت في اهتزازها . لكننت أخرجتهما بما هما فيه بالضرب . كنت سأفعل ذلك لكي أربي هنديين متوحشين مثلهما . ولكن هؤلاء الناس وهم يتصورون أنه لم يوجد قط بين الناس من يصل إلى منزلة آل سارتورس ، حتى لوسى كرانستون ، وقد جاءت من عائلة فضلى ، كأفضل ما تكون العائلات في الولاية . كانت تسلك وكان العناية الإلهية هي التي سمحت لها أن تزوج واحداً من آل سارتورس . وأن تكون أما لاثنتين أخريين . كبرياء . كبرياء . . . كاذبة . »

واهتزت بانتظام في مقعدها . ومن تحت يد نارسيسا هربت القطة بعجرفة متكاسلة .

- وكان حكما قديرا عليهما ، أن يؤخذ جون بدلا من هذا الآخر ، جون على الأقل كان يلمس فبغته تحية لسيدة في الطريق ، ولكن ذلك الولد الآخر « وتأرجحت - بملل وهي تصفق ملء قدميها بالأرض ، خير لك أن تباعدى عن هذا الولد ، سيكون قاتلك كما قتل زرجته الصغيرة المسكينة . »

قالت نارسيسا « أيتها العمة سالى ، لأننى لم أتزوج منه بعد ، ومن تحت يدها ومن تحت جلد القطة الناعم انسابت العضلات فجأة كالأسلاك إلى

عقد متينة وبدا جسم الحيوان وكأنه يستطيل كالمطاط في نفس اللحظة التي مرق فيها من تحت يدها ، واختفى عن الأنظار عبر الشرقة .  
صاحت نارسيسا ، « أوه ! » ثم استدارت بسرعة ، وأمسكت عصا العمة سالى وجرت من الغرفة .

قالت العمة سالى « ماذا ! ... أنت هاتى عصاتى هنا ، وجلست تنظر إلى الباب ، وهى تسمع وقع كعبي الأخرى السريع فى البهو ثم فى الشرقة . ثم وقفت ومالت على النافذة وتطلعت ثم صاحت « أنت ، هاتى عصاتى هنا .  
أسرعت نارسيسا عبر الفناء إلى الحديقة . وفى حوض زهور السكنا ، كانت القطة قابضة وهى تتلفت من حولها وتدور برأسها وعيناها الصفراوان لا تطفان . اندفعت نارسيسا نحوها وقد رفعت يدها العصا .

صاحت ، « اتركه ! ارميه ، ولثانية أخرى نظرت إليها العيان الصفراوان بوحشية ثم خفض الحيوان رأسه ووثب مبتعدا فى قفزة انسيابية طويلة ، والطائر بين فكيه .

صاحت « أوه ... » عليك اللعنة عليك اللعنة ، أنت .. أنت أيتها السارتورس ! » وقذفت العصا وراء الومضة المبرقشة الأخيرة عندما انسابت القطة وراء ركن البيت .

وصاحت العمة سالى من النافذة « أنت أحضرى عصاتى ، وهاتينى هنا حالا .

كأنت هى ومس جينى جالستين فى الغرفة المعتمة . كانت الأبواب مفتوحة كالعادة وفجأة ظهر بايارد الصغير بينهما ووقف ينظر إليهما .

قالت مس جينى « هذا بايارد . تعال هنا ، وتسكلم مع نارسيسا يا ولدى .  
قال بغموض « هالو » ، واستدارت فى مقعد البيانو ، وانكشيت قليلا بجوار الآلة .

قال . د من ؟ ، ودخل ، وأحضر معه ذلك العنف البارد المغل الذي تذكره .

قالت مس جيني بمكر د إنما نارسيسا . هيا تكلم معها وكف عن التظاهر بأنك لاتعرفها .

وأعطته نارسيسا يدها ، ووقف ممسكا بها بارتخاء ولكنه لم يكن ينظر إليها ، وسحبت يدها . نظر إليها مرة أخرى ثم نظر بعيدا وقد تشاخ فوقهما ومضى يمر بأصابه خلال شعره .

قال . أريد شراباً . لآستطيع أن أجد مفتاح المكتب .  
- د انتظر وتكلم معنا بضع دقائق وتستطيع بعد ذلك أن تأخذ كأسا .  
وقف شاخا فوقهما برهة ثم تحرك فجأة ، وقبل أن تستطيع مس جيني أن تتكلم كان قد جر الغطاء من فوق مقعد آخر .

صاحت مس جيني د دع هذا وشأنه أيها الهندي د ووقفت ، هيا خذ مقعدى ، إذا كنت ضعيفا إلى الدرجة التى لآستطيع معها الوقوف . سأعود فى دقيقة ، ثم قالت لنارسيسا د على أن أحضر مفاتيحي .

جلس متراخيا فى مقعده وهو يدلك رأسه بيده ونظرته تسبح فى مكان ما حول قدميه وحذاءه . وجلست نارسيسا ساكنة تماما ، وهى منكشة بجوار البيانو وأخيرا تسكمت .

- أنا آسفة جدا على ما حدث لزوجتك ... ياجون ، طلبت من مس جيني أن تخبرك عندما ... ، .

جلس يدلك رأسه ببطء فى سكون مؤقت يغلب عليه العنف .  
سألها د أنت ، شخصيا ، لست متزوجة ، أليس كذلك ؟ ، جلست ساكنة تماما . د ينبغى عليك أن تجربى الزواج ، وأضاف د ينبغى على كل شخص أن يتزوج مرة ، كما ينبغى على كل شخص أن يذهب إلى حرب واحدة . ،

عادت مس جيني بالمفاتيح ونصب قامته المديدة فجأة وتركها .  
قالت مس جيني : تستطيعين أن تعودى إلى العزف الآن لن بضايقتنا  
مرة أخرى .

قالت نارسيسا : لا . يجب أن أذهب ، ثم وقفت بسرعة وأخذت  
قبعتها من فوق غطاء البيانو .  
- لماذا ، أنت لم تحضرى إلا منذ لحظات ،

قالت نارسيسا مرة أخرى : يجب أن أذهب ، . ووقفت مس جيني .  
- حسنا إذا كان الأمر كذلك . سأفطف لك بعض الزهور . لن  
يستغرق ذلك دقيقة .

- لا . مرة أخرى . أنا . . أنا عندي . سأعود لزيارتكم وشيكا  
وأخذ بعضها منها ، وداعا ، وعند الباب ألقت نظرة سريعة عبر الباب  
ثم مضت وتبعتها مس جيني إلى الشرفة ، كانت قد نزلت الدرجات ،  
ومضت بسرعة إلى سيارتها .

هتفت بها مس جيني : عودى لزيارتنا سريعا ،  
وأجابتها نارسيسا : نعم سريعا ، وداعا ،

عاد بايارد الصغير من مخفيس في سيارته ، وكانت مخفيس على بعد خمسة  
وسبعين ميلا ، وقد استغرقت الرحلة ساعة وأربعين دقيقة ، لأن بعض  
الطريق كان زراعيا طفليا ، وكانت السيارة طويلة ومنخفضة ورمادية ،  
ولآلتها ، ذات الأسطوانات الأربع ستة عشر صماما ، وثمانى شمعات إشعال ، وقد  
ضمن بائعها قدرتها على السير ثمانين ميلا فى الساعة ، رغم أنه كانت توجد  
ورقة ملصقة بحاجز الهواء الأمامى ، تطلب منه ألا يفعل هذا فى الأميال  
الخمسةائة الأولى .

جاء من الممر الخاص . وتوقف أمام البيت ، حيث كان جده يجلس

ماداً ساقيه على حاجز الشرفة ، وكانت مس جيني تقف بجوار أحد الأعمدة في ثوب أسود أنيق . هبطت درجات السلم وراحت تتفحصها ، وفتحت الباب ودخلت لتجرب المقعد ، وأقبل سيمون نحو الباب وألقى عليها نظرة سريعة مزدرية وعاد ، وظهر إيزوم من وراء ركن البيت ، ودار بهدوء حول السيارة بإعجاب شامل متطلع ، ولكن بايارد المعجوز ظل ينظر بازدراء إلى ذلك الشيء المستطيل المغبر - وسيجاره بيده وهو يزوم .

قالت مس جيني : « إنها مريحة كمقعد هزاز ، ونادته : تعال وجربها ، ولكنه زام مرة أخرى وظل جالسا وساقاه على الحاجز ، وراقب بايارد الصغير وهو ينزلق وراء عجلة القيادة . جرب الآلة فأسرعت ثم توقفت . ووقف إيزوم بجوارها وكأنه كلب قيد بحبل ، وألقى بايارد الصغير عليه نظرة وقال له : « تستطيع أن تركب المرة القادمة » .

قالت مس جيني : « ولم لا يستطيع أن يركب الآن . إيزوم ، اقفز إليها ، وقفز إيزوم . وراقبهم بايارد المعجوز وهم يتحركون بسكون عبر الممر . راقب السيارة وهي تحتفى عن الأنظار منحدره إلى الوادي وعلى التو تصاعدت سحابة من الأتربة فوق الأشجار ، إلى الأصيل اللازوردى وتعلقت وردية اللون في الشمس . ثم غاضت ، وصوت ، وكأنه رعد بعيد ، مات ، وهو يغمغم من ورائها .

ونفت بايارد المعجوز سيجاره مرة أخرى . وظهر سيمون في الباب ووقف مكانه .

قال سيمون : « والآن ، أين تظنهم يذهبون ساعة العشاء بالضبط ؟ » وزام بايارد المعجوز ووقف سيمون بالباب يغمغم محدثا نفسه .

بعد عشرين دقيقة ، انزلت السيارة إلى الممر لتقف في مكانها السابق تقريبا . وفي المقعد الخلفي كان وجه إيزوم كيانو مفتوح . ولم تكن مس جيني ترتدى فبعة . كانت تمسك شعرها بكلتا يديها . وبعد أن توقفت

السيارة ظلت جالسة هكذا لحظة ، ثم أخذت شهيقا عميقا .

قال ، تمنيت أن أدخن ، ثم ، أهذه أقصى سرعة لها ؟ ،  
نزل إيزوم وفتح لها الباب ، ونزلت بصعوبة إلى حد ما ، ولكن  
عينها كانت لامعتين وكانت وجنتاهما الجافتان العجوزتان متضرجتين .  
سال سيمون من مكانه بالباب ، إلى أى مدى ذهبتكم ؟ ،  
قالت بكبرياء ، ذهبنا إلى المدينة ، وكان صوتها صافيا كصوت قنّاة ،  
كانت المدينة على بعد أربعة أميال ، .

وذاث يوم من الأسبوع التالى جاء العجوز فولز إلى المدينة ووجد  
بايارد العجوز فى مكتبه . كان المكتب هو حجرة المديرين أيضا ، حجرة  
كبيرة تحتوى على مائدة طويلة محاطة بالمقاعد ودولاب مرتفع يحتفظ فيه  
بمطبوعات المصرف ، ومكتب بايارد العجوز ذو الحصىرة التى تغلق سطحه  
ومقعده الدوار ، وأريكة كان يغفو عليها ساعة ظهر كل يوم .

كانت على المكتب ، كمكتبه فى البيت ، صنوف من الأشياء التى  
لا علاقة لها على الإطلاق بأعمال المصارف . وعلى الرف فوق المدفأة كان  
مزيد من الأشياء ذات الطابع الزراعى ، ومجموعة مغبرة من الغلايين  
وثلاثة أو أربعة قوارير من الطبايق . كانت تزود بالرضا هيئة المصرف كلها  
من المدير إلى البواب ، وعدداً محترما من العملاء . وإذا سمح الجو ، كان  
بايارد العجوز يدفع مقعده إلى الخلف بجوار الباب الخارجى ، ويجلس  
عليه أكثر اليوم ، وعندما يحده العملاء هناك يعودون مرة أخرى إلى  
المكتب ، ويمشون غلايينهم من القوارير . وكان عرفا متبعا من نوع ما ،  
لم يقل به أحد ، ألا يأخذ أحد فى كل مرة إلا ملا غليونته . هنا اعتزل  
العجوز فولز وبايارد العجوز ، فى زيارته الشهرية وتصايحا معا واحداً بعد  
الآخر . فقد كان كلاهما أصم ، حوالى نصف ساعة أو ما يقربا ، وكنت  
تستطيع أن تسمعها بوضوح من الشارع ، وفى المتجر الملاصق من أى  
من الجانبين .

كانت عينا العجوز فولز زرقاوين وبريثتين كميني صبي . وكان أول ما عمله هو أن يفتح الحزمة التي أعدها له بايارد العجوز ويخرج منها قطعة من طباق المضغ ، ويقطع منها مضغة يضعها في فمه ، ويعيد القطعة إلى مكانها ، ويربط الحزمة بدقة مرة أخرى . ومرتين كل عام ، كانت الحزمة تحوى طاقا كاملا من الملابس ، وفي المناسبات الأخرى طباقا وكيسا صغيرا من حلوى النعناع ، ولم يكن يقطع الخيط قط . بل كان دائما يفكه بأصابعه المتغلظة الجافة . ويعيد ربطه من جديد ، ولم يكن يقبل مالا .

وقد جلس الآن في « معطفه ، النظيف حائل اللون ، والحزمة على ركبتيه ، يقص على بايارد عن السيارة التي مرت به وهو في الطريق صباح اليوم . وقد جلس بايارد ساكنا تماما يرقبه بعينه الوحشيتين العجوزتين حتى انتهى .

سأله هل أنت واثق بمن كان فيها ؟

- « مرت بي بسرعة كبيرة جدا . ولم أستطع معها أن أعرف إن كان فيها أى شخص على الإطلاق ، سألت عند وصولي إلى المدينة ويبدو أن كل شخص يعرف إلى أى مدى يسرع بها ، إلا أنت . »

جلس بايارد العجوز هادئا برهة ثم رفع صوته مناديا :

« بيرون ،

انفتح الباب ودخل الكاتب .

قال بصوت رتيب « نعم ، سيدى الكولونيل ، » .

- « اتصل ببيتى تليفونيا وقل لحفيدي ألا يمس تلك السيارة حتى أعود ،

- « نعم سيدى الكولونيل ، . وذهب بسكون كما ظهر .

واستدار بايارد العجوز بمقعده بعنف مرة أخرى ومال العجوز فولز إلى الأمام وهو يحملق في وجهه وسأله :



« بايارد ، ما هذا الذى فى وجهك ، متى ظهر عليه ؟ »

وسأله بايارد « ماذا ؟ » ثم رفع يده إلى بقعة صغيرة أبرزها احتقان وجهه « هنا ؟ لا أدري ماذا تكون ؟ إنها هنا منذ أسبوع . لماذا ؟ »

فسأل الآخر « وهل تكبر ؟ » ووقف ، ووضع حزمته جانبا ومد يده نحوه ، وتراجع بايارد المعجوز برأسه إلى الخلف وقال بغضب « لاشئ . دعها . . ولكن المعجوز فولز أبعد يد الآخر ، ولمس البقعة بأصابعه وقال « هم . صلبة كحجر . وهى تكبر أيضا . سألاحظها . وفى الوقت المناسب أستأصلها ، لم تنضج بعد . . ولجأة ظهر الكاتب بجوارهما بسكون وقال - « طاهيك يقول إنه ومس جينى قد خرجا فى السيارة إلى مكان ما . أبلغت رسالتك . »

سأله بايارد المعجوز « جينى معه . . أقلت هذا ؟ »

قال الكاتب بصوته الرتيب « هذا ما يقوله طاهيك . »

- حسنا ، وهو كذلك .

وانسحب الكاتب ، والتقط المعجوز فولز حزمته وقال « وسأمضى أنا أيضا ، سأعود فى الأسبوع القادم ، وألقى نظرة عليها ، خير لك أن تتركها حتى أعود . »

ومضى أثر الكاتب من الغرفة ، وعلى التو نهض بايارد المعجوز ، ومشى عبر البهو ، ودفع مقعده إلى الخلف عند الباب وجلس .

عندما عاد ذلك المساء إلى البيت ، لم تكن السيارة بادية للعيان ، ولا أجابته عمته على ندائه ، ثم صعد إلى حجرته وارتندى حذاء الركوب وأشعل سيجاراً ، ولكن إذ نظر من نافذته إلى الفضاء الخلفى ، لم يجد إيزوم أو الفرس المسرحية . . وكان الكلب المعجوز قابعا ينظر إلى أعلى ، إلى نافذته فلما ظهرت رأس بايارد المعجوز هم وذهب إلى باب المطبخ ووقف هناك ( ٢ - ٨ )

ثم نظر مرة أخرى إلى نافذته ، نزل بإيارد المعجوز الدرج ومضى عبر البيت ودخل المطبخ حيث كان كازبي جالسا إلى المائدة يأكل ويتحدث إلى إيزوم والنورا .

كان كازبي يروي ، ومرة أخرى أنا وولد آخر ، ثم رأى إيزوم بإيارد فهب من مكانه في ركن الصندوق الخشبي ، ودارت عيناه البيضاء في رأسه المستدير وتوقفت النورا أيضا بمكنستها ولكن كازبي أدار رأسه دون أن يقف ، ومضى يمضغ بانتظام وطرف بعينه على بإيارد المعجوز الواقف بالباب .

قال بإيارد ، أرسلت لك كلمة في الأسبوع الماضي أن تعود إلى هنا فوراً ، أولاً تعد على الإطلاق ، هل وصلتك ؟ .

وغنم كازبي شيئاً . ومضى يمضغ ، ثم دخل بإيارد المعجوز الغرفة وأمره ، قم من عندك وأسرج فرسي ،

أدار كازبي ظهره متعمدا ورفع كوب اللبن الحامض إلى فمه ، وهمست النورا ، كازبي ، قسم ، وأجابها ، أنا لا أعمل هنا ، ولكن بصوت لا يستطيع أن يسمعه بإيارد ثم استدار إلى إيزوم وقال ، لم لا تذهب وتحضر له حصانه ؟ ألا تعمل هنا ؟ ،

وتضرعت النورا ، كازبي ، حباً في الله ، ثم قالت بصوت مرتفع ، نعم ، سيدى الكولونيل سيذهب حالا ، .

قال كازبي ، من أنا ؟ هل يبدو على هذا ؟ ، ورفع كوبه بتؤدة إلى فمه ، ثم تحرك بإيارد مرة أخرى ففقد كازبي أعصابه ، ثم قام بسرعة قبل أن يبلغه بإيارد ، وعبر المطبخ متجها نحو الباب ، ولكن بوقاحة مشاكسة بدت حتى في شكل ظهره . وبينما كان يعالج فتح الباب لحق به بإيارد .

سأله ، هل ستذهب لتسرج فرسي ،

أجاب كازبي بصوت تحت صمم بإيارد بالضبط ، لن أفعلها ، أيها  
الولد العجوز ، .

- ماذا ؟ .

قالت النورا وكأنها تنوح : ، أوه يا إلهي ، كازبي ، ، ولجأ  
ليزوم إلى ركنه . رفع كازبي عينيه بسرعة إلى وجه بإيارد وفتح الباب  
الساخر .

قال مرة أخرى وهو يرفع صوته ، أنا أقول لك لن أفعلها ، ، ولكن  
سيمون واقفا عند أول الدرج بجوار الكلب وقد ففر فاه فاقد الأسنان  
نحوهما ، والتقط بإيارد العجوز قطعة من خشب الوقود من الصندوق القريب  
وأسقط بها كازبي عبر الباب المفتوح إلى أسفل الدرج عند قدمي أبيه  
حيث كان واقفا .

قال ، والآن ، اذهب واسرج هذه الفرس ، .

عاون سيمون ابنه حتى وقف على قدميه . وأخذه بعيدا نحو الجرن  
بينما أخذ الكلب ينظر إليهما باهتمام عميق وقال غاضبا ، ما زلت أقول  
لك ، أفكار الحرب الخادعة هذه لن تتفق مع هذا المكان والأفضل لك  
أن تشكر الله الخير لأنه صنع لك رأساً صلبة كهذه . هيا اذهب وأحضر  
هذه الفرس ، واحتفظ بهذا الكلام عن حرية السود لأهل المدن . وعلى  
أي حال ، من أجل ماذا نريد نحن السود أن نتحرر ، أليس لدينا من  
البيض قدر بما نستطيع أن نعول ؟ ، .

وقد نظر بإيارد العجوز ، ذلك المساء ساعة العشاء ، إلى حفيده  
عبر الضأن المشوى وقال ، ويل فولز قال لي إنك مررت به فوق تل  
ملجأ الفقراء وأنت تجري بسرعة أربعين ميلا في الساعة ؟ ، .

أجابت مس جيني على الفور ، أربعين .. هراء ، كانت أربعة وخمسين ،

كنت أرقب . . بايارد ماذا تسميه ؟ عداد السرعة ؟ ،

وقد جلس بايارد العجوز حانى الرأس قليلا يرقب يديه وهما ترتعشان على سكين القطع والشوكة وأخذ يستمع من تحت الفوطة المثبتة في صدره ، إلى قلبه ، وقد أصبح إلى حد ما أخف وأسرع قليلا . وهو يحس بعيني من جيني على وجهه .

قالت بحدة : بايارد ، ما هذا الذى على وجنتيك ا ، . فهم على الفور واقفا لجأة بالطريقة التى أفقدت مقعده توازنه فهوى إلى الخلف بضجة ، ومضى من الغرفة كالكفيف لا يرى شيئا .

- ٣ -

قالت مس جيني لبايارد العجوز وهى تقرأ صحيفتها ، : أنا أعرف ما الذى تريد منى أن أفعله ، أنت تريد منى أن أهمل رعاية البيت ، وأن أقضى كل وقتى فى هذه السيارة . هذا ما تريد منى أن أفعله . حسنا . وأنا لن أفعل هذا . لا مانع لدى من أن أركب معه من حين لآخر . ولكن لدى الكثير جدا الذى يشغل وقتى ، ويعنى منى أن أضيعه فى رده عن قيادة هذه السيارة بسرعة كبيرة جدا ، .

وأضافت تقول : وعنى أيضا ، وطلقت جريدها بصوت حاد .

ثم قالت : وبالإضافة ، ، لست غيباً إلى الحد الذى تعتقد معه أنه سيقود ببطء ، لمجرد وجود شخص آخر معه . أليس كذلك ؟ إذا كنت تعتقد هذا فعلا ، فالأفضل لك أن ترسل سيمون معه . الله يعلم أن سيمون يستطيع أن يستغنى عن وقته . أنا لا أعلم أنه يفعل شيئا منذ أن كففت عن استخدام العربية ، ومضت تقرأ صحيفتها .

وتصاعد الدخان من سيجار بايارد العجوز فى يده الساكنة .

قال : قد أرسل ليزوم ؟ ،

وطقطقت الجريدة في يدها بصوت حاد ، وحلقت في ابن أخيها لمدة طويلة ثم قالت : « الله في سمائه يا رجل ! لم لا تضع عليه الأصفاد والأثقال وتنتهي من الأمر كله ؟ » .

« حسنا » ، ألم تقترحي أنت أن أرسل سيمون معه ؟ سيمون لديه عمله الذي يقوم به ولكن كل ما عمله إيزوم إذا عمل شيئاً ، هو أن يسرج حصاني مرة كل يوم ، وأنا أستطيع أن أقوم بهذا بنفسى .

قالت مس جيني : « كنت أحاول أن أمزح . علم الله ، كان على أن ازداد معرفة مع الأيام ولكن إذا كان عليك أن تبتكر شيئاً جديداً ليقوم به السود ، فليكن هذا لسيمون . أنا أحتاج لإيزوم لأحتفظ بسقف هذا البيت فوق رأسك ولتجد شيئاً على المائدة لتأكله » . وطقطقت جريدتها وسألته : « لم لا تتحدث إليه بصراحة وتطلب منه ألا يقود السيارة بسرعة ؟ الرجل الذي يحدد لزاماً عليه أن يقضى ثماني ساعات جالساً على مقعد على باب هذا المصرف ، لا ينبغي أن يضطر إلى قضاء بقية الأمسية هائماً كالشيطان حول المدينة في سيارة ، إذا كان لا يريد أن يفعل » .

سألها : « وهل تجدين ثمة فائدة في أن أطلب منه ؟ الملاعين ، لم يعر أحدهم قط أذناً صاغية لرغباتى » .

قالت مس جيني : « تطلب ، يا للشيطان . من الذى قال شيئاً عن تطلب . أؤمره ألا يفعل . قل له إذا سمعت مرة أخرى عن قيادته هذه السيارة بسرعة فإنك ستنتزع حياته منه . على أى حال ، أنا أعتقد أنك نفسك ترغب في ركوب هذه السيارة ولكنك لا تعترف بهذا . كل ما في الأمر ، أنك لا تريد أن يركبها عندما لا تستطيع أن تصحبه فيها ، ولكن بايارد العجوز كان قد صفق قدميه بالأرض ووقف ، ومضى من الغرفة في خطوات ثقيلة .

وبدلاً من أن يرقى الدرج ، سمعت مس جيني خطواته وهي تتلاشى في

نهاية البهو . وعلى التو ، وقفت وتبعته إلى الفناء الخلفي ، حيث كان واقفا في الظلام . كان الليل مظلماً فواحاً بروائح الربيع المتدافقة ، وبالحشرات . وكان الجرن متشاعخاً إلى السماء ، كتلة ظلماء ومن ورائها ظلام أرق .

قالت بسرعة وهي تلمس ذراعه : لم يعد بعد . كنت سأخبرك . هيا اصعد الآن ، وعد إلى فراشك . أنت تعرف أنه سيشرق بعودته عندما يعود . وأنت ، بتصوراتك الخفاء هذه ستلقى به في خيالك ، في مستنقع بمكان ما ، ثم قالت له برقة أكثر : أنت تفكر في هذه السيارة بطريقة صبيانية جدا . ليست أكثر خطراً في الليل منها في النهار .

ونثر يدها بعيداً عنه ، ولكنه استدار بخضوع ، ودخل البيت . وصعد الدرج ، وسمعت وقع قدميه في غرفة نومه . وبعد هنيهة توقف عن صفق الأبواب والأدراج ، واستلقى تحت مصباح القراءة مع كتاب لدوماس . وبعد وقت انفتح الباب .

دخل بايارد الصغير ، وجاء إلى دائرة النور وعيناه كشيبتان .

لم يعر جده حضوره اهتماماً ، فلمس ذراعه . وهنا رفع بايارد العجوز عينيه ، وعندما فعل هذا استدار بايارد الصغير وغادر الغرفة .

اعتكف بايارد العجوز في مكتبه ، بعد أن أسدلت الستائر على نوافذ المصرف في الساعة الثالثة وكان في استطاعة الصراف وكاتب الحسابات وهما في مكانهما في صالة المعاملات بالبنك ، أن يسمعا من وراء الباب المغلق وهو يصدم الأشياء من حوله ويصفقها ، ثم توقف الصراف عن العمل ، وبين أصابعه عدد من النقود الفضية المرتبة بأناقة .

قال « أسمع ؟ » ثمة شيء يشغله هذه الأيام ، اعتاد أن ينتظرهم في غرفته ، وهو هادئ كالقار حتى يحضروا إليه ، ولكنه في الأيام القليلة الأخيرة ، يدور في الحجرة ، ويصفح الأشياء ، وكأنه يقاتل

حشدا من الزناير ، لم يقل الكاتب شيئا ثم وضع الصراف صف النقود  
الفضية جانبا وأخذ في بناء صف آخر ، وقال .

« ثمة شيء في صدره هذه الأيام ، هذا الطبيب ، لا بد أنه قد أسر  
بشيء في أذنه على ما أظن . »

لم يقل الكاتب شيئا ولكنه سحب آلة الجمع إلى مكتبه وأعد ذراعها  
للعمل ، أما في الغرفة الخلفية فقد مضى بإيارد العجوز يتحرك فيها بضوت  
مسموع ، ورتب الصراف ما تبقى من النقود الفضية بدقة ، ثم لف سيجارة .  
أما الكاتب فقد انحنى فوق آلة الجمع وهي تطلق بانتظام ولصق الصراف  
سيجارته وأشعلها ومضى متباطئا إلى النافذة ، رازح الستار ثم قال « سيمون  
أحضر العربية اليوم ، هذا الولد لا بد وقد حطم السيارة أخيراً على ما أظن ،  
الأفضل ان تنهب الكولونيل ، »

انزلق الكاتب من فوق مقعده المرتفع وعاد إلى الباب وفتحه ، ورفع إيارد  
العجوز عينيه ، وكان جالسا إلى مكتبه وقبعته فوق رأسه .

قال « حسنا يا بيرون ، وعاد الكاتب إلى مكتبه . »

ومضى إيارد العجوز عبر البنك وفتح الباب الخارجي ثم توقف تماما  
ومقبض الباب في يده .

سأل سيمون « أين إيارد ؟ »

قال « لن يحضر ، وتقدم إيارد العجوز إلى العربية . »

« ماذا ؟ أين هو ؟ »

قال سيمون « هو وإيزوم ذهبا إلى مكان ما في السيارة ، الله وحده  
يعرف أين هما الآن . ان يأخذ هذا الولد من عمله في وسط النهار ،  
ليركب السيارة ؟ ، ووضع إيارد العجوز يده على مقبض العربية ، وقد برزت

البقعة البيضاء في وجهه مرة أخرى ، ومضى سيمون يقول ( بعد كل هذا الوقت الذي بددته وأنا أحاول أن أضع شيئاً من التعقل في رأس إيزوم ) ، وأمسك رأسي الحصانين مرفوعين إلى أعلى ، منتظراً مخدومه حتى يركب ، وهو يردد : ركوب السيارة . . . ركوب السيارة . . .

قال بايارد العجوز . : فلتحل على اللعنة ، إن لم أكن أكّد في سبيل اتفه جماعة من الخلق صنعها الله . ثمة شيء واحد في هذا الموضوع ، عندما يتحتم على في النهاية أن أذهب إلى ملجأ الفقراء ، فإن كل واحد منكم أيها الملاعين سيكون في انتظاري هناك . .

قال سيمون : والآن ، هأنذا تتشاجر أيضا ، مس جيني ظلت تصرخ في حتى من البوابة ، وأنت الآن قد بدأت الشجار فعلا . ولكن إذا لم يدع مستر بايارد هذا الولد وشأنه ، فلن يكون أفضل من أي صبي أسود من أهل المدن ، رغم كل ما أستطيع أن أفعله . .

قال بايارد العجوز : جيني قد أتلفته بالفعل . حتى بايارد لا يستطيع أن يؤذيه كثيراً . .

قال سيمون موافقا : قلت الحقيقة بالتأكيد ، وهز الأعنة : هيا ! ،

قال بايارد العجوز : سيمون ، اسمع . انتظر دقيقة . .

وشد سيمون أعنة الخيل : وماذا تريد الآن ؟ ،

واستعادت البقعة التي على وجه بايارد مظهرها المعتاد .

قال له : عد إلى مكنتي واحضري سيجارا من القارورة التي على الرف . .

بعد يومين ، وإذ هو وسيمون يمضيان ببطء إلى البيت ساعة الأصيل ، وفي نفس اللحظة تقريبا مع رعدهما المنذر ، انقضت عليه السيارة عند انحناء في الطريق ، ثم انزلت إلى المستنقع وعادت إلى الطريق مرة أخرى وانددت



مدبرة . وفي اللحظة المبرقة رأى هو وسيمون بياض عيني إيزوم وصف  
أسنانه من وراء عجلة القيادة . وعندما عادت السيارة إلى البيت ذلك الأصيل ،  
أخذ سيمون إيزوم إلى الجرن وساطه بحزام سرج جلدى .

ذلك المساء ، جلسا في المكتب بعد تناول العشاء . وقد وضع بايارد  
العجوز سيجاره غير المشعل بين أصابعه ومضت مس جيني تقرأ صحيفتها ،  
وهبت نسائم رقيقة محملة بالربيع .

قال بايارد العجوز فجأة وربما يسأماها بعد قليل ،

رفعت مس جيني رأسها وقالت : « وعندما يفعل ، ألا تعلم ما الذى  
سيحصل عليه حينئذ ... عندما يجد أن هذه السيارة لا تمضى بسرعة كافية ؟ »  
وحملت فيه عبر جريدتهما ، وقد جلس بسيجاره غير المشعل وقد انحنت  
رأسه قليلا ولم يكن ينظر إليها « سيشتري طائرة » .

وطقطقت جريدتها وقلبت الصفحة « ينبغي أن يكون له زوجة » ثم  
مضت تقول وهي تقرأ جريدتها « دعه ينجب ولدا ، حينئذ يستطيع أن  
يكسر عنقه حالما ، وكلما أراد ذلك . يبدو أن العناية الإلهية لا تعرف العدالة  
على الإطلاق » ثم قالت وهي تفكر فيها معا ، فى شقيقه الميت ، « لكن  
الله يشهد ، أنتى أكره أن أرى فتاة أحبا ، وهى زوجة له ، وطقطقت  
الصحيفة ، وهى تقلب صفحة أخرى « لا أدري ما الذى تتوقعه منه غير  
هذا . من أى سارنورس . وأنت لا تضيع أمسياتك راكبا معه لمجرد أنك  
تعتقد أن هذا سيمنعه من قلبها . أنت تذهب معه ، لأنك تريد . عندما تقع  
الواقعة ، أن تكون فيها أيضا . ولذا فهل تظن نفسك تحسب للناس حسابا  
أكثر منه ؟ »

وكان ممسكا بسيجاره ووجهه مازال منكسا . وكانت مس جيني ترقبه من  
وراء صحيفتها .

« سأنزل المدينة غدا ، وسنذهب إلى الطبيب ليلقى نظرة على هذا الورم  
الذى فى وجهك ، أسمعنى ؟ »

في غرفته ، خلع ياقته ورباط عنقه أمام دولاب ملابسه ذي الأدراج ، وسقطت يده على الغليون الذي وضعه هناك منذ أربعة أسابيع ، ووضع الياقة ورباط العنق جانبا والتقط الغليون وأمسك به . وأخذ في عرك اتفاخه المتفحم بإيhamه .

ثم غادر الغرفة بهزم مفاجيء وخطا متثاقلا عبر البهو ، حتى نهايته ، حيث يتصاعد درج إلى الظلام . وتحسس بأصابعه مفتاح النور ، وأضاء المصباح ورقى ، وهو يتبع بحذر في الظلام استدارات الدرج الضيقة حتى وصل إلى باب ثبت بزاوية حادة ، وفتحته إلى غرفة عريضة منخفضة السقف تبعث برائحته الغبار والصمت والأشياء العتيقة غير المستعملة .

انتشرت في الغرفة قطع من الأثاث بلا تمييز - مقاعد وأرائك وكأنها أشباح صابرة تمسك في احتضانة جافة متصلبة أشباحا أخرى ، إنها مكان مناسب للموتى من آل سارتورس ، ليجتمعوا فيه ويتحدثوا فيما بينهم ، عن الأيام السحيقة المجيدة والمفجعة معا ، وقد تراقص الضوء العارى على حبل مفرد هابط من وسط السقف وفك عقدته وجره عبر الحجرة إلى مسمار بالحائط فوق صندوق خشب وربطه هناك ، وجر مقبدا إلى الصندوق وجلس .

لم يكن الصندوق قد قتح منذ عام ١٩٠١ ، عندما سقط ابنه جون تحت تأثير الحمى الصفراء وجرح قديم من رصاصة إسبانية . ومنذ هذا التاريخ جاءت مناسبتان ، في يوليو وأكتوبر من العام الماضى ولكن الحفيد الآخر كان ولا يزال يملك الثور وكل تراث الأسرة المشثوم الذى لا يتصور ولذا فقد ترك المناسبتين تمضيان مؤقتا ، متوقفا أن يصيد عصفورين بحجر واحد كما يقولون .

وكان القفل متصليا ، وحاول بصبر لمدة طويلة أن يفتحه . وانقشر الصدا عنه والتصق بيديه ثم توقف ، وهم وبحث من حوله ، وعاد إلى الصندوق بشمعدان ثقيل من الحديد الزهر ، ضرب به القفل حتى فتحه

واخرجه ، ورفع الغطاء . من الصندوق تصاعدت غلالة رقيقة من عطر  
خشب الشربين المنعش ، وشيء آخر ، شذا ، وكأنه رائحة رماد قديم  
كرائحة المسك المحمله بركة بالحنين إلى الماضي . وكان أول الأشياء ثوب .  
كان النسيج المطرز مطبوسا تماما وحريير ميشلان الذي صنع منه أصفر  
مغبرا وحائلا وقد فقد معالم نسيجه تماما وكأنه ضوء الشمس في فبراير .  
ورفع الثوب بعناية من الصندوق ، فتساقطت الدتلا ناعمة وحائلة وكأنها  
نبيذ انسكب على يديه ، ووضعه جانبا ، ثم التقط بعد ذلك سيف طعان  
كان من صنع توأيدو ، سلاحاً رقيقاً وجيلاً وكأنه نغم ممتد من قوس  
كان ، وكان في غمد من المخمل . والغمد أنيق زاخر الألوان ملطخ ، وقد  
تشققت حوافه وجفت .

وضع بايارد العجوز السيف بين كفيه هنيئة ، وهو يستشعر ثقله بين  
يديه ، كان الأداة التي يعتبرها واحد من آل سارتورس سلاحا مناسباً  
لزرع الطباق في بركة بكر ، هو والكعوب القرمزية وأساور الرسغ المخملية ،  
كانت الأدوات التي يشق بها الأرض ويحارب بها جيرانه البسطاء المتسللين .

ووضعه جانبا . ثم جاء بعد ذلك سيف فارس ثقيل ، وصندوق من  
خشب الورد يحتوي على غدارتي مبارزة برسوم بارزة من الفضة ، كانت  
لها رقة خيل السباق الخداعة وآخر وصفه العجوز فولز بقوله : هذا المدمدم  
الأمريكي القصير ، كان شيئاً غامضاً ، شريراً بقصباته الثلاث كل غاية كانت  
النفع بشكل فاجر وبيروود ، وكان بين السلاحين كأنه حشرة باردة قاتله ترقد  
بين زهرتين .

أخرج بعد ذلك ، قبعة مشاة الجيش في الأربعينات وإناء فخاريا  
صغيراً وسكينا مكسيكية ثقيلة ، وعلبة زيت ذات عنق طويل مما يستعمله  
سائقو القطارات . كانت من الفضة وقد حفرت عليها صورة قاطرة بمدخنة  
هائلة جرسية الشكل وقد أحيطت بصفائر أنيقة من الورد ومن تحتها الاسم  
فرجينيا والتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٨٧٣ .

بعموم مفاجئ. وضع هذه الأشياء جانبا ثم أخرج الأشياء الأخرى ، ستره الحلف الاتحادي الجنوبي الرمادية الموشاة والمزينة بالجدائل . عبادة من المسلمين المشجر يفوح منها بضعف عطر اللاقندر مستثيرا إلى الذكرى ، حفلات رقص أنيقة رسمية دارسة وعطر ياسمين برى يتداق في لهب الشموع الرصين - ثم جاء إلى حشد من الأوراق المصفرة المربوطة بأناقة في حزم وأخيرا إلى توراة هائلة مغلفة بالبرنز . رفته إلى حافة الصندوق وقتحه كان الورق بنياً ناعماً من فعل السنين ، وكان له مثل ملمس رماد الخشب المندى قليلا ، وكان كل ورقة منه قد أمسكت إلى بعضها البعض بما عليها من طباعة قديمة حائلة . قلب الصفحات بعناية إلى الخلف حتى الصفحات البيضاء ، ومبتدئا من قرب نهاية الصفحة البيضاء الأخيرة تصاعد عمود من الأسماء والتواريخ ، في بساطة مفاجئة وحائلة ، وهي تفيض رويداً رويداً حيث وضع الزمان عليها آثاره وعند القمة كان وما زال من الميسور تمييزها ، كما كان الأمر في نهاية الصفحة السابقة ولكن في منتصف هذه الصفحة توقفت ومنها حتى نهاية الصفحة كانت بيضاء إلا من آثار الزمن الرفيعة الضعيفة ، وجرة قلم بنية اللون ، هنا وهناك ، جلس بايارد المعجوز وقتاً طويلاً يتأمل ألوهية اسم أسرته المتداعية المذهلة ، لقد سخر آل سارتورس من الزمن ولكن الزمن لم يسع للانتقام لأن الزمن أكثر امتداداً من آل سارتورس . والمرجح أيضا أنه كان غافلاً عنهم . ولكنها كانت على أي حال مجاملة طيبة منه .

قال جون سارتورس ، في القرن التاسع عشر يعتبر علم الأنساب هراء ، وخاصة في أمريكا حيث لا أهمية إلا لما يأخذه الرجل ويحتفظ به ، وحيث لنا جميعاً نسب واحد مشترك ، والبيت الوحيد الذي نستطيع أن نزعّم انتسابنا إليه بأى قدر من الثقة هو سجن أولاد بيلي . ورغم ذلك فإن الرجل الذي يعلن أنه لا يهتم على الإطلاق بنسبه ليس إلا أقل غروراً بقدر قليل من ذلك الذي يستند في كل أعماله إلى تقاليد الدم . وأنا

أعتقد أن أي سارتورس يستطيع أن يمتلك قدراً محدوداً من الغرور ومن هراء الأنساب هذا إذا أراد .

نعم كانت مجاملة طيبة ، وجلس بإيارد المعجوز يتأمل بهدوء الماضي الذي نطق به تلقائياً كان . . . القدر ، العرافة التي تنبأ بمصير حياته تسترق إليه النظر من وراء حاجز الشجيرات على جانب الطريق ، ماذا لو استطاع التعرف عليها ، ومرة أخرى ، جرى لاهث الأنفاس خلال دغل الشجيرات بينما مضى هزيم فرسه الدخاني اللون مسرعاً في الظلام وانقضت عليه من خلفه مقفلة دورية اليافكي ثم مضت مبتعدة عنه رويداً رويداً وقبع برثنيه المجهدتين الكادتين في دغل الورد الوحشي ، يستمع إلى صوت الطراد وهو يندفع مبتعداً - ثم زحف وذهب إلى ينبوع كان يعرفه يتدفق من جذور شجرة زان وعندما انحني عليه ، انعكست على وجهه أضواء النهار الأخيرة مبرزة بشكل حاد الجهة والأنف فوق تجويف العينين العميقين كالكهف ، وأنيابه المكشرة اللاهثة ، ومن الماء الساكن حملت فيه اللحظة مفاجئة ، جمجمة .

الأخطار التي تهدد مصير الإنسان ولا يمكن النجاة منها . حسناً ، الجنة ، ذلك المكان المزدحم ، يرقد بالضبط وراء أحدها ، هكذا يزعمون . الجنة ملوثة بوم كل إنسان عن نفسه والأوهام المتضاربة عنه والتي تتردد في عقول الأوهام الأخرى . . . وتحرك قليلاً وتهدد بهدوء وأخرج قلبه الحبر ، وفي نهاية العمود كتب .

( جون سارتورس ٥ يوليو سنة ١٩١٨ )

وتحتها . كارولين هوايت سارتورس وولدها ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١٨ .  
وعندما جف الحبر ، أغلق الكتاب وأعادته إلى مكانه وأخرج الغليون من جيبه ووضع في صندوق خشب الورد مع غدارتي المبارزة والغدارة

الأمريكية القصيرة ، وأعاد الأشياء الأخرى إلى أماكنها وأغلق الصندوق وثبته بالقفل .

وجدت مس جيني بإيارد العجوز في مقعده المضطجع إلى الخلف بجوار باب البنك . رفع عينيه إليها وهو يتظاهر بحرق بالدهشة ، وبدأ صممه أكثر وضوحاً من المعتاد ولكنها أنهضته من مكانه بصراصة باردة ، وتقدمته ، وهو ما زال يغمغم ، في الشارع ، حيث تحدث إليها التجار والآخرين وكأنها إحدى ملكات القبائل المقاتلة ، بينما مشى بإيارد العجوز بجوارها غاضباً صامتاً وعلى مضض .

ثم استدارا وصعدا درجا ضيقاً محصوراً بين متجرين ، تحت صف من لاقتات مغبرة تعلن عن مهن مختلفة . وفي نهاية الدرج كان ممر ضيق وأبواب عدة ، أقربها من خشب الصنوبر ، وقد زال لونه الرمادي من الجزء الأسفل فيه ، وكأنه ركل موارا وفي نفس الارتفاع وبنفس القوة وكان في الباب نفسه ثقبان يبعدان عن بعضهما البعض بوصة واحدة ، ويحملان دليلاً آخرس على السقطة المفقودة ، التي تعلق في قفاز القفل المثبت في عضد الباب ، وقد ثبتت في مكانها بقفل جسم صديء من طراز عتيق . وأراد بإيارد العجوز أن يتوقف هنا ، ولكن مس جيني قادته بحزم إلى باب آخر عبر الباب .

هذا الباب ، كان حديث الطلاء وكان معرقاً ليبدو كخشب الجوز ، وقد ثبت في نصفه العلوي لوح زجاجي سميك معتم يحمل اسماً في حروف ذهبية بارزة ، وموعدين لساعات العمل . فتحت مس جيني هذا الباب ، وتبعها بإيارد العجوز إلى حجرة صغيرة تكاد أن تكون جحراً ولكنها تتميز بعقم سبرطى نظيف . كانت الجدران رمادية حديثة الطلاء لا يشوبها شيء ، وعليها صورة مطبوعة لإحدى لوحات كورو ، ولوحتان عنكبوتيتان من الرسم الدقيق المحفور على النحاس وفي إطارات طويلة ،

وحوت أيضاً بساطاً جديداً في لون برتقالي دافئ ، ومنضدة عارية ،  
وأربعة مقاعد من خشب البلوط الغامق - وكلها بلا طابع ونظيفة وغير  
مكلفة ، ولكنها تكشف عند النظرة الأولى عن نفسية مالكيها -  
نفسية مقيدة اليوم بالضيق المادي ، ولكنها مصممة - وسيكون ذلك  
من نصيبها أن تعمل يوماً بين البسط الفارسية والآثاث الثمين ، ولوحة  
واحدة لاتعاب على الجدران الصافية . وقفت امرأة شابة في ثوب أبيض  
منشئ من خلف منضدة أصفر حيث استقر عليها تليفون ، وربتت على  
شعرها .

قالت مس جيني « ميرتل ، صباح الخير . أخبري دكتور الفورد أننا  
نرغب في رؤيته الآن ، أرجوك » .

قالت الفتاة بصوت آلي تماماً . « أنت لديك موعد سابق ؟ » .

أجابت مس جيني ، « سنأخذ واحداً الآن ، أنت لا تقصدين أن  
تقولي إن دكتور الفورد لا يأتي للعمل قبل الساعة العاشرة ؟ » .

قالت الفتاة كالبيضاء ، وهي تحمق في نقطة فوق رأس مس جيني ،  
« دكتور الفورد . . . لا . . . لا يقابل أحداً دون موعد سابق . إذا لم  
يكن لديك موعد ، فإن عليك أن تحتجز . . . » قالت مس جيني  
مقاطعة بسرعة « كفى . أجرى ، وأخبري دكتور الفورد أن  
كولونيل سارتورس يريد أن يراه - هيا ، أنت بنت طيبة » .

قالت الفتاة مطيعة ، « نعم سيدتي ، مس جيني ، وعبرت الفرقة ،  
ولكنها توقفت عند الباب مرة أخرى ومرة أخرى أصبح  
صوتها كصوت البيضاء . . . ألا تتفضلين بالجلوس ؟ سأرى إن كان الطبيب  
مشغولاً » .

قالت مس جيني مكررة بلطف ، « اذهبي أنت وأخبري دكتور

الفرد أننا هنا . قولي له أن على إن أشتري صباح اليوم بعض الأشياء ، وليس لدى ثمة وقت للانتظار .

قالت الفتاة مؤيدة : نعم ياسيدتي ، مس جيني ، واختفت ، وبعد برهة وقورة عادت ، وقد تكلفت أساليب حرقها بإتقان وقالت ،  
« سيراكما الطبيب الآن . تفضلا أرجوكا ، وقتحت لهما الباب ووقفت جانبا .

أجابتها مس جيني ، « أشكرك ، يا حلوة . أما زالت والدتك في الفراش ؟

« لا ياسيدتي . إنها تستطيع أن تجلس الآن . شكراً لك ، .  
قالت مس جيني « هذا طيب . بايارد . هيا . »

كانت غرفة الطبيب أصغر من الأخرى ، وكانت معقمة بشكل عنيف . وكان بها صوان ذو طلاء معدني أبيض ، مملوء بأدوات ثقيلة يلمع منها وهج وحشي ومنضدة معدنية للعمليات وصف من الأفران السكرية والمعقات ، وقد انحنى الطبيب على منضدة صغيرة أمامه ، وكان يرتدى سترة بيضاء من التيل ، واللحظة قصيرة لم يدركها رأسه المتشاغلة بمكر ، ثم رفع عينيه ووقف

كان في العقد الرابع من عمره . في سني الشباب التي لا يمكن تحديدها بالضبط وكان أحد الوافدين الجدد إلى المدينة وابن أخ أحد سكانها القدامى ، وقد حقق نفوذا كبيرا في مدرسة الطب ، وكان له مظهر حسن ، ولكن كان فيه ثمة نوع من الشعور بالكرامة ، ونوع من الأحكام اليقينة القاسية بالنسبة للإنسان ، الأمر الذي وقف عائقا بينه وبين المودة السهلة التي يتميز بها أهل المدن الصغيرة ، ودفع حتى هؤلاء الذين يذكرونه كصبي زائر ، أن يخاطبوه بدكتور أو سيد . كان له شارب صغير ، ووجه كالقناع . وجه مطمئن ، ولكنه خال من الود . وبينما جلس بايارد المعجوز يسكون مضى الطبيب يتفحص بدقه بأصابعه الجافة النظيفة البروز الصغير في وجهه ، وسأله مس جيني سؤالا ، ولكنه تابع باستغراق



استكشافه وكأنه لم يسمع ، وكأنها لم تتكلم ، وقد دفع مصباحا كهربيا صغيراً بعد أن عقمه داخل فم بايارد ، ومضى يضيء وجهه الياقوتي من وراء وجنته ويطفئه ، ثم أخرجه وعقمه مرة أخرى وأعادته إلى الصوان .

قالت مس جيني وقد عيل صبرها ، « حسنا ، ؟ وأغلق الطبيب الصوان بدقة ، وغسل يديه وجففهما وجاء ، ووقف فوقهما ثم علق لهما من جيبي سترته وكأنهما شخصين وبدأ يتكلم برزانة ولذوجة بألفاظ مهتة ، ومضت الكلمات الشديدة تنزل من فوق لسانه باستمتاع ابيقورى بطيء .

قال محتثا حديثه « ينبغي أن يزال في الحال . يجب أن يزال وهو بعد في مرحلة مبكرة . ولهذا فأنا أنصح بإجراء جراحة فورية ، .

سأله مس جيني ، أنت تعني أنه قد يتطور إلى سرطان ؟

« مدام لا يمكن أن يحدث هذا مطلقا . إنها مسألة وقت . أهمليه ولن أستطيع أن أعدك بشيء . اقتطعيه الآن . ولن يضطر لأن يشغل به مرة أخرى ، ثم عاد ينظر إلى بايارد المعجوز مرة أخرى وهو يتأمله متباطئا ببرود مخيف ، واستطرد يقول ، « ستكون بسيطة جدا ، سأزيله بمثل هذه السهولة . وأحدث إشارة سريعة بيده .

سأل بايارد « ما هذا ؟ ،

« كولونيل سارنورس ، أنا أقول إنني أستطيع أن أقطع هذا الورم بسهولة فلا تحس بما أفعل ، .

نهض بايارد بطريقة الخاصة المفاجئة ، وهو يقول ، « فلتحل بي العنة إذا فعلت ، .

قالت مس جيني آمرة ، « بايارد ، اجلس . لن يجرى أحد مبعثه عليك دون أن تعرف . هل ينبغي أن نجرى في الحال ؟ ،

« نعم يا سيدتى . لو كنت مكانه لما تركت ذلك الشيء على وجهى ليلة واحدة . وإلا - إذ أنه ليس من العدل ألا أحذرك - فما من طبيب يستطيع أن يتحمل مسئولية ما قد يحدث . »

ثم قال وهو ينظر يبرود وتأمل مرة أخرى إلى وجهه بإيارد ، « فى استطاعتى أن أزيله فى دقيقتين ، ثم أدار رأسه جانباً ووقف بنصت ، ومن وراء الحائط الرقيق ، تدفقت إلى الغرفة موجات صوت عريض .

قال الصوت ، « خير يا أختى ، أليس هذا صوت بإيارد سارتورس الذى يسب ويلعن فى الداخل ، ثم أمسك كل من الطبيب ومس جينى عن الحديث ، وانفتح الباب ليملؤه أكثر رجال البلدة بدانة . كان يرتدى سترة من النسيج الخفيف فوق صدر وسروال كالغرامة من الصوف الأسود الناعم ومن فوق ثنيات قميصه تدلت طيات لغده فكادت أن تغطى ياقته المنخفضة ، ورباط عنقه الخيطى ، وقد تكلفت رأسه التى تشبه رأس سيناتور روماني ، بخصل شعره الأشقر الصاخبة ، وقال وهو يهدير « بحق الشيطان ، ماذا بك ؟ » ثم دخل إلى الحجرة ، فثأها تماماً ، وجعل من فيها ومن أثأها أقزاماً .

ذلك كان الدكتور لوشياس كوينتس يهودى ، البالغ من العمر سبعة وثمانين عاماً ، ويزن ثلاثمائة وعشرة أرطال ، ويملك قناة هضمية كقناة حصان . اشتغل بالطب فى الريف عندما كانت عدة الطبيب منشأراً وجالون ويسكى وقاروة من دهان الكالوميل وكان الطبيب الخاص للواء جون سارتورس ، وحتى بعد انتشار السيارة ، كان يخرج فى أية ساعة من ساعات اليوم الأربع والعشرين ، وفى أى جو ، ليقطع أية مسافة ، فوق طرق تكاد أن تكون مسدودة فى عربة متوازنة ولا تتكون إلا من مقعد أو مقعدين فوق عدة ألواح من الخشب مثبتة على عجلتين ، ليعود أى شخص أرسل فى طلبه ، سواء كان أبيض أم أسود ، ويقبل - عادة - كأجر ، وجبة طعام من القمح المسلوق والقهوة ، أو ربما كمية صغيرة من

القمح أو الفاكهة ، أو بضع بصيلات زهور ، أو شتلات فاكهة .

حينما كان شابا طائشا احتفظ بكراسة يسجل فيها دخله وما يصرفه يوما بيوم ، واحتفظ بها بدقة شديدة . حتى بلغت أرصده الوهمية عشرة آلاف دولار ، ولكن ذلك كله كان منذ أربعين عاما ، ومنذ ذلك الحين لم يشغل بسجله على الإطلاق ، أما الآن ، فمن حين إلى حين ، يدخل ربنى مكتبه الرث ليوفى نذرا ، لعله احتفال بيوم دخول صاحب النذر الدنيا ، وعد به أبوه أو جده ، الأمر الذى نسي عنه دكتور بيبودى كل شئ . منذ زمن بعيد . وما من أحد فى المنطقة لم يكن يعرفه ويرسل إليه فى عيد الميلاد ، فخذ خنزير مملح ، أو صيدا برياً ، وكان يقال إن فى استطاعته أن يقضى بقية أيامه متجولا فى الريف ، فى عربته ذات المقعد والألواح الخشبية التى كان يستعملها وما زال دون أن يشغل مطلقا بالطعام والمسكن ودون أن يصرف بنسا أيضا . ملا الحجرة بإنسانيته الدافئة الصاخبة الساذجة وعبر الحجرة فاهتز البناء كله بوقع أقدامه ، وتقدم من مس جينى وربت ظهرها بيد كالمطرقة الخشبية .

قال : خير يا جينى ، هل توقعين كشفا طيبا على بايارد للتأمين عليه ؟ ، قال بايارد المعجوز مشاكسا ، « هذا الجزار اللعين يريد أن يقطع فى ، لوش ، تعال واجعلهم يدعوني وشأنى » .

قال دكتور بيبودى بصوته الجللجل : الساعة العاشرة صباحاً ، وقت مبكر جداً للبدء فى تقطيع البعض . السود يختلفون . قطع أى أسود فى أى لحظة بعد منتصف الليل . ماذا به يا ولدى ؟ ،

قالت مسس جينى « لا أعتقد أنها أكثر من ثؤلول ، ولكننى سئمت النظر إليها » .

قال دكتور الفوردي بحفاف « إنها ليست ثؤلولا ، وسرد مرة أخرى تشخيصه بتعبيرات فنية بينما احتواهم جميعا وجود دكتور بيبودى الخبير الطبيب .

قال مؤيداً ، « يبدو الأمر سيئاً جداً ، أليس كذلك ؟ » ثم هز الأرض مرة أخرى تحت وقع أقدامه ، ودفع بايارد بحزم بيده الهائلة إلى مقعده ، وبالأخرى جر وجهه إلى النور . ثم استخرج من جيب سترته نظارة ذات إطار حديدي وفحص وجه بايارد ، وقال ، « تعتقد أنه من الواجب اقتطاعه ، أليس كذلك ؟ »

أجاب دكتور الفورد ببرود ، « أنا أعتقد هذا . أنا أعتقد أنه لا مناص من اقتطاعه . لا ضرورة له هناك . سرطان » .

قال دكتور ييبودي بحفاف ، « عاش الناس زمناً طويلاً مع السرطان قبل أن يخترعوا السكاكين . بايارد ، لا تتحرك » .

والناس من أمثالك هم أحد الأسباب . كانت العبارة على طرف لسان الرجل الأصغر ولكنه أمسك ، وقال بدلاً من ذلك « كولونيل سارتورس ، أنا أستطيع أن أستأصله في دقيقتين » .

انفعل بايارد بعنف وقال ، وهو يهيم واقفاً ، « أكون ملعونا إذا تركتك تفعل ، لوش ، قف جانبا » .

قال دكتور ييبودي بهدوء ، وقد أمسك به في مقعده « لا تتحرك - ومضى يتفحص الورم - هل يسبب لك أى ألم ؟ »

« لا . أنا لم أقل قط إنه يسبب لى أى ألم . فلتحل على اللعنة . . . »

قال دكتور ييبودي « المرجح أن تحمل بك اللعنة على أى حال . ستكون فى مثل حالك الآن إذا مت . لا أعرف شخصا يأخذ من حياته من المتعة والتسلية أقل مما تفعل » .

قالت مس جينى وهى تؤيده « قلت الحقيقة لأول مرة . إنه أكبر سناً ممن عرفت فى حياتى على الإطلاق » .

ومضى دكتور بيبودي يقول ببساطة : وعلى ذلك فلا تشغل به . دعه  
يبقى مكانه . ما من أحد يعنيه شكل وجهك . لو كنت شابا فتيا ، تخرج  
لتكهرب الفتيات كل ليلة ، .

قال دكتور ألفورد مقاطعا : إذا كان قد سمح لدكتور بيبودي أن يتدخل  
دون أن يتحمل أى نتائج . . .

قال بايارد : ويل فولز يقول إنه يستطيع أن يعالجها ،

قال دكتور بيبودي بسرعة : بدهانه الخاص هذا ؟ ،

قال دكتور ألفورد : دهان ؟ ، كولونيل سارتورس إذا سمحت لآى  
دجال يمر بك ، أن يعالج هذا الورم بأدوية مصنوعة فى الريف ،  
أو خاصة به ، ستكون ميتا خلال ستة شهور ، ثم استطرد يقول بسخرية  
: حتى دكتور بيبودي سيؤيدنى فى هذا . .

قال دكتور بيبودي ببطء : لا أدرى ، لقد فعل ويل أشياء عجيبة  
بدهانه هذا . .

قال دكتور ألفورد : سيتحتم على أن أحتج على هذا . مسز دوبرى ،  
أنا أحتج ضد رجل من مهنتى . يحبز ، واو بطريقة سلبية ، مثل هذه  
الطريقة ، قال دكتور بيبودي : مهلا يا ولدى . ان نسمح لويل أن يضع  
عقاقيره على ثؤلول بايارد ، إنها تصلح للسود والماشية ولكن بايارد ليس  
فى حاجة إليها سندع هذا الشيء وشأنه ، طالما أنه لا يؤله . .

قال دكتور ألفورد : إذا لم يستأصل هذا الورم فوراً ، فأنا انفض  
يدى من كل مسئولية . إهماله أمر مميت تماما كدهان مستر فولز . مسز دوبرى  
أنا أطلب منك أن تشهدى أن هذه الاستشارة قد انحرفت إلى هذا الاتجاه  
الخطأى . ، بلا خطأ منى ، ورغم احتجاجى . .

قال دكتور ييبودي : اهدأ يا ولدى ، هذا لا يستحق الجهد الذى  
يبدل فى استئصاله . سننقذ لك ذراعا أو ساقا بمجرد أن يقلب به ذلك  
الحفيد الأحمق سيارته .. بايارد ، هيا معي ،

وبدا دكتور ألفورد يقول ، : مسر دوبري ،

وربت دكتور ييبودي كتف الرجل الأصغر بيده الثقيلة وهو يقول  
: يستطيع بايارد أن يعود إذا شاء ، سأخذه إلى مكنتي وأتحدث معه قليلا .  
تستطيع جيني أن تعود به إلى هنا ، إذا أرادت . بايارد ، هيا ، . وقاد بايارد  
العجوز من الغرفة . ووقفت مس جيني أيضا .

قالت : هذا الرجل لوش ، لا يقل غباء وتخلانا عن العجوز ويل فولز  
يرهقنى العجائز إلى درجة الموت . انتظر أنت ، سأحضره إلى هنا ،  
وسنتهى من هذا الأمر ، .

فتح دكتور ألفورد الباب لها ، ومضت من الغرفة فى غضب مكبوت  
مغلف بالحرير ، ولحقت بابن أخيها عبر الممر ومن خلال الباب المشوه  
وقفله الصدى ، إلى غرفة تشبه نموذجاً مصغراً لدمار أحداثه عاصفة جبارة ،  
خففت من شدته أتربة عتيقة لم يزجج من أمرها أحد .

سأنت مس جيني ، أنت . لوش ييبودي .

قال دكتور ييبودي : جيني ، اجلسي ، لا تتكلمي - بايارد ، فك  
أضرار قميصك ، .

سأل بايارد العجوز بشراسة : ماذا ؟ ، ودفعه الآخر على مقعد .

قال موضحاً : أريد أن أرى صدرك ، وعبر الغرفة إلى مكتب قديم  
ذى حصيرة على وجهه ، ونبتش بين المهملات المغبرة المنتشرة عليه . كانت  
هناك مهملات وأتربة فى كل مكان من الغرفة الهائلة . وكانت نوافذها  
الأربع تفتح على الميدان ، ولكن أشجار الدردار والجيز التى اصطفت

على جوانبه ظلت مكاتب الطابق الأول ، ولذا ، فقد كان يدخلها الضوء ، ولكن مخففاً ، كضوء تحت ماء . وفي أركان السقف كانت شبكات العنكبوت سميكة وثقيلة كطحلب أسباني ، قدرة كالدنيل القديمة . أما الجدران التي كانت يوماً بيضاء ، فقد أصبحت سنجابية قدرة إلا من مربع هنا وهناك أخف لوناً ، حيث ثبت فوقه ذات يوم تقويم عتيق ثم أزيل . وبالإضافة إلى المكتب ، فقد احتوت الغرفة أيضاً ثلاثة أو أربعة مقاعد غير متشابهة وفي مراحل مختلفة من الانحلال ، وموقد صديء في صندوق مملوء بنشارة الخشب ، وأريكة جلدية ، تحدد في صمت بين زبركاتها المخطئة شكل جسم دكتور بيبودى عندما يستلقي عليها ، وبحوارها عدد من الروايات الرخيصة ذات الأغلفة الورقية الكالحة ، وقد أخذت طبقات متوالية من الأتربة تتراكم على سطحها ببطء . كان هذا هو مكتب دكتور بيبودى ، وكان يقضى ساعات عمله على هذه الأريكة ، وهو يستعيد قراءتها مراراً وتكراراً . أما غيرها من الكتب فلم يكن يوجد على الإطلاق .

أما سلة المهملات بجوار المكتب ، والمكتب نفسه ، والرف فوق المدفأة المملوءة بالقمامة والنوافذ أيضاً ، فقد انتثر عليها جميعاً مطبوعات دورية ومصورات إعلانية ونشرات حكومية من كل نوع . وفي أحد أركان الغرفة كان مبرد ماء قدر من الزجاج المؤكسد فوق صندوق مقلوب وفي ركن آخر كانت حزمة من قصبات الصيد ، وقد مالت تحت تأثير ثقلها ، وفوق كل سطح أفقى استأقت مجموعة من الأشياء التي لا توجد إلا في متجر سلع قديمة - ملابس قديمة ، زجاجات ، مصباح كيروسين ، صندوق خشبي معبأ بصفايح دهن الشحم وينقصه صفيحة ، ساعة في إطار من الصيني على شكل نبات شب النهار ، وقد استندت إلى أربع صبايا كملت هاماتهن بالزهور ، وأصبن بكوارث عضوية متعددة ومثيرة للدهشة هنا وهناك ، وبين أشياء متربة اختلطت بلاميز ، أدوات مختلفة تتصل بمهنة المقيم في الغرفة . كان دكتور بيبودى يبحث عن

إحدى هذه الأدوات فوق مكتبه التي تناثرت عليه الأشياء ، والذي استقرت عليه صورة شمسية واحدة في إطار خشبي ، ورغم أن مس جيني قالت له مرة أخرى : أنت . لوش ييبودي أنصت إلي ، فقد مضى يبحث عنها بهدوء مهذب وبغير عجلة .

قالت مس جيني لابن أخيها أمرة ، : أنت ، سو ملابسك ، وسنعود إلى ذلك الطبيب . لا أنت ولا أنا نستطيع أن نضيع مزيداً من الوقت مع أحق عجوز مخرف ، .

قال دكتور ييبودي مكرراً ، : جيني ، اجلسي ، وسحب درجا وأخرج منه صندوق سيجار ، وملاً يده من الشصوص المصنوعة على هيئة الأسماك الصغيرة ، وقد حال لونها وبنيقه قدره ، وأخيراً سماعة ، ثم إلى الأشياء في الدرج ، وأغلقه بركبته .

جلست مس جيني في ثوبها الأبيض ، وهي تتفجر غيظاً بينما كان دكتور ييبودي ينصت إلى قلب بايارد المعجوز .

قالت ، : حسناً ، هل تخبرك عن طريقة إزالة هذا الثؤلول من فوق وجهه ؟ لم يحتاج ويل فولز لأي تليفون ليعرف هذا ، .

قال دكتور ييبودي ، : إنها تخبرني عما هو أكثر من هذا . إنها تخبرني عن الطريقة التي ستخلص بايارد المعجوز من متاعبه كلها ، إذا أصر على الماضي في ركوب سيارة ذلك الطائش ، .

قالت مس جيني : هراء ... بايارد سائق جيد . لم أركب أبداً مع خبير منه ، .

قال : يحتاج الأمر لأكثر من سائق جيد ، ليحافظ على هذا ، ودق على صدر بايارد بأصبعه الغليظ ، وقال : سيتوقف ، إذا دار هذا الولد بذلك الشيء في انحناء أو انحناءين كما رأيته يفعل ، .



سأله مس جيني : هل سمعت عن أي سارتورس مات بعلّة طبيعية  
كأي شخص آخر ؟ ألا تعلم أن هذا القلب ان يختطف بايارد قبل أن تحين  
ساعته ؟ ، ثم قالت لابن أخيها ، : أنت انمض من مكانك وتعال معي ،  
وثبت بايارد أزرار قميصه . وجلس دكتور بيبودي على الأريكة يرقبه بهدوء .

قال فجأة ، : بايارد ، لم لاتبق بعيداً عن هذا الشيء اللعين ؟ ،

قال بايارد ، : ماذا ؟ .

: إذا لم تبق بعيداً عن هذه السيارة فلن تحتاج إلى أو إلى ويل  
فولز ولا إلى ذلك الولد وكل مباحضه المغلية .

وسأله بايارد العجوز ، : وما شأنك أنت ؟ ، بحق الله ، ألا أستطيع  
أن أكسر عنقي بسلام إذا شئت ؟ ، ووقف وكان يرتعد وقد ثار غيظه  
وتعذّرت أصابعه بين أزرار صدره ووقفت مس جيني واتجهت إليه  
لتساعده ولكنه أزاها بعنف ، وجلس دكتور بيبودي بهدوء ، وهو  
يدق بإصبعه الغليظ ركبته السمينة . قال بايارد العجوز : عشت فعلاً أكثر  
مما ينبغي . أنا أول من أعرفهم بمن يحملون اسم أسرتي ويرون الستين .  
أحسب الله يحتفظ بي لأرى بعيني كشاهد يعتمد عليه قناهم جميعاً .

قالت مس جيني ببرود تلجى ، : والآن لقد ألقيت خطبتك ، وضع لوش  
بيبودي الصباح عليك ، وعلى ذلك ، أظننا نستطيع أن نخرج ، وندع  
لوش يخرج أيضاً ، ليعالج البغال مدة من الزمن ، وأنت تستطيع أن تتسكع  
هنا بقية اليوم ، وتجتر شعورك بالأسف على نفسك ، فذلك ما يفعله أحد  
أفراد أسرة سارتورس . . لوش ، سعدت صباحاً ،

قال دكتور بيبودي ، : جيني ، دعيه يدع هذا الشيء وشأنه . .

: ألا تنوي أنت وويل فولز علاجه له ؟ ،

قال دكتور بيبودي مكرراً بهدوء ، : لاتدعيه يسمح لويل فولز أن

يضع أى شيء عليه . إنه على ما يرام . كل ما عليك هو أن تدعيه  
وشأنه . .

قالت مس جيني : سذهب إلى طبيب . هذا ما سنفعله . هيا . .

عندما أغلق الباب ، جلس الطبيب دون حراك وسمعهما من ورائه وهما  
يتشاجران ثم تحركت أصواتهما عبر الممر متجهة نحو الدرج ، وقد ارتفع  
صوت الشجار ، وكان صوت بايارد حادا مملوءا بالسباب ، ثم غاضت  
الأصوات واستلقى دكتور بيدودى على الأريكة ، التى تشكلت بالفعل على  
جسمه ، ومد يده بطريقة عشوائية متباطئة ، والتقط إحدى الروايات  
المثيرة الرخيصة من كومة الكتب بجوار مقدمة فراشه .

-- ٤ --

إذ كانا يقتربان من البنك ، جاءت نارسيسا بنبو من الاتجاه المضاد ،  
والتقوا عند الباب حيث أثنى على مظهرها ثناء عريضا ، وهى واقفة فى  
ثوبها شاحب اللون ، وهتف صوتها العميق بشيء فى صممه ، ثم جلس على  
مقعده المائل وتبعتهما مس جيني إلى داخل البنك حتى الصراف . لم يكن فى  
تلك اللحظة ، ثمة أحد وراء الحاجز عدا الكاتب الذى ألقى عليهما من  
فوق كتفه نظرة سريعة متأنصة ، ثم نزل من فوق مقعده العالى وتقدم  
من النافذة ، ولكن دون أن يرفع عينيه إليهما مرة أخرى .

أخذ إذن الصراف من نارسيسا ، وبينما مضت تنصت إلى رواية مس  
جيني عن غباء الرجال وعنادهم كما يظهر عند بايارد وبيدودى ، لاحظت  
الشعر المائل للاحمرار الذى يغطى ذراعيه حتى الفقرة الثانية من أصابعه ،  
ولاحظت أيضا باثميزاز خفيف وإن يكن ملحوظا ، ودهشة محدودة ،  
ذلك أن الجو لم يكن دافئا بشكل خاص ، إن يديه وذراعيه كانتا مكسوتان  
بقطرات من العرق .

ثم أصبحت نظرتها جوفاء ، وأخذت أوراق النقد التى دفعها إليها

الصراف من تحت الحاجز وفتحت حقيبتها ومن داخلها المغلف بالحرير  
اللامع أطل نجاة غلاف وبعض مما عليه من كتابة ، ولكنها دفعته  
بسرعة بعيدا عن الأنظار ، ووضعت النقود في الحقيبة وأغلقتها وعادتا  
وما زالت مس جيني تتكلم وتوقفت مرة أخرى عند الباب وهي مازالت  
مغلقة في هدوءها بينما مضى بإيارد العجوز بضايقتها بشدة حول بعض  
المشكلات العاطفية الوهمية التي كانت تدهما بالموضوع الوحيد للأحدث بينهما ،  
وهي تهتف بوقار في دورها في أذنه ثم مضت تحيطها الطمانينة وكأنها  
روح مرئية أو عطر ، أو صوت .

ظل السكاتب في مكانه من النافذة ، وهي على مرأى منه .

كانت رأسه مخرجة ، ورسمت يده على الورقة سلسلة من الأشكال الأنيقة  
التي لا معنى لها ثم مضت واختفت عن الأنظار . وتحرك ، وإذا فعل ،  
لاحظ أن الورقة قد التصقت برسغه الرطب ، ولذا تحركت ، عندما تحرك  
ذراعه ثم تحررت بفعل كتلتها وسقطت على الأرض .

بعد أن أغلق سنوبس المصرف أصيل ذلك اليوم عبر الميدان ودخل  
شارعا واقترب من بيت مربع البناء ذي شرفة مزدوجة . انطلقت منها في  
الأصيل أصوات ناشرة نائمة من آلة صوتية رخيصة ودخل .

كانت الموسيقى تفيض من الحجرة التي على اليمين وإذا عبر بابها رأى رجلا  
بقميص بلا بنية جالسا على مقعد واحد قدميه في جوربها على مقعد  
آخر . كان يدخن غليوننا انتشرت رائحته السيئة إلى آخر البهو ، كانت  
رائحة الصابون الرطبة الشديدة تفوح أيضا من البهو ولمع بساط المشمع  
وكان بعد مبللا . ومضى واقترب من صوت نشاط غليظ منتظم وأقبل على  
امرأة في ثوب رمادي لاشكل له . توقفت عن المسح ونظرت إليه عبر  
كتفها الرماديتين وهي تدفع شعرها المسترسل من فوق حاجبيها  
بذراع محتقة .

قال سنوبس « مس بيرد ، مساء الخير ، ألم يعد فيرجيل إلى البيت بعد ؟ » .

قالت ، « لمحت ما را هنا منذ دقيقة . إذا لم يكن في الخارج أمام البيت . ربما أرسله أبوه في مهمة . مستر بيرد مريض بفنخذه مرة أخرى . لعله أرسل فيرجيل في مهمة . » وتسافط شعرها المسترسل أمام وجهها مرة أخرى ، فأزاحت بهيذا بحركة عنيفة ، « وسألتك أديك مزيد من العمل له ؟ » ، « نعم سيدتي . ألا تعرفين في أي اتجاه ذهب ؟ » .

« إذا لم يكن مستر بيرد قد أرسله إلى أي مكان ، فربما يكون خلف البيت . إنه لا يبتعد كثيراً عن البيت ، عادة ، ومرة أخرى أزاحت شعرها جانباً ، كانت عضلاتها التي تشكلت منذ زمن طويل لتلائم العمل ، مسترخية في حالة راحة . ثم قبضت على المسحاة مرة أخرى .

ومضى سنوبس وتوقف عند باب المطبخ فوق مساحة صغيرة مسورة ، وعارية من الحشائش وتحوى بيتاً للدجاج ، كان عارياً أيضاً من الحشائش وفيه عدة دجاجات ، تكأ كأت على بعضها البعض أو يمشت في الأتربة في استغراق يائس ، وعلى أحد الجانبين ، كانت حديقة مطبخ صغيرة تتكون من صفوف منظمة معنى بها من النباتات . وفي ركن الساحة كان ثمة كوخ من الألواح التي عراها الجو .

صاح « فيرجيل » . كانت الساحة خواء وبها أشباح ، أشباح الحشائش التي لم يشجع على نموها ، وأشباح الطعام في شكل علب فارغة من الصفيح ، وصناديق وبراميل محطمة ، وكومة من خشب المواقد ، ولوحة تهريم ، استقرت على عرضها فأس أصلحت ذراعها بطريقة لا خبرة فيها ، بأسلاك صدئة طويت عليها . ثم نزل الدرجات ، وصاحت الدجاجات بأصوات غير متوافقة ، وهي تتوقع طعاماً .

« فيرجيل » .

وجدت العصافير ثمة طاماً من نوع ما في الأتربة بين الدجاجات ، ولكن الدجاجات نفسها ربما بمعرفة سابقة بخيبة الأمل ، والهلاك القريب ، تجمعت حول السلك وهي تقترب وتتعد ، متنافرة شاردة الفكر ، ومضت ترقبه بعينين طامعتين لحوحتين . وفي اللحظة التي استدار فيها ليدخل المطبخ ظهر الصبي بسكون وبراءة من الكوخ ، كان شعره في مثل لون التبن وعيناه رقيقتين وكان فيه شاحباً يكاد أن يكون حلواً ، ولكن تحوط ركنيه الأسرار . وكانت ذقنه غير واضحة .

« مستر سنوبس ، أنت تناديني ؟ »

أجابه سنوبس : « نعم إن لم تكن تؤدي عملاً معيناً ،

قال الصبي . لا . أنا لا أفعل شيئاً ، دخلا البيت وعبرا الغرفة حيث كانت المرأة تعمل بغضب جنوني مكظوم ، ورائحة الغليون وترديد الحاكى الكتيب يملآن البهو ، وصعدا الدرج المغطى كذلك بالشمع المثبت إلى كل درجة ، بشريط من الحديد المطلي حتى يشبه البرونز ، وقد تشوه وتخدش بالأقدام الثقيلة . كان يحد البهو العلوي صفان متماثلان من الأبواب فتحا أحدهما ودخلا .

كانت الغرفة تحوى فراشاً ، ومقعداً ، ومنضدة ارتداء الملابس ، وحوضاً للاغتسال ودنا لجمع الماء المنسكب بجواره . وكانت الأرض مغطاة بحصيرة من القش تهرأت في أماكن عدة وقد تعلق المصباح الوحيد دون غطاء من سلك أخضر بني ، وعلى الجدار فوق المدفأة المملوءة بالورق المهمل صورة مطبوعة بالألوان داخل إطار ، لعذراء هندية في فراء ناصع لظي وحشي تتحنى وتديها عاريان على مشهد إيطالي تقليدي لبحيرة صغيرة رخامية يسطع عليها ضوء القمر ، وكانت تقبض على قيثارة ووردة ، واستقرت العصافير على حاجز النافذة ومضت ترقبهما بانتباه من خلال الستائر المغبرة .

دخل الصبي الغرفة مستحيًا . واحتوت عيناها الشاحبتان الغرفة ومحتوياتها بنظرة واحدة مدركة . قال « بندقية الهواء تلك ، لم تصل بعد يا مستر سنوبس ، أليس كذلك ؟ »

أجاب سنوبس « لا ، لم تصل ، ومع ذلك ستكون هنا قريباً . »  
« مضى وقت طويل منذ أن طلبتها ،

« هذا صحيح ، ولكنها ستكون هنا قريباً . ربما لا يجدون واحدة منها الآن في المخزن ، ومضى إلى الصوان وأخذ من درج فيه بضع أوراق في حجم الفولسكاب ، وضعها على الصوان وجر مقعداً إليه ، وسحب حقيبة ملابسه ومن تحت الفراش ووضعها على المقعد ثم أخرج قلبه الخبز من جيبه وأعدده للكتابة ووضع بهجوار الورق ، وقال « لا بد أن تصل في أية لحظة . »

جلس الصبي على الحقيبة وأمسك بالقلم ، وقال مقترحاً ، « لديهم بندقية هواء في مخزن واتس لأدوات العمارة . »

قال سنوبس ، « إذا لم تصل البندقية التي طلبناها سريعاً ، فسنشتري واحدة من هناك على أي حال ، متى طلبناها ؟ » .

قال الصبي بسرعة « أسبوع سابق قبل يوم الثلاثاء الماضي . أنا سجلت التاريخ عندي . . حسناً . . ستكون هنا قريباً . أنت مستعد ؟ »

نشق الصبي جلسته أمام الورق وقال « نعم ياسيدي ، وأخرج سنوبس ورقة مطبقة من جيب سرواله العلوي ، ونشرها .

قرأ هذه الكلمات « رقم الرسالة ثمانية وأربعون . مستر جوبتير ، سانت لويس ، ميسوري ، » ثم انحنى على كتف الصبي ليرقب القلم « هذا حسن . قريباً جد من قمة الورقة ، والآن ، وترك الصبي ما يقرب من بوصتين ، ومضى يكتب ، وسنوبس يقرأ بخطه المدرسي المنظم ، متوقفاً من لحظة إلى أخرى ، ليسأل عن هجاء كلمة .

« فكرت مرة أن أحاول أن أنساك . ولكننى لأستطيع أن أنساك  
لأنك لا تستطيعى أن تنسينى . رأيت خطابى اليوم فى حقيبة يدك . كل  
يوم أستطيع أن أمد يدي وأمسك وأنت لاتعرفين . فقط أراك وأنت  
تمشين فى الشارع لأعرف ما أعرفه وما تعرفينه . يوما ما سنعرف معا  
عندما نعتادين عليها . أنت احتفظت بخطابى ولكنك لاتجيبين عليه .  
هذه علامة طيبة ، أنت لا ... ، وقد وصل الصبي إلى نهاية الصفحة ،  
فسحبها سنوبس ، تاركا الأخرى معدة . ومضى يقرأ فى صوته الرتيب ذى  
الطنين « تنسينى وإلا فلن تحتفظى بها . أنا أفكر فيك فى الليل ،  
الطريقة التى تمشين بها فى الشارع وكأننى « حل . أنا أستطيع أن أقول لك  
شئ . ، يشير دهشتك أنا أعرف أكثر من أن ألحظك وأنت تمشين فى الشارع  
بملابسك . سأفعل يوما ولن تدهشى حينئذ أنت تبرى بى ، وأنت لاتعرفين  
وأنا أعرف . ستعرفينها يوما ما ، لأننى سأخبرك ، والآن « ونزل الصبي  
إلى نهاية الصفحة ، المخلص لك هال واجزر . رقم الرسالة أربعة وعشرون  
ونظر من فوق كتف الصبي ، وقال هذا حسن . وجفف الصفحة الأخيرة  
وأخذها هى الأخرى ، وأغلق الصبي القلم ودفع مقعده إلى الخلف ،  
وأخرج سنوبس كيسا ورقيا صغيرا من سترته أخذه الصبي برزاة وهو  
يقول « أنا مدين لك يا مستر سنوبس ، وفتيح الكيس ونظر داخله ،  
وقال « من الغريب ألا تصل بندقية الهواء . »

قال سنوبس ، « بالتأكيد أنا لا أدرى لم لاتصل ،

قال الصبي مقترحا « ربما تكون قد فقدت فى البريد . »

قال سنوبس ، « ربما أظن هذا هو ما حدث لها سأذهب إليهم غدا  
مرة أخرى . »

وقف الصبي ، ولكنه ظل مكانه بشعره الشاحب البنى اللون ووجهه  
الرقيق البرى . وأخذ من الكيس قطعة من الحلوى وأكلها ببرود . وقال

« أحسب من الأفضل أن أخبر بابا ليذهب إلى مكتب البريد ويسأل إن كانت قد فقدت » .

قال سنوبس بسرعة « لا . أنا أنصحك ألا تفعل . عليك أن تنتظر . سأولى أنا هذه المسألة بالتأكيد » .

« بابا إن يرفض ، سيذهب إليهم بمجرد عودته إلى البيت ويتولاها . أراهن أنه في استطاعتي أن أجده الآن وأطلب منه أن يفعل هذا .

قال سنوبس ، « لن يستطيع أن يفيدك بشيء . أترك المسألة لي . سأحصل لك على هذه البندقية بالتأكيد » .

قال الصبي مصرا « في استطاعتي أن أقول له إنني كنت أعمل لك . أنا أذكرها تلك الخطابات » .

« لا . لا . انتظر ودعني اهتم بها . سأهتم بها أول ما سأفعله صباح الغد » قال ، الصبي « وهو كذلك يامستر سنوبس ، وأكل قطعة أخرى من الحلوى دون حماسة وتحرك متجها نحو الباب وقال ، « وأنا أذكر كل واحد من هذه الخطابات . أراهن أنني أستطيع أن أجلس وأكتبها كلها من جديد . أراهن أنني أستطيع . مستر سنوبس ، بالمناسبة ، من هو هال واجنر ؟ هل يقيم في جيفرسون ؟ » .

« لا . لا أنت لم تره فقط . إنه لا يأتي إلى البلدة إلا نادرا . وهذا هو سبب قيامي بأعماله هنا . سأهتم ببندقية الهواء هذه » .

فتح الصبي الباب ، وتوقف مرة أخرى « عندهم بندق هوا في مخزن واتس . بندق جيدة وأنا أرغب بالتأكيد في الحصول على واحدة منها . هم يسيدي بالتأكيد أرغب » .

قال سنوبس مكرراً « بالتأكيد ، بالتأكيد . بندقيتنا ستكون هنا



غداً . عليك فقط أن تنتظر . ساهتم بالأمر حتى تحصل على تلك  
البندقية .

ومضى الصبي . وأغلق سنوبس الباب ، وابرهة قصيرة ظل واقفاً  
بجواره ورأسه محية ، ويداه متشابكتان وتتصارعان ببطء معا . ثم أخذ  
الورقة المطبقة وأحرقها على الأرض وسحق الرماد المتفحم بحذاءيه حتى أصبح  
هباء ، ثم قطع بالسكين العنوان من قمة الورقة الأولى والتوقيع من نهاية  
الورقة الثانية ، وطبقهما ووضعهما داخل غلاف رخيص وأغلقه ووضع  
عليه طابع بريد ، وأخرج قلبه ، وبيده اليسرى كتب عليه العنوان  
بحروف مستقيمة كحروف الطباعة . وفي ذلك المساء أخذه إلى المحطة  
وضعه في بريد القطار .

وفي أصيل اليوم التالي قتل فيرجيل بيرد ببغاء كان يغني على شجرة  
المشمس القائمة في الركن بجوار مهيت الدجاج .

كان في استطاعة سيمون وهو يتجول أثناء النهار حول البيت ، أن  
يتطلع من حين إلى حين عبر الساحة الخالية إلى المرعى ليرى خيل العربية  
وهي تصبح ، يوماً بعد يوم ، أكثر رثاءة ، وأقل زهواً بفعل التعطل  
وانعدام العناية اليومية بها ، وقد يمر بالعربية الساكنة بلا حراك تحت  
مظلتها ولسانها تمتد بزاوية تدينه بالانهم ، وفي غرفة السرج كان المعطف  
والقبعة البالية وقد تراكم الغبار فوقها وهي على مسارها في الخائط ، كانت  
تمسك في انتظارها الصامت بسؤال صابر ممثّل ، وأحياناً أخرى ، كان  
يقف رث الثياب ، محني الظهر قليلاً ، بفعل الحيرة العنود والشيخوخة ،  
على الشرفة بورودها العتيقة وزهور الويسترن ، ووقارها العريض الراسخ ،  
ليرقب آل سارتورس وهم يجيئون ويذهبون في آلة أي سيد من جيله كان  
يزدرجها ، وفي استطاعة أي معوز أن يمتلكها ، وأي أحق أن يركبها  
( ١٠ - م )

بدلا منه وكان جون سارتورس يقف بجواره بوجهه الملتحي الصقري ورسم  
الازدراء النبيل المتكبر على وجهه .

وإذ كان يقف هكذا والأصيل ينحدر بعرض الطرف الجنوبي للقناة ،  
وعطور الربيع المتقدم بحشودها الطائشة ، وطنين الحشرات الوسنان ،  
وغناء الطيور الشاذى بانظام ، كان يغمغم بكلام رتيب كأنه غناء فيه  
الغموض والاستجداء والممداء وكان فى استطاعة إيزوم الواقف فى الظل  
الرطب داخل الباب أو عند ركن البيت أن يسمعه . كان ينسحب حينئذ  
إلى المطبخ حيث تكبد أمه بوجهها الهادىء الأصفر وغنائها الحزين الذى  
لا ينتهى .

قال لها إيزوم : بابا فى الخارج يتكلم هناك مع السيد العجوز مرة  
أخرى . أعطنى ثمار البطاطس الباردة هذه .

وسألته النورا وهى تعطيه البطاطس : ألم تكلفك مس جينى بأن  
تعمل شيئا ؟

لا . خرجت فى السيارة مرة أخرى .

من نعمائم الله أنك لم تذهب معها كما تفعل كلما سمح لك مستر بايارد  
والآن اخرج من مطبخى أريد أن أمسح الأرض ولا أريد أن تترك عليها  
آثار قدميك .

كثيراً ما كان إيزوم يسمع جده فى تلك الأيام وهو يتحدث إلى جون  
سارتورس ، وهو ماض فى عمله فى الإسطبل أو فى أحواض الزهور  
أو فى المرج ، يغمغم بكلمات إلى ذلك الظل المتعجرف الذى تسلط على  
البيت والحياة التى كانت تسعى فيه وعلى المشهد العريض ذاته الذى يخترقه  
خط السكة الحديدية وهو يتضائل فى الأفق البعيد إلا أنه كان جلياً فى  
تمثيله الدقيق للحقيقة الكبرى . كأنه كان مسرحاً نصب لتسلية ذلك الذى  
امتلكه الحلم العنود ، وسخر منه بطرق ماكرة ملتوية حينما كان الحلم نفسه

دنسا . لقد تجسم الحلم بعد ذلك وأصبح صافيا وجميلا ، حينما ظهر الحالم نفسه من غلظة الكبرياء وفضفاضة الجسد .

غمغم سيمون قائلا : « ركائب السادة » ، كان مشغولا مرة أخرى بفأسه في حوض السلفيا عند نهاية الممر ، يركبون ذلك الشيء ، وركوبة السادة الأصيلة ، بأكلها العطب والدمار في الجرن ، ، لم يكن يفكر حينئذ في مس جيني . ولم تكن ثمة أهمية لما تركبه النساء ، طالما كان رجالهن يسمحون بذلك . هذا وإن كن يسهمن في استعراض عربات السيد . كن مقياسا حساسا للبيت كله ، المرأة التي تعكس السادة ، والخيل نفسها كانت تعرف هذا : « ابنك نفسه ، وحفيدك التوأم نفسه ، يركبون وأمامك أنت نفسك مثل هذه الآلة العجيبة ومضى يقول : « وأنت تسمح لهم أن يفعلوها ، أنت سيء مثاهم . فما عليك إلا أن تأمرهم ، أيها السيد جون إن كل هذه الحروب الأجنبية قد جعلت الفتيان يحيدون عن السلوك الحسن . إنهم لا يعرفون كيف يسلكون كسادة . ماذا تظن مايدور في رموس الناس ياسيد جون عندما يرون أهلك أنفسهم يركبون نفس النوع من العربات التي - تركبها قامة الناس ؟ ليس عليك إلا أن تستعيد سلطتك . ألم يكن آل سارتورس هم الذين يضعون للناس قواعد السلوك في هذه البلاد من قبل الحرب ؟ والآن ، انظر فقط إليهم » .

استند إلى فأسه وراقب السيارة وهي تنحدر من الممر وتقف أمام البيت ، نزلت مس جيني وبايارد الصغير إلى الشرفة . كانت الآلة ماضية في عملها وسحابة خفيفة من الغاز المحترق تهوم في الأصيل اللامع ، وجاء سيمون بفأسه وحلق في صف المؤشرات والمفاتيح في لوحة القيادة ، واستدار بايارد وناذاه :

قال آمراً ، ، سيمون ، اقفل المحرك ، .

سأل سيمون ، « أفعل ماذا ؟ »

« هذه الذراع الصغيرة اللامعة بجوار عجلة القيادة هناك . أدرها إلى أسفل ، قال سيمون وهو يتراجع .

« لا ياسيدي . لن ألمسها . لن أسمع لها أن تتفجر في وجهي ،

قال بايارد وقد عيل صبره « لن تؤذيك . ضع يدك فقط عليها وشدها إلى أسفل . هذه الذراع اللامعة الصغيرة هناك ، .

حملق سيمون في العدد والأشياء متشككا ، ولكن دون أن يقترب منها مطلقا ، ثم مد عنقه ونظر داخل السيارة وقال « أنا لا أرى هنا أى شيء ، إلا هذه الرافعة الكبيرة التي تنفذ من أرضية السيارة . ليست هذه هي الواحدة التي أشرت إليها ، أليس كذلك ؟ ،

قال بايارد « الجحيم » ونزل الدرج في خطوتين ومال من فوق الباب وقطع المحرك تحت عينيه المندھشتين الطارقتين وتوقف طنين الآلة .

قال سيمون ، « هل هذه هي الواحدة التي كنت تتكلم عنها إذن ؟ ، وحملق في الذراع الصغيرة برهة ، ثم اعتدل ونظر إلى غطاء المحرك « إنها تغلق تماما تحت هذا الغطاء ، أليس كذلك ؟ هل هذه هي طريقة وقفها ؟ ، ولكن بايارد كان قد سجد الدرج ودخل البيت .

تلكأ سيمون بعد ذلك قليلا ، ومضى يفحص الشيء اللامع المستطيل ، وهو يتلمسه بخفة بيده . ثم يمسح بيده على فخذه . ومشى حوله ببطء ولمس الإطارات ، وهو يغمغم ويهز رأسه ، ثم عاد إلى حوض السلفيا ، حيث وجدته بايارد عندما خرج بعد برهة قصيرة .

قال ، « سيمون ، هل تريد أن تتركب ؟ ،

توقف فأس سيمون ، واعتدل ، « من ، أنا ؟ ،

« بالتأكيد . هيا سنمضي في الطريق مسافة وجيزة » .

وقف سيمون بفأسه الساكن ، وهو يمشى بكفه على رأسه ببطء .

قال بايارد « هيا . سنمضي في هذا الطريق فترة وجيزة . ان تؤذيك »

ووافق سيمون ، « نعم سيدى . لا أظنها ستؤذيني » .

وسمح لنفسه أن ينجذب ببطء إلى السيارة ، وهو يحملق في أجزائها المختلفة ، يتأمل ببطء متشككا ، بعد أن أصبحت كمية فعلية في حياته . وعند بابها ، وإحدى قدميه على حاجز الركوب ، بذل سيمون محاولة أخيرة للوقوف ضد قوى القدر الشرير الماكرة ، « أنت لن تجرى بها خلال الأحراش كما فعلت أنت وإيزوم ذلك اليوم ؟ »

وطمأنه بايارد ، ودخل ببطء ، وهو يغمغم بما قد يقع ، وجلس على مقدمة مقعده وساقاه مطويتان تحته وقد قبض على الباب بيد ، وجمع قبضه باليد الأخرى ومضت السيارة في الممر . وعبرا من البوابة إلى الطريق ، وما زال يجلس محدودب الظهر مائلا إلى الأمام . واكتسبت السيارة مزيدا من السرعة ، وبحركة تشنجية مفاجئة أمسك قبضته في اللحظة التي طارت فيها من فوق رأسه .

قال وهو يرفع صوته ، « أظننا بعدنا بما فيه الكفاية . » وضغط بقبضته على رأسه ولكنه إذ تركها ، كان عليه أن ينقض عليها مرة أخرى بوحشية فخلعها وأمسك بها تحت ذراعه ، ومرة أخرى تخبطت يده فوق صدره ، وأمسكت بشيء تحت قبضه . قال بصوت أعلى ، « على أن أقتلع الحشائش اليوم من حوض الزهور » واستطرد يقول « سيدى . مستر بايارد أرجوك » وازداد انحناء جسمه المعجوز الجاف إلى الأمام على المقعد ، وألقى نظرات سريعة متلصصة على الشجيرات التي تنمو على جانبي الطريق وهي تولى بسرعة متزايدة .

ثم انحنى بايارد إلى الأمام وراقب سيمون الوشم المرسوم على ذراعه ،  
ثم اندفعا في الطريق على زئير من الصوت كأنه الرعد المكتوم . الأرض ،  
وشريط الطريق الذي لا يكاد أن يصدق ، يجلجل من تحتها ويولي خلفهما  
في عاصفة من الأتربة الجنونة وخضرة جانبي الطريق ، أصبحت نفقا صلبا  
منسالا لا ينقطع ولكنه لم ينطق ببنت شفة ، ولم يحدث أى صوت آخر  
وعندما حول بايارد سخرية أسنانه القاسية إليه ، كان راكما على الأرض  
وقبعته الرديئة العتيقة تحت إبطه ، ويده تقبض بقوة على طيات من قميصه  
فوق صدره . وبعد ذلك ، ألقي بايارد عليه نظرة أخرى ، وكان سيمون  
يرقبه وحدقتا عينيه الغائمتين لم تكونا في لونهما البني اللين ، كانتا حمراوين  
ولم تطرقا رغم دفعات الهواء . كان فيهما ذلك اللعنان الجنون الذي يميز  
عينى الحيوان . دفع بايارد حاكم الوقود حتى اصطدم بأرضية السيارة .

كانت العربية تمضى في الطريق وسنانة في سلام . وكان يحرها بفلان  
وقد امتلات بنسوة زنجيات أخذهن النعاس وهن على مقاعدهن . وقد  
ارتدت بعضهن السراويل . أما البغلان فلم يتيقظا قط ، ولكنهما مضيا ببطء بالعربة  
الحالية والمقاعد المقلوبة حتى بعد أن اندفعت السيارة إلى المستنقع الضحل  
ومرقت مرة أخرى إلى الطريق واندفعت كالرعد دون أن تبطئ .

توقف الرعد . ولكن السيارة مضت مندفة تحت تأثير اندفاعها ،  
وبدأت تتمايل في الطريق من جانب إلى جانب وبايارد يحاول أن يجر  
يدى سيمون بعيدا عن الرافعة الصغيرة . ولكن سيمون ركم على الأرض  
وقد أغمض عينيه بشدة والهواء المندفع يتلاعب ببقايا شعره الأشيب  
وقد أمسك الرافعة بيديه معا .

صرخ بايارد ، ددعا من يدك ، .

ورد سيمون كمن يتلو تعويذة ، يا إلهي ، هذه هي الطريقة التي توقفها  
بها . يا إلهي ، هذه هي الطريقة التي توقفها بها ، بينما ظل يغطي الرافعة

بيديه معا ، وبأيارد يضربهما بقبضته . وقد تعلق بها حتى أبطأت السيارة  
ثم توقفت . ثم تحسّس الباب وفتحته ومضى خارج السيارة . وناداه بأيارد  
ولكنه مضى في الطريق متعجّلا متعجّلا يعرج .

نادى بأيارد مرة أخرى ، « سيمون ، ولكن سيمون مضى إلى الأمام  
متصليا وكأنه رجل حرم من استعمال قدميه مدة طويلة . « سيمون »  
ولكنه لم يبطئ . ولم ينظر إلى الخلف ، وأدار بأيارد السيارة مرة أخرى  
وقادها حتى استطاع أن يستدير بها . كان سيمون واقفا في المستنقع بجوار  
الطريق ورأسه منحنية فوق يديه ، عندما لحق به بأيارد وتوقف .

قال آمراً . « هيا . تعال واركب » .

« لا سيدى . سأمشى » .

قال بأيارد آمراً بحدة « اقفز ، هيا ، وفتح الباب ولكن سيمون وقف  
في المستنقع وقد دفع يده داخل قيصره ، وكان في استطاعة بأيارد أن يراه وهو  
يرتعد وكأنه محموم ، « هيا ، أيها الأحمق العجوز . ان أوديك » .

قال سيمون مكرراً بعناد ، « سأعود إلى البيت ماشيا ، وقال دون حماسة  
« أنت عليك أن تمضى بهذا الشيء » .

« آه ، سيمون ، هيا اركب . لم أكن أعرف أنني سأفزعك إلى  
هذا الحد . سأقود ببطء هيا » .

قال سيمون مرة أخرى « اذهب أنت إلى البيت ، سيستبد بهم القلق  
عليك . تستطيع أن تخبرهم أين أنا » .

ظل بأيارد يرقبه برهة ، ولكن سيمون لم يكن ينظر إليه ، ثم صفع  
الباب ومضى بسيارته . ولم يرفع سيمون عينيه حتى بعد ذلك ، وبعد أن  
انفجرت كالعاصفة الرعدية ، وعاصفة أخرى من الأتربة الممتمة التي غاضت  
بعد ذلك . وبعد قليل برزت العربة من الغبار ، وكان البغلان مسرعين

وآذانها مرتخية ، ودقت أجراسهما وهي تمضي بجواره ، تاركة وراءها في الهواء المغبر المملوء بأصوات الحشرات الحادة صوت أمراء هستيرى مرتعد بلا الفاظ .

وغاض هذا ببطء على مشارف الوادى ذى الهواء المتلألئ ، وأخرج سيمون من صدر قيصره شيئاً معلقاً في خيط غطاء الدهن معلق حول رقبته . كان شيئاً صغيراً وبلا شكل معين ، وكان مغطى بفراء ملطخ . كانت العقلة الأولى من قدم أرنب خلفية التقطت بقصد من مقبرة عندما كان القمر حاقاً ، وقد دلكها سيمون في العرق الذى يغطى جبهته وعلى مؤخرة عنقه ، ثم أعادها بعد ذلك إلى صدره . وكانت يداه لا تزالان ترتعدان ، وارتدى قبعته وعاد إلى الطريق ، واستدار متجهاً إلى البيت في ساعة الظهيرة المفجرة .

مضى بايارد فى السيارة هابطاً الوادى ومتجهاً إلى البلدة ، عابراً فى ذلك البوابات الحديدية والبيت الأبيض الوقور القابع بين أشجاره ومضى مسرعاً . اندفع صوت الآلة غير المكتملة إلى الأتربة ودفعها فى دوامات إلى أشكال متكاسلة متفجرة ، غاضت عبر الأرض المزروعة وخارج البلدة بالضبط أقبل على حربة أخرى ، ومضى بالسيارة متجهاً إليها وجهاً لوجه حتى شبت البغال وأمالت العربى ، ثم انحرف عنها ، واندفع بجوارها وليس بينه وبينها بوصة واحدة ، اقترب منها إلى الدرجة التى مكنت الأسود المستغيث فى العربى من رؤية السخرية الموحشة التى بدت فى أسنانه العارية من الشفاء .

ومضى ، وانقض بسرعة متزايدة وكأنه صيحة متصاعدة ، ومرقت أمامه المقابر وجده الأكبر فى أبعته المنحوتة وكأنها جميعاً وميض برق . وتذكر سيمون ، وهو يمضى على قدميه فى الطريق المترب نحو البيت ، وهو قابض على ساق الأرنب ، وهنا شعر بهمجيته وأفاض به الإحساس بالصار .



المدينة بين أشجارها ، وأشجارها المظلة كأنفاق خضراء ، وعلى امتدادها تمثل حيوات محكمة ، مأسيا الهادئة . أغلق المحرك ودخل الميدان بسرعة هادئة وكشفت الساعة المثبتة فوق بيت الفضاء من بين الأشجار عن أوجها الأربعة ، في لمحات من بين غصون الأشجار المتكاثفة . عشر دقائق قبل الثانية عشرة . وفي الساعة الثانية عشرة تماما يعتكف جسده في مكتبه في مؤخرة المصرف ويشرب نصف لتر من اللبن المحمض الذي يحضره معه كل صباح في زجاجة عازلة للحرارة ، ثم ينام بعد ذلك ساعة على الأريكة في مكتبه . وعندما استدار بإيارد إلى الميدان كان المقعد المائل على باب البنك شاغرا بالفعل . أبطأ السيارة وأخذها برفق إلى جوار الطوار أمام لوحة مرفوعة لبيع السندوتش .

كان مكتوباً على اللوحة بطباشير طرى « سمك نهري طازج اليوم ، وفاحت رائحة طعام مثليج من وراء الأبواب الساترة - جبن ومخللات وأمثالها - ومعها روائح أخرى يغلب عليها قليلا رائحة دهن القلي .

وقف برهة على الطوار ، وحشود الظهيرة تتفرق وتمضي أمامه - سود في بطن ودون قصد كأشباح حلم مظلم هادىء . برائحة كرائحة الحيوان ، وهم يفهمون ويتضحكون فيما بينهم ، وكان في مهماتهم غير الواضحة شيء مبعأ بالهجة ، وفي ضحكاتهم شيء جاد حزين - ناس من الريف ، رجال في ملابس العمل أو يرتدون القطيفة أو الكاكي دون ربطات عنق ، نساء في ملابس فضفاضة من الدمور ، وقبعات شمس ، جماعات من الفتيات الشابات في أثواب جاهزة ، غليظة الأناقة ، وقد تعتم ترائهم الفنى من رشاقة الأجسام ، بإحساسهن الفائنض بذواتهن ، وبالعامل ، وبكعب الأحذية العالية غير المألوفة ، وسيختفى بعد ذلك وإلى الأبد بحمل الأطفال ، شباب ورجال في مستقبل العمر ، في سترات رخيصة ينقصها الذوق ، وأقصة وقبعات ، وقد لوحتهم الشمس بسيقان طويلة نحيلة تكيول السباق ، وأصوات مرتفعة ، وإلى حد ما شكسة وبجوار الحائط جلس زنجى أعشى يستجدى ، بقيشارة وحالة من السلك تمسك نايا مرفوعا إلى فمه ، وقد لون صورة الروائح

والاصوات ، بالحنان شاكية رتيبة ، منسقة كمعادلة موسيقية ولكنها خلو من الموسيقى . كانت منه على الأقل أربعين ، وحياته كانت الاستسلام الضهور لعدة سنوات من العى ، ومع ذلك ، فقد كان هو أيضا يرتدى كاكيا قدرا ، بأشرطة أنباشى على أحد الكمين ، وشارة الكشافة خيطة بطريقة سيئة على الكم الآخر وعلى صدره شارة الذكرى الرابعة لفرض الحرية ، ودبوس معدنى صغير يحمل نجمتين ذهبيتين من الواضح أنها كانت لزينة السيدات ، وكانت قبعته التى لوحتها الشمس محاطة بشريط قبة ضابط ، وعلى الطوار بين ساقيه استقر كوب معدنى يحوى قطعة نقد من فئة عشر الدولار ، وثلاثة بنسات .

بحث بايارد عن قطعة نقود فى جيبه ، وأحس المتسول باقترابه ، وأصبح لحنه وترا واحدا متكررا ، ولكن دون أن يكسر الإيقاع ، حتى رنت قطعة النقود فى الكوب ومضى ، دون أن يكسر الإيقاع أيضا ، ولا أنغام الباي التى لا معنى لها ، هبطت يده اليسرى وتحسست طريقها قليلا إلى الكوب وقرأت قطعة النقد بحركة واحدة ومرة أخرى استأنفت الفيشارة والنأى أنغامهما الرتيبة ، واستدار بايارد بعيدا ، وفى نفس اللحظة تكلم شخص بجانبه ، رجل عريض ممتلئ بوجه حاد لوحته الشمس وفودين أشيبين . كان يرتدى ثوبا من القليفة وحذاء ركوب ، وكان جسمه لدنا كجسم الفرسان ، ويداه الهادئتان البنيتان كاتما يدي رجل تحبه الخيل . كان اسمه ماك كالم وهو أحد أفراد أسرة تتكون من ستة أشقاء ، ونعيش على بعد ثمانية عشر ميلا فى التلال . . . كان بايارد وجون يصيدان معه الثعالب وحيوان الراكون فى عطلاتهما .

قال ماك كالم : ما زلت أسمع عن سيارتك ، هذه هى ... أليس كذلك ؟ ،

وترك الطوار وتحرك بيسر حول السيارة وهو يتفحصها ويداه فوق عجزه .

بطنها كبيرة جدا . وتبدو ثقيلة فى مؤخرتها أيضا . قبيحة . عليك أن تمنع عليها لجاما إضافيا على ما أظن ؟ ، .

أجاب بإيارد : أنا لا أفعل . أقفز داخلها وسأريك ما تستطيع أن تفعله .

أجاب الآخر : لا . أشكرك كثيرا ، ثم عاد إلى الطوار ، بين السود الذين تجمعوا ليمنوا النظر في السيارة . ودقت الساعة فوق بيت القضاء الثانية عشرة ، وعلى امتداد الشارع جاء الأطفال في جماعات صغيرة في طريقهم إلى البيت في فسحة الظهيرة - فتيات صغيرات يحملن عناديق ملونة وحبالا للقفز ، وهن يتحدثن إلى بعضهن البعض بأصوات رفيعة . في شئون النساء الهامة ، وأولاد تخففوا من ملابسهم بدرجات مختلفة يتصايحون ويتعاركون ويتدافعون الفتيات الصغيرات بالمناكب ، فيتحاشدن على بعضهن البعض وينظرن إلى الأولاد الصغار نظرات باردة معادية .

قال ماك كولم : سأخذ تصبيرة ، وعبر الطوار وفتح الباب الساتر وقال وهو ينظر إلى الخلف : هل أكلت ؟ تعال على أي حال واجلس معي دقيقة ، وربت على عجزه بطريقة معبرة .

كان نصف المتجر للبقالة والحلوى ، والنصف الآخر مطما . وقد وقف عدد من العملاء في ساحة المتجر التي تناثرت فيها الأشياء وإن لم ينتقص ذلك من نظافتها وبأيديهم سندوتشات وزجاجات ماء الصودا ، وقد تحول لإيهما رأس صاحب المتجر ، وهو وراء الحاجز ، وفي نظرتة رقة وحيرة ، وشروذ قليل . كان النصف الخلفي مملوءا بالمناضد التي جلس حولها رجال ونساء ، غالبيتهم من أهل الريف ، يأكلون بوقار رزين تنقصه الباقة . وبحوار هذا المطبخ ، الذي امتلأ بروائح القلي ، وأصواته الحادة ، حيث يمضي زنجيان في عملهما ، وهما كأطياف تتحرك ببطء في غيبوبة من الدخان الأزرق . عبرا هذه الغرفة ، وفتح ماك كولم بابا ثبت بزاوية حادة في الحائط ، ودخلا حجرة أصغر ، أقرب إلى أن تكون مقصورة كبيرة . كن ثمة نافذة على ارتفاع من الحائط ، ومائدة عارية وثلاثة أو أربعة مقاعد ، وفي الحال تبعهم إلى هناك أصغر الزنجيين .

وضع على المائدة كوبين حديثي الغسل مازال الماء عالقا بهما في شكل قطرات تنسال على الجدران . قال : نعم سيدي . مستر ماك كالم ومستر سارتورس ، ووقف يحفف يديه في مئزره . كان وجهه عريضا صافيا ، وجهها يوثق به .

قال ماك كالم : ليون وسكر وثلج ، أنت لاتريد شيئا من هذه المياه الغازية أليس كذلك ؟ ، ووقف الزنجي ينتظر ويده على الباب .

أجاب بايارد : لا . أنا أفضل شرابا روحيا .

قال الزنجي مؤيدا : نعم سيدي ، تريد شرابا روحيا ، وعبر عن تأييده بانحناء عميقة واستدار مرة أخرى وخطا جانبا إذ دخل صاحب المتجر في مزر جديد في خطواته المعتادة الشاردة ، ووقف وهو يدلك يديه على عجزه .

قال : صباح الخير ، صباح الخير ، ريف ، كيف حالك ؟ بايارد ، رأيت مس جيني والكولونيل العجوز وهما في طريقهما إلى مكتب دكتور بيبودي أمس . آمل أن يكون كل شيء على مايرام ، كانت رأسه كالبيضة المقلوبة ، وقد صفف شعره بدقة مبتعدا به عن الجزء الأوسط من رأسه ، ليجمعه في جناحين دقيقين حمراوين بنيين ، كأنهما جديلتان صناعيتان . وكانت عيناه بنيتين ناعمتين عاطفتين .

قال ماك كالم : ادخل هنا واقفل هذا الباب ، وجر الرجل الآخر إلى الداخل ، وأخرج من تحت سترته زجاجة ذات أبعاد مذهلة ووضعها على المائدة . كانت تحوى سائلا ذا لون قهرماني رقيق ، وذلك صاحب المتجر يديه على عجزه ، بينما مضى يلثم الزجاجات بنظراته الساخنة الرقيقة .

قال : أيها المخلص العظيم ، أين كنت تخفي هذه الزجاجات الهائلة ؟ في ساق سروالك ؟ وفتح ماك كالم الزجاجات ومد يده بهما وانحنى صاحب المتجر إلى الأمام وتشممها ، وعيناه مغمضتان ثم تأوه .

قال ماك كولم : صنع هنري . أحسن تقطيرة صنعها منذ ستة شهور  
أنظنك تقبل كأسا إذا أمسك بك بايارد وأنا لتشربها ؟ ، وقهقه الآخر  
بصوت عال لذج .

قال : أليس فتي ماجنا ، كثير الدعابة . أليس كذلك ؟ ، وألقى نظرة  
على المائدة : ليس لديكما إلا كوبان . . . . ، ودق أحدهم على الباب ، وأمال  
صاحب المتجر رأسه المخروطية إليه ، وأشار بيده إليهما إشارة حادة :  
فأخفى ماك كولم الزجاجاة دون عجلة عندما فتح الآخر الباب . كان الزنجي  
بكوب أخرى وليمون وسكر وتلج في إناء مشدوخ . وسمح له صاحب  
المتجر بالدخول .

« هوستون ، إذا كانوا في حاجة إلى هناك في النصف الآخر من المتجر ،  
قل لهم إنني خرجت وسأعود في دقيقة ، .

أجاب الزنجي : نعم سيدي ، ووضع حمله على المائدة . وأبرز  
ماك كالم الزجاجاة مرة أخرى .

سأل : لماذا تصر على ترديد هذه الكذبة القديمة على عملائك ؟ كل  
شخص يعرف ما تفعله الآن ،

ضحك صاحب المتجر مرة أخرى ، وهو يملأ عينيه من الزجاجاة وقال  
مكرراً : نعم ياسيدي . هو بالتأكيد فتي ماجن . حسنا ، أنتم يا أولاد  
لديكم الكثير من الوقت ولكن يتحتم على أن أعود إلى هناك لبعض  
العمل بانتظام ، .

قال ماك كالم : امض ، وأعد صاحب المتجر لنفسه شرابا ورفع  
الكوب وهو يقلبه ويتشممه مرارا ، بينما تبعه الآخران ، ثم أخرج الملعقة  
من كوبه ووضعها على المائدة .

قال : أكره تماما أن أتعجل شيئا متعا ، ولكن الشغل لا ينتظر حينما  
تشاء ، كما تعلمون ، .

قال ماك كولم مؤيدا ، العمل يعطل الرجل عن الشراب . . .

قال الآخر مؤيدا ، نعم ياسيدى ، بالتأكيد يفعل ، ورفع كأسه وقال وهو يشرب ، فى صحة والدك . لا أرى السيد المعجوز كثيرا فى البلدة هذه الأيام . .

قال ماك كولم ، لا . لم يستطع أبدا أن ينسى انضمام بادهى إلى جيش اليانكى ، قال إنه لن يعود للبلدة حتى يسحب الحزب الديمقراطى تأييده لوودروولسن . .

قال صاحب المتجر وكأنه شيخ حكيم ، نعم ، سيكون هذا أفضل ما فعلوه على الإطلاق ، أن يسحبوا ترشيحه . ويتنخبوا رجلا مثل ديز أو سناتور فاردامان رئيساً للجمهورية . ثم استطرد يقول ، حسنا ، كان هذا طيباً تماماً . هنرى أعجوبة عصره بالتأكيد . أليس كذلك ؟ ، ووضع كوبه واستدار إلى الباب ، حسنا ، وأنتم يا أولاد ، كأنكم فى بيوتكم . إذا أردتم شيئاً ، نادوا . هوستون ، وأسرع خارجا فى خطواته الذاهلة .

قال ماك كالم ، اجلس ، وجرت مقعدا ، وجرت بايارد مقعداً آخر ووضعته قبالة أمام المائدة . واستطرد يقول ، د يكون ينبغى عليه بالتأكيد أن يعرف الويسكى الجيد . شرب منه ما يكفى لتعويم نضده الكبير وإخراجه طائفا من الباب ، وملا كوبه ودفع الزجاجاة نحو بايارد ، وشربا صامتين مرة أخرى .

قال ماك كالم فجأة ، تبدو فى حالة سيئة يا بنى ، ورفع بايارد رأسه ، ووجد الآخر يتفحصه بعينيه الحادتين الهادئتين ، وقال ، لقد أفرطوا فى تدريبك . أنكر بايارد الأمر بإشارة عنيفة ، ورفع كوبه ، ولكنه ظل يشعر برقابة الآخر الهادئة ، ، حسنا ، أنت لم تنس - على كل حال - كيف تشرب

الويسكى الجيد . . . لم لا تخرج وتأتى معنا للصيد ؟ ثمة أحمر عجوز مازلنا نحتفظ به لك . مازلنا نلتقى به ونفترق عنه لمدة عامين لم أسلط عليه جنرال العجوز بعد ، لأن العجوز سيحقق به ، وقد أردنا أن نحتفظ به لكم يا أولاد . جون ، كان سيستمع بهذا الثعلب . أتذكر تلك الليلة حينما انطلق جونى مباشرة إلى جسر سامسون سابقا الكلاب ، وعندما وصلنا هناك ، كان هو والثعالب طافين في النهر على قطعة الخشب السابحة فيه ، الثعلب على طرف ، وجونى على الطرف الآخر ، وهو يردد أغنيته الوقحة بأعلى ما يستطيع ؟ جون كان سيستمع بهذا الثعلب . إنه يتفوق بذكائه كل مرة على الكلاب الصغيرة . ولكن جنرال العجوز سيمسك به .

وجلس بايارد وهو يدير الكوب في يده ، وأخرج علبة سجائر من جيبه ، وهزها وأسقط منها بضع سجائر على المائدة بالقرب من يده ، ودفع العلبة برقة عبر المائدة إلى الآخر . أشعل بايارد سيجارة وأفرغ كوبه ومد يده إلى الزجاجة .

قال ماك كالم مرة أخرى : تبدو وكأنك قطعة من جهنم يا ولد .

أجاب بايارد في صوت هادئ . كصوت الآخر ، : أظننى عطشان ، وأعد لنفسه كأساً أخرى ، بينما مضت سيجارته تدخن عند طرف المائدة ، ورفع الكأس ، ولكن بدلا من أن يشرب ، أمسك بها لحظة تحت أنفه ، بينما توترت عضلاته أسفل فتحتى الأنف حتى أصبحت بيضاء ثم أدار الكأس بسرعة بعيداً عنه ، وأفرغها في الأرض بيد متزنة . وراقبه الآخر بهدوء ، بينما ملاً كوبه حتى المنتصف بالخمر وأضاف إليه قليلا من الماء وأفرغها في جوفه . قال بصوت عال : ظلت فاضلا مدة أطول مما ينبغي ، واندفع يتحدث عن الحرب . ليس عن القتال ولكن عن حياة مأهولة بشبان مثل الملائكة الساقطين وعن عنف نيزكى كعنف الملائكة الساقطين ، فيما وراء الجنة أو الجحيم في مكان فيسـه أخلاط منهما : خلود محكوم عليه بالفناء ، وفناء محكوم عليه بالخلود .

جلس ماك كالم يستمع بهدوء ، وهو يشرب الويسكى ببطء وانتظام ودون أثر محسوس ، وكأنه يشرب لبناً ، ومضى بايارد يتكلم ولجأة وجد نفسه - دون عجب - يأكل طعاماً . كانت الزجاجة ممتلئة إلى أقل من النصف . وقد أحضر الزنجي هوستون الطعام وشرب كأسه ، شربه دون ماء ودون أن تطرف له عين ، وقال ، « إذا كانت عندي بقرة تحلب هذا فلن يحصل العجل على قطرة واحدة من اللبن على الإطلاق ولن أترك شيئاً منه للخصيض . شكرأ ، مستر ماك كولم ، سيدى ، » .

ثم أصبح خارج الغرفة ، ومضى صوت بايارد ملائماً الغرفة الصغيرة شبيهة المقصورة مكنتسجا رائحة طعام رخيص طهى بسرعة كبيرة جداً ، ورائحة الويسكى الحاد المسكوب على الأرض وناشراً أشباح شئ حاد رفيع كالهستيريا ، كوهج نيازك ساقطة على حدقة العالم المظلمة ومرة أخرى تسمع طرقة خفيفة بالباب ، وتظهر رأس صاحب المتجر البيضاوية وعيناه الحيتان الداقتان .

قال وهو يدلك عجزه بكفيه ، « أتم أيها السادة هل لديكم كل ما تريدونه ؟ » .

قال ماك كولم ، وهو يشير برأسه إلى الزجاجة ، « نعمال وخذه ، وأعد الآخر لنفسه شراباً فى كوبه الرخيص وأخذ فى شربه ، بينما اختتم بايارد قصة عن نفسه وضابط أسترالى وسيدتين فى صالة ليستر ذات مساء كانت صالة ليستر فى المنطقة المحرمة على العسكريين ، وفقد الأسترالى اثنين من أسنانه وقتاته ونالت عين بايارد لكمة فاسودت .

بينما مضى صاحب المتجر يرقب الراوى بعجب هادى معذب .

قال « أيها المخلص العظيم ، هؤلاء الطيارون كانوا بالتأكيد من أولاد جهنم ، أليس كذلك ؟ أظنهم يطلبونى مرة أخرى هناك فى مقدمة المتجر . هذه الأيام عليك دائماً أن تظل على استعداد للقفز حتى تستطيع أن تأكل خبزك ، وخرج مسرعاً مرة أخرى .

قال بايارد مرة أخرى بعنف وهو يرقب ماك كالم وهو يملأ الكوبين ،



« ظلمت فاضلا مدة أطول مما ينبغي ، ، هذه هي الخدمة الوحيدة التي كان جوني يؤديها لي إذ كان دائما يحول بيني وبين هذه الحياة البليدة اللامينة ، مع زوج من عجائز النساء لا هم لهم إلا مضايقتي ، ولا شيء . أعمله غير افزع الزنوج . ، وشرب كأسه ووضع الكوب على المائدة وظل قابضا عليها وقال : « الألماني اللعين ذو اليد الطرية . على كل حال ، لم يتعلم أبدا كيف يطير . ظلمت أحاول أن أمنعه من التحليق هناك في بشاقية الهواء الملعونة تلك ، وسب أخاه الميت بوحشية . ثم رفع كأسه مرة أخرى ، ولكنه أوقفها وهي في منتصف الطريق إلى فمه وقال : بحق جهنم أين ذهب شرابي ؟ ، ،

أفرغ ماك كالم الزجاجية في كوب بايارد ، وشرب مرة أخرى وصفع بالكوب السميك المنضدة ووقف وانهار إلى الخلف على الحائط ، وانقلب مقعده محدثا ضجة ، ثم تمالك نفسه ، وهو يحمق في الآخر « ظلمت أحاول أن أمنعه من التحليق هناك في هذه ، الكامل ، ولكنه أطلق على النار ، أمام أنفي مباشرة ، ،

ونفض ماك كالم أيضا ، وقال بهدوء ، « تعال من هنا ، وتقدم ليأخذ ذراع بايارد ولكن بايارد تماشاها ومرا خلال المظهي وقطعا نفق المتجر الطويل . ومشى بايارد متزنا بشكل مرضي ، ومد صاحب المتجر رأسه إليهما من وراء النضد وقال :

« تعالوا لزيارتي مرة أخرى أيها السادة ، تعالوا مرة أخرى ، ،

قال ماك كالم ، « وهو كذلك ، ياديكون ، ومضى بايارد . وإذا كانا يمران بنفاذورة الصودا خاطبه محام شاب يقف بجواره غريب ،

« كابتن سارتورس ، صافح مستر جراتون . جراتون كان في الجهة البريطانية في الربيع الماضي ، واستدار الغريب ومد يده ، ولكن بايارد حلق فيه ببرود ومضى في خطواته المنتظمة ، إلى الدرجة التي دفعت الغريب للشوة حتى لا يلحق به الشعور بالإهانة

قال وظهر بايارد إليه ، د لعنة الله على روحه ، وقبض المحامى على ذراعه قال هامسا بسرعة ، د إنه مخور . إنه مخور ، .

قال الآخر بصوت عال . د لا يساوى عندى قلامة ظفر . لأنه كان طياراً ملعون يظن . . .

همس المحامى ، ش ش . . . ش ، ، وجاء صاحب المتجر إلى قسم الحلوى وتطلع بقلق حقيقى شديد . قال ، د أيها السادة ، أيها السادة ، واقتعل الغريب حركة عنيفة وتوقف بايارد .

قال ماك كالم وهو يستدير ، د انتظر دقيقة حتى أحطم له وجهه ، ودفع الغريب المحامى جانبا ، وخطا إلى الأمام .

بدأ يقول د أنت لم تر اليوم . . . ، وأخذ ماك كالم ذراع بايارد بقوة وسهولة .

د ولد ، هيا بنا ، .

قال بايارد ، د وهو ينظر ببرود إلى الغريب الغاضب سأحطم وجهه القدر ، ، وقبض المحامى مرة أخرى على ذراع رفيقه .

صاح الغريب ، وهو يدفعه بعيداً ، د ابتعد . فقط دعه يحاول هيا ، أنت ، أيها القدر ، .

وصاح صاحب المتجر ، د أيها السادة . أيها السادة ، .

قال ماك كالم ، د ولد ، هيا بنا . على أن أتفرج على حصان ، .

قال بايارد مردداً د حصان ، ، واستدار مطيعاً ثم توقف ونظر إلى الخلف ، وقال للغريب ؛ د لا أستطيع الآن أن أحطم وجهك . آسف . على أن أذهب لأرى حصانا - سأحضر لزيارتك فى الفندق فيما بعد ، ولكن ظهر الغريب كان قد استدار إليه ، ومن ورائه كان المحامى يشير بوجهه ويديه إلى ماك كالم .

قال د ماك كالم ، ابتعد به ، حبا فى الله ،

وقال بايار مرة أخرى « سأحطم وجهه فيما بعد . أوستيس ، لا أستطيع مع ذلك أن أحطم وجهك . علمونا في المدرسة الابتدائية ألا نخدع حقاً . أو نضرب كسيحاً ، .

وقال ماك كالم مرة أخرى « هيا ، ومضى به ، ومرة أخرى يجب أن يتوقف بايارد عند الباب ليشتعل سيجارة ، ثم مضيا معا ، كانت الساعة حينئذ الثالثة ، ومرة أخرى سارا بين أطفال المدارس المنطلقين في حشود . وقد مشى بايارد متزناً بما فيه الكفاية ، وبطريقة عدوانية إلى حد قليل ، ثم استدار ماك كالم إلى شارع جانبي ، ومضيا معا ، مارين في ذلك بمتاجر زنوج ، وفيما بين مطحن دقيق يعمل ؛ وحلاجة فطن ساكنة ، استدارا إلى أرض منبسطة مبنوءة بالخيل والبغال المقيدة ومن نهاية المكان جاء صوت صدام مطرقة بسندان ؛ ومرا بوجهها الآخر وحصان صابر يقف على ثلاثة أرجل على باب حداد - ورجال في ثياب عمال قاعدين بجوار الجدار الظليل ؛ ثم وصلا إلى بوابة عالية في نهاية نفق من الآجر معتم اللون وبفوح منه رائحة النوشادر . وقد جلس عدة رجال فوق قبة البوابة واستند آخرون بأذرعهم المعقودة عليها . وجاءت من الحظيرة نفسها أصوات ، ومن خلال البوابة المشقة لمع شكل مترفع ساكن من الذهب اللامع .

وقف الحصان بجوار باب مخزن عدة الخيل والخدم ، كان الباب مفتوحاً وكأنه فم كهف يتشاب . وكان الحصان كاهب برنزي ساكن ، وعلى امتداد سترته اللامعة ، امتدت على مسافات ، رعشات صغيرة من لهب أشد شحوباً ؛ السنة صغيرة من العصبية والكبرياء ولكن عينه كانت هادئة ومتعجرفة ومن لحظة إلى أخرى وبأسلوب الملوك ، كانت نظرة تنكتسح المجموعة الجالسة عند البوابة بازدياد رفيف ، دون أن تراه على الإطلاق كأفراد . ومرة أخرى السنة صغيرة من لهب أشعب تتقاطر مرتعدة على امتداد سترته . وحول رأسه كان حبل من الكتان - وكان مقيداً إلى عضد باب

وخلفه كان رجل أبيض يتجول باحترام في المكان على بعد منه وبه شعور المالك ، وبجواره سائس أسود ، ربطت بخيط إلى خصره جرارة من الكتان . توقف ماك كالم وبايارد عند البوابة ودار الرجل الأبيض حول الحصان في سكونه الجليل وجاء إليهما . وجاء السائس الأسود أيضا بقطعة نسيج ناعمة قدرة وهو يرتل بصوت ناعم منغم . وسمع له الحصان بأن يقترب منه واحتمله وهو يزيل بقطعة النسيج اللهب الصغيرة العصبية اللاعقة ، التي انتدت من جديد في تموجات متتالية تحت الجلد .

سأل الرجل الأبيض ماك كالم ، « أليس صورة رائعة ؟ » وقد استند بمرفقة إلى البوابة . كانت ثمة ساعة رخيصة من النيكل مربوطة إلى عروة حمالته بقيطان رفيع من الجلد الخام الذي تأكل بالاستعمال الطويل وأصبح أسود وناعما بفعل القدم ، وكانت لحيته الحلينة أثقل ما تكون عند زكنى فمه حتى طرف ذقنه . وكان يبدو وكأنه يمزغ طباقا باستمرار دون أن يفلق فمه . كانت تجارة الخيول حرفة وكان في مقاضاة مستمرة مع شركة السكة الحديدية حول الأسلوب العنيف الذي صفت به قطيعه ، وقال ، « انظر إلى هذا الزنجي . سيدع توب يدله كطفل . أنا نفسي لن أستطيع أن اقترب منه أكثر من عشرة أقدام . على اللعنة إذا كنت أعرف كيف يفعلها توب . لا بد أن تكون ثمة قرابة بين الزوج والحيوانات . هذا ما أعتقد . »

قال ماك كالم بجفاف ، « أظنه يخشى أن تعبر به يوما قضبان السكة الحديدية في الوقت الذي يصل فيه قطار التاسعة والنصف . »

قال الآخر مؤيدا ، « نعم . أظنني سيأحب أن تعس حظ في كل المنطقة ، ولكن يتحتم عليهم أن يسووا الأمر هذه المرة . جررتهم كالجثث للاعتراف بحقوقى . »

قال ماك كالم ، « نعم . ينبغي على شركة السكة الحديدية أن تزود قطيعك بدليل قطاراتها ، وقمقه الآخرون بصوت عال . »

قال التاجر ، « آه . لدى الشركة ، الكثير من المال . أنت تتكلم وكأننى دفعت تلك البغال أمام القطار . دعنى أخبرك كيف حدثت . . . »

قال ماك كالم وهو يشير برأسه إلى الحصان « أظنك لن تدفعه أمام أى قطار . ومضى الزنجى فى صقل سترته المرتعشة وهو يغنى له بصوت حزين رتيب . وضحك التاجر .

قال مسلما ، « أظننى لن أفعل . حتى لا يهلك توب أيضا . فقط انظر إليه . الأقرب إلى أن أطير من أن اقرب من هذا الحيوان . »

قال بايارد فجأة « سأركب هذا الحصان . »

وسأل التاجر ، « أى حصان ؟ » وراقب الآخرون بايارد وهو يتسلق البوابة ويقفز إلى الداخل .

قال التاجر ، « أنت أيها الشاب ، دع هذا الحصان وشأنه . »

ولكن بايارد لم يهتم به ، وتقدم ، واكتسحه الحصان بنظرته الملكية وولى بعينيه . صاح التاجر ، « أنت دع هذا الحصان وشأنه ، وإلا فسأقاضيك . قال ماك كالم « دعه . »

قال التاجر « وأدعه يتلف حصانا ثمنه ألف وخمسمائة دولار ؟ هذا الحصان سيقتله . أنت ! سارتورس ! »

أخرج ماك كالم من جيب سرواله الخلفى حزمة من الأوراق المالية مشدودة بشريط من المطاط وقال مرة أخرى ، « دعه ، هذا ما يريد . »

وألقي التاجر نظرة سريعة على حزمة الأوراق المالية وأجرى حسبه بسرعة ، وبدأ يقول بصوت مرتفع ، « أنا أطلب منكم أيها السادة أن تشهدوا . . ثم توقف ، ومضوا يرقبون بايارد بقلق وهو يقترب من الحصان واكتسحه الحيوان مرة أخرى بعينيه المرتفعتين المتوهجتين ورفع رأسه

دون قاق ، وزفر . ونظر الزنجى من فوق كتفيه ، وجثم بجوار الحصان ،  
وقد زادت سرعة ترتيبه الحزين ، وقال ، ، ارجعوا إلى الخلف أيها البيض ،

زفر الحصان مرة أخرى ، ورفع رأسه بحركة سريعة وقطع المقود فكأنه  
خيطة عنكبوت وأسرع الزنجى محاولاً أن يمسك نهاية الحبل الطائر ، وصاح  
، ابتعدوا أيها البيض . ابتعدوا أسرعوا .

راغ الحصان من يده ، وكشف عن أسنانه التي ظهرت في شكل قوس  
رهيب ، وقفز الزنجى وانبطح على الأرض في اللحظة التي حلق فيها الحيوان  
كأنه يجار برزى وراغ بإيارد من تحت الخوافر المنقضة كالسيوف ، وعندما  
دار الحيوان كدوامة من نار لها آلاف الألسنة ، رأى المتفرجون الرجل  
وقد تمكن من لف نهاية الحبل حول فكيه ، ثم رأوا الحيوان يكبح ويقف  
على قائمتيه الخلفيتين رافداً الرجل من الأرض وقد حمل جسمه وكأنه خرقة  
بالية على قوس حركته المبرق . ثم توقف وهو يرتعد ، عندما أغلق بإيارد  
منخاريه بالحبل المطوى ، وفجأة كان على ظهره والحصان واقف برأس منكسة  
وعينين تدوران في محجريهما ، وهو يبرز سترته في ألسنة مرتعدة قبل أن  
تنفجر مرة أخرى .

اندفع الحيوان كأجنحة برزية منطلقة ، وتدافع المتفرجون بعيداً عن  
البوابة ورموا بأنفسهم على الأرض في اللحظة التي تناثرت فيها البوابة وكأنها  
عيدان ثقاب تحت رعدة البركاني المندفع . وألقى بإيارد فوق كتفيه وحول  
رأسه المجنوة جانباً ، واكتسحا السهل معا ، ناشرين الفوضى والعجيب بين  
الحيل والبغال المقيدة والمنتظرة حول محل الحداد ، وبين العربات هناك  
أيضاً . وعند الالتقاء السهل بالشارع تناثر جماعة من الزنوج بسرعة من أمامهما  
ودون أن يغير الحصان من سرعته قفز مخلقا فوق طفل أسود صغير في يده  
قطعة من الحلوى كان يعترض طريقه ، في هذه اللحظة استدارت بغال بحرية  
لتدخل السهل ، فثبتت على سيقانها الخلفية أمام وجه الرجل الأبيض المروع

الذى فترقاه فزعا ، وهو جالس فى العربىة ، ومرة أخرى أدار بإيارد صاعقته الرعدية واتجه بها بعيدا عن الميدان . وفى السهل من ورائه جرى المتفرجون فى الغبار الثائر وهم يتصايحون ، وكان التاجر بينهم أماريف ماك كالم فكان ولا يزال فى مكانه قابضا على حزمة الأوراق المالية .

تحرك الحصان من تحته وكأنه موسيقى مجنونة جبارة ، غير محكومة ، ورائعة وغير قابلة للسيطرة ، وقد أفاد الحبل فى توجيهه فقط ، لا فى الحد من سرعته ، ومن بين الصرخات المتصاعدة من جانبي الشارع ، حاد بالحيوان إلى شارع آخر ، كان شارعاً أكثر هدوءاً ، بعده يصبحان فى الخلاء ، حيث يستطيع الحيوان أن ينفث عن غضبه الجنونى دون مفاجآت من السيارات والمارة . وغاضت الأصوات من ورائه فى هزيمة الخاص .

« هارب ! هارب ! » ولكن الشارع كان مهجورا إلا من سيارة صغيرة كانت ماضية فى نفس اتجاهه ، وأمامهم وعلى بعد منهم تحت النفق الأخضر ، تناثرت مبتعدة عن الطريق نقط ملونة لامعة . « أطفال » قال محدثا نفسه « أرجو أن يظلوا بعيدا » كانت عيناه تدمعان قليلا ، ومن تحته الرفع والخفض المتدافقان ، وفى أنفه رائحة الغضب والقوة والكبرياء الجريحة ، كالدهان الذى يتصاعد من جسم الحيوان ، ومر مسرعا بالسيارة ، وقد لاحظ فى لحظة كأنها البرق وجه امرأة وفما منفرجا قليلا ، وعينين متسعيتين بالعجب الهادى . ولكن الوجه مرق مبتعدا دون أن يرسم فى عقله ، ورأى الأطفال وقد تجمعوا إلى بعضهم البعض على جانب الطريق ، وعلى الجانب المقابل زنجى يرش الماء على الطوار وبجواره زنجى آخر بمذراة .

صاح شخص ما مستغيثا من الشرفة ، وتفرق الأطفال المتجمعون وهم يصرخون واندفع شخص صغير الجسم فى قيص أبيض وسراويل صغيرة

شاحبة الزرقه إلى قلب الشارع ، وانحنى بإيارد إلى أسفل وطوى الحبل حول يده وحرف الحيوان ناحية الطوار الآخر حيث كان الزنجيان واقفين وقد ففرا فيهما واندفع الشخص الصغير ومرق وراءه سالما ، ثم حزمة صغيرة من الخضرة المندفعة وساق شجرة ، كسلك عجلة مقلوب . وقذح الحصان شرر نار من الأسفلت المبلل . وانزلق ، واصطدم ، وعارك في سبيل استعادة اتزانه ، واندفع ثم هوى ساقطا ، وبالنسبة لبايارد صدمة حراء ثم ظلام .

نهض الحصان متعثراً على ساقيه ودار حول نفسه كالدوامة وتوقف ، ثم ضرب بعنف بحوافره الرجل المسجى ، ولكن الزنجى ذا المذراة دفعه بعيداً ، ثم أسرع بمحطة وبرأس تعلو وتهبط في الطريق ، وعبر السيارة المنتظرة . وعند نهاية الشارع وقف يرتعد ويزفر وسمح للسائق الأسود أن يلمسه ، أما ريف ماك كالم فكان ولا يزال قابضاً في يده على أوراق نقده .

حملوه وأحضره إلى البلدة في سيارة استولوا عليها لهذا الغرض ، وأيقظوا دكتور بيدودى من النوم ، وضمّد دكتور بيدودى باستهتار رأس بإيارد وأعطاه شراباً من الزجاجة المستقرة في سلة المهملات المزدحمة ، وهدد بالاتصال بمس جينى تليفونيا إن لم يذهب إلى البيت مباشرة ، ووعد ريف ماك كالم أن يأخذه بنفسه إلى البيت ، وعرض صاحب السيارة المصادرة أن يحمله إلى هناك . كانت فورد ، أزيل الجزء الخلفى من جسمها وحلت محله حجرة صغيرة من الصفيح ، لا تزيد في الحجم على بيت الكلاب وفى كل من نوافذها المرسومة جلست سيده باسمه مصورة أمام آلة حياكة مصورة أيضاً ، وكان فى الغرفة فعلا ، آلة حياكة ، وقد ثبتت بعناية وحملت هكذا متجولة فى الريف بوساطة الوكيل .



وكان اسم الوكيل ف . ك . سورات ، وقد جلس بوجهه الماكر المقبول ، وراء عجلة القيادة ، وجلس بإيارد ورأسه تطن بجواره ، وتعلق بطوار السيارة شاب ذو ذراعين بنيتين ، وعلى رأسه براوية حادة قبعة من القش جديدة لأقصى حد ، وقد ترك جسمه استقبال لكزات الطريق بسهولة ودون اهتمام ، إذ كانا ماضيين من البلدة إلى طريق الوادى .

أما الشراب الذى قدمه إليه دكتور بيبودى ، فبدلاً من أن يهدى أعصابه الصاخبة تلبث ساخناً وممتلكثاً فى معدته ، وأثار فيه قليلاً من الشعور بالغثيان ، وأمام عينيه المغمضتين تراقصت أشكال غريبة فى حدقات خفاقة ملة . وقد راقبها بغيا . ودون دهشة ، وهى تنطلق من الظلام ، وتدور حول نفسها متكاسلة ، وتلتهم نفسها ، ثم تظهر من جديد وفى كل مرة بوضوح أقل ، ذلك لأن عقله قد بدأ يفتق . ومع ذلك ، ففى مكان ما ، كان ثمة وجه ، قد اندمج معها وإن ظل فى نفس الوقت منفصلاً عنها وعلى بعد ساحق منها بترفع مظمن . كان هادئاً فى خضم تشنجاتها الغبية . وبدأ وكأن له علاقة ما بالمحظة نفسها عندما بلغت أوجها فى ظلام الصدمة ، وفى نفس الوقت بدا له رغم كل ترفعه وكأنه جزء من الفوضى الدوامة الناتجة ؛ جزء منها ، ومع ذلك استحضر إلى مركز الدوامة الحمراء نعومة دائمة ، كنعومة نسيم رقيق تحت ظلال . وهكذابقى مترفعاً ، وبغير وضوح تام ، بينما غاضت الأشكال المتلوية وأصبحت ضيقاً ثقيلاً بالأم البدنى الذى تحدته هزات السيارة . لقد ترك من حوله كصدى صفاء ناعماً وشيئاً آخر — شعوراً بالاشمئزاز المتقبض الذى لا يخلو من الاقتتان . . . به أو بشيء ما فعله .

كان الأصيل فى طريقه ، وعلى الجانبين رفع القطن والقمح رماحاً خضراء فوق الأرض الفتية السوداء . وفى الغابات الصغيرة حيث نفدت أشعة الشمس المنحدرة بين ظلال بتفسجية ، تنادت الجاثم بحزن ، وبعد قليل استدار سورات من الطريق العام إلى طريق عربات ضيق مملوء بالحفر بين

حقول وغابة صغيرة ، ثم أصبحت الشمس قبالتها مباشرة وخلع بايارد قبعتها وحال بها بين الشمس ووجهه .

قال سوريات : الشمس تؤلم رأسك ؟ لم يبق إلا القليل ، ، ثم استدار الطريق إلى الغابات حيث كانت الشمس متقطعة ، وتصاعد تدريجاً إلى قمة رمليّة ، ومن ورائها امتدت الأرض في حقول شعّاء مهملة ، ثم من ورائها مجموعة من أشجار الفاكهة في حالة سيئة ، ودغل صغير من شجيرات الجوز القزماء الفضية الشاحبة بلون الالبسات ، وهي ترتعد باستمرار بلا رياح ، ويبت صغير لوحته الرياح . ومن ورائه وأكبر منه ، لاح جرن رمادي ، مفضن بفعل السمين . وانشق الطريق هنا ، اتجه أحد الذراعين الهزيلين إلى البيت ، وكان مغطى بالرمال ، ومضى الآخر بين الأعشاب إلى الجرن ، وأمال الشاب المتعلق بالسيارة رأسه داخلها وقال موجهاً : اتجه بالسيارة إلى الجرن . .

أطاع سوريات . ومن وراء الأعشاب تجول في الأرض كالثائ ، سياج متعثر في حالة سيئة من الانحلال ، ومن الأعشاب المجاورة له انتصبت نارضتا محراث في زاوية تعسه بينما مضت أسلحته تصدأ بسلام بين العشب ، وكذلك أدوات أخرى ، مضت تصدأ وقد احتجبت أجزاء منها هناك - أجداث العمل ، وقد ضمدت الأرض جراحها . الأرض التي أراد أن ينهك حرمتها - كانت أكثر حناناً منهم . واستدار السياج بزاوية وأوقف سوريات السيارة ، ونزل الشاب وفتح البوابة الخشبية المعوجة ، ومضى سوريات بالسيارة إلى قناء الجرن حيث كانت عربة بعجلات سكرى وفراش مصنوع في البيت ، وهيكل سيارة فورد صدى . وعلى مبردها المقبب العارى ، وقرب نهايته كان مصباحان ، أعطيا السيارة رسم الدهشة الصابرة الدائمة ، وبقرة هزيلة مضت ترقبهم بعينين كئيبتين وهي تجتر .

تعلقت أبواب الجرن كالسكارى من مفصلاتها ، وقد ثبتت إلى عضدها بلفائف من السلك الصدى . ومن ورائها ثياب ظلام الردهة الكهفي

في وحشية متعطنة — إحدى مهازل الأرض تحشد فيها ثراؤها ومحصلاته المريضة . جلس بايارد على حاجر ركوب السيارة وأسند رأسه المضمدة على جانبها ، وراقب سورات والشاب وهما يدخلان الجرن ويصعدان ببطء درجات سلم غير مرئية ، ومضت البقرة تمضغ باكتئاب بطيء . وكقطع صغيرة من السحاب الموحد ، انسال الأوز على سطح البركة الأصفر المحاطة بضاف دكتها الأقدام وشققت طينها الشمس . سقطت أشعة الشمس مائلة على أدبارها وعلى أعناقها الرشيقة ، وعلى جانب البقرة الهزيلة المحتلج بروى منتظم ولونت ضلوعها الواضحة باورن ذهبي موحد . وبعد برهة ظهرت قدما سورات وهما تتحسان طريقهما على الدرج ، ثم جسعه اليقظ ومن ورائه الشاب الذي انزلق نازلا في خطوات واسعة سريعة .

برز من الظلام وكان يحمل دنا فخاريا استند إلى جانب سناقه . وجاء وراءه سورات في قيصة الأنيق الأزرق دون ربطة عنق ، وأشار برأسه إلى بايارد ، واستدارا عند ركن الجرن بين أعشاب تبلغ في الارتفاع الخاصة ، ولحق بهما بايارد في اللحظة التي انزلق فيها ، هو والدين ، بحركة واحدة بين صفين من الأسلاك الشائكة المفتولة المرتخية ، وانحنى سورات ومر بينهما بروية أكثر ، ثم رفع السلك الأعلى وداس على الأسفل بقدمه حتى مر بايارد . ومن وراء الجرن ، انحدرت الأرض في الظل ، نحو تكاثف يكاد أن يكون دغلا من أشجار الصفصاف والبيلسان ، وإزاؤها انتصبت شجرة زان هائلة وحزمة من الشجيرات الصغيرة وكأنها جميعا أشباح منعومة ، ومنها تصاعدت نسائم رطبة وكأنها أنفاس هبت للقيام . كان النبع يفيض من جذور شجرة الزان ، إلى إطار خشبي غرس حول قته في الرمل الأبيض ، الذي أخذته رعدة لطيفة لاتنقطع تحت الماء الشفاف المضطرب ، ثم مضى الماء بعد ذلك إلى أشجار الصفصاف والبيلسان .

دكت الأرض حول النبع حتى أصبحت ناعمة متماسكة وكأنها فناء بيت . وبحوار النبع استقر إناء حديدي مسود على أربع قطع من الآجر ، وكانت تحته كومة من رماد الخشب الشاحب وبقايا شظايا مشتعلة ، وأعقاب أحطاب

متفحمة . وبحوار الإناء استندت لوحة غسل ذات سطح معدني معرج ،  
وتعلق كوب صديء من الصفيح من مسبار مثبت في الشجرة التي تنصب  
فوق النبع . ووضع الشاب الدن وجلس هو وسوارت من حوله .

قال سورات هب ، إذا كنا لن نقع في متاعب إن أعطينا  
ريسكي لمستر بايارد . ومع ذلك ، دكتور ييبودي نفسه أعطاه كأسا ، ولذا  
أظننا نستطيع أن نعطيه واحدا أيضا . أليس كذلك يامستر بايارد ؟ ،  
واستدار وهو جالس بوجهه الماكر الناعم إلى بايارد ، وأدار هب سداة  
الدن ، المأخوذة من ساق ثمرة الذرة ، وخلعها ، وقدم الدن لسورات ، الذي  
قدمه لبايارد ، وأسر إلى سورات ه أنا أعرف بايارد منذ أن كان صبيا  
في سراويل قصيرة ، ولكن هذه هي المرة الأولى التي أتناول فيها أنا وهو  
شرابا . أليس كذلك يامستر بايارد ؟ أظنك ستحتاج إلى كوب تشرب منه ،  
أليس كذلك ؟ ، ولكن بايارد كان يشرب بالفعل ، فقد رفع الدن ، وأسندته  
إلى ذراعه الأفقية . وثبت فتحة الدن إلى شفتيه بنفس اليد ، كما ينبغي أن  
يكون ، قال سورات ه إنه يعرف كيف يشرب من دن ، أليس كذلك ؟ ثم أسر  
في نعمة من بير ما فعله ه كنت أعرف أنه على ما يرام ، . أنزل بايارد  
الدن ، وأعادته إلى سورات ، الذي قدمه مجاملا إلى هب .

قال هب ه هيا ، اضربها ، وفعل سورات كذلك وأخذت تفاحة آدم  
عنده تتحرك حركة مكبسية منتظمة ، وهومت الحشرات الصغيرة فوق المجري  
ودارت في أشعة الشمس الأفقية ، وكأنها عصافات ذهبية هائمة . وخفض  
سورات الدن وقدمه إلى هب الذي مسح فمه على ظهر يده .

سأل ه مستر بايارد ، كيف حالك الآن ؟ ، ثم قال ه عليك أن تغفر لي  
هذا كان ينبغي أن أقول كابتن سارثورس ، أليس كذلك ؟ .

سأل بايارد ه لماذا ؟ ، جلس هو الآخر ووضع قدميه تحته واستند إلى  
جذع شجرة الزان . كانت الأرض المرتفعة من ورائهم تخفي الجرن والبيت  
عن الأنظار ، وقد جلس ثلاثهم في كأس صغيرة من السلام بعيدة جداً

عن العالم والزمن ، وممتلئة بأنفاس النبع الرطبة الناعمة ، وأشعة الشمس التي نفدت خلال أشجار البيلسان والصفصاف وانتشرت قليلا كالخمر . استلقت السماء منعكسة على سطح النبع وقد تحلت بأوراق الزان الساكنة بلا رياح ، وأقوى هب أيضا ، وقد انعقد ذراعه حول ركبتيه ومضى بدخن سيجارة وهو يرتدى قبعته المائلة . وقد جلس سوارت أمامه في قيص ذي لون أزرق شاحب ، أبرز لون وجهه وذراعيه البني العميق نكشب المجنة . واستقر الدن المستدير بينهم طيبا شفيقا .

قال سورات مرة أخرى ، نعم ياسيدي . أنا أجد دائما أحسن العلاج لأي جرح في المزيد من الويسكي . الأطباء ، هؤلاء الأطباء هنا من آخر طراز يقولون لأي شخص شيئا غير هذا . ولكن دكتور ييبودي العجوز نفسه قطع ساق جدي بينما كان جدي مستلقيا على مائدة مطبخ بزجاجة خمر في يده ، وحشية ومقعد بين ساقيه ، وأربعة رجال أمسكوا به ، وهو يسب ويغنى بألفاظ فاضحة إلى الدرجة التي اضطرت النسوة والأطفال إلى الذهاب إلى المرعى وراء الجرن حيث انتظروا هناك . خذ مزيدا ، ومرر الدن فوق النبع وشرب بايارد مرة أخرى . أظنك بدأت تشعر بشيء من الراحة ، أليس كذلك ؟ .

قال بايارد ، على اللعنة إذا كنت أعرف . ديناميت يا أولاد .

أمسك سورات بالدن وقهقه ، ثم رفعها إلى شفتيه . ومضت تفاحة آدم تعمل مرة أخرى كالمضخة ، وقد وضعت حركتها أمام جدار البيلسان والصفصاف ، وقريبا سيزهر البيلسان بكتل شاحبة من البراعم الصغيرة . كانت مس جيئي تصطنع منها القليل من النبيذ كل عام . وكان نبيذا جيدا ، إذا كان من يصنعه يعرف كيف يصنع وتوفر له الصبر . نبيذ زهور البيلسان . كأنه طقوس لعبة أطفال ، لعبة تلعبها بنات صغيرات في أثواب صغيرة شاحبة ، بين ساعة العشاء والغسق ، ومن فوق النبع حيث كانت أشعة الشمس وما زالت تأتي منحدره هومت الحشرات ودارت كالدوامات كأنها

دقائق غبار في غرفة ساكنة مهجورة . ومضى صوت سوررات ناعماً وهو يردد دون توقف ، الإعجاب المهنّب بصلابة رأس بايارد وأنه يجلس للشراب معه لأول مرة .

وشربوا أيضاً ، وبدأ هب يقرض السجائر من بايارد ، وأصبح ، أيضاً أكثر استباحة للفظ . راوياً بجرأة المنح والنوادر بلمحة أهل بلده ، عن الويسكي والبنات والحظ ، ثم كان هو وسوررات يتجادلان بود حول العمل . وبدأ وكأنهما على استعداد للجلوس دون تعب وبراحة تامة . وأقدامهما تحتها ، ولكن ساقى بايارد فقدتا الإحساس تماماً ، فدهما ليدغدغهما الدم المنساب وقد جلس الآن وأسند ظهره إلى الشجرة ومد ساقيه الطويلتين أمامه ، وكان يسمع صوت سوررات دون أن ينصت إليه .

أصبحت رأسه شكلاً ما من العناء المشدود ، وحيناً بدت له وكأنها تسبح مبتعدة من فوق كتفيه وتحلق بعيداً بجوار الحائط الأخضر . وكأنها بالون شفاف ، بداخله ، أو من ورائه ، ظل ذلك الوجه ، الذي لا يتضح تماماً ، ولا يغيض أبداً بشكل يكاد يبعث على الضيق - عيناه استدارتا بالدهشة العميقة المروعة ، يدان مرفوعتان تمرقان وراء قبيص أبيض صغير وسروال أزرق ، في اندفاع رافعة غاصت في ضجيج الصدام والظلام .

ومضى صوت سوررات البطيء الناعم بانتظام ، ولكن دون أية مضايقة ، بدا وكأنه ينسجم بسهولة مع المشهد الساكن ، كان يتكلم عن أشياء دنيوية وكان يقول : سأحدثكم عن الطريقة التي تعلمت بها تقطيع القطن . أخذني أخي الأكبر ووضعني في الصف الذي أمامه وبدأت وبمجرد أن قطعت قطعة أو قطعتين وجدته ورائي . وكلما قطع فأسى مرة ، كان فأسه يقطع مرتين ، ولم يكن عندي قط حذاء في تلك الأيام ، ثم استطرد يقول بجفاف : وهكذا كان على أن أتعلم كيف أقطع القطن بسرعة ، وفأسه ماضية ورائي تنقض على عقبي العاريتين ، ولكنني ، أقسمت حينئذ ، وليحدث ما يحدث ، ألا أزرع شيئاً قط في الأرض في اللحظة التي أستطيع فيها

أن أقوم بأودي . الزراعة خير بالنسبة للذين يملكون الأرض ، ولكن الناس من أمثال أهل لن يمتلكوا أرضاً على الإطلاق . وفي كل مرة حفرنا الأرض فيها كنا نزيل بأظافرنا الوحل لشخص آخر ، ورقصت الحشرات ودارت في دوامات أشد جنوناً في ضوء الشمس ، فوق أماكن مجرى الماء المختفية ، وقد أخذ ضوء الشمس لوناً نحاسياً غنياً ، ووقف سوريات وقال : « حسناً يا أولاد . على أن أعود إلى البلدة » ثم نظر إلى بايارد مرة أخرى بوجهه الذكي العطوف وقال : « أحسب مستر بايارد قد نسي تماماً الصدمة التي أصابته ، أليس كذلك ؟ »

قال بايارد : اللعنة ، كف عن مناداتي بمستر بايارد .

التقط سوريات الدين : « كنت أعرف أنه على ما يرام ، إذا تيسرت لك معرفته وقال لهب : « ما زلت أعرفه منذ أن كانت قائمته لا تصل إلى الركبة ، ولكن أنا وهو لم تلق الأيام بنا معا قبل الآن . »

« أنا يا أولاد ولدت صبيّاً فقيراً بينما عاش أهل مستر بايارد في ذلك المكان الكبير ولديهم كثير من المال في البنوك وزنوج يقومون على خدمتهم ولكنه طيب . » ثم قال مرة أخرى : « لن يقول شيئاً عن إعطائه هذا الويسكي . »

أجاب هب : « فليقل إذا شاء - لا يساوي الأمر عندي قلامة ظفر . » وشربوا مرة أخرى وقد غابت الشمس أو كادت ، ومن أماكن المجرى الموحلة السرية جاء تقيق ضفادع صغيرة ، وكأنه صوت أشباح ، وخارت البقرة النحيلة غير المرئية من حول الجرن ، وأعاد هب السدادة إلى الدين ، ودفعها إلى مكانها بضربة من كفه وصعدوا التل ، وزحفوا خلال السياج ، كانت البقرة واقفة أمام باب الجرن وتطلعت إليهم وهم يقتربون ، وخارت مرة أخرى ، مبتسمة نائمة ، وقد غادر الأوز البركة ومضى في استعراض وقور عبر فناء الجرن متجهاً نحو البيت ، حيث كانت تقف على بابه الذي حددته من الجانبين عليقة من الريحان الأسود الشامي ، امرأة .

قالت في صوت رنين مستو ، هـب ، هـب ، .

قال هـب بسرعة ، هـب إلى البلدة -- بالتأكيد عليك أن تحلبي ، .

وقفت المرأة في الباب بهدوء ، وحمل هـب الدن إلى الجرن ، وتبعته البقرة ، وسمعا ، واستدار ، وأعطاهما صفة عالية على ضلوعها الهزيمة ؛ وسبها دون حماسة . ثم ظهر مرة أخرى واتجه إلى البوابة وفتحها ، ومضى سورات بالسيارة خلالها . ثم أغلقها مرة أخرى وربطها بالسلك وقفز إلى حاجز السيارة ، وتقدم بإيارد وأقنع هـب بالجلوس داخلها . وظلت المرأة واقفة بالباب ، وهي ترقبهم بهدوء . وبالقرب من الباب اندفع الأوز هائماً وهو يطلق صيحات متنافرة ، وقد تلوت أعناقها الأنيقة وكأنها إشارة تحية رسمية صامتة .

امتدت ظلال أشجار الفاكهة مستطيلة عبر الحقول المهمة ، ودفعت السيارة ظلها المستطيل أمامها وكأنها ظل طائر هائل محدودب الكتفين . وصعدوا التل الرملي في آخر لحظات الغروب ونزلوا بعيداً عن ضوء الشمس إلى لحظة الغروب البنفسجية . كان الطريق برماله صامتا ، وتهادت السيارة وصعدت من الحفر المتآكلة المتحركة ثم إلى الطريق العام .

كان القمر المتناهي في السماء فوق رؤوسهم ، إلا أنه حينئذ لم يكن يعطي بورا ، ومضوا بالسيارة متجهين إلى البلدة ، مارين من حين إلى حين ، بعربة ريفية عائدة إلى البيت ، وهذه ، حياها سورات بإشارة رصينة من يده ، ذلك أنه كان يعرف تقريبا كل نفس في الإقليم ، وإذا مر الطريق بجسر خشبي بين مزيد من أشجار الصفصاف والبيلسان وحيث كانت العتمة أشد كثافة وأشد وضوحا ، أوقف سورات السيارة ونزل منها متسلقا من فوق الباب .

قال : أنتم يا أولاد اجلسوا بهدوء . لن أغيب إلا دقيقة . على أن أملا المبرد . وسمعا عند مؤخرة السيارة ، ثم ظهر مرة أخرى ومعه دلو من



صفوح ونزل بخفة ورشاقة إلى جانب الطريق بجوار الجسر . كان الماء يضحك ويفغم تحت الجسر غير مرئي في ساعة الفسق ، وقد تحمل همسه بصوت الضفادع والجداجد . وما زالت الحشرات الضئيلة تهوم وتدور كالدوامات فوق الصفصاف الذي كان يحد مجرى الماء ، لأن الخفافيش ظهرت من غير مكان ، في انقضاضات طويلة ، لتختفي وسط انقضاضاتها فجأة ، لتظهر مرة أخرى وهي تهوى ومن ورائها صفحة السماء الهادئة ، خرساء كقطرات ماء على نافذة من زجاج ، سريعة ، صامتة ، وصارمة وكأن أجنحتها قد قُدت من الفسق واتخذت من الصمت ريشاً .

تسلق سورات الشاطئ متعثراً ومعه الدلو ، ورفع الغطاء وميل الدلو فوق المورد . وتعلق القمر فوقهم دون أن يبرز ، إلا أن ظلاً خفيفاً لرأس سورات وكثفيه سقط فوق غطاء المحرك وفوق أرض الجسر الخشبية الشاحبة . كانت أوراق الصفصاف المريضة مرسومة في ظلها بدقة وشجوب بقلم رفيع . ومضى آخر الماء بفرغرات وضجيج خفيف إلى داخل الآلة ، وأعاد سورات الدلو إلى مكانه وتلاق السيارة من فوق الباب المغلق . وكانت المصابيح تضاء بوساطة مولد ، فأضاءها . وبينما كانت السيارة ماضية بسرعة منخفضة توجهت المصابيح إلى أقصاها ، ولكنه إذ زاد سرعتها هبطت إلى ضوء خفاق لا يزيد على ظل مضى .

كان الليل قد خيم على المدينة عند ما وصلوا إليها ، وبدأت المصابيح المضاءة على ساحة بيت القضاء كحبات صفراء فوق الأشجار ، ومن فوق اللون الأخضر الشاحب الذي حلق في أطراف الأشجار تعلق منتصباً عمود أسود من الدخان وكأنه ريشة طائر متزنة ، وأنزلهم سورات عند المظلم ومضى ، ودخلا ورفع صاحب المظلم رأسه البيضاء وعينيه المستديرتين الناعمتين من وراء نضد الصودا الفوارة .

قال وقد أخذته الدهشة : أيها المخلص العظيم ، ألم تعد بعد إلى البيت يا ولدي ؟ ما زال دكتور بيبودي يبحث عنك منذ الساعة الرابعة ، وذهبت مس جيني إلى البلدة في عربتها ، لتبحث عنك . إنك ستقتل نفسك .

قال بايارد : فلتأخذك جهنم يادىكون ، تعال إلى الجزء الخلفى ، واحضر  
لى ولهب لحم خنزير وبيضنا بما يساوى دولارين .

وبعد ذلك عادوا إلى الدن فى سيارة بايارد وهب وشاب ثالث كان  
وكيل شحن البضائع فى السكة الحديدية ، مع ثلاثة زنوج وكان فى المقعد الخلفى ،  
ولكنهم لم يعضوا بالسيارة إلى أبعد من الحقل القريب من البيت ، وتوقفوا  
هناك ، بينما مضى هب على قدميه فى الطريق الرمل إلى الجرن . وتحلق القمر  
فوق رؤوسهم شاحبا باردا وفى كل الأنحاء تعالت أصوات الحشرات الحادة  
وهى محتفية فى الحشائش المغبرة . وفى المقعد الخلفى تهامس الزنوج فيما بينهم .

قال ميتش وكيل الشحن : ليلة رائعة . ولم يقل بايارد شيئا . كان يدخن  
مكتئبا وقد أحاطت الضمادات البيضاء برأسه كالخوذة . كان القمر والحشرات  
وحدة ، مسموعة ومرئية ، بلا أبعاد ولا مصدر .

وبعد برهة ظهر هب وقد تتوج بهالة فضية مائلة هى قبعته ، ومن رآه  
غموض الطريق المتلاشى ، وجاء إليهم ، وطوح الدن بيده ووضع على الباب  
ورفع غطاءه . وقدم ميتش الزجاجاة إلى بايارد .

قال بايارد : اشرب ، وشرب ميتش ، وشرب الآخرون .

قال هب : ليس لدينا شئ يشرب منه الزنوج .

قال ميتش : نعم ، واستدار فى مقعده ، وقال : أليس لدى واحد منكم  
يا أولاد كوب أو شئ ما ؟ ، وتهامس السود ثانية ، وفى مهماتهم شئ  
من الدهشة .

قال بايارد : انتظروا ، وقام من مكانه وخرج ورفع غطاء المحرك وأخذ  
غطاء المبرد وقال : سيكون له إلى حد ما مذاق الزيت كاسا أو كاسين ،  
ولكنكم يا أولاد لن تحسوا به بعد ذلك .

قال الثلاثة فى صوت واحد : لاسيدى ، وأخذ أحدهم الكوب ومسحه

بطرف سترته ، وشربوا هم كذلك في دورهم ، وتلهظوا وهم يزفرون الهواء  
بعمق وأعاد بايارد الغطاء إلى مكانه وعاد إلى السيارة .

سأل هب ، والدن ساكن في يده ، من منكم يريد شرباً آخر الآن ؟ .

قال بايارد موجهاً : أعط ميتش واحداً . عليه أن يلحق بنا .

وشرب ميتش مرة أخرى ، ثم أخذ بايارد الدن ، ورفعته إلى قدمه ،  
وراقبه الآخرون باحترام .

غمغم ميتش قائلاً : فلتحل على اللعنة إذا لم يشربه كله ، لو كنت مكانك  
لخشيت أن أفعلها مراراً ، .

أنزل بايارد الدن وقدمه إلى هب وقال : إنها رأسى الملعونة ، في كل مرة  
أتوقع أن تنخف آلامها كأس أخرى ، .

قال هب : الطيب حزم هذه الضمادة أكثر مما يجب ، أتريد أن ترخيها  
قليلاً ؟ ، لا أدري ، . وأشعل بايارد سيجارة أخرى ورى الثقاب بعيداً  
: أظنني سأخلعها ، بقيت مكانها مدة كافية ، ورفع يديه وتحسسها .

قال ميتش محذراً : خير لك أن تدعها مكانها ، ولكنك مضي يبعث  
متحسسا بيديه مكان العقدة ، ثم دفع أصابعه تحت إحدى لفافات القماش  
وشده بشراسة وانحنى أحد الزوج إلى الأمام بسكينة جيب ، وقطع النسيج ،  
وراقبوه وهو يفرطها ويرى بها بعيداً .

قال ميتش : ما كان ينبغي عليك أن تفعل هذا ، .

قال هب : دعه ينزعها إذا كان يريد ذلك . إنه على ما يرام ، .

وصعدوا إلى السيارة ، ووضع الدن بين ركبتيه ، وقاد بايارد السيارة ،  
وكان صوت الطريق الرمل حاداً تحت إطار السيارة العريضة ، وصعد مرة  
أخرى وقد أصبح منطلي بالحصى إلى الغابات ، حيث كان ضوء القمر المبرقش

متقطعا وخداعا في المشاهد المترامية المتلاشية . كانت أصوات الحشرات كأنها أنغام ناي مناسبة ، غير مرئية وغير معروفة المصدر بين أشكال الضوء والظل المائجة ، وخرج إلى الطريق من الغابة وهبط ، والرمال في آكلم متحركة صامتة ، ثم استداروا إلى طريق الوادي ومضوا مولين عن المدينة .

ومضت السيارة ، مضت على العجيج الحاد الصادر من كاتم الصوت المغلق ، وتهامس السود فيما بينهم ، بضحكات مخطوطة رقيقة كأنها قطع من ورق ممزق يصفعها الهواء بعيدا وراءهم ، ومروا بالبوابات الحديدية وببيت بايارد الهاجع في وقار بين الأشجار في ضوء القمر ، وكشكك الإشارات الصغير الصامت ، وحلجة القطن ذات السقف المعدني على جانب السكة الحديدية .

وأخيرا صعد الطريق إلى التلال . كان معبدا وكثير الانحناءات وخاليا من المرور ، وصمت الزوج عندما رفع بايارد السرعة ، إلا أنها لم تكن شيئا يذكر بجانب ما كانوا يتوقعونه منه ، وتوقفوا مرتين بعد ذلك وشربوا ، ثم نظروا من قمة التل الآخر ، إلى عنقود آخر من الأضواء . كأنها حبات تجلطت فوق الزيف الشاحب حيث كان طريق السكة الحديدية يمضي ، وأخرج هب غطاء المبرد وشربوا مرة أخرى .

مضوا ببطء خلال شوارع مماثلة لشوارع بلدتهم ، متجهين إلى ميدان بمائل أيضا . واستدار الناس في الميدان ونظروا إليهم متطلعين ، وعبروا الميدان ومضوا في طريق آخر ، ثم بين مروج عريضة ونواقد مظلة ، ثم عبروا سياجا حديديا وعادوا مرة أخرى بين أشجار سوداء وفضية ، وحدقت النواقد المضادة في صفوف منتظمة ، كفوانيس مربعة علقت بين الأغصان .

توقفوا هنا ، بين الظلال . ونزل الزوج وأخذوا السكنان ذا الصوت العميق والفيثارة ثم أمسك الثالث بأنبوبة رفيعة تناثرت عليها مفاتيح ، لمح عليها القمر المتقطع في نقط شاحبة وتوقفوا ورددوهم إلى بعضهم البعض

يتهايمون معا ، ويلتقطون من الأوتار أنغاماً نائحة حبيسة ثم رفع صاحب المزمار مزماره إلى فمه .

كانت الأنغام أنغاماً قديمة . بعضها كان معة . الشكل دقيق التركيب ولكن هذا كله ضاع عند التنفيذ ، وطبعت كلها بدلا من ذلك بالشجن والنواح ، وببساطة واختزال في الإيقاع ، وسبحت الأنغام على أوتار شجية نائحة فوق الهواء الفضى ، لتفيض وتموت في أصدااء أضعف تمتد عبر المشاهد العريضة الخداعة في ضوء القمر . وعزفوا مرة أخرى لخنا من الحان الفالس القديمة . وجاء حارس السكينة عبر المرج المبرقش إلى السياج وأسند ذراعيه إليه فكان كتلة من الظل المنصت بين الظلال الأخرى وعبر الشارع ، في الظلال هناك ، وقف مستمعون آخرون واقتربت سيارة ثم أبطأت بجوار الطوار وأطفأت محركها وأنوارها ، وفي صفوف النوافذ مالت رؤوس وحولها هالات من ضوء الغرف من خلفها ، بلا فردية ، أثوية ، بعيدة ، رقيقة وسماوية الشباب .

وعزفوا ، « بيتي ، يا بيتي الحلو ، وعندما ماتت الأنغام العميقة سبح إليهم عبر الفراغ تصفيق رقيق من أكف صغيرة ، ثم غنى ميتش في صوته الصافي الأجلش فائق العذوبة « سيداتي ، سعدتن مساء . » وكانت الأيدي الشابة أكثر تقديراً وإذ مضوا بسياراتهم مبتعدين سبحت وراءهم الرؤوس الدقيقة المشكلة بهالات من الشعر اللامع في النوافذ المضيئة كما سبح وراءهم التصفيق الناعم طويلا ، وهو يفيض ويفيض في الصمت الفضى ولا نهاية القمر .

وتوقفوا عند قمة التل الأول خارج المدينة ، ونزع هب غطاء المبرد ، ومن ورائهم أضاءت أنوار متناثرة بين الأشجار ، وبدأ ، وكأنه مازال يصل إليهم عبر العالم الساكن ، صوت تلك الأكف الشابة كزهور رقيقة منطرحة أمام ذكورتهم وشبابهم ، وشربوا دون أن يتكلموا وما زالوا مغلفين بالسحر الفاض لتلك اللحظة المفقودة . وغنى ميتش لنفسه بصوت

خافت وانطلقت السيارة تهر مرة أخرى ، وانحدر الطريق بانحناء سهل ،  
خاليا وناصعا . وتكلم بايارد وكان صوته قاسيا مفاجئا .

قال : كفى يا هب ، انحنى هب إلى الأمام ومد يده وراء لوحة القيادة ،  
وانطلقت السيارة بهممة منتظمة مقيدة ، كانطلاق رعد بجنح ، ثم استوى  
الطريق وامتد طويلا إلى مرتفع آخر ، وارتفعت المهمة وتحولت إلى صياح  
واندفعت السيارة إلى الأمام بعنف قاصف للرقاب . وقد توقف الزنوج عن  
الكلام وأطلق أحدهم صيحة نادية .

قال هب وهو ينظر إلى الخلف . : رينو فقد قبضته ،

أجاب بايارد : إنه لا يحتاج إليها ، وزارت السيارة وهي تصعد التل  
واندفعت عبر القمة ومرقت من قوس حاد .

صاح الأسود ناديا ، : أوه ، بالهي ، مستر بايارد ، وبتر تيار الهواء  
كلماته ، وكأنها أوراق شجر ، : مستر بايارد ، دعني أخرج ، .

أجاب بايارد ، : اقفز أمنها ، إذن ، وتساقط الطريق من تحتهم وكأنه  
أرض مائلة ومضى عبر واد ، مستقيم كخييط مشدود . وقبض السود على آلاتهم  
الموسيقية وأمسك كل منهم بالآخر . وقرأ عداد السرعة خمسة وخمسين ،  
ستين ومضى يتقدم بانتظام . ومرقت بهم بيوت متناثرة تغط في النوم  
وحقول ، وقطع من غابات كأنها أنفاق .

ومضى الطريق عبر أرض سوداء وفضية . وتنادت الحشرات من  
الجانبين ، وهي تردد تساؤلها الناعم ، ومن حين إلى حين ، وإذا كان  
الضوء الأمامي يكتسح الطريق في انحناءاته المفاجئة كانت تلع أمامهم  
في التراب نقطتان من النار الشاحبة في اللحظة التي يضطرب فيها الطائر  
متخبطاً في مكان ما تحت المبرد .

وتصاعدت القمة بانتظام والغابات تنحدر على جانبيها . وتناثرت  
أكواخ زنوج على المنحدرات أو بجانب الطريق .

ثم غطس الطريق ثم صعد مرة أخرى في فتحة ضيقة قطعها هوة أخرى ، ثم وقف مباشرة أمامهم كالحائط ، وانقضت السيارة إلى أعلى فوق الهوة وتركت الطريق تماما ، ومضت بشكل مروع ، وطارت استغاثة السود جميعهم بعيداً . ووصل المرتفع إلى قته وتوقف رعد السيارة وانزلت بهدوء حتى وقفت . كان الزنوج جالسين في قاع السيارة .

قال أحدهم مغمغا بعد وقت ، « أهذه هي السماء ؟ »

قال الآخر ، « لن يدعوك ، يا أخ ، تدخل السماء ورائحة الخمر في أنفاسك وبلا قبعة » . ثم قال الأول « إذا كان الرب لا يعنى بي أكثر مما فعل بتلك القبعة فأنا لن أريد على أى حال أن أذهب إلى هناك » .

قال الثاني ، « م م ... » عندما نزلنا هذا التل الأخير ، كاد هذا الزمار أن يطير من يدي ، ناهيك عن قبعتي ، وأضاف الثالث ، « وعندما قفزنا فوق تلك الهوة أو أيا كانت تصورت للحظة أن كل هذه السيارة قد طارت من يدي » .

وشربوا أيضاً . كان مكانا مرتفعاً وكان الهواء بارداً يتحرك بوقار ، وعلى كل من الجانبين كان ثمة واد مملوء بالضباب الفضي وبالطيور ، ومن وراء هذه التلال ، مضت الأرض الفضية في طريقها إلى السماء ، وعبر الوادي ، نبح كلب من بعيد وبأسى ، وكان رأس بايارد هادئاً وصافياً كمناقوس أجوف ، وداخله ظهر الوجه أخيراً بوضوح ، تلك العينان المستديرتان بالدهشة العميقة ، وعلى جانبيهما وبوقار جناحان معتبان من الشمر ، قال لنفسه ، إنها الفتاة بينبو ، وجلس برهة وهو يحملق في السماء . وكانت الأضواء على ساعة البلدة ثابتة وصفراء في المسافة الدائبة ، ولكن في كل اتجاه آخر ، مضى العالم في طريقه قم ناعسة ونصف شفاقة في لون اللبن .

عندما جلست الغمة سالى ويات للعشاء كانت نارسيسا قد فقدت شهيتها للطعام ، ومضت الغمة تزدد طعامها المظهو الطرى وهي تغغم مشاكسه لأنها ترفض أن تأكل .

قالت العمه سالى : كانت اى دائما تجعلنى أشرب قدامى من الشاى عندما كنت أحضر إلى المائدة فى مزاج سيئ . ولا أريد أن آكل ، ولكن الناس ، هذه الأيام ، يتصورون أن الله الطيب سيحفظهم فى حالة جيدة ، دون أن يحركوا أصبعها . قالت نارسيسا مصره ، : لانتى على ما يرام فقط لأريد أن أتناول أى عشاء .

هذا ما نقولينه . تدعين حالتك تتدهور ، والله يعلم أنتى لست من القوة بما فيه الكفاية لأقوم على خدمتك . فى أيامى كن الشباب يراعون شعور من يكبرونهم سنا أكثر مما يفعلون اليوم . ودفعت طعامها إلى فمها بطريقة فجأة وشكسة ورتيبة ومتكررة بينما كانت نارسيسا تعبت بقلق بالطعام الذى لم تستطع أن تأكله . وبعد ذلك مضت العمه سالى فى نفس حديثها وهى تتأرجح وشغلها الغريب الذى لا ينتهى أبداً فى حجرها ، لم تشأ أبدا أن تقول ماذا سيكون هذا الشغل عندما تنتهى منه ، ولا لمن ، وما زالت تعمل فيه منذ خمس عشرة سنة ، وهى تحمل معها دائما ، حقيبة قدرة بالية لاشكل لها من الحرير المشجر تحتوى على غرائب وأطراف من الأنسجة الملونة فى جميع الأشكال الممكنة . لم تستطع أبدا أن تخططها حسب أى شكل معين ، ولذا فقد كانت تغير ، وثبتت وتأمل وتعيد التثبيت والتغير ، وكأنها قطع فى لعبة الصور المقطعة التى يستلزم تركيبها صبرا شديدا ، وهى تحاول دائما أن تنسقها فى شكل ما دون أن تستخدم فى ذلك مقصها وهى تسوى مزق أنسجتها الملونة بأصابع رخوة رمادية ، وهى تغير أوضاعها بلا انقطاع ، ومن صدر ثوبها تدلى خيط عنكبوتى متلو من الأبرة التى نظمته فيها نارسيسا .

جلت نارسيسا إلى كتاب فى الطرف الآخر من الغرفة ، ومضى صوت العمه سالى فى طنين مشاكس لا يقطع بينما أخذت نارسيسا فى القراءة ولجأة نهضت ووضعت الكتاب جانبا ، وعبرت الغرفة ودخلت المقصورة حيث كان البيانو ، ولكنها لم تعزف أكثر من أربعة أوتار ، قبل أن تنهوى يداها فى نشار ، وأغلقت البيانو وذهبت إلى التليفون .



شكرتها بس جيني بحدة لاهتمامها وجرؤت على أن تقول لها إن بايارد  
كان في خير حال وإنه مازال عضواً نشطاً فيما يسمى بالجنس البشري ، ذلك  
لأنهم لم يتلقوا بعد تبليغاً رسمياً بموته من النائب العام . لا ، لم تسمع عنه  
ثمة شيئاً منذ أن انفصل بها دكتور بيبودي تليفونيا في الساعة الرابعة ،  
وأبلغها أن بايارد في طريقة إلى البيت برأس مصابة ، لقد صدقت بسهولة  
ما قيل عن الرأس المصابة ، أما الجزء الآخر من القصة فلم تضع فيه أى  
قدر من الثقة ، ذلك أنها قد عاشت ثمانين عاماً مع هؤلاء الملقونين من آل  
سارتورس وتعرف أن البيت هو آخر مكان في العالم يفكر في الذهاب إليه  
على الإطلاق أى سارتورس برأس مصابة . لا ، إنها ليست حتى مهتمة بمعرفة  
مكانه الحالي وكل ما ترجوه هو ألا يكون قد أصاب الحصان . فالخيـل  
حيوانات ثمينة . عادت نارسيسا إلى غرفة الجلوس وقالت للعمه سالى : مع من  
كابت تتكلم ولماذا ، وسحبت مقعداً منخفضاً إلى جوار المصباح وعادت  
إلى كتابها .

قالت العمه سالى بعد برهة ، وهى تجمع مزق أنسجتها وترجها  
في الحقيبة : حسنا ، إذا كنت لا ترغبين في الحديث .. أنا أشكر الله .  
أحياناً . لأنك أنت وهوراس لستما من دى بالطريقة التى تمضون بها  
جميعاً في حياتكم . ولكن إذا رضيت أن تشربى هذا المنبه القوى فأنا  
لا أدري من الذى سيحصل لك على جذور الساسا فراس اللازمة لإعداده  
أنا لم أعد أستطيع أن أفعل هذا ، وأنت لن تستطيعي أن تميزي بينه  
وبين شر الكلاب أو أذن البب .

قالت نارسيسا محتجة : أنا بخير ،

وقالت العمه سالى مكررة ، : امضى فيما أنت فيه ، واستلق عاجزة  
على ظهرك ، وليس حولك إلا أنا والزنجية التافهة لتعنى بك .  
في ستة أشهر ، لم تزل التراب حتى عن إطار صورة ، وهذا ما أعرفه بالتأكيد  
وأنا فعلت كل شيء إلا أن استجدى واسترحم ، ووقفت وألقيت تحية  
المساء وحبطت من الغرفة . وظلت نارسيسا جالسة وهى تقلب صحائف

الكتاب ، وسمعت الأخرى وهي تصعد الدرج ، ودقات عصاها المنتظمة  
المجسدة تراقبها ، وظلت نارسيسا جالسة قليلا بعد ذلك تقلب صحائف  
كتابها .

ثم رمت الكتاب بعيداً وذهبت إلى البيانو مرة أخرى ، ولكن العمة  
سألت نقرت على السقف بعصاها من فوقها ، فتوقفت وعادت إلى كتابها ،  
ولذا ، فإنها حيث بسرور حقيقى دكتور ألفورد عند ما جاء بعد برهة .

قال مفسراً : كنت مارا وسمعتك تعزفين . أنت لم تتوقفى عن العزف ؟ ،

وقالت مفسرة : إن العمة سألت قد ذهبت إلى فراشها ، وجلس متحفظا  
وتحدث إليها بطريقته الجامدة المتفككة عن موضوعات علمية جافة لمدة  
ساعتين . ثم مضى ، ووقفت بالباب ترقبه وهو يسير في الممر الخاص . وقد  
تعلق القمر فوق الرؤوس ، وعلى امتداد الممر انتصبت أشجار الأرض  
في قوس منحني جاف وكأنها رماح مسددة إلى السماء الشاحبة الموشاة برقة .

ثم عادت إلى غرفة الجلوس وأخذت كتابها وأطفأت الأضواء ،  
وصعدت الدرج ، وسمعت العمة سألته بهدوء مهذب . ووقفت نارسيسا  
في مكانها عبر البهو تستمع لحظة إلى الأصوات التي ألفتها وفكرت وهي  
تمضى ، : سأكون مسرورة عند ما يعود هورى إلى البيت .

أضأت نور غرفتها وخلعت ملابسها وأخذت كتابها إلى فراشها حيث  
منعت بإصرار مرة أخرى وعيها من أن يطفئ ، كما تمسك بحجر صغير  
تحت الماء حتى يتوقف نضاله . وبعد وقت قصير استسلم عقلها للكتاب  
ومضت تقرأ ، وهي تتوقف من لحظة إلى أخرى لتفكر بحرارة في النوم  
ثم تستأنف القراءة . ولذا فعندما دج السود آلائهم الموسيقية تحت  
نافذتها لأول مرة لم تنكث بهم إلا قليلا جداً وتساءلت وهي تشعر  
بسرور خفيف : لآى سبب في العالم يعزفون لى ؟ ، وتصورت في الحال  
العمة سألته في قبعة نومها وهي تنحنى من نافذة وتصرخ فيهم وتطردهم .

واستلقت وكتابها مفتوح ، وهي ترى على وجه الصفحة المنشورة الصور التي تخيلتها ، بينما سبحت أنغام الأوتار والمزمار الناعمة إلى نافذتها المفتوحة .

ولجأة همت جالسة ، بيقين قاطع مطلق ، وصفت الكتاب وانزلت من الفراش . وأطلت من الغرفة الأخرى .

كان السود مجتمعين على المرح ، المزمار الموشى بالفضة ، والقيثارة ، وكتلة السكان الأجش الوقورة الهزلية . وفي الشارع عند مدخل الممر وقفت سيارة في الظلال . وعزف الموسيقيون مرة ، ثم نادى صوت من السيارة ، فتراجعوا عبر المرح ، ومضت السيارة دون أن تضيء أنوارها كانت واثقة ، إذن . مامن شخص غيره يعزف لحنا واحدا تحت نافذة سيده بما يكفي فقط لإيقاظها من نومها ثم يمضي .

عادت إلى غرفة نومها ، كان الكتاب على الفراش منكفئا على وجهه ، ولكنها ذهبت إلى النافذة ووقفت بين الستائر المفارقة ، تتطلع إلى العالم الأسود والفضي والليل الهادي . وخطر النسيم على وجهها وبين أجنحة شعرها السوداء المناسبة وكان رطبا وثيدا . وهمست « الوحش » ، وتخلت عن الستائر فأنفلقت ونزات الدرج على قدميها الصامتين مرة أخرى ، ووجدت التليفون في الظلام ، وأدارت القرص وهو يردد جرسا مكتوما .

انطلق صوت مس جيني في الظلام كمادته سريعا وحادا وباردا ، وبلا دهشة ولا شغف . لا ، لم يعد إلى البيت بعد . لأنه - على ما تعتقد - محبوس في أمان في السجن . إلا إذا كان الانحلال قد بلغ بضباط المدينة الحد الذي لا يستجيبون معه لطلب سيده . يعزفون ؟ مرأ . ماذا يريد بتجوله بفرقة عازفين ؟ ان يستطيع أن يمرح نفسه وهو يمضي مع فرقة عازقة إلا إذا قتله شخص ما بمسكواه حديدية أو منه . ولم هي قلقة عليه ؟ .

وأنهت نارسيسا الحديث واقفة مكانها في الظلام ، وهي تضرب بقضتها صندوق التليفون الخامد . الوحش ، الوحش .

تلقت في تلك الليلة ثلاث زيارات ، كانت إحداها رسمية ، والثانية غير رسمية ، أما الثالثة فن مجهول .

كان الجاراج الذي يلجى سيارتها مبنى صغيرا من الآجر محاطا بنباتات دائمة الخضرة وكان أحد جوانبه استمرارا لجدار الحديقة ، ومن وراء الجدار كان مرج أخضر يدخل من الخلف إلى شارع آخر . وكان الجاراج على بعد خمس عشرة ياردة من البيت ، وكان سقفه يرتفع حتى نوافذ الطابق الأول ، وكانت نوافذ غرفة نوم نارسيسا تطل على سقفه المغطى بألواح الأردواز .

جاء الضيف الثالث عبر المرج وتسلق الجدار ومنه إلى سقف الجاراج ، حيث استلقى في ظل الأرض ، فاحتسى بذلك من ضوء القمر . وقد ظل ممدداً هناك مدة طويلة ، وكانت الغرفة المقابلة له مظلمة عند وصوله ، ولكنه استلقى في مخبأه ، كحيوان وبصير حيوان ، وبلا حركة عدا رفع رأسه بين الحين والحين لاستكشاف المشهد المباشر وبسهم سريعة خفية منقذة من عينيه .

ولكن الغرفة المواجهة له ظلت ظلماء ومرت ساعة . وبعد هذا دخلت سيارة الممر ( عرفها ، كان يعرف كل سيارة في البلدة ) ودخل رجل البيت ، ومرت الساعة الثانية ، وما زالت الغرفة مظلمة ، وما زالت السيارة في مكانها . ثم خرج الرجل ومضى بسياراته ، وبعد برهة انطفأ نور الطابق الأول ، ثم أضاءت النافذة المواجهة له ، ومن خلال الستائر الشفافة رآها تتجول في غرفتها ، وراقب حركاتها المظلمة وهي تنخلع ملابسا ، ثم مضت واختفت من مجال رؤيته . ولكن المصباح ظل مضيئا وظل هو مستلقيا في سكون بصير لا ينفد استلقى هناك بينما مرت ساعة أخرى وتوقفت سيارة أخرى أمام البيت ، وجاء ثلاثة من الرجال يحملون أشياء

غريبة الشكل عبر الممر ، ووقفوا تحت النافذة في ضوء القمر ، واستلقى أيضاً حتى عزفوا مرة ومضوا . وعندما مضوا جاءت إلى النافذة وأزاحت الستار ووقفت برهة في عتمة أجنحة شعرها المنسالة ، وكانت تنظر مباشرة إلى عينيه المختفتين .

ثم هبطت الستار مرة أخرى ، ومرة أخرى أصبحت ظلاً متحركاً من ورائها ، تم انطفأ النور واستلقى هو منكفاً على وجهه فوق السقف ذي الانحدار الشديد ، في سكون مطلق لمدة طويلة وهو يقذف من تحت وجهه الخبأ ومن عينيه نظرات خفية سريعة شاملة لا تتوقف ، وكأنها نظرات حيوان .

جاءوا — آخر الأمر — إلى بيت نارسيسا . لقد زاروا كل الفتيات غير المتزوجات في بيوتهن المعتمة ، واحدة بعد الأخرى ، وفي كل مرة كانوا يظلون جالسين في السيارة بينما يقف الزوج في المرح بالآلاتهم الموسيقية المنسقة . وظهرت رهوس في نوافذ مظلمة ، وأحياناً كان بضاء نور ، ومرة وجهت إليهم الدعوة للدخول ، ولكن هب وميتش رفضا باستحياء ، ومرة أرسلت إليهم المرطبات ، ومرة وجه إليهم السباب بحمية ، من شاب كان جالساً مع سيده الشابة في شرفة معتمة وفي أثناء هذا فقد غطاء المبرد ، وبينما كانوا يمضون من بيت إلى بيت ، شرب ستهم دورة بعد أخرى من اللبن بروح الأخوة وأخيراً وصلوا إلى بيت بينبو وعزفوا مرة تحت أشجار الأرض . كان ثمة ضوء في نافذة واحدة ، ولكن لم يخرج إليهم أحد .

نزل القمر إلى الأفق . وكان نوره على الأشياء فضة باردة ، مبددة وشاحبة قليلاً . وكان العالم فراغاً وهم يمضون بسيارتهم المظلمة في شارع خلا من الحياة وتجمد في السواد والفضة كأي شارع في القمر ذاته . ثم مضوا تحت ظلال منمنمة مقطعة وعبروا تقاطعات ساكنة ثم غاضت من ورائهم ، ومروا بين الحين والحين بسيارة واقفة بجوار طوار أمام

بيت ، وعبر كلب الشارع جارباً أمامهم ومضى عبر مرج ثم اختفى عن الأنظار وعدا هذا ، فلم يكن ثمة حركة في أى مكان .

انفتح الميدان عريضاً على كتلة أشجار الدردار المغلفة بالأبسنت التي تحيط ببيت القضاء . ومن بينها ، كانت المصابيح الكروية على أبعادها المتساوية أشبه ما تكون الآن بعناقيد من العنب هائلة شاحبة . وفوق القبة المكشوفة لكل مصرف أضواء مصباح وحيد ، وآخر داخل بهو الفندق الذي اصطف أمامه عدد من السيارات ، وفيما عدا هذه فلم يكن ثمة أنوار .

وداروا حول بيت القضاء ، وتحرك ظل بالقرب من باب الفندق ، وفصل نفسه عن ظله وجاء إلى الطوار ، قيص أبيض بلع داخل ستره مفتوحة ، وعندما تحركت السيارة ببطء نحو شارع آخر رفع الرجل يده بالتحية . وتوقف بإيارد وجاء الرجل عبر الغبار الشاحب ووضع يده على الباب .

قال ميتش : ماذا بك ، تأخر بك الوقت كثيراً أليس كذلك ؟ ،  
كان للرجل وجه رزين دمث كوجه حصان . وكان يضع نجمة معدنية على صدره المفتوح وقد ارتفعت سترته قليلا فوق عجزه ، سأل : ماذا تفعلون يا أولاد ؟ كنتم في حفل رقص ؟ ،

قال بإيارد : كنا نعرف للعذارى ، هل تريد شرباً يا بك ؟ ،

لا . عاجز عن شكرك ، . وقف ويده على الباب ، وكان جادا بشكل رزين ودمث ، قال : ألم يتأخر بكم الوقت إلى حد ما يا أولاد ؟ ،

قال ميتش : حقا إن الوقت متأخر ، ورفع الأمور قدمه إلى السيارة ، وكانت عيناه في الظلال تحت قبعته وقال ميتش ، : سنمرد إلى بيوتنا الآن . وتلكمنا الآخر قليلا وأضاف بإيارد .

« بالتأكيد ، اتنا في طريقنا إلى بيوتنا الآن ،

وأدار المأمور رأسه قليلا وخاطب الزوج ، أظنكم يا أولاد على استعداد للنوم الآن ؟ ،

أجاب الزوج « نعم يا سيدي ، وخرجوا من السيارة وأخذوا الكمان وأعطى بايارد ريفنو ورقة مالية ، وشكروه وحيوه تحية المساء ، وأخذوا الكمان ومضوا بهدوء في شارع جانبي . ثم أدار المأمور رأسه مرة أخرى ، وسأل ميتش . « أليست سيارتك هذه التي تنتظر أمام مقهى روجرز ؟ ،  
« أظنها كذلك . ذلك هو المكان الذي تركتها فيه ،

« حسناً ، أقترح عليك أن تأخذ هب إلى بيته ، إلا إذا كان ينوي البقاء الليلة في البلدة . بايارد الأفضل أن تأتي معي ،

صاح ميتش محتجاً ، آه . يا لجهنم ، بك ؟ ،

وسأله بايارد « لماذا ؟ ،

أجاب الآخر . « أهله قلقون عليه . لم يروا جلداً منه أو شعرا منذ أن رماه ذلك الحصان أرضاً . أين ضمادتك يا بايارد ؟ ،

قال باقتضاب « نزعتهما . اسمع يا بك ، سنوصل ميتش ثم أذهب بعد ذلك أنا وهب إلى البيت ،

قال المأمور بهدوء « إنك في طريقك إلى البيت منذ الساعة الرابعة ويبدو أنك لا تقترب منه أبداً . أحسب من الأفضل أن تأتي معي ، كما قالت عمك . ،

« هل طلبت منك العمة جيني أن تقبض على ؟ ،

« كانوا قلقين عليك يا وادي اتصلت بي مس جيني ، وطلبت مني بشكل ما أن

أعني بك حتى الصباح . ومن الخير لنا أن تفعل . كن يتيقن عليك أن  
تعود إلى البيت الليلة .

قال ميتش محتجاً : لطفاً بنا يا بك ،

أجاب الآخر بصبر : الأفضل لي أن أثير جنون بايارد عن أن أثير  
جنون مس جيني ، أنتم يا أولاد أمضوا والأفضل لبايارد أن يأتي معي ،  
خرج ميتش وهب من السيارة وأخذ هب الدن وألقى تحية المساء وذهب  
إلى حيث كانت سيارة ميتش تنتظر أمام المطعم . وجلس المأمور بجوار  
بايارد . لم يكن السجن بعيداً ، وسرعان ما تجاسمت ظلاله فوق ساحته  
المسورة : مبنى مربع لا تتطرق إليه الرحمة بنوافذه المرتفعة ذات القضبان  
قاسية ووحشية كطائرات السيوف ، واستدارا إلى بحر ضيق ونزل المأمور  
وفتح بوابة ومضى بايارد بسيارته إلى ساحة قنطرة عارية من الحشائش  
وتوقف بينما تقدمه الآخر ومضى إلى جراج صغير كانت تنتظر فيه سيارة  
من طراز فورد ، وأخرجها بمؤخرتها وأشار إلى بايارد بالدخول : كن  
بناء الجراج قد أعد بأبعاد تتفق مع الفورد ، ولذا فإن مؤخرة سيارة  
بايارد بقي ناتئاً من الباب .

قال المأمور : خير من لا شيء ، مع ذلك . هيا ، دخلا خلال المطبخ  
إلى مسكن السجن وانتظر بايارد في بحر مظلم حتى وجد الآخر ضوءاً له .  
ثم دخل غرفة كئيبة منسقة تحتوي على عدد من قطع الأثاث البسيطة  
وبضعة متناثرة مما يستخدمه الرجال من ثياب .

قال بايارد محتجاً : لن تنزلي عن فراشك ؟

أجاب الآخر : لن أحتاج إليه قبل صباح الغد وستكون قد خرجت  
حينئذ . أتريد مني أن أعاونك على خلع ملابسك ؟

قال الآخر : لا شكرا لك ، ثم برقة أكثر : سعدت مساء يا بك  
أشكرك كثيراً ، وأجابه الضابط : سعدت مساء .



وأغلق الباب وراءه ، وخلع بيارد سترته وحذاءه وربطة عنقه وأطفأ  
النور واستلقى على الفراش . سال ضوء القمر إلى الغرفة بطريقة غير  
محسوسة ، متكسراً ومجهول المنبع ، وكان الليل خلواً من كل صوت ومن  
وراء النافذة تصاعد إفريز البناء في خطوات قصيرة متتالية إلى سماء  
نصف شفاقة وعديمة الأبعاد . كانت رأسه صافية وهادئة فقد مات أثر  
الويسكي الذي شربه ، أو الأرجح ، كان الأمر وكأن رأسه كانت بيارا  
استلقى على فراش غريب ، وقد انتشرت أعصابه المخدرة بالكحول  
كنخيوط من جليد خلال ذلك الجسم الذي يتحتم عليه أن يحمره معه إلى  
الأبد متجولاً به في عالم كئيب قاحل . صاح « يا جهنم ؟ » وكان مستلقياً  
على ظهره يحدق عبر النافذة حيث لم يكن ثمة شيء يرى ، كان ينتظر  
النوم ، ولا يدري إن كان سيأتيه أم لا ، ولا يهمه على الإطلاق إن فعل  
أم لم يفعل . فامن شيء ليرى وحياته الإنسان الطبيعية الطويلة ، الطويلة .

ثلاثة عشرينات وعشر سنوات ينبغي له أن يمر فيها حول العالم جسماً  
عاصياً ويحتال فيها على مطالبة المصرة . ثلاثة عشرينات وعشرة ، كما قالت  
التوراة . سبعون عاماً ، ولم يكن إلا في السادسة والعشرين « لم يزد كثيراً  
على ثلاثها » بالجحيم .



## الجزء الثالث



هوراس بينبو ، في رداثة المسكرى النظيف الذى بدا نعسا عليه ،  
لم يعمل إلا على تعميق جو الضياع الرفيع الناعم الذى يحيط به ،  
وأحبال أمتعته في زكائب الجيش المشيرة للعجب ، وحقائب ملابسه ،  
وحزمه المغلفة بالورق . نزل من قطار الثانية والنصف وعبر حشود  
الركاب النازلين والصاعدين ثم وصل إليه صوت اسمه إذ نودى عليه ، فجاء  
بنظرته الشاردة بين الوجوه المتسكئة . وكأنه رجل يمشى وهو نائم  
ويستيقظ فجأة ليتحاشى زحمة المرور . صاح ، هالو ، هالو ، ثم دفع نفسه  
من القطار ووضع حقائبه ولفافاته على حافة الطوار ومشى بسرعة حامية إلى  
مقدمة القطار حيث عربة الأمتعة .

« هوراس ! ، نادته أخته مرة أخرى ، وهى تجرى وراءه ، وخرج  
وكيل المحطة من مكتبه وأوقفه وأمسك به ، وكأنه حصان رقيق التربية  
وقد جمع ، وصاحه ، وحينئذ تمكنت أخته من اللحاق به . استدار إلى  
صوتها وعاد في الحال تماما من شروده ، وشملها بقوة بذراعيه حتى  
ارتفعت قدمها عن الأرض ، وقبلها على شفتيها .

قال وهو قبلها مرة أخرى « عزيزتى نارسى العجوز ، ، ثم وضعها  
على قدميها ، وتحسس يديه وجعلها ، كما يفعل الطفل ، وقال مرة أخرى ،  
« عزيزتى نارسى العجوز ، ، وهو يتلس وجعلها بأصابعه الدقيقة العريضة ،  
ويمسك عينيه بها وكأنه يرتوى بعينه منها ؛ من ذلك الصفاء الدائم  
الذى يحيطها . ومضى يقول ، « عزيزتى نارسى العجوز ، ، وهو يتحسس  
بيديه وجعلها ، وقد نسي تماما كل ما يحيط به حتى ذكرته .

« إلى أى مكان في العالم تذهب ، وأنت تمشى في هذا الاتجاه ؟ ، .

ثم تذكر ، وتركها في بين يديه ، واندفع وهى تتبعه ، وتوقف عند  
باب عربة الأمتعة ، حيث كان حال المحطة وأحد خدام القطار يتلقيان  
الحقائب والصناديق إذ يدلى بها إليها كاتب الأمتعة .

سأله : ألا تستطيع أن ترسل أحدا لاستلامها ؟ ، ولكنه ظل واقفا . يحملق داخل العربة وقد نسيها مرة أخرى ، وعاد الزنجيان وخطا جانبا ، ولكنه ظل ينظر داخل العربة محملاً ، وحركة رأسه كحركة طائر يبحث عن شيء . قالت أخته مرة أخرى : فلنرسل من يأخذها .

قال لها وقد نسي تماماً معنى كلماتها : ماذا ؟ أوه لقد رأيتها في كل مرة انتقلت فيها من عربة قطار إلى أخرى . لن يكون إلا حظا بانسا أن أدعها تضيع وهي أمام عتبة بيتي ، أليس كذلك ؟ ، وتحرك الزنجيان مبتعدين بإحدى الحقائق وخطا إلى الأمام أيضا ، وحلق داخل العربة ، وهذا تقريبا ما حدث لها ، نسي كاتب البضائع أن يضعها في القطار في مدينة م - ثم قطع حديثه وقال : هذه هي ، وصاح في حمى من القلق وهو يرى الكاتب يدفع بعنف إلى باب العربة صندوقا ذا شكل غريب ، وقد كتب عليه عنوان عسكري ، صاح في لهجة أهل المنطقة ، : على مهل يا كاتبين إنها تحوى زجاجا .

قال كاتب الامتعة ، : وهو كذلك يا كولونيل ، أظننا لن نلحق بها أي ضرر . وإذا فملنا فكل ما عليك هو أن تقاضينا ، واتجه الزنجيان إلى الباب ووضع هوارس يده على الصندوق ، والكاتب يدفعه خارج العربة . قال بعصبية ، : على مهل يا أولاد ، ومشى بجانبهم وهم يمضون عبر الطوار وقال : والآب أرسوه على الأرض ببطء . أختي ضعى يدك معنا أرجوك .

قال حمال المحطة : نحن نمسك به جيداً . ان يفلت منا ، وظل هوارس يربت عليه بيديه ، وعندما وضعوه على الأرض مال بأذنه إليه .

سأله حمال المحطة : سليم ، أليس كذلك ؟ .

قال حمال القطار مطمئنا ، : إنه بخير ، واستدار وقال : فلنمض .

قال هوراس ، وأذنه تلامس الصندوق ، أظنه لم يصب بضرر ، أنا لا أسمع ثمة شيئاً . لقد أحسنت تعبئته تماماً ، وصفرت القاطرة وانتصب هوراس فجأة ، وجرى وراء العربات المتحركة وهو يدفع يده في جيبه . كان الكاتب يفتح باب العربية ، ولكنه انحنى نحو يد هوراس الممدودة ، ثم اعتدل ولمس قبضته . وعاد هوراس إلى صندوقه ، وأعطى قطعة قود أخرى للزنجي الثاني وقال ، « والآن ، انقله بعناية إلى المخزن ، سأعود إليه في بضع دقائق » .

« نعم سيدى ، مستر بينبو ساعنى به » .

أسر إلى أخته وهو يدس ذراعه حول ذراعها ، ويمضيان معا نحو سيارتهما ، « ظننت مرة أنه فقد ، تخلف في بريست ولم يصل إلا على السفينة التالية . كانت معي أول مجموعة اشتريتها - مجموعة صغيرة كانت معي ، وكنت فعلاً أن أفقدها هي الأخرى أيضاً . وذات يوم كنت أنفخ واحدة صغيرة في مقصورتي في السفينة عندما أمسكت النار بكل شيء . وبالمقصورة نفسها . قرر القبطان أنه من الأفضل ألا أحاول أن أفعلها مرة أخرى حتى نصل إلى الشاطئ ، ماذا يستطيع أن يفعل وكل هؤلاء الناس على ظهرها . ومع ذلك ، فقد طلعت الزهرية جميلة جداً ، ومضى يثرثر ، « شيء صغير حلوا . وأنا أتقدم . أنا أتقدم فعلاً . مدينة البندقية . حلم لذيذ ، شرير إلى حد ما . يجب أن آخذك إلى هناك يوماً ما » . ثم ضغط على ذراعها ومضى يردد « عزيزتي نارسى العجوز ، وكأن مذاق اسم التدليل الساذج على لسانه كان شيئاً أحبه ولم ينسه وما زال غير قليل من الناس يتلصكثون حول المحطة . وقد تحدث إليه بعضهم فتوقف لهم وصالحهم ولحظ نفر من جنود البحرية وعلى ذراعه رسم رأس هندية تدل على الفرقة الثانية ، لحظ المثلث على كم هوراس ، فأطلق من بين شفثيه المزمومتين صوتاً سوقياً غير لائق .

قال هوراس ، وقد أدار إليه نظرتة الحية المروعة ؟ ، كيف  
حالك يا زميل ؟ ،

قال البحار . . . مساء الخير يا جنرال ، وبصق ، ليس بالضبط عند  
قدمي هوراس ، وليس بالضبط في أى مكان آخر . وضمت نارسيسا ذراع  
أخيها إليها بشدة .

قالت بصوت منخفض وهى تدفعه برفق إلى السيارة ، هيا ، تعال  
إلى البيت ، وارتد بعض الملابس المهدبة .

قال ، اخلع الرداء العسكري ؟ أنا معجب بنفسى وأنا في هذا الرداء ،  
ثم قال كمن مست مشاعره ، هل تعتقدين فعلا أننى مدعاة للسخرية في  
هذه الملابس ؟ ،

قالت على الفور ، وهى تضغط على ذراعيه ، بالطبع لا . بالطبع لا .  
أنا آسفة لأننى قلت هذا . ارتد ثوبك العسكري إلى المدى الذى تريده .

قال بوقار ، إنه رداء جيد ، وأنا لا أعنى هذه ، وأشار إلى العلامة  
التي على ذراعه ومضيا معاً وقال سيدرك الناس في عشر سنوات تقريبا ، عندما  
تبلى هيدستريا غير المحاربين نفسها ، ويدرك أفراد الجند أن القوات العسكرية  
الأمريكية لم تخترع زوال الأوهام .

سأله وهى تحتضن ذراعه بذراعها ، وتحيطه بودادها الصافي العميق  
الفياض ، وماذا اخترعت ؟ ،

قال مرة أخرى ، والله يعلم . . يا عزيزتى نارسى العجوز ، وعبر الطوار  
إلى سيارتها وقال لها ، وهكذا فقدت شهيتك للملابس العسكرية .

قالت وهى تهز ذراعه قليلا وهى تتخلى عنه ، بالطبع لا . أنت ارتدتها  
طلما أردت هذا وفتحت باب السيارة . ثم هتف بهما شخص ونظرا إلى الخلف  
ورأيا الجمال يحسرى وراءهما بحقيقية يد هوراس ، التى مضى وتركها  
على الطوار .



صاح ، ، أوه يا إلهي . أشغل بها أربعة آلاف ميل ثم أقفدها على عتبة بيتي شكراً يا سول ، ووضع الحمال الأشياء في السيارة وقال هوراس لأخته ، هذه أول مجموعة حصلت عليها وآنية الزهور التي نفختها على ظهر السفينة ، سأريها لك عندما نصل إلى البيت ، .

جلست أخته إلى عجلة القيادة وسألتها ، أين ملابسك ؟ في الصندوق ؟ ، ليس لدى أية ملابس . كان على أن أرمي معظمها لأجد مكاناً للأشياء الأخرى . لم يكن ثمة مكان لأي شيء آخر ، وظلت نارسيلا تنظر إليه برهة وقد فاضت بها مشاعر الغيظ والحب معاً فسألها ببراءة ، ما الأمر ؟ أنسيت شيئاً ؟ .

« لا . اركب . العمة سالي في انتظارك لتراك »

ومضيا بالسيارة وصعدا التل قليل الانحدار المظلل متجهين نحو الميدان ، وتطلع هوراس ، بسعادة إلى المشاهد المألوفة . خطوط حديدية قصيرة تقف عليها عربات البضائع ، والطوار الذي سيمتلئ في الخريف ببالات القطن المترامية في صفوف مستديرة ، محطة قوى البلدة ، بناء من الآجر تفيض منه همهمة رتيبة غير متقطعة ، ومن حوله في الربيع تتمايل أشجار الجنة الملتوية برؤوسها المتوجة بزهور بنمسية مغبرة ، ومن ورائها ضفة سويت من الطين الذي يشبه لونه لون صدأ الحديد ، الضارب إلى الأحمر الهندي . ثم شارع من مبان أقل ، أغلبها جديد . نفس المنازل المحكمة الصغيرة ، وحولها أقل حين يمكن من المروج ، بيوت بناها أهل الريف ، أقرب ما تكون إلى الشارع حسب التقاليد الريفية ومن حين إلى حين ، بيت يقوم على أرض كانت فراغا عندما رحل منذ ستة عشر شهراً . ثم شوارع أخرى تفتح تحت أقواس من الخضرة ، وأكثر ظلالاً ، بيوت أقل حداثة وأكثر وقاراً مرا بها وهما يبتعدان عن المحطة والمارة وكانت غالبيتهم في تلك الساعة عادة من الصبيان السود المنسكعين ، أو من الشيوخ المتجهين

إلى المدينة بعد رقادهم ساعة القيلولة لقضاء ساعة الأصيل مستغرقين  
باهتمام في أمور لا قيمة لها .

واستوى التل ودخل إلى السهل الذي أقيمت عليه البلدة الأصلية منذ  
مائة عام وأكثر ، وأصبح الشارع نهائياً أكثر تمدّناً بما فيه من جراجات  
ومتاجر صغيرة بتجار في قصان ، وعملاء ، ودار السينما وبهوها وقد  
تناثرت فيه أشكال الحياة مروية في صور ملونة مطبوعة . ثم الميدان  
بصفه المتصل غير المتقطع من مباني الآجر المنخفضة التي لوحتها التغيرات  
الجوية وأسماء ميته باهتة ، وإن كانت صامدة بعناد تحت الطلاء المذشق ،  
وسود متسكعين في ملابس قصيرة الأجل جاهزة مستهترّة يرتديها الجنسان ،  
واناس من الأرياف في أردية عسكرية بين الحين والحين وسكان  
المدينة الأكثر حمية يترددون في بطء منتظم هادئ ، كحركة الفسكين عابرين  
رجالا قعوداً على مقاعد ملقاة إلى الخلف أمام المتاجر .

كان بيت القضاء من الآجر أيضاً ، بعقود حجرية صاعدة بين الدردار ،  
وبين الأشجار قام النصب التذكاري لجنود حلف الاتحاد ببندقيته في وضع  
الاستعداد وقد ظلل عينيّه المنحوتتين بيده الحجرية . وبين أروقة بيت  
القضاء وعلى مقاعد متناثرة على الخضرة ، كان آباء المدينة يجلسون  
ويتحدثون ويغفون ، في أردية عسكرية أيضاً ، هنا وهناك . أما جاك  
المعجوز وبورجار وجو جولستون الذين شابت نواصيهم ، فقد جلسوا في  
اطمئنان ووقار المعاشات الصغيرة التي يتقاضونها ، يدخلون وينصتون من  
حول لوحة الداما . وعندما كان الجو يسوء كانوا يفتقلون إلى مكتب  
كاتب الدائرة القضائية .

وهنا كان يتسكع الشباب أيضاً ، يتراهنون بالدولارات ، أو يتقاذفون  
كرة اليد جيئة وذهاباً ، أو يستلقون على الحشائش حتى قدوم الفتيات  
في ساعة متأخرة من الأصيل في أثوابهن الملونة الصغيرة ، وعطورهن

الرخيصة المثيرة للشجون إلى الصيدليات وعندما كان يسوء الجو ، كان هؤلاء الشبان يتسكعون في الصيدليات أو في دكان الحلاق .

قال هوراس : كثير من الملابس العسكرية . الجميع سيكونون في الوطن في شهر يونية . هل عاد أبناء آل سارتورس ؟ .

أجابت أخته ، « جون مات ، ألم تعرف هذا ؟ » .

قال بسرعة وقد بدا عليه الاهتمام السريع . لا . مسكين بايارد المعجوز أى حظ تعيش حطهم هذا . إنها عائلة غريبة . دائماً يذهبون إلى الحروب . ودمماً يقتلون . وماتت زوجة بايارد الصغير ، كتبت إلى عن هذا .

« نعم . ولكنه هنا وعنده سيارة سباق ، ويقضى كل وقته وهو يتجول في الريف بسرعة جنونية . نحن نتوقع كل يوم أن نسمع أنه قتل نفسه فيها . »

قال هوراس ، « الشيطان المسكين ، ومرة أخرى ، مسكين الكولونيل المعجوز كان يكره السيارة وكأنها ثعبان . ماذا يكون رأيه عنها ياترى ؟ »  
« إنه يصحبه »

« ماذا ؟ بايارد المعجوز في سيارة ؟ »

« نعم . تقول مس جيني إنه يفعل ذلك لينسج بايارد من قلبها ، ولكنها تقول أيضاً إن كولونيل سارتورس لا يعرف ، أن بايارد سيحطم عنقيهما معاً وقريباً جداً ، قبل أن ينتهي من السيارة ، عبر الميدان ، بين عربات مقيدة ، وسيارات منتظرة ومتناثرة دون نظام . قالت بعنف مفاجئ . أنا أكره بايارد سارتورس . أنا أكره كل الرجال ، ونظر إليها هوراس بسرعة .

« حقيقة الأمر ؟ ماذا فعل بايارد بك ؟ إن هذا سؤال بال . أقصد ، ماذا فعلت بييارد ؟ ، ولكنها لم تجب . استدارت إلى شارع آخر تحسده من الجانبين متاجر زنوج من طابق واحد ومظلة بمظلات من الصفيح جلس تحتها الزنوج . وهم يقشرون الموز أو لفافات زاهية الألوان من البسكوت الحلو ، ثم طاحون حنطة تعمل بآلة تدار بالجازولين وتصدر عنها أصوات متشنجة . وكانت تفرز حثالة وغباراً دقيقاً ، بدا في ضوء الشمس كنقطة صغيرة لامعة ، وفوق بابها لاقته كتبت بخط يد سيء « طاحون و . س . بيردز » ، وفيما يدينها وبين حلاجة مغلقة صامتة بأقواس من وبر القطن المتراكم القدر ، كان سندان يدق في نهاية فسحة قصيرة امتلات بالعربات والخيول والبغال ومظلة بأشجار التوت ، واستلقى تحتها بعض أهل الريف في مآزرهم .

قال هوراس بضيق ، « كان ينبغي عليه أن يكون أكثر مراعاة لشعور الرجل العجوز ، ومع ذلك ، فقد عبروا - ولم يكدوا - تجربة هزت الأسس والمشاعر الإنسانية من أعماقها . وسواء كانوا يعرفون هذا أم لا ، فما زال لديهم آخر يسبقهم بكثير وسيقوم بإنهاء المسألة كلها . فقط امنحنيه فسحة من الوقت .. ولكن ، أنا شخصياً لا أفهم لم لا يسمع له بقتل نفسه ، إن كانت هذه هي رغبته ، على ما يعتقد ، ومع ذلك فأنا آسف من أجل مس جيني .

قالت أخته مؤيدة بهدوء ، « نعم ، وهم قلقون من أجل قلب كولونيل سارتورس أيضاً أقصد كل شخص ماعداه وبايارد . هوري أنا سعيدة أن أجذك بدلا من واحد من هؤلاء السارتورس ووضعت يدها بخفة وبسرعة على ركبته النحيفة .

قال ، « عزيزتي نارسى العجوز ، ثم أظلم وجهه مرة أخرى وقال ، « الشقى اللعين ، حسنا ، إنها مشكلتهم ، كيف كانت حال العمة سالي .

« على مايرام ، ثم « هوري ، إنها سعيدة فعلا بعودتك إلى البيت ،

وأصبحت المتاجر القذرة ورائها ، وقد قتح الطريق بين مروج عتيقة مظلة وواسعة وهادئة ، كانت هذه البيوت عتيقة جداً في الشكل على الأقل ، وكانت بعيدة تماماً عن الشارع وأتربته ، وقد شع منها سلام رفيع ونيل ثابت كساعة أصيل بلا نسيم ، في عالم خلو من الحركة والصوت وتجول هوارس من حوله بعينيه وأخذ نفساً عتيقاً .

قال ، « ربما كان هذا هـ السبب في الحروب .. معنى السلام ،

استدارا إلى شارع مقاطع ، أضيق من سابقه ، ولكن أكثر ظلاً منه وهدوءاً أيضاً ، وكان وسناناً ذهبياً يفيض بحو لغريقى من البساطة والجمال ، ودخلا من بوابة في سياج حديدى مغلف بالياسمين ، وصعدا الممر المرصوف بقطع الحجارة البركانية الرمادية في منحى وقور من أشجار الأرض . كانت أشجار الأرض قد زرعت بواسطة مهندس إنجليزى بنى البيت فى الأربعينات على الطراز التيودورى الجنائزى الذى رضيت عنه الملسكة فيكتوريا الشابة ( باستثناء متواضع هو الشرفة ) وبين الأشجار وتحتها وحتى فى أشد الأيام صحوا ، كانت ثمة كآبة عميقة وأريج لزج ثقيل وقد أحبت البيغارات هذا ، وطيور السماء ، والشكلة التى تغنى فيها ساعة الأصيل بعدوبة متحشمة . ولكن الحشائش تحت الأشجار كانت نادرة أو منعدمة تماماً ولذا فلم تكن ثمة حشرات عدا الحداحد فى الغسق .

تصاعد الممر إلى البيت ثم استدار أمامه ثم امتد أيضاً وانحدر إلى الشارع فى قوس كامل من أشجار الأرض . وداخل القوس وقفت شجرة بلوط وحيدة ، عريضة وهائلة وقليلة الارتفاع ، وقد طوق ساقها مقعد خشبي . وفى هذا المرج الذى يشبه قفراً فى منتصف الطريق إلى الاكتمال وداخل إطار القوس كانت أحراش من شجر زهور العرائس ، والريحان الأسود عتيقة كالزمن ، وضخمة بقدر ما تستطيع السن أن تفعل ، كانت فى ضخامة الأشجار ، وفى أحد أركان السياج كانت مجموعة غريبة من

أشجار الموز التي أوقف نموها وفي الآخر كانت شجرة لاتاننا بزهورها اللامعة وجراحها المتجلطة ، كان فرنسيس ينبو قد أحضرها من باربادوس في صندوق من صناديق القبعات العالية سنة ٧١ .

ومن حول شجرة البلوط ، ومن قوس الممر ذى الشكل المنجلي الجنائزى ، انحدر المرج على مساحة واسعة وبانتظام إلى الشارع بتجمعات عشوائية من النسرين والنرجس والجلاديولا . كان المرج فيما مضى مدرجا وكان للزهور حوض مستقل فى المدرج الأول ، ثم كسح ويل بينبو والد نارسيسا وهوارس المدرجات . وقد تم هذا بوساطة المحاريث والقصايات ، وزرعت فيه بذور الحشائش من جديد ، وقد تصور حينئذ أن أحواض الزهور قد أبيدت . ولكن جاء الربيع التالى ، فنبئت البصيلات المتناثرة ، والآن ، وفى كل عام فإن المرج يصبح منمنما بإخلاق من الزهور الصفراء والبيضاء والحمراء دون نظام وكان عدد قليل من الفتيات يستأذن كل عام ويسمح لهن باقتطاف البعض منها كل ربيع ، وكان أطفال الجيران يلعبون بهدوء بينها وتحت أشجار الأرض . وعند قمة الممر ، عند استدارته هابطا مرة أخرى كان بيت الدمية المبنى بالآجر حيث كان يقيم هوارس ونارسيسا ، ويحوطهما دائما الأريج الرطب النافذ نوعا والذي ينبعث من أشجار الأرض .

كان البيت محلى باللون الأبيض ، وكانت هياكل نوافذه مستوردة من إنجلترا ، وقد تساقطت كرمه ويستريا ذات ساق سوداء أكثر غلظة من رسغ رجل وامتدت على إفريز الشرفة وحول الباب وفوقه ، وكانت النوافذ السفلى مفتوحة على ستائر تموج فى الهواء برقة وقد كنت تتوقع أن تجد فى حافة النوافذ إناء خشبياً لامعا ، أو قطعة متشاعخة نظيفة جدا ولكن النافذة لم تكن تحمل الاسلة شغل مصنوعة من الخيزران انسالت منها ، وكأنها أوراق نبات شبرم ذابلة أطراف من شغل ملون بالأبيض والقرمزي ، وفى الباب ، كانت العمة سالى ، وهى امرأة

صغيرة تافهة ترتدى قبعة من الدانتيل تستند على عكازة من خشب الأبنوس ذات مقبض محلى بالذهب .

كل شيء كما ينبغي أن يكون . واستدار هوراس ونظر إلى أخته وهي تعبر الممر حاملة اللقافات التي غفل عنها مرة أخرى .

صخب وضج وعيث في الماء في حمامه ، وأخذ يصيح إلى أخته حيث كانت تجلس على فراشه وقد ألقى رداءه العسكري المنبوذ على مقعد ، وكان الرداء يحتفظ ولا يزال في ثناياه الفضة الذابلة ، وبفعل الارتباط الطويل بينهما ، ببعض من جو الضياع المنهك الرقيق الذي يحيط به ، وقد استقرت على صوان ملابسه المنخفض المغطى بالرخام البوتقة وأثايب جهاز نفخ الزجاج ، أول جهاز اشتراه ، وبجوارها أول آنية للزهور نفخها فوق سطح السفينة - شكل صغير بسيط من الزجاج الشفاف ، لا يصل في الطول إلى أربع بوصات ، هش كزهرة زئبق فضية ، وغير تام .

كان يصيح عبر الباب : إنهم يعملون في كهوف ، تصالين إليها تحت الأرض بدرجات ، وأنت تحسين بالماء وهو يتسرب تحت قدميك وأنت تتحسن الطريق إلى الدرجة التالية ، وعندما تمدين يدك إلى الجدار لتستندى إليه فإنها تكون مبتلة عندما تستردينها كأنها كانت تلمس دما .

« هوراس ؟ »

« نعم . رائع وأمامك وعلى بعد منك ترين الوهج . فجأة يشع النفق بالأضواء من لا شيء ، ثم ترين الفرن ، بأشياء تعلو وتهبط أمامها ، فتحجب النور ، ثم تشع الجدران مرة أخرى بالأضواء ، في البدء لأنها مجرد أشياء بلا شكل محدد تقع هنا وهناك . غريبة ، بظلال على الجدران الدموية ، ظلال حمراء . شمة وهج ، وأشكال سوداء كهراثس من ورق تتمايل وتصعد وتهبط أمامها كفتحة فانوس سحري . ثم يظهر وجه وهو ينفخ ، وأوجه أخرى وكأنها تتجسد من الظلام الأحمر كبالونات حمراء .

« والأشياء نفسها . جميلة بشكل رائع ومفجع . تعرفين أنها تشبه الزهور المحفوظة . بشعة ومقدسة ، مطهرة ومصفاة كالبرنز إلا أنها هشة كفقاعات من صابون . وهى عبارة عن ألحان المزامير وقد تبلورت أصوات الناي والمزمار وإن كان أغلبها يشبه ألحان المزامير . المزامير المصنوعة من قصت الشوفان . عليها اللعنة ، إنها تتفتح أمام عينيك مباشرة كالزهور . حلم ليلة من ليالى الصيف يتجول فى عقل حيوان أسطورى نارى ، وأصبح صوته غير واضح ، وهو يتصاعد ويعلو فى عبارات موزونة ، لم تستطع أن تميز منها شيئا ، ولكنها أدركت من درجة صوته الحادة أنها عبارات الشاعر ميلتون التى يصف فيها سقوط الملائكة ودمارها .

وأخيرا خرج ، فى قميص أبيض وسراويل من الصوف الخشن ، إلا أنه كان ولا يزال محلقا على أجنحة عباراته المشتعلة ، وبينما مضى صوته يرتل فى فقرات موزونة ، أحضرت له من الصوان حذاء ، ثم حملته بين يديها ووقفت أمامه فتوقفت عن الترتيل ولمس وجهها مرة أخرى بيديه كما يفعل الطفل .

فى أثناء العشاء قطعت العمة سالى عليه ثرثرته وسألته ، « هل أحضرت صاحبك سنوبس معك ؟ ، هذا السنوبس كان شابا ، أحد أفراد أسرة لا ينضب لها على ما يبدو . . . معين ، كانت فى السنوات العشر الأخيرة تتقاطر على البلدة فى قطرات من قرية صغيرة تسمى « فرنشيا نوبند » ، وقد ظهر قليم ، أول أفراد أسرة سنوبس فجأة ذات يوم وراء حاجز مطعم صغير فى شارع جانبي ، يتردد عليه أهل الريف . وكما فعل إبراهيم قديما ، وبعد أن ثبت أقدامه سلك كما سلك سيدنا إبراهيم من قديم الزمان إذ أحضر إلى البسلطة أبناء دمه وعشيرته ، أسرة وراء أسرة ، وفردا وراء فرد ، وثبتهم حيثما كانوا يستطيعون كسب المال . ثم أصبح قليم نفسه مديرا لمحطة الإنارة والمياه فى البلدة ، وفى السنوات التالية ثبتت فائدته للحكومة المحلية ، ومنذ ثلاث سنوات ، ورغم دهشة بايارد واستنكاره وضيقة الذى لم يحاول أن يخفيه ، أصبح نائبا لمدير بنك سارتورس ، حيث يعمل أحد أقاربه بالفعل كاتب حسابات .



وقد ظل محتفظا بالمطعم والخيمة المقامة خلفه ، التي قضى فيها هو وزوجته وطفله الأشهر الأولى عقب حضورهم إلى البلدة ، وكانت بمثابة محطة وصول بالنسبة لكل آل سنوبس ، يخرجون منها إلى أماكن العمل من الدرجة الثالثة من مختلف النحل - متاجر البقالة ، دكاكين الحلاقين ( وكان منهم واحد ، عاجز بشكل ما ، كان يشرف على مشواة بقول ) ، وتكاثروا وازدهروا . أما السكان القدامى فقد راقبوا هذا من بيوتهم الجيفرسونية ومتاجرهم الراقية ومكانهم ووجدوا فيه مصدر تسلية في البدء . ولكن منذ وقت طويل تحول شعورهم إزاءه إلى شيء يشبه الدهشة الشديدة أو الملح .

أما السنوبس الذي أشارت إليه العمدة سالى فقد كان اسمه موتجورى وورد ، وقبل أن يطبق قانون التجنيد سنة ١٧ تقدم إلى أحد مكاتب التجنيد متطوعا ، ولكنه رفض من الخدمة العسكرية بسبب قلبه . وبعد ذلك ، أثار دهشة الجميع ، وخاصة أصدقاء هوراس بينبو ، إذ ارتحل في صحبته إلى وظيفة في جمعية الشبان المسيحيين ، ثم روى بعد ذلك عنه ، أنه قطع الطريق كله إلى ممفيس عندما تقدم متطوعا دون أن يحمل شيئا إلا قطعة من طباق المضع وضعها تحت إبطه الأيسر . ولكنه كان قد ارتحل هو وراعيه عندما عرفت هذه القصة .

سألت العمدة سالى ، هل أحضرت رجلك سنوبس معك ؟

قال ، لا ، وأظلم وجهه المرهق وقاض به استمزاز رفيع بارد ، خيب أمل فيه إلى حد كبير جدا . لا أرغب حتى في الكلام عنه ،

« كان في استطاعة أى شخص أن يقول لك هذا قبل أن ترحل ، ومضت العمدة سالى تمضغ طعامها ببطء وانظام . وغرق هوراس في تأملاته لحظة ، وقد تقلصت يده ببطء على شوكتته . « إن أفرادا من أمثال هؤلاء ، الطفليات هم ، . ولكن أخته قاطعته قائلة ، « من الذى يهتم على أى

حال بأحد أفراد أسرة سنوبس . ثم إن الوقت من الليل قد تأخر لتكلم عن فظائع الحرب ، وأحدثت العمة سالى صوتا ناعما من خلال الطعام فى فمها ، صوتا ينم عن الترفع الأصيل قالت : المسئول عن ذلك هو الجنرالات الذين عندهم هذه الأيام . ما كان يقبل جنرال جونستون أو جنرال فوريسيت أى واحد من آل سنوبس على الإطلاق فى جيشه . لم يكن بين العمة سالى وبينهم أية صلة قرى . كانت تقيم فى البيت المجاور ، لا يفصلها عنهم إلا بيت واحد ، مع شقيقتين عانستين ، إحداهن أصغر والأخرى أكبر . كانت تتردد على البيت داخلة خارجة منذ أن كان هوراس ونارسيسا أطفالا يستطيعون التذكر . وقد ادعت لنفسها حقوقا فى حياتهما قبل أن يستطيعا المشى ، وامتيازات لم تحدد أبدا . ولم تحاول أن تنتفع بها مطلقا إلا أنها لم تسمح مطلقا أن يفهم الاعتراف المتبادل بوجود هذه الحقوق والامتيازات . كانت تدخل إلى أى حجرة فى البيت دون استئذان . وكانت تحب أن تتكلم بإسهاب ودون محاملة عن أمراض طفولة نارسيسا وهوراس . وقد قيل إنها غازلت يوما ويل بينو ، ورغم أنها كانت حينئذ امرأة فى الرابعة أو الخامسة والثلاثين عندما تزوج ويل . وقد ظلت مع ذلك تتكلم عنه باستخفاف من يتحدث عن شخص يملكه . ولكنها كانت تتكلم دائما بالخير عن زوجة ؛ كانت تقول ، « جوليا كانت فتاة عالية حلوة الطباع » .

ولذا ، فعندما ذهب هوراس للحرب ، انتقلت العمة سالى إلى البيت لتؤنس نارسيسا ، ولم يتصور أحد من الثلاثة أى وضع للأمور غير هذا ، فكون نارسيسا يجب أن تحتفظ بالعمة سالى فى البيت لمدة عام أو عامين أو ثلاثة بدا أمرا لا مناص منه مثله فى ذلك مثل ذهاب هوراس إلى الحرب . كانت العمة سالى امرأة عجوزا طيبة . ولكنها كانت تعيش كثيرا فى الماضى ، مغلفة عقلها بحزم نهائى واضح عن كل شىء حدث بعد سنة ١٩٠١ ، وبالنسبة لها ، كان الزمن يمضى ببطء إذ تجره الخيل ، أما صراخ فرامل السيارات فلم يستطع أن ينفذ إلى فراغها العنود القنوع . وكان لها حشد

من غلظة المتقدمين في السن التي هي من حقهم . وكانت تحب صوت حديثها ولم تحب أبداً أن تكون وحدها في أية لحظة . وكانت تأكل طعاما غير مغرى سهل المضغ وبطريقة غير لطيفة ، ذلك أنها لم تستطع أبدا أن تألف الأسنان الصناعية التي اشترتها منذ اثنتي عشرة سنة ، ولم تكن تقرها قط إلا مرة كل أسبوع لتغير الماء الذي تستلقى فيه .

مدت نارسيدا يدها تحت المائدة ولمست ركبة أخيها وقالت مرة أخرى ، « هوري ، أنا مسرورة فعلا بعودتك إلى البيت » .

نظر إليها بسرعة ، وغاض الوجوم الذي ارتسم على وجهه فجأة وبنفس الطريقة التي حل بها وانزلت روحه ، كساجح في الماء ، إلى بحر هادي . بلا مد ، إلى ودها الغزير ذي الصفاء الدائم .

كان محاميا ، لمجرد رغبته في القيام بالواجب إزاء تقاليد الأسرة ، ورغم أنه لم يكن يحس بميل خاص إلى المهنة ، خلا حب للكلمة المطبوعة ولأماكن إقامة الكتب ، فقد فكر بانفعال في العودة إلى مكتبه بجوه الثقيل ولم يكن انفعال الخاسرة أو الشوق . لا : كان شعورا عميقا بعدم الغضاضة يكاد أن يكون سرورا . معنى السلام . الأيام السالفة التي لا تتغير ، ربما لا تكون مجنحة ، إلا أنها ليست مفاجئة أيضا . إنك لا ترى معنى السلام ، ولا تحس بوجوده إلا من بعيد . ولم تأت الجداجد بعد ، وقد انسابت أشجار الشربين متصلة على جانبي الشارع ، كوجه أبنوسية منحنية بقتن صارمة مشرعة في السماء ، وتساقط الضوء خارجا من النافذة ، عبر مدخل البيت على حوض من شجيرات الغاب ، صلبة كأنها من البرنز ، ليس فيها ثمة شيء من هشاشة الزهور ، ومن داخل الغرفة انطلق صوت العمة سالي الرتيب المرتعش وكانت نارسيدا هناك أيضا ، مع كتاب ، وقد ملأت الغرفة بوجودها الدائم المستقر ، كعطر الياسمين ، وكانت ترقب الباب الذي مر منه ، وقد وقف هوراس في الشرفة بغليونه الخامد ، يحاطا بجو شجر الأرض البارد الضاغط وكأنه وجود آخر . « معنى السلام » قال بصوت هامس مرة أخرى ، « معنى

السلام وأخرج الكلمات العميقة من فيه واحدة إثر أخرى وبيطه ، وأفرغها في ناقوس الصمت البارد الذي عاد إليه مرة أخرى آخر الأمر ، واستمع إلى الكلمات وهي تمضي متكاسلة وتفيض لتفنى ، في صفاء كصفاء فضة خالصة وبلاوراذ بصطدمان بلطف معا .

سأل عشية وصوله ، « كيف حال بيل ؟ »

وأجابته أخته « إنهم بخير . عندهم سيارة جديدة . »

قال هوراس وعذوته يخلو من الانفعال « نعم . لاشك أن الحرب كان بمقدورها أن تؤتي هذه الثمرة على الأقل . »

وقد تركتهما العمة سالى أخيراً ، وأخذت تنقر بعصاها الطريق ببطء إلى غرفة نومها . ومدد هوراس ساقيه المكسوتين بالصوف أمامه ، وقد فاض به شعور النعيم ، وتوقف لحظة عن إشعال عيدان الثقاب لعليونه العنود ، وجلس في سكون يرقب رأس أخته وقد انحنت على المجلة الموضوعة على ركبتيها ، وتخلت عن الأشياء الأقل أهمية وغير الدائمة . كان شعرها أشد نعومة من أية أجنحة مسرخية ، وقد انسال ملتصقا في استسلام إلى عقدة بسيطة أسفل عنقهما .

قال « بيل مراسلة سيئة كمثل النساء . »

وقلبت صفحة دون أن ترفع رأسها .

« هل كنت تكتب إليها كثيراً ؟ »

« إنهم يدركون أن الخطابات لا تصلح إلا لتصل ما بين فترات الاستراحة بين الأحداث كالفواصل في مسرحيات شكسبير » مضى يقول وقد نسيها ، « هل عرفت في حياتك امرأة تقرأ شكسبير دون أن تتخطى الفواصل ؟ شكسبير نفسه كان يعرف هذا ، ولذا لم يضع قط امرأة في الفواصل . »

فليتصارع الرجال بالفاظ طنانة ، بينما السيدات في مؤخرة المسرح يفسلن أطباق الطعام أو يضمن الأطفال في الفراش .

قالت نارسيسا مصممة ، « أنا لم أعرف قط امرأة تقرأ شكسبير لأنه كثير الكلام جداً ،

وقف هوراس وربت على شعرها الأسود .

قال ، « أوه . أيتها الأعماق البعيدة . لقد اخترت كل الحكمة في جملة ، ووضعت جنسك في مستوى الأفلاك .

قالت ، مرة أخرى وهي ترفع رأسها ، إنهن لا يفعلن .

سألها ، « لا ؟ ولم لا يفعلن ؟ ، ثم أشعل إلى غليونه ثقاباً آخر ، ومضى يرقبها عبر كفيه المحيطتين بالثقاب ، بجذ وباهتمام ثابت ، وكأنه طائر منقض . وأصحابك مثل أرن وساباتيني يتكلمون كثيراً ، ولم يكن لدى أحد المزيد ليقوله ، ولا تكلف الجهد ليقوله أكثر من درابزر العجوز .

قالت ، « ولكن لديهم أسرارهم . أما شكسبير فليس لديه ثمة أسرار . إنه يقول كل شيء .

قال ، « نعم لم يكن شكسبير حصيفاً ، ولم يكن يستطيع أن يكتب الأسرار . وبمعنى آخر ، لم يكن سيداً مهذباً .

« نعم . . . هذا ما أعنيه ،

« وهكذا ، ولكي تكون سيداً مهذباً ينبغي أن تكون لك ثمة أسرار .

قالت وهي تعود إلى مجلتها ، أوه ، أنت تتعبنى ، وجلس بجوارها على الأريكة وأخذ يدها في يده ، ولامس بها خده وشعره المضطرب .

قال : إن قراءة شكبير أشبه بالنزه في حديقة ساعة الغسق . الزهور التي يعرفها المرء كلها هناك في مراقدها ، وقد مشطت شعرها استعداداً للنوم ، ولكن المرء يعرفها جميعها . ولذا فهو لا يضايقها إنه يمضي ثم يتوقف من الحين للحين لقلب ورقة ، لم يلحظها من قبل ، وربما يجد تحتها زهرة من زهور البنفسج أو الجرس الأزرق أو حشرة مضيئة . ربما يجد ورقة أخرى ، أو نصل عشب . ولكنه سيجد عليها دائماً قطرة ندى ، ومضى بكفها يتحسس به وجهه وقلبت المجلة بيدها الأخرى ببطء ، وقد أنصتت إليه باستغراق ودود هادئ . ، ،

قالت مرة أخرى ، هل كنت تكتب إلى بيل كثيراً ؟ وماذا كنت تقول لها ؟ ، ،

« كتبت ما كانت تريد أن تقرأه . ما تريده النساء جميعاً في الخطابات الناس جديرون فعلاً بنصف ما يعتقدون أنهم يجب أن يمتلكوه . »

قالت بإصرار : « وماذا كنت تقول لها ؟ ، ومضت تقلب ببطء صفحات المجلة ، ويدها الأخرى المستسلمة في يده تتبع حركتها فوق خده .

قال : قلت لها إنني لم أكن سعيداً . وربما كنت كذلك حقاً ، واستخلصت أخته يدها برقة ووضعتهما على الصفحة . قال

« أنا معجب ببيل . إنها غبية بشكل لطيف . مرة أحسست بالخوف منها . ربما ... لا ، أنا لا أخشاها . بي مناعة ضد الدمار . أنا أجمل تعويذة سحرية وهذه علامة صادقة على أن الوقت قد أزف لحلول هذا الدمار ، كما يقول الشيوخ الحكماء ، ثم قال : « وإن كانت الحكمة المكتسبة شيئاً جافاً يتبدد هباء منشوراً ، في اللحظة التي يسود فيها الغباء الخارق ويمضي في طريقه الأعمى لا يحسب له شأن . وجلس في التو دون أن يلمسها ، في استرخاء مستغرق ، ثم قال ، وقد تيقظ : « أوه أيها الصفاء الوديع ، ثم

بدأ يردد ، « عزيزتى ، نارس العجوز » . ومرة أخرى أمسك بيدها .  
فلم تنسحب لا ولم تستسلم تماماً .

قالت ، « هورى ، أظنك لست فى حاجة لأن تردد كثيراً أننى  
غبية » .

قال مؤيداً ، « نعم . ولكن يجب على أن أوقع بالسكال نوعاً فامن  
الانتقام » .

وبعد ذلك استأققت فى غرفتها المعتمة ، وعبر الممر كانت العمة سالى تغط  
فى نومها وشخيرها هادى . منتظم وفد استلقى هوراس أيضاً فى الغرفة  
المجاورة ، بينما ارتحل ضياعه الوحشى الضارب فى الخيال من حوله وذهب  
يجوب أما كنه العزلاء الوحيدة ، فيما وراء القمر ، بين مراح أثبتت  
بمسامير من نجوم إلى سقف كل الأشياء الأعلى ، حيث يملأ وقع أقدام  
حيوانات وحيد القرن الهواء المحمل بمحجاتها أو تشغل هناك بأكل الكلال ،  
أو تستلقى على ظهورها فى استراحة ذهبية الحافر .

كان هوراس فى السابعة عندما ولدت ، وفى خلفية طفولتها الواعية  
كانت أشياء ثلاثة ، صدى بوجه وحشى نحيف ، وشهوة لا تهجع للآسى ،  
وشخص أسمر جردى ، يحمل دائماً رومانسية الأطعمة المهربة ، بيدين  
قويتين صلبتين ، كانتا تفوحان دائماً برائحة صابون ، كاربولى مشير - مخلوق  
يشبه الله ، ولكن دون رهبة تصحبه ، وأخيراً ، مخلوق لطيف دون  
ساقين أو أية إشارة إلى أية حركة من أى نوع ، كأنه محراب صغير  
لإله ما ، محاط دائماً بهالة من الحزن الرقيق وشباك لا تنتهى من خيوط حريرية  
ملونة . كان هذا الشيء الأخير وجوداً دائماً برقة وتواضع حزين ، وكان  
الثانى يدور فى فلك كان يحمله فى مراحل منتظمة إلى الفضاء الخارجى ،  
ليعيده مرة أخرى بحيويته القوية المرحية إلى عالمها المحتدم أما الأول فقد  
جعلته ملكها بإصرار واع أموى ، ولذا ، فعندما بلغت الخامسة

أو السادسة فإن الناس اعتادوا أن يخوفوا هوراس بتهديده بإبلاغ نارسيسا عنه .

ماتت جوليا بينبو في سلام عندما كانت نارسيسا في السابعة . لقد استخلصت من حياتهم ، كما تستخلص قارورة صغيرة من عطر اللاوندا من صوان الملابس ، تاركة من وراءها شيئاً ما غامضاً ورقيقاً ومتملكاً . وخلال سنوات النور المحتدمة في السابعة والثامنة والتاسعة استبدت واعتادت أن تأمر الاثنين الآخرين ، ثم أصبح هوراس في المدرسة في سيوانى ، وبعد ذلك في أكسفورد ، التي عاد منها في الوقت المناسب ليرى ويل بينبو وهو يلحق بزوجه بين أشجار الأرز مدينة الروس ، والحمام المنحوتة ، وغيرها من أشكال الرخام المحفور الهادئة ، وبعد ذلك افترق هوراس عنها مرة أخرى بتوافق سيء غي لأقدار الناس .

ولكنه كان قد استلقى الآن في الغرفة المجاورة ، بحسب كالحالة عوالم متلاثة آمنة فيما وراء القمر ، وقد استلقت هي أيضا في فراشها المعتم ، مستقرة في سلام ، سلام أقوى من أن يدعها تنام .

عاد بسرعة وسهولة إلى إطار الأيام الرتيب ما بين بيته ومكتبه ، إلى الألفة البسيطة العميقة بين وبين كتب مغلفة بجلود العجول ، لم تنتهك حرمتها قط . وربما لا تزال توجد على أغلفتها المغبرة بصمات أصابع ويل بينبو الميتة وإلى لعب التنس فترة قصيرة كل أصيل على ملعب هارى ميتشيل الأنيق ، ولعب الورق في المساء ، أيضا مع بيل وهارى عادة ، أو إلى سحر الكلمة المطبوعة الميسور دائما وغير العاجز أبداً ( وهذا ما كان يؤثره ) . بينما تجلس أخته عبر المنضدة أمامه ، أو تعزف برقة لنفسها في الغرفة المعتمعة عبر البهو . وكان يأتي لزيارتها بين الحين والحين ، رجال ، كان يستقبلهم هوراس بأدب لا ينضب وإن كان



يشوبه شيء من الضيق ، ثم يتركهم سريعا ليتسكع في الشوارع أو ليقرأ في فراشه . كان دكتور ألفورد يأتي لزيارتهم بجفافته المعتاد مرة أو مرتين كل أسبوع ، وكان هوراس ، وهو بشكل ما ، أحد هواة الجدل السفطاني ، يتسلى بأن يقذف فروة الطبيب العلية الرقيقة بأسهم من أسئلة مغلفة بالريش الدقيق عن مشكلات العقل وما وراء الطبيعة ، كان يقضى في ذلك بعض ساعة ، وهنا يلحظ أن نارسيسا لم تنطق ببنت شفة لمدة ستين أو سبعين أو ثمانين دقيقة . وقال لها هوراس ، هذا هو سبب حضورهم لزيارتك ، من أجل علاج عواطفهم بالاسترخاء في حمام الطين .

وقد عادت العمة سالى إلى بيتها . بسلتها وأشرطتها الملونة وأسنانها المستعارة ، وتركت وراها إحساسا ثابتا بقيامها . واجب أكيد وإن كان غامضا على حساب الذات ، ورائحة متهاكة لجسد أنثوى عجوز ، غاضت ببطء بعد رحيلها ، وإن تسكعت مع ذلك ، في أماكن غير متوقعة ، الأمر الذى جعل نارسيسا تتصور في لحظات يقظتها وهي مستلقية في فراشها في العتمة ، في فيض شعور من اللذة الحسية بعودة هوراس إلى البيت . تتصور ، أن في استطاعتها أن تسمع غطيط العمة سالى المنتظم القنوع في السكون المعتم المحشود الذى يسيطر على البيت .

وكان يبلغ أحيانا من الوضوح الأمر الذى يجعلها تتوقف فجأة وتنتفخ إلى الغرفة الخالية باسم العمة سالى . كانت العمة سالى تجيب أحيانا ، ذلك أنها قد قررت أن تمارس حقها في الحضور في أية ساعة ، تأخذها فيها الرغبة في الحضور ، دون استئذان أو إعلان لتطمئن عليهما ، ولتشكو بشدة من أهل بيتها . كانت عجوزا ، عجوزا جداً بحيث إنه تعذر عليها أن تنفعل بسهولة بالتغيرات ، وقد أصبح من الصعب عليها أن تتلام من جديد مع أساليب شقيقتها ، وبعد غيبتها الطويلة في دار كن يسلم فيها لها الجميع بكل شيء يتصل بشئون البيت . أما في بيتها فقد صرفت شقيقتها الكبرى شئون البيت بأسلوب مقتدر مشاغب ، وهي وشقيقتها الصغرى أصرتا على المضي في معاملة العمة سالى وكأنها مازالت في طفولتها

منذ خمسة وستين سنة ، حيث يتحتم الإشراف على طعامها وملابسها  
وساعات يومها وليلها بشدة مشاكسة .

قالت تشكو بغضب ، « لا أستطيع حتى أن أذهب إلى الحمام في  
سلام . ولي نية قوية أن أحزم أمتعتي وأعود إلى هنا ، وأدعهما تمضيان  
في حياتهما كأحسن ما تستطيعان » .

ومضت تتأرجح متبرمة بحالها في المقعد الذي لم تناقش ملكيتها له ،  
باتفاق لم ينطق به أحد . وهي تتجول بعينها الغاضبتين المحمرتين قالت ،  
تلك الفتاة السوداء . لا تنظف الأشياء حتى نصف تنظيف ، منذ أن غادرت  
البيت . هذا الأثاث . . . والآل . . . قطعة قماش مبللة . .

قالت من صوفيا شقيقة من سالي الكبرى ، لنارسيسا ، « أتمنى أن  
تستعيد بها إليك . لقد أصبحت ، منذ أقامتها عندك ، شديدة العناد حتى  
لم يعد من الممكن العيش معها . ما هذا الذي أسمه عن هواية هوراس  
الجديدة . . . صنع الآواني الزجاجية ؟ » .

وقد وصلت بوائقه وأنايقه الرئيسية سالمة . وفي البدء ، أصر على  
استخدام القبو ، فأخرج منه آلة تقليم المرج وأدوات الحديقة ، وكل  
العدد المتراكمة ، وسد النوافذ بالبناء حتى يجعل من القبو سرداباً . ولكن  
نارسيسا استطاعت أخيراً أن تستدرجه إلى الطابق العلوي من الجراج ،  
حيث أقام موقده وأشعل النار في المبنى مرة . ووقعت له أربع حوادث  
مؤسفة وأنتج زهرية واحدة تكاد أن تكون كاملة بلون الكهرمان الصافي ،  
وكانت أكبر من سابقتها وأكثر وقاراً وأبهة وصفاء ، وكان يضعها دائماً على  
مائدة فراشه ، وأطلق عليها اسم شقيقته ، وكان يهتف بهما دون تفرقة  
في لحظات انطلاقاته حول إدراك معنى السلام ، والفوز به صافيا .  
ويناجيهما بقول الشاعر : « أنت يا عروس الهدوء التي لم تغتصب بعد ،

خرج هوراس عارى الرأس في سروال رياضي وسترة زرقاء وشيت

على جيبها شارة نادى أكسفورد ، ووضع مضربه تحت إبطه ، ومضى حول البيت ، وبدأ اللاعب للاميان بلاعبيه في حركة مستمرة عنيفة . وقد جلست بيل تحت رواق من الأعمدة البيضاء البارزة جزئيا من الجدران والمظلة عروق سقفه بأغصان العنب ، وبدأت كالفراشة تحيط بها حاشية اللحظة الهشة المتناسقة . وقد جلست معها اثنتان ، كاتتا واضحتين ومن ورائهما أوراق الريحان الأسود المعتمة ولم تكن زهوره قد تفتحت بعد . أما المرأة الأخرى ، كانت ثالثهن فتاة صغيرة في ثوب أبيض وشعر عسلي مقصوص حول جبهتها ومضرب تنس على ركبتيها ، فقد تحدثت إليه ، وحيته بيل بأسلوب يفيض بالكآبة الواهنة ويدل على أنه ملك لها . وكانت يدها في يده دافئة مستسلمة وكأنها زئبق يترجرج في كفها ، الذى مضى يتحسس بركة العظام الرقيقة واللحم القلق المعطر . وكانت عيناها كعنبتين في كرمه تعيش في غرفة زجاجية معبأة بالحرارة وفها أحر زلقا يفيض بعدم الرضا .

أخبرته أنها قد فقدت ميلونى .

قال هوراس ، « استطاعت ميلونى أن تراك على حقيقتك من خلال رقتك . ربما أصبحت أكثر تهاونا . أناقتك أقل كثيرا فى المستوى من أناقة ميلونى . أنت بالتأكيد لم تتوقعى أن تخدعى دائما امرأة تستطيع أن تمنح وظيفتى الطعام والشراب كل هذا العناية الشديد وكما فعلت ميلونى ، أليس كذلك ؟ أم تراها تزوجت مرة أخرى ؟ ، أجابت بيل بغيظ ، « لقد اشتغلت بالأعمال الحرة . صالون تجميل . ولماذا ؟ لن أستطيع وقسا بحياتى أن أعرف . مثل هذه الأشياء لا تنجح هنا . هل تستطيع أن تتصور نساء جيفرسون وهن يمنحن عملا لصالون تجميل ، باستثناء ثلاثتنا ؟ مسز ماردزو وأنا ربما ، أنا واثقة أننا فى حاجة إليه ، ولكن ما حاجة فرانكى به ؟

قالت المرأة الأخرى : ما يبدو عجيبا بالنسبة لي ، هو من أين جاء المال ؟ .

بيل : يعتقد الناس أنك ، ربما أعطيتيه لها ؟ .

قالت بيل ببرود : منذ متى وأنا أتبرع بنفودي للأعمال الخيرية ؟ ، وابتسم هوراس ابتسامة شاحبة . وقالت مسر مائدرز :

: بيل نحن نعرف جميعا إلى أي حد أنت طيبة القلب . لا تكوني متواضعة .

قالت مرة أخرى : أنا قلت أتبرع بنفودي للأعمال الخيرية ، وقال هوراس بسرعة :

: إن هاري على استعداد دائما لأن يقايض . على الأقل سيوفر هذا الكثير من استهلاك النبيذ من قبوه ، إذ لن يجد نفسه مضطرا لأن يجاريك فيقدم الخمر لكل أولئك الرجال الذين تملئين بطونهم بالشاي ، أحسب أنه لن يقدم شاي هنا في الحديقة بعد الآن ؛ أليس كذلك ؟

قالت بيل : لا تكن أحمق .

قال هوراس : أنا أدرك الآن ، أن التنس ليس هو الشيء الذي آتي من أجله إلى هنا . أنا أحضر من أجل ما أحس به دائما من شعور جبار مرهق بالعظمة عندما تقسم ميلوني إلى الشاي . . . رأيت ابتكك وأنا قادم .

قالت بيل دون اهتمام : إنها قريبة منا ، على ما أظن .

قالت له : أنت لم تقص شعرك بعد ، ثم : لم كان الرجال حمقى فيما يختص بالحلاقين ؟ ، ومضت المرأة الأكبر سنا ترقب بيل وهوراس بذكاء وبرود ، عبر ذقنها المزدوجة المترهلة . وجلست الفتاة الصغيرة هادئة في ثوبها

البسيط ناصع البياض ، وقد وضعت مضربها في حجرها ، ويدها  
السمراء عليه كأنها جرو بئى نائم . وكانت ترقب هوراس باهتمام رصين .  
ولكن بأدب كما يفعل الأطفال ، قالت بيل : أما أنهم لا يذهبون مطلقاً  
إلى الحلاق ، أو أنهم يصرون على أن تلتق رؤوسهم تماماً بالدهون وغيرها .

قالت المرأة الأخرى : هوراس شاعر ، وكان لها يتهدل مسترخياً  
من فوق عظمى وجنتيها وكأنه قطع من المخمل الملوث قليلاً . وعيناها  
شبهتين بعيني ديك رومي عجوز ، مفترسين لا تطرفان ، وقحيتين إلى حد ما .  
« ينبغي أن يغفر للشعراء ما يفعلون ، عليك أن تتذكرى هذا يا بيل ،

أحنى هوراس رأسه لها شاكراً وقال : جنسك لا يفقد اللباقة أبداً  
يا بيل . مسرماندرز واحدة من الفلائل الذين أعرفهم من يمطون حرقه  
القانون قيمتها الحقيقية . »

قالت بيل : أظنها لا تختلف عن أى عمل آخر . تأخرت اليوم .  
لم لم تأت تارسيسا ؟ قال هوراس موضحاً : أقصد ، وهى تصفنى بأننى  
شاعر . القانون كالشعر ، هو الملجأ الأخير لكل أعرج وكسيح وغبي  
وأعمى ، أجزؤ أن أقول إن قيصر اخترع القانون ليحمى نفسه  
من الشعراء . »

قالت بيل : ما أبرعك !

وتكلمت الفتاة الصغيرة فجأة : « مس بيل ، لم تهتمين بما يضعه الرجال  
على شعرهم ؟ إن مستر ميتيشل أصلع ،

وضحكت المرأة الأخرى ضحكا لزجاً رديئاً ، وهى ترقبهم بعينين  
لا تطرفان ولا تضحكان ومضت ترقب بيل وهوراس ، وتضحك برتابة  
ومكر وبرود ، قالت : « ومن أفواه الأطفال . . . وتطاعت الفتاة الصغيرة  
بميينا الصافيتين الحادثتين من واحد إلى الآخر ثم وقفت .

قالت : « أظنى سأذهب لأرى إن كان ممكناً أن ألقب الآن . »

وتحرك هوراس أيضا ، وقال : أنا وأنت . . . ولكن بيل لمسته بيدها دون أن تدير رأسها إليه .

قالت آمنة : فرانكي اجلسي لم ينتهوا من مباراتهم بعد ، ثم قالت لمسز ماردريز : يحسن بك ألا تضحكي كثيراً ومعدتك خالية . هوراس اجلس ، أرجوك .

ظلت الفتاة واقفة برشاقة نحيلة مضطربة ، والمضرب في يدها ، ثم أدارت وجهها مرة أخرى نحو الملعب وجلس هوراس على المقعد القريب من بيل من الناحية الأخرى ، وسقطت يدها واختفت في يده وهي تختلج بتلك الحركة الغامضة ، ثم جمدت ، وكأنها قد حوت تياراً في مكان ما إلى جهة أخرى ، كأنها شخص يدخل حجرة مظلمة باحثاً عن شيء ، ثم يجده ثم يطفىء النور مرة أخرى .

قال هوراس مخاطباً المرأة الأخرى عبر بيل الجالسة بينهما : ألا تميلين إلى الشعراء ؟ ، ولم تدر الفتاة الصغيرة رأسها .

قالت : لأنهم لا يستطيعون الرقص . ومع ذلك أحسبهم بلا عيب . لقد ذهبوا إلى الحرب . الفضلاء منهم فعلوا . كان منهم واحد يجيد لعب التنس ، وقد قتل . رأيت صورته إلا أنني لا أذكر اسمه ،

قالت بيل : أوه حباً في السماء . لا تمضي في الحديث عن الحرب . وارتعشت يدها في يد هوراس ، كان على أن انصت لمدة عامين هاري ، وهو يبرر لي عدم ذهابه للحرب كما لو كان يهمني ما إذا كان قد ذهب أم لم يذهب ، ،

قالت مسز ماندرز بذلك : كانت له أسرة عليه عمادها . استرخت بيل قليلاً ، وقد أسندت رأسها إلى ظهر مقعدها ، ويدها المختفية تتحسس ببطء ، في يد هوراس ، مسكشفة ومنقبة دون انقطاع ، كأنها إرادة حرة منفصلة مستطلعة ، وإن كانت تفتقد الحرارة .

قالت الفتاة مستطردة : البعض منهم كانوا طيارين ثم وقفت وقد أسندت أحد ردفها الصغيرين غير البارزين إلى حافة المائدة ، واحتضنت مضربها تحت ذراعها ، وأخذت في تقليب صفحات المجلة ، ثم أغلقها ، ومضت ترقب مرة أخرى اللاعبين في حركتهما على الملعب ، كمهرجين هزيلين يثيران السخرية ، وقالت : رقصت مرة مع أحد أولاد آل سارتورس . أصابني من الفزع ما أعجزني عن معرفة مع من منهما رقصت . لم أكن حينئذ أكثر من طفلة .

سأل هوراس ، : هل كانا شاعرين ؟ أقصد الذي عاد منهم ؟ أنا أعرف الآخر الذي مات . لقد كان شاعرا .

قالت وعيناها على اللاعبين ، : إنه يستطيع بالتأكيـد أن يقود سيارته ، وكان شعرها - وهي أول من قصته في البلدة وعقصته - مسترسلا ، ليس بنيا ولا ذهبيا ، وبدت أنفها الصغيرة ، ويدها الهادئة السمراء مازالت تقبض على المضرب . ثم تحركت بيل وسحبت يدها من يده .

قالت ، : هيا ، اذهبوا جميعاً والعبوا ، كلاكما يثير أعصابي ، وهم هوراس واقفا بخفة وقال : فرانكي هيا بنا قلبناهما معا .

وأخذا مكانهما من الملعب وتباريا مع الشابين ، وكان هوراس لاعبا غير عادي ، لامعا ، وإن كان لعبه غير متجانس . وكان في استطاعة من يعرف التنس وبأعصاب هادئة أن ينتصر عليه دون جهد بأن يدعه فقط يهزم نفسه بأخطائه . أما هذان اللاعبان فلم يكن في استطاعتهما ذلك . وشريكته أضاعت الكثير من فرط نقتها بنفسها ، واستطاع هوراس أن يستعيد النقاط الضائعة بقذف الكرة . وبالتخطيط البعيد ، الذي بلغ من الجرأة حداً ستر أخطاء لعبه .

وفي اللحظة التي كسب فيها هوراس النقطة الأخيرة ظهر هاري ميتشل ، في سراويل ضيقة وقيص حريري أبيض وحذاء رياضية أنيقين جديدين كلفا عشرين دولاراً . وكان يحمل مضرباً جديداً في كيس عليه رسم الصانع . وقف بساقيه القصيرتين ورأسه الكروية الصلحاء ، وفكه الأسفل البارز

بأسنانه الثالفة وقف بجوار صورة زوجته الأنيقة وبعد قليل وبعد أن يضطر إلى شرب فنجان شاي ، سيجمع كل الرجال الموجودين حينئذ ويمضي بهم عبر البيت إلى حمامه ويسقيهم الويسكى ، ثم يملأ كوباً ويأخذه إلى راشل في المطبخ وهو في طريق عودته . كان على استعداد دائم أن يطبك القميص الذى يغطى به ظهره . كان أحد المضاربين على القطن ، وكان ممتازاً في هذا ، كان قبيحاً كالخطيئة ، وطيب القلب ، وكثير الكلام وإن تعذر إقناعه بالمنطق ، وكان ينادى بيل ، بالأم الصغيرة ، حتى رده عن هذا .

ترك هوراس وزميلته الملعب واقتربا من الجماعة الجالسة .

وقد جلست مسرماندرز الآن وذقنها المزدوجة المتهذبة محتفية وراء فنجان شاي راستدارت الفتاة إليه بأدب وقالت وكأنها تختتم اللعب ، « أشكرك لاشتراكك معي في اللعب أرجو أن أكون أفضل يوماً ما . » ثم قالت « لقد قهرناهما ، »

قالت هارى ميتشل ، وقد بانَّت أسنانه الثالفة ، « إيه أيها الولد الكبير ، أنت والآنسة الصغيرة انتصرتما عليهما ، واستطال فكك البارز الثقيل وهو يهبط إلى أسفل ، ثم ينغلق فجأة قاضياً عن رغبة قلقة في النضال .

قالت الفتاة مصححة بصوتها الصافى ، « مستر بينبر هو الذى فعلها ، ثم جلست على المقعد المجاور لبيل وقالت ، « ظلت أدهم يغزون الجزء الخاص بى من الملعب ،

قالت بيل « هوراس ، شايك سيبرد . »

قدم إليه الشاي ، خادم يعمل بستانياً وسائساً وسائقاً ، وقد وضع مؤقتاً في سترة بيضاء يفوح منها رائحة المطاط المكسرت والنوشادر . وأخرجت مسرماندرز ذقنها من وراء الفنجان .



قالت . ه هوراس يجيد اللعب إلى أقصى حد . نعم إلى أقصى حد .  
لا يستطيع الرجال الآخرون أن يكونوا قرناء له . كنت محظوظة يا طفاق  
إذ كان شريكك .

قالت الفتاة ، ه نعم ياسيدتي . أظنه لن يغامر بمشاركتي  
مرة أخرى .

قالت مسن . مائرز بسرعة ، ه هراء . لقد استمتع هوراس باللعب  
معك . مع فتاة صغيرة نضيرة . ألم تلحظي هذا يا بيل ؟

لم تحر بيل جواباً وصبت الشاي لهوراس . وفي هذه اللحظة جاءت  
ابنتها عبر المرج في ثوبها الأصفر الفاقع . كانت عيناها كنجمتين ، أكثر  
نعومة ورقة من عيني غزال وألقت على هوراس نظرة سريعة لمساحة .

قال ه تابتينيا ، كيف حالك ؟

وأدارت بيل رأسها قليلاً ، رافعة إناء الشاي فوق الفنجان ، ووضع  
هاري فنجانه على المائدة ، وذهب ، وركع أمامها بركة واحدة ، وكأنه  
يتودد إلى جرو . وتقدمت الطفلة وما زالت ترقب هوراس بعينين مشغولتين  
وحياة رقيق ، وتركت أباها يحتضنها ويدلها بيديه القصيرتين الثقيلتين .

قال هاري ، ه حبيبة أبيها ، واستسلمت بسرور وهي ترى ثوبها  
الأنيق الصغير وهو يتجمد وإن بذات بعض المقاومة ، ثم انطلقت نظرتها  
اللامعة مرة أخرى . قالت بيل ، ه أختي ، لا تفسدي ثوبك ؟ ، وتحاشت  
الطفلة ذراعي أبيها بحركة رشيقة ، وسألها بيل ، ه وما الأمر الآن ؟  
لم كففت عن اللعب ؟

قالت الطفلة ، لاشيء ، أردت فقط أن أعود ه وجاءت ووقفت بحياء  
بحوار مقعد أمها .

قالت بيل ، د تحدثي إلى الجالسين . ألا تعلمين أنه يجب عليك أن تتكلمي إذا جئت إلى حيث يوجد من هم أكبر منك سناً ؟ ، وفعلت الطفلة ذلك ، خجلة ودون الوقوع في خطأ إذ حيتهم واحداً بعد الآخر وهي تدور عليهم ، واستدارت إليها أمها وسوت وربتت على شعر طفلتها المسترسل الناعم ، وقالت ، د والآن ، هيا اذهبي والعبي . لم ترغبين دائماً في التحويم حيثما يوجد البالغون ؟ أنت لا يهيك ما تفعله .

قال هاري د آه . دعها تبق ، إنها تريد أن تشهد أباهما وهوراس وهما يلعبان التنس .

قالت بيل مرة أخرى د هيا ، اجري ، وربتت عليها أخيراً د وعليك أن تحتفظي بثوبك نظيفاً .

قالت الطفلة د نعم يا سيدتي ، وأطاعتها واستدارت ، وألقت على هوراس نظرة أخرى لامعة سريعة ، ومضى يرقبها وهي مبتعدة ورأى راشل تفتح باب المطبخ ثم تتحدث إليها وهي تعبره ، ورآها تستدير إليها وتصعد الدرج إلى المطبخ . قالت مسر ماندرز د يا لها من طفلة مهيبة .

قالت بيل د لانهم من الصلابة حتى يتعذر عمل شيء معهم ، بها بعض خصال أبيها . هاري اشرب شايبك .

أخذ هاري الفنجان ممثلاً من على المائدة وامتنع محتوياته الدافئة إلى داخله ، وهو يحدث خبيحا بفمه ، وقال د حسناً ، والآن أيها الولد الكبير ، ما رأيك في مباراة زوجية ؟ هؤلاء العصافير يظنون أن في مقدورهم أن يهزمونا .

قالت بيل معترضة د فرائكي تريد أن تلعب مرة أخرى ، هاري ، دع الملعب للصبية قليلاً ، ولكن هاري كان مشغولاً بإخراج مضربه ، ثم توقف ورفع وجهه ذا الفك البارز وعينيه المغممتين اللطيفتين .

استجبت الفتاة بسرعة قائلة د لا ، لا ، أخذت كفايتي ، أفضل أن أتمرج قليلاً ،

قالت بيل : لا تكونى حمقاء . إنهما يستطيعان أن يلعبا فى أى وقت .  
هارى ، اطلب منهم أن يدعوها تلعب . .

قال هارى : بالتأكيد ، تستطيع السيدة الصغيرة أن تلعب ، هيا ، العبي  
ما تشائين ، ثم انحنى مرة أخرى وأعاد مضربه إلى غلافه المعقد ، وربط  
المسامير المحواة هنا وهناك وبدأ فى ظهره الضيق كما يبدو على أى صبي .

قالت الفتاة : مستر ميتشل أرجوك . .

قال هارى مرة أخرى : هيا ، اسمعوا أيها الفتيان ، ما رأيكم  
فى تنظيم مباراة مع السيدة الصغيرة ؟ .

قالت بيل للفتاة : لا يعنيك أمره . هو وهوراس يستطيعان اللعب  
فى أى وقت آخر وعلى أى حال سيتحتم عليه أن يكون اللاعب الرابع  
إذا لعب .

ووقف اللاعبان ينتظران متأدبين .

قال أحدهم : بالتأكيد . مستر هارى ، هيا ، أنا وفراانكى نلعبكما ،  
أنت وجو .

قال هارى مرة أخرى : هيا يا أولاد اذهبوا والعبوا مباراة ، لدى  
بعض عمل أتحدث فيه إلى هوراس ، اذهبوا جميعكم ، هيا ، وتغلب على  
احتجاجاتهم المهذبة ، وأخذوا الملعب ، ثم أدار رأسه إلى هوراس  
وفى إشارته معنى .

قالت بيل : اذهب معه ، الطفل ا ، ، ودون أن تنظر إليه ، دون  
أن تلمسه ، احتوته كله فى وعد خصيب ملتب ، وقد جلست مسر ماندرز  
عبر المائدة قبالتهم ، فضولية وذكية وباردة وفنجانها فى يدها ، قالت بيل  
: إلا إذا كنت ترغب فى اللعب مرة أخرى مع هذه الطفلة الحقا . .

قال هوراس مردداً : «حقاً ؟ إنها أصغر جداً من أن تكون حقاً دون أن تدري ، قالت له : اذهب وعد سريعاً - سرعانما ندرز وأنا سئمتنا بعضنا البعض .»

ومضى هوراس وراء مضيفه إلى البيت ، مضى وراء خطوه القصير المنزلق ، وصلعة رأسه التي لا تختفي أبداً . وجاء صوتي بيل الصغيرة منتظماً إليهما وهما يمران بالمطبخ وهي تروى شيئاً مما أثار عجبها في أثناء النهار ، يقطعها من لحظة إلى آخر لفظ ناعم مستفهم من راشيل . وفي الحمام ، أخرج هاري زجاجة من صوان ، ودخلت راشيل ، وقد سبقها إليهما وقع قدميهما الثقيلتين المجهدين على الدرج . كانت تحمل إليهما دورقا من الماء المثلج .

قالت وكأنها تستجوب هاري : « لم لا تذهبون جميعاً وتلعبون إذا كنتم تريدون ذلك ؟ لم تدعون هذه المرأة تعاملكم أتم وهذه الطفلة كما تفعل على أي حال ؟ أنت ، عليك أن تأخذها وتؤدبها بعضاً ، تدخل مطبخي في الساعة الرابعة عصراً وتعمل فيه يد الفوضى ، وأنت لا تقدم إلى شيئاً من المساعدة ، ثم قالت : أعطني قليلاً من الشراب يا مستر هاري أرجوك يا سيدي .»

ومدت يدها بكوبها ، وملاها لها هاري ، ومضت متثاقلة من الحجرة وسمعاها وهي تهبط الدرج ببطء وتثاقل على ردفها الهابطين . قال هاري : « ما كان في استطاعة بيل أن تمضي في حياتها دون راشيل ، ثم بلل كوبين بالماء المثلج ووضعهما في المغسل . إنها كثيرة الكلام ككل السود ، ثم صب في الكوبين ووضع الزجاجة ، إذ تستمع إليها تتخيل بيل وكأنها نوع من الحيوانات المتوحشة ، نمر ملعون أو شيء مامن هذا القليل ولكن بيل وأنا نفهم بعضنا البعض ، عليك - على أي حال - أن تتساها مع النساء لأنهن يختلفن عن الرجال ، خلقن بطريقة عكسية ، يشكون عندما لا ترضين ويشكون عندما تفعل ، وأضاف قليلاً من الماء إلى كوبه ، ثم قال فجأة دون

مبرر ، سأقتل الرجل الذي يحاول أن يحطم بيتي - كما الفعل بحية ملعونة .  
حسناً ، فلنأخذ كأساً أخرى أيها الولد الكبير ،

وسرعان ما أضاف القليل من الماء إلى كوبه الفارغة وازدردته أيضاً ،  
ثم عاد إلى مرارته الأولى .

، لا أستطيع أن ألعب على ملعبى الخاص الملعون . بيل تحضر كل هؤلاء  
الخلق الملعين كل يوم . لست أريد إلا لعباً أستطيع أن ألعب فيه  
كل أصيل زوجا من المباريات السريعة عند عودتى من العمل إلى البيت  
كفاتحة للشهية قبل العشاء . ولكن فى كل يوم ملعون أعود إلى البيت  
من العمل أجد عصاة من الفتيات الصغيرات والشبان الخشيين يستعملون  
ملعبى وكأنه ملعب عام فى حديقة ملعونة ، وشرب هو كأسه ببطء أكثر  
وأشعل هارى سيجارة ورعى بالثقاب على الأرض ، ومدد ساقه فوق  
المغسل . وقال ، أظنه يتحتم على أن أبني ملعباً آخر لاستعمال الخاص ،  
وأضع حوله سياجاً من الأسلاك الشائكة وأغلقه بقفل من طراز بيل ،  
حتى لا تستطيع بيل أن تدعو أصحابها إلى الطعام فيه ، هناك مساحة واسعة  
بحوار السياج . لا أشجار فيها أيضاً سائبة تحت الشمس الملعونة وأظن  
بيل ستسمع لى باستخدامه من حين إلى حين . حسناً ، ما رأيك فى أن  
تعود إليهم ؟ ،

ومضى أمامه عبر غرفة نومه ، وتوقف ليعرض على هوراس بندقية  
كثيرة الطلقات اشتراها حديثاً ، ويهديه علبة سجائر استوردها من أمريكا  
الجنوبية ، ثم نزلا وخرجا فى الساعة المتأخرة من الأصيل ، كانت الشمس  
أفقية عبر الملعب حيث كان ثلاثة من اللاعبين يحرون ويقفزون ، ووقع  
أحذيتهم المطاطية الناعمة السريعة ، يتبع ضربات الكرة المتتالية . وكانت  
مسز ماندروز فى مكانها بذقتها المزدوجة ، بالرغم من أنها كانت تتحدث  
عن اعتزامها الذهاب وأدارت بيل رأسها إلى الخلف ولكن هارى مضى  
ومن ورائه هوراس .

قال لمسر ماندروز بسخرية ثقيلة ، إننا ذاهبان لمشاهدة مكان نبقى عليه ملعب تنس وأظننى سألعب التنس أنا شخصيا . وكان الوقت قد تأخر أيضا عندما عاد . كانت مسر ماندروز قد ذهبت ، وجلست بيل وحيدة تقرأ مجلة . وقد جاء إلى الفتاة فرانكى شاب بسيارة فورد مضعضعة ، ولكن شابا آخر جاء أيضا ، وعندما جاء هوراس وهارى ، نزاحم الثلاثة بأدب على هارى وهم يدعونه لمشاركتهم فى اللعب .

قال هارى ، وقد بان عليه السرور الواضح ، « خذوا هوراس . سيعطيكم ما يعرض عليكم نقودكم . ولكن هوراس رفض معتذرا ، ومضى الثلاثة يلحون على هارى .

قال حاسما الأمر ، « دعونى إذن أحضر مضربى ، ، وتنبع هوراس وقع الأقدام الكثيرة خلفه عبر الملعب . ثم ألقت بيل نظرة سريعة وقالت :  
« هل وجدتم مكانا ؟ »

قال هارى ، وهو يخرج مضربه مرة أخرى ، نعم ، حيث أستطيع أنا أن ألعب أحيانا . مكان بعيد جداً من الشارع بحيث لا يستطيع أن يراه أى مار ، ثم يتوقف ، ولكن بيل كانت قد استأنفت القراءة من جديد . فك هارى المسامير من حول المضرب وأخرجه .

قال لهوراس ، سألعب مباراة واحدة ، وأنت وأنا نستطيع أن نلعب مباراة سريعة قبل الغروب ، .

قال هوراس « نعم ، وجلس يرقب هارى وهو يمضى متثاقلا إلى الملعب رياخذ مكانه ، وراقب الرمية الأولى للكرة . ثم طقطقت مجلة بيل وانصفت بالمائدة . قالت ، « هى تقف ، تعال ، ووقف هوراس وسبقته بيل وعبرا المرج ودخلا البيت ، كانت راشل تتجول فى المطبخ ومضيا عبرا البيت ، حيث أصبحت كل الضوضاء بعيدة ، والتمت قطع الأثاث فى دعة ، وقد زالت ملاحظها فى أضواء الغروب المحتضرة . وانزلت يد بيل إلى يده .

وقبضت عليها وضغطت بها فأنفذا الحريري ، ومضت به عبر بهو معتم إلى  
غرفة موسيقاها . كان الهدوء مخيا على هذه الغرفة أيضا ، وكانت خالية  
ثم توقفت قبالة في نصف استدارة ، وتبادلا القبل ولكنها ابتعدت  
سريعا ، وتحركت مرة أخرى ، وسحب مقعد البيانو من تحته ، وجلسا عليه  
معا متواجهين وتبادلا القبل مرة أخرى . قالت وهي تلمس وجهه وفوضى  
شعره الجميل بأطراف أناملها ، أنت لم تقل لي أنا أحبك ، منذ وقت  
طويل ،

قال هوراس مؤيدا ، نعم منذ أمس ، وقال لها . وهي تنحدر بصدورها  
عليه وتنصت إليه ، بنوع ما من الشرود المبهور ، وكأنها قطرة هائلة  
ساكنة ، ولكنه إذ انتهى ومضى يتحسس وجهها وشعرها بيديه الرقيقتين  
المتوحشتين ، انزعجت صدرها من عليه ، وفتحت اليانوس ولمست المفاتيح  
وعزفت الحانا عاطفية سرورية ، من الذاكرة ، ومن النوع الرائج حينئذ الذي  
قد تسمعه في أي مسرح هزلي ، عزفتها بمهارة سطحية وبإحساس مرهف  
لما تتضمنه من عذوبة مبالغ فيها . وقد ظلّا هكذا جالسين برهة بينما غاض  
النور ، وبيل في فراغ آخر وقي من الضجر إذ اصطنعت لنفسها عالما  
تتجول فيه حاملة رائعة وبلسة خفيفة من الأسي . وهوراس جالس بجوارها  
يرقبها في دور المأساة الذي فرضته على نفسها ، ويرقب نفسه وهو يلعب  
دوره كالممثل العجوز الذي رق شعر رأسه ، وبان قطاع وجهه العجوز  
عبر ذقنه ، ولكنه يستطيع أن يؤدي أي دور عند أية إشارة ،  
بينما يجلس الرجال الأصغر سنا في الأجنحة وهم يعضون على أصابعهم  
غيطا .

ثم قاض وقع أقدام هاري الثقيلة على الدرج إذ كان يصعده ، وضجيج  
صوته الغليظ الذي لا يمكن تمييز كلماته ، حيث كان يمضي بشخص آخر  
من الدرج الخلفي إلى حمامه . توقفت بيل عن العزف ومالت لآيه وقبلته  
مرة أخرى ، وتعلقت به وهي تقول ، هذا لا يحتمل ، ثم ابتعدت عنه

واللحظة قصيرة ظلت تقاوم وهي بين ذراعيه ثم اندفعت يدها بعنف هائل على مفاتيح البيانو ، ومرقتا خلال شعر هوارس وهبطتا على وجنتيه وهي تضغط بقوة ؛ ثم ابتعدت مرة أخرى ، ، والآن اجلس هناك . .

وقد أطاع . وهي على مقعد البيانو جالسة في ضوء ظليل . لقد أصبحت في لحظة الغسق . ولم يكن يرى سوى خط رأسها المخني وظهرها ، الساكن الحزين . فأعاد ذلك إلى نفسه إحساسه بالشباب . وجالت برأس هوارس أفكار . نحن نحاول دائما أن نسابق أنفسنا ، كمجائز النسوة المتشككات ، إذ يتجسسن على الخدم . لا ، قضية يحاولون سبق استعراض . قال ، يوجد الطلاق دائما .

، لن أتزوج مرة أخرى ؟ ، وانطلقت يدها إلى الأوتار ثم دججتها جميعها ومضت بها إلى وتر وحيد . وفوق رؤوسهم كان هاري يمشي بخطوة الثقيل المفاجيء ، فيرج البيت ، ستكون زوجا لا يحتمل .

قال هوارس ، ، لن أكونه طالما ظلت غير متزوج .

قالت ، ، تعال هنا ، وذهب إليها ، وفي عتمة الغروب أصبحت مرة أخرى ، حزينة وصغيرة ومؤلفة مع شعور لحوح بالضياح . أما هو فقد عرف مدى خصوبة العالم بالآلم ، والزمن الذي يحاول ، آملا ، أن يخدع نفسه عن حقيقته . قالت ، ، هوارس ، أريد أن أحمل طفلك ، ثم جاء طفلها هي ، عبر الباب . جاءت الطفلة ووقفت في استحياء بالباب .

واللحظة قصيرة كانت بيل حيونا اضطرب وحن خوفا . اندفعت مبتعدة عنه في حركة مجنونة دوامة ، وانقضت يدها على مفاتيح البيانو في اللحظة التي تمكنت فيها من السيطرة على محاولتها الغريزية العنيفة للغروب تلك المحاولة التي تركت في لحظة الغروب إحساسا عدوانيا مجنونا يشوبه دافع وقائي ويفيض في موجات متراكمة ، موجهة إلى هوارس أيضا .



قال هوراس ، ، تابتينيا ، تعالى ،

وقفت الفتاة الصغيرة ، حية في الظل . قالت بيل هوراس في صوت حاد واضح كالفحيح ، ، حسنا ماذا تريد ؟ اجلس هناك ، ثم قالت للطفلة ، ، بيل ، ماذا تريد ؟ ، وانسحب هوراس قليلا ولكنه لم يقف .

قال ، ، عندي حكاية جديدة سأرويها لك حالا ، ولكن بيل الصغيرة ظلت مكانها وكأنها لم تسمع ما قاله ، قالت أمها .

، بيل اذهبي والعبي . . لم عدت إلى البيت ؟ لم تكن ساعة العشاء بعد ،

قالت ، ، ذهب الجميع إلى بيوتهم . ليس ثمة من أَلعب معه ،

قالت بيل ، ، إذن اذهبي إلى المطبخ وتكلمي مع راشل ، وضربت مفاتيح البيانو بعنف مرة أخرى ، ، أنت تزعجيني إلى درجة الموت ، وأنت تتجراين هكذا حول البيت ، وظلت الفتاة الصغيرة واقفة برهة أيضا ، ثم أطاعتها فاستدارت وذهبت .

قالت بيل مرة أخرى ، ، اجلس هناك ، واستعداد هوراس مكانه ، وعزفت بيل أيضا ، بصوت مرتفع وبسرعة ، وبحذق هستيري بارد ، ومن فوق رؤوسهم مضى خطو هاري الثقيل عبر الغرفة ثم نزلوا الدرج وما زال هاري يتكلم ، ومضت الأصوات نحو خلفية البيت ، وتوقفت وظلت بيل تعزف ، ومن حوله ولا تزال في الغرفة المتعائمة ذلك الإحساس العدواني الواقي الأعمى كأنقباضة عضل ظلت مكانها بعد أن زال باعث الخوف . قالت دون أن تدبر إليه رأسها ، هل ستبقى لتناول العشاء معنا؟

قال لها وهو يتيقظ فجأة إنه لن يفعل لم تقف معه ولم تدبر إليه رأسها وخرج من الباب الأمامي إلى ساعة الخسق الربيعية المتأخرة ، لقد ظهرت بالفعل نجمة باهتة فوق الأشجار الساكنة بلا رياح . وعلى الممر ، وبالضبط أمام الجاراج . كانت سيارة هاري الجديدة . تنتظر وفي هذه اللحظة كان يفعل شيئا بآلتها ، بينما أمسك خادم البيت والفناء

والإسطبل بمصباح طواريء فوق رأسه التي تشبه الصخرة البارزة ، وكانت ابنته وراشل تمسكان بأدوات أو أجزاء مخلوعة من أجهزة السيارة وقد انحنيا بوجهيهما غير المتشابهين من وراء ظهره إلى ضوء المصباح الأزرق الناعم ، ومضى هوارس إلى بيته . حل الغسق ، ثم المساء بسرعة . وقبل أن يصل إلى ركن الشارع حيث يستدير ، شعشت مصابيح الشارع ثم انطفأت ، ثم توهجت فوق مقاطع الطريق تحت الأشجار المتعانقة .

- ٣ -

كانت أمسية الحفل الموسيقي التي تعزف فيه بيل الصغيرة واللحظة الفاصلة في سنتها الدراسية الموسيقية . وطوال الأمسية كلها لم تنظر إليه بيل ، ولم تخاطبه بكلمة واحدة ، ولا في لحظة زحام الضيوف المنصرفين عند الباب ، ولا عند ما كان هاري يحاول إغراءه على الصعود إلى الطابق العلوي لأخذ كأس ، وقد أحس بها بجواره لحظة ، وعقب رائحة العطر الثقيل الذي تستعمله . إلا أنها لم تقل له ، حتى في تلك اللحظة كلبة واحدة ثم تخلص أخيراً من هاوى ، وانغلق الباب على صلعة هاري اللامعة الكروية وبيل الصغيرة ، واستدار هوراس إلى الظلام ، ولم يجد نارسيسا في انتظاره . كانت في منتصف الطريق إلى الشارع .

قال لها منادياً إن كنت ذاهبة في طريقى ، فسأصحبك ، ولم تحر جواباً ولم تبطء خطواتها ولا أسرعت أيضاً عند ما لحق بها .

قال : ولم يحتمل البالغون كل هذا الجهد ليضطروا الأطفال لعمل أشياء سخيفة ، ماذا تظنين السبب ؟ ، كان لدى بيل ملء يديها من الناس الذين لا يهمها أمرهم في شيء ، وأغلبهم لا يرضى عنها ، وأبقت بيل الصغيرة في الحفل ثلاث ساعات بعد موعد نومها . والنتيجة هي ، أن توترت أعصاب هاري ، وبيل في حال مزاجية سيئة ولا تستطيع بيل الصغيرة أن تذهب إلى فراشها من فرط الاستثارة ، وأنت وأنا نتمنى لو كنا في بيتنا ونأسف لأننا لم نبق فيه .

سأله نارسيسا ، « إذن لماذا تذهب هناك ؟ » ولجأه ألجم هوراس ،  
ومضيا معا في عتمة الليل . متجهين نحو نور المصباح التالى ، وقد تدلت  
من حوله أغصان الشجر وكأنها صخور مرجانية سوداء في بحر أصفر .  
قال هوراس ، « أوه ، ثم » رأيت تلك القطعة العجوز إذ كانت  
تحدث إليك .

« ولم تصف مسر ماندرز بالقطعة العجوز ؟ لأنها قالت لى شيئا يعنينى ،  
ويبدوان كل شخص آخر يعرفه بالفعل ؟ » .  
« إذن هى التى قالت لك ، أليس كذلك ؟ كنت أتساءل . . . ودس  
ذراعه تحت ذراعها الخامد . » عزيزتى نارسى العجوز ، . وعبرا الظل  
المبرقش تحت نور المصباح ومضيا معا إلى الظلال مرة أخرى .  
سأله : هل هذا صحيح ؟

قال : « أنت تنسين أن الكذب ، ليس إلا صراعا فى سبيل البقاء  
إنه أسلوب الإنسان الهزيل فى جرجرة الأشياء . من حوله لتتفق مع الصورة  
التي رسمها لنفسه مقدما ك مخلوق فى هذه الأرض . وهذا هو انتقامه من  
الآلهة الشريرة . .

سأله بإصرار ، هل هذا صحيح ؟ ، ومضيا معا ، ذراعا فى ذراع ، هى  
تنتظر بجدية وإصرار ، وهو يشكل العبارات فى رأسه وينبذها ، وقد  
وجد الوقت الذى يتسلى فيه بعجزه الغريب أمام إصرارها .

قال وقد بدا لهم على وجهه « الناس لا يكذبون عادة عن الأشياء  
التي لا تعنيهم . إنهم جامدون تجاه العالم ، حتى إذا لم يكونوا كذلك تجاه  
الحياة . ولكن ليس عندما يكون الواقع أشد إثارة بكثير من كل  
ما تستطيعه أخيلتهم ، وأخذت ذراعها من ذراعه حاسمة الأمر .  
« نارسى . . .

قالت : « لا تفعل . لا تقل لى هذا ، وكان الركن الأخير من الشارع ،  
المضى . بنور المصباح ، هو ركن يديهما ، إذ يدوران هـ . ومن فوق

نفق الشارع المحذب ، كانت الآلهة الشريرة تطلع بأعين باهتة لا تطرف وزج هوراس يده في جيب سترته ، وقد أسكت لحظة بيننا مضت أصابعه تتحقق من الشيء غير العادى الذى وجدته في جيبه . ثم أخرجه ، قطعة من ورق الكتابة الثقيل ، وقد طبقت مثنى . وشبعت بعطر ثقيل ذاور . كان عطراً ما أثار حيرته في تلك اللحظة ، وكأنه وجه يرقبه من فوق رسم على نسيج معلق على حائط . وكان يعرف أن الوجه سيطفو بعد لحظة ، ومضى يستطلعه . عبر مفاوزتيه ، إلا أن أخته تكلمت فجأة وبقسوة وهى بجواره .

رائحتها تفطيك من قمة رأسك إلى أخمص قدميك . . أوه ، هورى ، إنها قدرة ، أ

قال بتماسة : . أنا أعرف . أنا أعرف . .

كانت الأيام قد تقدمت كثيراً في يونيو ، وقد انساب عطر الياسمين الذى نقلته مس جينى إلى حديقتهما ، بانتظام إلى البيت ، وملاؤه بأفواج رتيبة متراكة ، كأنها أصداء وأنغام متخافتة من آلات كان كبيرة . لقد غاضت الزهور المبكرة ، وانتهت الطيور من أكل ثمار الفراولة ، ومضت تقطع النهار كله جالسة في شجيرات التين ، تنتظر لحظة نضجه ، وقد تفتحت زهور الزينيا والديلفنيم دون أية مساعدة من إيزوم . ولما كان كازي قد عاد إلى حد ما إلى حالته الطبيعية ، ولم يكن الوقت قد أزف للراحة فقد كان من الميسور أن يوجد إيزوم على الجانب الظليل من سياج أشجار الحناء ، الممتد على طول الحديقة ، وهو يشذبها ويقطع الأوراق ، ورقة ورقة من غصن ما بمقص من مقصات البغال ، ويظل في ذلك حتى تعود مس جينى إلى البيت ، ثم يمضى هو ليستلقى على جانب الجدول ، وقد وضع قبعته على وجهه ، وقصبة صيده بين أصابع قدميه ، حتى تنقضى ساعات الأصيل . وقد مضى سيمون يتسكع حول البيت وفيه روح المشاكسة . ومضت قبعته المرتفعة ومطقه التيلي يجمعان الأتربة وعصافه التين ، وهما معلقان على مسبار في غرفة معدات الخيل ، وازدادت الخيل

وهي في مراعيها ، شعما وكسلا روقاحة . كانت القبة والمعطف - نزلان من فوق المسار ، وتسرج الخيل إلى العربة ، ولكن مرة واحدة في الأسبوع . . في أيام الأحاد للذهاب إلى الكنيسة في البلدة . قالت مس جيني إن السن قد تقدمت بها إلى الدرجة التي لا تسمح لها بالمخاطرة بحقها في الغفران بالذهاب إلى الكنيسة بسرعة خمسين ميلا في الساعة ، وإن عليها من الذنوب ، بقدر ما يستطيع سلوكها العادي أن يتحمل تبعته وخاصة وإن عليها ، بطريقة ما أن تأخذ روح بايار المعجوز أيضا إلى الجنة ، وهو الذي يطوى الريف كاللجنون ، كل أصيل في السيارة مع بايارد الصغير معرضا عنقها للخطر المحقق .

أما عن روح بايارد الصغير فلم تزعج مس جيني نفسها على الإطلاق إذ لم يكن له ثمة روح . وقد أخذ يتجول في المزرعة على حصانه ، حاضا المستأجرين الزنوج بطريقة الباردة على العمل وكان ينتهي وهو في سروال من الكاكي كلف دولاران ، وحملاء للحقل كلف أكثر من أربعة عشر جنيا ، آلات الزراعة ، وبالجرار الذي أغرى بايار المعجوز على شرائه ، لقد أصبح الآن إنسانا متحضرا مرة أخرى أو كاد ، كان الآن يتردد فقط من حين إلى حين على البلدة وغالبا ما كان ذلك على صهوة حصانه .

وكانت حصيلة الأمر ، أن أصبحت أيامه بريئة مشرة إلى الدرجة التي جعلت عمته وجده يعانيان بعصبية إحساسا بالتوقع والمفاجأة .

قالت مس جيني لنارسيديا في اليوم الذي خرجت فيه من البيت مرة أخرى ، « اذكرى كمأني جيدا . إنه يخزن الإثم ، الذي سينفجر كله مرة واحدة يوما ما وحينئذ سيدفع الثمن غاليا ، الله يعلم ماذا سيكون - ربما يأخذ هو وإيزوم سيارته والجرار ، ويدخلان في سباق حواجز . ما السبب في زيارتك ؟ هل واصلت خطاب آخر ؟ »

قالت ناسيديا بمرح ، « وصلني عدة خطابات ، إنني أحتفظ بها حتى

أجمع منها ما يكتفى للكتاب . ثم أحضرها لك جميعها لتقرأها ، ، وقد جلست مس جيني قبالتها منتصبه الظهر كجندى من جنود الحرس ، بهذا الاحتدام الحاسم الذى كان يجعل التجار والفرباء يتعشرون فى تحقيق أغراضهم ، وصور الفشل مرسومة فى أخيلتهم قبل أن يبدؤوا . وقد جلست الضيفة ساكنة ، وقبعتها الخوصية الرقيقة على ركبتيها . قالت : « جئت لمجرد رؤيتك ، وفى لحظة خاطفة فاض بوجهها يأس جاد عميق ، الأمر الذى جعل مس جيني تشد صرامة فى جلستها ، وتنفذ بعينها الحارقين الرماديتين إلى أعماق ضيفتها

« طفلى ، ما الأمر ؟ هل اقتحم عليك الرجل بيتك ؟ »

« لا . لا ، واختفت النظرة ، ولكن مس جيني مضت ترقبها بتلكما العيين الحادتين العجوزين ، كانتا تريان - فيما يبدو - أكثر بكثير مما تتصور .. وما تمنى ، « هل أعزف قليلا ؟ مضى وقت طويل منذ أن عزفت ، أليس كذلك ؟ »

قالت مس جيني ، « حسنا إذا كنت ترغبين ، . كان ثمة غبار على البيانو . وقد مسحته نارسيسا بحركة لطيفة . وقالت : « إذا سمحت لى بالحصول على قطعة من قماش ... »

قالت مس جيني « الآن دعيني ، والتقطت طرف ثوبها ، ومسحت لوحة المفاتيح بقوة « هيا هذا يكتفى . » ثم سحبت مقعدها من وراء الآلة وجلست ، إلا أنها ظلت ترقب جانب وجه الأخرى ، مقدرة ما وراءه ، ومشغولة إلى حد ما بمعرفة . ولكن سرعان ما استشارت الأنعام القديمة ذكرياتها مرة أخرى ، وفى لحظات رقت نظراتها ونسيت الأخرى ، والمتاعب التى طفت على وجهها برهة ، افتقدت كلها مكانها فى أيام مس جيني المقهورة الميتة التى تحياها ، ومضى بعض الوقت قبل أن تلاحظ أن نارسيسا كانت تبكى بهدوء وهى تهزف .

مالك مس جيني إلى الأمام ولمست ذراعها ، وقالت لها أمرة ، والآن  
قولي لي ما الأمر ، وقالت لها نارسيسا ، وهي ماضية في البكاء بهدوء ،  
في صوتها الجاد الأثوي الدافئ .

قالت مس جيني ، أوف ، هذا ما ينتظر من رجل ليس لديه ما يفعله  
أكثر من هوراس . أنا لأجد سيبا يدعوك للقلق إلى هذا الحد .

قالت نارسيسا وهي تنوح فجأة كفتاة صغيرة وهي تغطي وجهها  
بكفيها ، ولكن هذه المرأة . إنها قادرة جدا .

وأخرجت مس جيني منديل رجل من جيب ثوبها وأعطته للآخرى  
ماذ تعنين ؟ ألا تفعل بما فيه الكفاية ؟ ،

ليس هذا ما أعنيه . أنا أقصد .. أنها .. أنها .. ثم استدارت  
نارسيسا فجأة ووضعت رأسها على البيانو .

قالت مس جيني ، د أو . كل النساء هكذا . إذا كان هذا هو  
ما تقصدينه ، وظلت في جلستها الجافة التي لا تقهر ، تتأمل كتنى الأخرى  
المنكشيتين ، د أوف . قضى هوراس كثيراً جداً الوقت وهو يتعلم إلى  
الدرجة التي لم يتعلم معها شيئاً . لم لم تكشف لي الأمر في الوقت المناسب  
ألم تتوقعي حدوث هذا ؟ ،

وبكت الأخرى ولكن بهدوء أكثر الآن . ثم اعتدلت في جلستها  
وجففت عينيها في منديل مس جيني ، د لقد بدأ قبل أن يرحل .  
ألا تذكرين ؟ ،

د هذا صحيح . أنا أذكر فعلاً شيئاً مامن ثروة نسوة ، من الذي  
قال لك على أي حال ؟ هوراس ؟

د مسر ماندرز فعلت . ثم قال لي هوراس إلا أنني لم أتصور قط أنه  
قد ... ماتصورت أبداً ... ، وهبطت رأسها مرة أخرى على البيانو

واختفت بين ذراعيها وقالت وهي تنوح ، ، لم أكن لأعامل هوراس بهذا الأسلوب .

، سارة ماندرز هي التي قالت لك . كان في إمكانى أن أعرف ... أنا أعجب بالشخصية القوية حتى وإن كانت سيئة ، ، ثم وقفت فجأة وقالت ، حسنا ، لن يساعدك البسكاه في شيء . فكرى فيما ينبغي أن تفعله إزاء الأمر . إلا أنني كنت أتركه يمضى فيه ، سيفيد منه إذا ما انقلبت عليه وجعلت منه موطئا لنعالها ... من السيء جداً أن يفقد هارى أخيه لكى ... إلا أنه سيسر بهذا ، أنا أعلم أن هذا ما كنت سأفعله ... كفى . كفى ، ثم قالت عندما بدى على الأخرى القلق ولا أحسب هارى سيؤذيه . والآن ، جفنى وجهك . والأفضل أن تذهبي إلى الحمام . سيكون بايارد هنا حالا . وأنت لا تريد أن تدعيه يرى أنك كنت تبكين ، أليس كذلك ؟ ، وألقت نارسيسا نظرة سريعة على الباب وربتت على وجهها بمنديل مس جينى

وكان يحضر ويبحث عنها في البيت ، ويمضى في الممر ويهبط إلى المرج في الأسفل المشمس إلى حيث تجلس تحت شجرة البلوط في أثوابها البيضاء التي يحبها ، إلى حيث كان يتردد كل أصيل ببغاء ليغنى ، ليروى عليها آخر مغامرة له في نفخ الزجاج . لقد أصبح لديه خمس ألوان في ألوان مختلفة ، وكلها تسكاد ألا تكون بلا عيب ، ولكل منها اسم .

وكان عندما ينتهى منها ، وبينما هي لم تسكد تبرد ، كان يتحتم عليه أن يحملها عبر المرج ، إلى حيث كانت تجلس مع كتاب ، أو مع ضيفة تأخذها الدهشة ربما - في ملابسه الملطخة المضطربة ، ويديه المغلفتين بالصناج ، حيث تستقر آنية الزهور نائمة هشة - كأنها فقاعة ، وبوجهه المسود بالدخان أيضا الذى يرتسم عليه أثر من جنون ، وعاطفة جياشة ورقة وتكشف

ومضى زمن كانت الأرض تحملهم فيه في هوة من الممكن أن تسمى



قذاعة . . كان يتيقظ مع شروق الشمس ليزرع الأشياء في الأرض ويرقيها وهي تنمو ويرعاها ، وكان يسب السود والبغال ويدفعهم للحركة ، ويحتفظ بهم في حركة ، وأعاد إلى مطحن الفلال حياة العمل ، وعلم كازبي قيادة الجرار ، وكان يحضر ساعة تناول الطعام ، وفي المساء تفوح منه رائحة زيت الآلات والأسطبلات والأرض ، ثم يذهب إلى فراشه بمضلات مقطرة للجميل ، ويبقاعات الأرض الرزينة تتردد في جسمه ، وهكذا ينام ، إلا أنه كان يستيقظ في سلام غرفته المظلمة ودون نذير سابق ، متواتراً يتصبب بهرق رعب قديم وفي هذه اللحظات ، كان العالم يضطجع بعيداً عنه . بعيداً عن حيوان وقع في مصيدة . وهو في أعالي السماء الزرقاء وقد أخذه جنون الرغبة في الحياة . لقد وقع في نفس الشباك الماكرة التي خدعته ، ذلك ، الذي تحدى القدر كثيراً جداً ومرة ثانية تمنى أنه لو سقط إلى أعلى إذا وجدت الرصاصة طريقها إليه . لو انفجر في السماء ، في أي مكان ماعداً الأرض . ليس الموت ، لا ، إنه التفجر الذي كان عليك أن تعبره مرات كثيرة قبل أن تصطدم . هو الشيء الذي ملأ فكك بالقي .

ولكن أياه كانت مليئة على الأقل واكتشف الكبرياء مرة أخرى . أما الآن .. فكان يمضي بسيارته إلى البلدة ليحضر جده بحكم العادة وحدها ، ورغم أنه كان يعتبر ، وما يزال ، سرعة خمسة وأربعين ميلاً في الساعة هي سرعة السفر العادي بالسيارة ، إلا أنه لم يعد يستخلص شيئاً من المتعة الشيطانية في الدوران بالسيارة ، عند المنحدرات على عجلتين ، ولا في فصل البغال عن العربات بصدم دعائمها بحاجز سيارته وهو مار . وقد ظل بايارد العجوز يصر على اصطحابه في السيارة ، إذا كان عليه أن يركبها ، ولكن باطمئنان أكثر ومرة تحدث إلى مس جيني عن اعتقاده المتزايد أن بايارد الصغير لم يعد يرغب في تدمير نفسه بطريقة عنيفة .

أما مس جيني فقد كانت امرأة صادقة التفاؤل بطبيعتها ، أي أنها كانت تتوقع دائماً وفي كل وقت أسوأ الأشياء ، ولذا فقد كانت تلتقي كل يوم بالمفاجآت السريعة . وقد أخرجت بايارد العجوز من وهمه عن حفيده .

وفي أثناء ذلك أرغمت بايارد الصغير على شرب الكثير من اللبن. وأشرفت على طعامه وساعات يومه بطريقة العسكرية ، وأحيانا ، كانت تدخل غرفة نومه في الليل وتجلس لحظات بجوار فراشه وهو نائم .

ورغم كل شيء ، فقد تحسنت طرق بايارد الصغير . ودون أن يحس بتطور الأمر ، غرق في رتابة من الأيام ، ووقع في مصيدة من أنماط متكررة من النشاط ، ألفتها عضلاته إلى الدرجة التي استطاع معها جسمه أن يمضي اليوم كله دون عون منه على الإطلاق . لقد اصطادته الأرض بحيلها الدقيقة ، وهي دليلة العجز ، فلم يدرك أن خصلات شعره قد اجتثت ، لم يدرك أن مس جيني وبايارد العجز قد أخذت يتساءلان منذ زمن كم سيمضي من الوقت قبل أن تستطيل مرة أخرى .. وقد فكرت مس جيني ، أنه يحتاج إلى زوجة ، ربما لاستطيل خصلاته حينئذ . يحتاج لامرأة صغيرة تحمل معه همه . وقالت لنفسها ، « بايارد عجوز جدا وأنا لدى الكثير جدا لأعله ، لكي أجد وقتا أشغل فيه بالشيطان الطويل ، »

ومن حين إلى حين ، كان يرى نارسيسا في البيت ، وأحيانا على المائدة ، وكان يحس بنفورها منه ، وإحجامها عنه ، وأحيانا ، كانت مس جيني ترقبهما وهي في مقعدها بنوع ما من التوقيع والغيظ ، وكل منهما يتظاهر بعدم إحساسه بوجود الآخر ، « إنه يعاملها كما يعامل كلب دورقا من البلور ، وهي تنظر إليه كما ينظر دورق من البلور إلى كلب ، »

ثم مضى موسم البذر وجاء الصيف ، ووجد نفسه بلا شيء يعمل . كان الأمر بالنسبة له كمن أفاق من النوم فجأة مضطرب الوعي والحس ، من الوديان الدافئة المشمسة ، حيث يعيش الناس ، إلى بقاع بلقع تشمخ فيها قمم باردة من اليأس الوحشي ، فوق الوديان المفقودة بين نجوم سوداء متوحشة .

انحدر الطريق في قوس ناعم أحمر بين أشجار صنوبر تلاطمت داخلها

رياح يوليو الساخنة محدثة صوتا ، كأنه صوت قطارات بعيدة ماضية .  
ثم هبط بعد ذلك إلى كتلة من الصفصاف أقل خضرة ، حيث كان يمر  
مجرى من الماء تحت جسر من الحجر . وعند قمة المنحدر توقفت البغال  
الفرعة أرنبية الشكل ، ونزل الزنجى الأصفر وأخذ من العربية غصنا من  
البلوط الأبيض قلبت أوراقه ، واحتجز العجلة الخلفية بأن زج الغصن بين  
العجلة المتماكة والمدعمة بلفات من السلك وبين محورها . ثم تسلق المنحدر  
مرة أخرى إلى العربية الغربية ، حيث كان يجلس الزنجى الآخر في جود تام ،  
وأعنة البغال المصنوعة من الحبال المفتولة بين يديه ورأسه متجهة إلى  
مجرى الماء . سأل : ماذا كان هذا ؟ .

وسأل الآخر ، : ماذا كان ماذا ؟ . وقد جلس والده ، ينصت في  
سكون تام ، كما أنصت الزنجى الأصفر . إلا أنه لم يكن ثمة صوت آخر ،  
عدا زفيف الريح الطويل بين أشجار الصنوبر الوقورة ، وصفير منسال من  
طائر سمان في مكان ما من بين قلاعها الخضراء . قال ، : بابا ، هل تسمع  
شيئا ؟ .

قال وقد حرك الأعنة فجأة ، : شيء ما تحطم هناك . شجرة سقطت ،  
ربما ، ، ثم هتف بالبغال ، : ووب ، يابغال . ، وهزت البغال آذانها  
التي تشبه آذان ذكور الأرانب ، ونقلت العربية إلى الحركة ، ومضوا تحت  
الظلال الرطبة المبرقشة ، وصوت احتكاك العجلة المثبتة يصحبهم ، ومن  
ورائهم أثرها على الطريق ، شريط براق يميل إلى الزرقة على تراب الطريق الأحمر  
الناعم . وعند قاعدة التل اخترق الطريق الجسر الحجري ، وتصاعد مرة  
أخرى ، ومن تحت الجسر تلالا الماء وتماوج بلون بني بين أشجار  
الصفصاف ، وبجوار الجسر المعبر استلقت سيارة في المياه مقلوبة على ظهرها .  
وما زالت عجلاؤها الأمامية تدور ، وآلتها تعمل بسرعة قليلة ويتقاطر منها  
دفعات شاحبة من غازات العادم . ومضى الزنجى الأكبر إلى الجسر ثم  
توقف ، وظلا جالسين يتطلعان بمحمود إلى بطن السيارة المستطيل ثم تسكلم  
الزنجى الأصفر فجأة .

« إنه هناك إنه في الماء تحتها . أستطيع أن أرى قدميه خارجها . »

قال الآخر ، وقد بدا عليه الاهتمام والفضيق معاً ، « إنه معرض للموت غرقاً هناك . » ثم هبط من العربة . وانحدر الزنجي الأصفر إلى المجرى ، ولف الآخر الأعنة ببطء حول إحدى الدعام التي تثبت جسم العربة إلى هيكلها وزج ثمار الجوز المقشرة المنبهة تحت المقعد ، ودار حول العربة وسحب القضيب من العجلة المحتجزة ووضع في العربة ، ثم نزل بحذر إلى شاطئ المجرى حيث كان يجلس ابنه ، محملاً في ساقى بإيارد الخفيفتين تحت الماء .

قال أمرا ، « إياك أن تقترب كثيراً من هذا الشيء يا ولد . قد ينفجر . مازال دائراً ألا تسمعه ؟ »

قال الأصفر ، « علينا أن نخرج هذا الرجل منها . سيفرق . »

« لا تلمسه . سيقول البيض إننا فعلناها . سنتظر حيث نحن الآن حتى يمر بنا شخص أبيض . »

قال الآخر « سيفرق قبل هذا . وهو مستلق في هذا الماء . وكان حافياً وخطأ إلى الماء ثم توقف مرة أخرى وموجات صغيرة بنية من الماء تنبع وتلتصع حول ساقيه النحيفتين السوداوين . »

قال الأب ، « أنت جون هنرى ! تعال هنا بعيداً عن هذا الشيء . »

قال الولد مرة أخرى ، « علينا أن نخرجه من هناك . ومضى الاثنان ، أحدهما في الماء والآخر على الشاطئ يتجادلان بود وهدوء بينما كان الماء يتلألأ حول طرفي حذاء إيارد . ثم تقدم الزنجي الأصفر بحذر وأمسك قدم إيارد وشدها . وقد استجاب الجسم وتحرك ثم نهد مرة أخرى ، أما الزنجي الأكبر سناً فقد ظل جالساً وهو يغمغم بعداء ، وخلع حذاءيه

وخطا إلى الماء أيضا ، قال جون هنرى ، وهو جالس فى الماء وذراعا  
تحت السيارة ، « ثمة شىء يعترض جسمه . إنه محجوز تحت عجلة القيادة ،  
ولكن رأسه ليست مغمورة تماما تحت الماء . دعنى أحصل على العمود  
الحشى . »

ثم صعد إلى حيث كانت العربى وأحضر الساق منها ، وعاد إلى حيث  
كان أبوه يقف ، ويتملى من ساقى بايارد وبه شعور من الاستمجان  
والدهشة الوقورة ، وبمعوثة الساق رفعها السيارة بما يكفى لسحب بايارد  
من تحتها . رفعاه إلى الشاطئ حيث تمدد فى ضوء الشمس بوجهه المادى .  
المبال وشعره الملبد ، وأخذ الماء يتقاطر من خذاهيه ، وقد وقفا من  
حواله يبدلان قدما بعد قدم ، وهما يعنصران الماء من ملابسهما .

قال الأكبر سنا أخيراً « إنه ابن كولوفيل سارتورس ، أليس كذلك ؟ »  
وجلس على الرمال بصعوبة ، وهو يتأوه ويزوم ، وارتدى خذاهيه .

أجاب الآخر . « نعم ياسيدى . بابا . هل مات ؟ »

قال الآخر بخفة ، « بالطبع ميت . بعد أن قفزت به هذه السيارة  
من فوق الجسر ، وألقت به فى المجرى ؟ ماذا تظنه إذن فى أية حالة إن  
لم يكن ميتاً ؟ وماذا ستقول عندما يسألك القانون كيف حدث أنك الوحيد  
الذى وجدته ميتاً ؟ قل لى هذا . ؟ »

« قل لهم إننا جئنا لمساعدته . »

« هذا ليس من شئونى . أنا لم أقدر هذا الشىء فوق الجسر . انصت  
إليها وما زالت تغفغم وتدمدم حتى الآن . هيا امض بنا لأنها  
ستنفجر . »

قال جون هنرى ، « الأفضل لنا أن نأخذه إلى البلدة . ربما لا يمر  
أحد من هنا اليوم . » ثم انحنى ورفع كتنى بايارد . وثبته فى وضع  
جالس ، وقال ، « بابا ، عاوننى على حمله إلى الطريق . »

قال الآخر مرة أخرى ، ليس هذا من شئونى . ، إلا أنه انحنى وأمسك بساقى بايارد - ورفعاه ، فتأوه دون أن يسترد وعيه ، .

هتف جون هنرى ، ، هل سمعت هذا إنه ليس ميتاً . إلا أنه كان من الجائز أن يكون ، بجسمه الخامد الطويل ورأسه معقوفة بشكل مروع ومحشورة فوق كتف جون هنرى . واستراحا قليلا ، واستدارا إلى الطريق . هتف جون هنرى . ، هاه ! هيا بنا ، .

وناضلا معه بجهد صاعدين الشاطئ . المنحدر حتى وصلا إلى الطريق ، حيث تخلى الأكبر سنا عن نصيبه من الحمل وتركه يستقر على الأرض . ، أوف ، وقذف زفيره بجدة وقال ، ، ثقیل كخسارة دقيق ، .

قال جون هنرى ، ، بابا ، هيا . دعنا نحملة إلى العربة ، وانحنى الآخر مرة أخرى ، ورفعنا بايارد ، وقد انصق التراب الأحمر بفخذه المبللتين ، وحمله وهما يزومان على مراحل إلى العربة . قال جون هنرى ، يبدو كرجل ميت . بالتأكيد أنه يعمل مايعمله ميت . سأركب في الخلف هنا ، وأحمى رأسه من الاصطدام بالعربة ، .

قال أبوه آمراً ، ، أحضر عمود الفرمة الذى تركته فى الجرى ، ونزل جون هنرى واستعاد العمود وركبه فى العربة ورفع رأس بايارد إلى ركبتيه . وفك أبوه الأعنة وصعد إلى المقعد المتهاالك واستعاد ثماره المقشرة .

قال مرة أخرى ، أنا لأحب هذا النوع من الأحمال . ووب ، يا بغال ، وحركت البغال العربة من سكونها مرة أخرى ، ومضت . ومن ورائهم كانت العربة مستلقية على ظهرها فى الجرى ، ومازالت آلتها تغغم فى سرعة هادئة .

أما صاحبها فقد كان مستلقياً فى عربة بلا زنبركات ، مسترخياً وخامداً

مع هزات الطريق وظل هكذا عدة أميال . كان جون هنرى يضع قبعته  
الخصوية الممشمة بين وجه الرجل الأبيض والشمس . وقد ظل بإيارد  
مستلقيا مكانه ثم تأوه مرة أخرى .

قال جون هنرى ، « بابا ، هدى من سرعتك . أيقظته  
صدمة الطريق . »

أجاب الآخر ، « لا أستطيع أن أفعل شيئا إزاء هذا . أنا لم أقفز بهذه  
السيارة من فوق الجسر . على أن أصل إلى البلدة ثم أعود إلى البيت  
هيا ، يا بغال . »

وجهد جون هنرى في التخفيف عليه من وقع الصدمات ، وتأوه بإيارد  
مرة أخرى ، ورفع يده إلى صدره . ثم تحرك وفتح عينيه ، ولكنه  
أغمضهما في الحال عن وهج الشمس . وظل مستلقيا يسب ويلعن ورأسه  
على ركبتى جون هنرى . ثم تحرك مرة أخرى محاولا الجلوس . إلا أن  
جون هنرى منعه ، ثم ناضل بشدة وفتح عينيه مرة أخرى .

قال ، « دعنى . عليك لعنة الله . أنا مصاب . »

قال « نعم سيدى الكابتن . فقط إذا استلقيت بهدوء . »

تحامل بإيارد على نفسه بعنف ، وهو يقبض على خاصرته ، وأسنانه  
تلمع من بين شفتيه المشدودتين ، وقبض على كتف جون هنرى بأصابع  
كخطافات من صلب وصرخ ، « قف ، وهو يحملق بوحشية في ظهر الزنجى  
الآخر ، أوقفه ! أرغمه على الوقوف إنه يفرس أضلاعى الماهوتة داخل صدرى ،  
وسب مرة أخرى ، محاولا أن يهم على ركبتيه . وقد قبض على كتف  
جون هنرى ، وأمسك باليد الأخرى خاصرته . واستدار الزنجى الأكبر  
ونظر إليه ، وصاح بإيارد ، « اضربه بشئ . أرغمه على الوقوف . أنا  
مصاب . اللعنة على كل شئ . »

وتوقفت العربية ، كان بايارد في تلك اللحظة على أربيته ، وقد تدلت رأسه وأخذت تتمايل من جانب إلى جانب . وكأنه حيوان جريح . وراقبه الزنجيان بهدوء ، وتحرك ، وحاول أن ينزل من العربية . قفز جون هنري إلى الأرض وعاوناه ، وخرج منها يبطء ، واستند إلى المعجلة وكان وجهه شاحباً يتصبب عرقاً وقد صر على أسنانه وشد شفثيه .

وقال جون هنري ، « كابتن . عد إلى العربية ودعنا نصل إلى طبيب في البلدة ،

وبدا وكأن اللون نفسه قد فر من عينيه أيضاً ، واستند إلى العربية وهو يبلل شفثيه بلسانه ، ثم تحرك مرة أخرى وجلس إلى جانب الطريق وأصابه تنعر في أزرار قميصه وكان الزنجيان يرقبانه .

سأل ، « ولد هل معك سكين ؟

قال جون هنري ، « نعم سيدي ، وأبرزها ، وبتوجيه من بايارد شطر القميص وخطبه له ، وبمعاونته ، لف بايارد القميص بقوة حول جسمه ووقف

« معك سيجارة ، ؟

ولم يكن لدى جون هنري ، وقال عارضا ، « بابا معه بعض طباق المضغ ، .

« أعطني مضغة إذن . » أعطاه مضغة وعاوناه على العودة إلى العربية ، ثم إلى المقعد وأخذ الزنجي الآخر الأعنة . وقعقوا وجلجلوا بطريقة متقطعة فوق تراب الطريق الأحمر من الظلال إلى النور ، صاعدين هابطين .

واحتضن بايارد صدره بذراعيه بعنف ، وهو يمضغ ويسب ويلعن بانتظام . ومضوا ومضوا ، وعند كل لكزة من لكزات الطريق ، ومع



كل نفس من أنفاسه ، كانت أضلاعه المكسورة تظمن في لحمه وتنفس فيه ، ومضوا ومضوا من الظلال إلى ضوء النهار ، ثم إلى الظلال مرة أخرى .

ثم تل أخير . وخرج الطريق من الظلال وعبر الوادي المستوى العاري من الأشجار ، والتحم بالطريق العام . وهنا توقفوا ، والشمس ترسل شواظها على كتفيه العاريتين ورأسه العارية ، بينما أخذ في الجدل مع الزنجي العجوز عما إذا كان عليهم أن يأخذوه إلى البيت أم لا . وهاج هانج بايارد . وسب ولعن ، إلا أن الآخر ظل معادياً ، ولا يتزعزع ثم أخذ بايارد الأعنة من يديه وأدار البغال إلى الوادي ، وبأطراف الأعنة ساط الحيوانين المذهولين ودفعهما إلى حركة مجنونة .

كان هذا الميل الأخير أسوأ ما في الطريق كله . وقد أحاطتهم من كل جانب الحقول المزروعة الممتدة حتى التلال المتلألئة . كانت الأرض مشبعة بالحرارة ، ومستصلحة ومحرقة ومشبعة مرة أخرى ومخورة بما شربت ، وهي تفتح الحرارة وكأنها أنفاس مخور . وكانت الأشجار على جانب الطريق متباعدة ، لم تكتمل النمو ، وتباطأت البغال إلى مشي يثير الجنون في الأتربة التي تثيرها ، ثم تخلص عن الأعنة مرة أخرى ، وتعلق بالمقعد وهو في غفوة حمراء ، لا يعي إلا عطشاً كريهاً ، وكان يدرك أنه في الطريق لأن يفقد وعيه . وقد أدرك الزنجيان أيضاً أنه على وشك أن يفقد وعيه ، وخلع الزنجي الأصغر قبعته البالية وارتداها بايارد .

اتخذت البغال بأذانها المضحكة بالغة الضخامة أشكالاً غريبة ، واندمجت في أشكال أخرى خالية من المعنى ، ثم انفصلت عنها واندمجت معها مرة أخرى . وكانت تبدو في بعض الأحيان وكأنها تتقدم إلى الخلف ، وأنها ستزحف بشكل مربع مارة بنفس الشجرة أو بنفس عمود التليفون

مرة تلو المرة ، وبدأ له وكأن ثلاثهم والعربة المقعقة والحيوانين -  
قد وقعوا في طاحونة مجنونة . حركة لا تتقدم ، أبدية وبلا أمل  
في الخلاص .

ولكن ، أخيراً ، ودون أن يكون واعياً بالأمر ، استدارت العربة  
ودخلت بين البوابات الحديدية ووقعت الظلال على أكتافه العارية وفتح  
عينيه ، وسبح أمامه بيته وطفلاً في سراب باهت . وتوقفت هزات العربة ،  
وعاونه الزنجيان على النزول ، وتبعه الأصغر إلى الدرج وهو ممسك بذراعه .  
ولكنه دفعه بعيداً عنه وصعد الدرج وعبر الشرفة . وفي الهو ، وخاصة  
بعد وهج المراء ، ظل لحظة لا يستطيع أن يرى شيئاً ، وهكذا وقف  
يتطوح ، وبه غثيان ، وهو يفتح عينيه ويفمضهما . ثم اندفعت عينا  
سيمون من العتمة .

قال سيمون ، « باسم الله ، ماذا كنت تفعل ؟ »

قال سيمون ؟ ، وتطوح ، وتعثر قليلاً محاولاً أن يستعيد توازنه  
ثم اعطدم بشئ . « سيمون ، »

وتحرك سيمون بسرعة ولمسه ، « ظلمت أقول لك إن هذه السيارة  
ستتلك . ظلمت أقول لك هذا ! » وأحاط سيمون بإيارد بذراعيه وقاده  
إلى الدرج . إلا أنه رفض أن يستدير هنا ، ومضى إلى مؤخرة الهو  
وعاونه سيمون على الوصول إلى المكتيب ، وتوقف وهو منحني  
على مقعد .

قال متعثراً ، « المفاتيح . العمة جيني . أحضر شراباً . »

قال سيمون ، « العمة جيني ذهبت إلى البلدة مع مس يينبو . لا يوجد  
أحد هنا . لا يوجد أحد هنا على الإطلاق عدا الزوج . ظلمت أقول  
لك ! ، وتأوه مرة أخرى ، وهو يتضرع إلى إيارد ، « ولكن لا يوجد  
دم مع ذلك . مستر إيارد ، تعال إلى الأريكة واستلق عليها ، »

قال بايارد ، « المفاتيح ، أحضر المفاتيح ،

« نعم سيدى . سأحضرها ، ولكنه ظل يلوح بيديه الشاردتين من حول بايارد ، حتى سبه بايارد ودفعه بعنف بعيداً عنه . وظل يتأوه ، « لا يوجد دم ، واستدار وحجل من الغرفة . وجلس بايارد ، منكفئاً إلى الأمام ، وقد احتضن صدره بعنف . وسمع سيمون وهو يصعد الدرج ويمضى فوقه . ثم عاد وراقبه بايارد وهو يفتح الدرج ويخرج الدورق ذا الغطاء الفضى . أخرجه ثم حجل مرة أخرى خارجاً ، وعاد بكوب ، ليجد بايارد بجوار المكتب يشرب من الدورق « وعاون سيمون على العودة إلى مقعده . وصب له شرباً في الكوب ، ثم بحث له عن سيجارة ، وظل يحجل من حوله شاردأ ودون جدوى « مستر بايارد ، دعنى أناد الطبيب . »

« لا . أعطنى شرباً آخر ، .

وأطاع سيمون ، « شربت ثلاثة بالفعل . دعنى اتصل بمس جينى والطبيب ، مستر بايارد ، أرجوك ياسيدى ، « لا . دعنى وحدى . أخرج من هنا ،

وشرب الكأس . وقد ذهب الغشيان والأشكال السرابية وشعر بتحسن . وعند كل نفس من أنفاسه كانت خاصرته تطعنه بإبر ساخنة ، ولذا فقد حرص على أن يتنفس بخفة . لو أنه استطاع فقط أن يتذكر هذا . . . نعم . لقد شعر بتحسن كبير ، ولذا وقف بحذر ، وذهب إلى المكتب وأخذ شرباً آخر . نعم . ذلك هو العقار الذى يصلح الجرح ، كما قال سورات . كذلك الوقت حينما نفدت فى بطنه رصاصة وما من شئ . كان يستطيع البقاء فى معدته إلاخر الجن واللبن . وهذا ، هذا لم يكن شيئاً على الإطلاق ، مجرد بضعة أضلع تقوس . سيشد هيكله بسلك من أسلاك البيانو فى عشر دقائق . لا ليس كجوانى . نفدت كلها مباشرة فى لحظه .

الجزار الملعون لم يرض حتى أن يرفع عينيه ولو قليلا . ينبغي ألا ينسى  
ألا يتنفس ببطء .

وعبر الغرفة ببطء ، ومرتق سيمون أمامه في عتمة البهو ، وصعد  
الدرج متباطئا . وهو قابض على سياجه ، بينما كان سيمون يطوح بيديه  
ويرقبه . ودخل غرفته ، الغرفة التي كانت له مع جون ، واستند برهة إلى  
الجدار حتى استطاع أن يتنفس بهدوء مرة أخرى ، ثم مضى إلى الصوان  
وفتحه ، وخر على ركبته بحذر ويده تستند إلى خاصرته وفتح الدرج  
الذي كان هناك .

لم تكن ثمة أشياء كثيرة فيه ، ثوب ، كتاب صغير ذو غلاف من  
جلد وظرف رصاصة بندقية صيد مربوط بها بسلك مخلب دب مجفف .  
كان دب جون الأول ، وكانت الرصاصة التي قتله بها في بطن النهر بالقرب  
من أراضي ماك كالم إذ كانت سنة اثنتي عشرة سنة . أما الكتاب فقد  
كان العهد الجديد ، وكان مكتوبا على الورقة البيضاء التي تحول لونها  
وأصبح بنياً د إلى ولدي ، جون ، في عيد ميلاده السابع . في ١٦  
مارس ١٩٠٠ ، من والدته ، . وكان عنده واحد مثله تماما ، كان  
ذلك هو العام الذي رتب فيه جده أمر رحيلهما ليلتحقا بالمدرسة ،  
فأوقف قطار البضائع المحلي ليأخذهما إلى البلدة . وكانت السترة سترة  
صيد مصنوعة من نسيج القلوع ، تلمنخت واصطبغت بما كان يوماً دما ،  
وتخدشت وتمزقت بفعل أشواك الورد البري ، وما زالت تفوح منها  
بضعف رائحة ملح البارود .

ورفع الأشياء ، وهو راكع ، واحداً إثر الآخر ، ووضعها على  
الأرض ثم التقط السترة مرة أخرى وسبحت إلى خياشيمه راثحتها الحادة  
المتيقة المتهاكة الفواحة بهمس الحياة والدفء وهمس ، « جوني ، جوني ،  
ولجأة رفع الثوب إلى وجهه ثم أوقفه في منتصف الطريق بنفس الحدة ،

وبينا كان الثوب محمولا بين يديه تطالع فوق كتفيه بسرعة ، إلا أنه تمالك نفسه على الفور ، وأدار رأسه ورفع الثوب وغمر وجهه فيه ، بتحد وإصرار ، وظل راکما برهة .

ثم هم واقفا . حمل الكتاب وتذكر الصيد والسترة ومضى إلى صوان ملابسه ، وأخذ صورة من أحد الأدراج ، وكانت صورة جون مع أعضاء نادي الطعام في جامعة برنستون وأخذ هذه أيضا تحت إبطه وهبط الدرج ومضى إلى الباب الخلفي ، وعندما نفذ منه كان سيمون يعبر الساحة بالعربة ، وعندما مر بالمطبخ كانت النورا ترتل إحدى أغانيها الناعمة التي لا تنتهي .

استقر الإناء الأسود والدلاء الخشبية وراء الموقد ، وهنا كانت النورا تغسل الملابس في جو مناسب ، وقد كانت تغسل اليوم ، وتمايل حبل الفسيل من جهة إلى جهة بحمله المبلل المتهدل ، ومن تحت الإناء ، كان الدخان يتصاعد متلويًا من الرماد الناعم وقلب الإناء بحذائه ، ودفعه بعيدا ، وأحضر من مظلة الخشب ملء ذراع من عيدان الصنوبر الزيتية ووضعها على الرماد ، وسرعان ما توهجت النار باهتة اللون في الهواء المنير ، وعندما أمسكت النيران بالخشب بقوة وضع السترة والعهد الجديد وتذكر الصيد والصورة بين اللهب ودفعها وقلبها حتى احترقت تماما ، ومضت النورا ترتل برقة في المطبخ وهي تعمل ، وجاء صوتها دافئاً نائماً حزينا على أمواج الهواء المضئنة . يجب أن يتذكر ألا يتنفس بعمق .

وأسرع سيمون بالعربة إلى البلدة ، ولكنه كان قد سبق بالخبر إليها فقد تحدث الزنجيان إلى تاجر عن اكتشافهما لبإبارد وهو ملقى على جانب الطريق ، ووصلت الأنباء إلى المصرف وأرسل بإبارد العجوز إلى دكتور بيودي ولكن دكتور بيودي كان قد خرج للصيد ، ولذلك فقد أخذ دكتور ألفورد بدلا منه ، ومرامعاً في سيارة دكتور ألفورد بسيمون عند حافة المدينة ، فاستدار وتجمعهم

ولكنه عندما وصل إلى البيت كانوا قد خدروا بإيارد الصغير فأصبح عاجزاً مؤقتاً عن إحداث مزيد من الأضرار ، وعندما وصلت مس جيني ونارسيسا إلى البيت بعد ساعة ، دون أن تتوقعا أية مفاجأة ، كان قد ضمد واستعاد وعيه مرة أخرى . لم تكونا قد سمعنا عن الحادث ، ولم نتعرف مس جيني على سيارة دكتور ألفورد المنتظرة في الممر الخاص ، ولكنها ألقت نظرة واحدة على السيارة الغريبة وقالت .

« هذا الأحمق قد قتل نفسه أخيراً » . وخرجت من سيارة نارسيسا وأسرعت إلى البيت وصعدت الدرج .

كان بإيارد مستلقيا في فراشه ، وكان شاحباً ساكناً وارتسم على وجهه شيء من الخوف كان بإيارد المعجوز والطبيب على وشك الانصراف وانتظرت مس جيني حتى أصبحاً خارج الغرفة . ثم أطلقت عاصفة غضبها الجنوني ، ومسحت على شعره ، بينما كان سيمون يحجل ويموء في الركن بين الفراش والجدار وهو كذلك . مس جيني ، وهو كذلك ظلمت أقول له هذا .

وغادرته ونزلت إلى الشرفة حيث كان دكتور ألفورد في انتظار أداء واجبات الرحيل كما ينبغي . وكان بإيارد المعجوز ينتظره في عربته ، عندما ظهرت مس جيني ، استعاد الطبيب جفاهه مرة أخرى ، وأكمل واجباته ومضى ، وركبا معاً .

وبحثت مس جيني في أنحاء الشرفة ، ثم في البهو ، وتساءلت « أين . . ثم نادى نارسيسا ، وجاءها رد نداءها ، فقالت « أين أنت ، ؟ وجاء الجواب أيضاً ، ودخلت البيت ، ورأت ثوب نارسيسا الأبيض في العتمة حيث كانت جالسة على معقد البيانو . قالت مس جيني ، « إنه متيقظ . تستطيعين أن تأني وتريه ، ووقفت الأخرى وأدارت وجهها إلى الضوء وسألتها مس جيني « ما الأمر ؟ » تبدين أسوأ منه حالا بكثير . أنت شاحبة كورقة بيضاء . .

قالت الآخري . لاشئ . انا . . . وحققت في مس جيني لحظة ،  
وهي تضم - قبضتها إلى جبينها ، . يجب أن أذهب ، وخرجت إلى البهو  
« تأخر الوقت ، وهوزاس . »

سألها مس جيني بشغف ، تستطيعين أن تأتي وتحدثني إليه ، ألا  
تستطيعين هذا ؟ لا يوجد أثر من دم إذا كان هذا ما تخشيه ،

أجابت نارسيسا . « ليس هذا . أنا لست خائفة ، »

اقتربت مس جيني منها متطلعة نفاذة العينين وقالت بخنان ، « حسنا ،  
وهو كذلك . إذا كنت تفضلين ألا تفعل . ظننت فقط طالما أنك هنا .  
أنك ربما ترغبين في أن ترى أنه في حالة طيبة . ولكن لا تفعل إذا  
كنت لا تشهرين برغبة في ذلك ! ، »

« لا . لا . أنا أرغب . أنا أريد ، » ومرت بمس جيني ومضت ،  
وعند قاعدة الدرج انتظرت حتى لحقها مس جيني ، ثم مضت ، صاعدة  
بسرعة ، ووجهها بعيد عن مس جيني .

سألها مس جيني « ماذا دهاك ؟ ، وحاولت أن ترى وجهها ، « ماذا  
حدث لك هل وقعت في حبه ، »

« أنا أحبه . . . أحب بإيارد ، وتوقفت ثم أسرع ، وهي تقبض على  
السياج بعنف ، ثم بدأت تضحك برقة ، ووضعت يدها الأخرى على  
فمها ، وصعدت مس جيني الدرج برفقتها ، وهي تنفذ إلى أعماقها بعينها  
الحادتين ، وبها شعور من الدهشة وبرود ، وأسرعت نارسيسا وتوقفت  
عند قمة الدرج مرة أخرى ، ومازال وجهها محولا عن مس جيني  
وتركت مس جيني تمر بها ، وخارج الباب بالضبط ، توقفت واستندت  
إليه ، وهي تحاول أن تحبس ضحكها وارتجافها ثم دخلت الغرفة ، حيث  
وقفت مس جيني بجوار الفراش ، ترقبها . »

وقد تلكأ في الغرفة بعض من رائحة الأثير الثقيلة الحلوة ، واقتربت من الفراش كالعمياء ووقفت بجواره. وقبضتا يديها المضمومتين تحتفيتين . كانت رأس بايارد شاحبة هادئة كقناع منحوت طلى برقة بطاقة عنقه المبددة ، وكان يرقها وظلت تحملق فيه برهة ، وسبحت مس جيني والغرفة وكل شيء بعيداً عنها

صاحت بصوت رفيع محبوس ، أيها الحيوان ، أنت أيها الحيوان لم تتحتم عليك دائماً أن تفعل هذه الأشياء. حتى أضطر لرؤيتك ؟ ، أجبها بايارد برقة ، ودمشة محدودة ، ولم أكن أعرف أنك هناك . كانت تأتي كل بضعة أيام ، بناء على دعوة مس جيني وتجلس بجوار فراشه وتقرأ له .

لم يكن يتم على الإطلاق بالكتب . ومن المشكوك فيه أن يكون قد قرأ برغبته على الإطلاق كتاباً واحداً ، إلا أنه كان يظل مضطجعا دون حركة في قلبه بينما كان صوتها الجاد الدافئ يمضي ويمضي في الغرفة الهادئة . وأحيانا كان يحاول الحديث معها . ولكنها كانت تتجاهل محاولاته وتمضي في القراءة ، فإذا أصر ، كانت تخرج من الغرفة وتتركه . ولذا فسرعان ما تعلم أن يستلقي ، غالبا وعيناه مغمضتان ، سارحا وحده في فيافي يأسه الكثيبة القاحلة ، بينما ينسال صوتها وينسال فوق الأصوات البعيدة التي كانت تصل إليهما - مس جيني تؤنب إيزوم وسيمون في الطابق الأسفل أو في الحديقة - وزقزقة الطيور في الشجر وراء النافذة بالضبط ، وتأوهات مضخة الماء وراء الجرن التي لا تنقطع . وأحيانا كانت تتوقف وتنظر إليه لتجده نائماً في سلام .

جاء العجوز فولز في خضرة يونيو اليانعة ، وصل إلى البلدة وكانت شمس الصباح ولا تزال أفقية ، وقد جلس في ثوبه المرتب المغبر أمام بايارد العجوز الذي كان يرتدي تيلا ناصع البياض وزهرة جيرانيوم



بدت وكأنها جرح أحر سعيد ، وكانت الفرقة رطبة وساكنة ، بضوء  
المصباح الصافي ، والغبار الذي يثيره البواب الزنجي في لحظات دخوله الفرقة  
وخروجه منها ، وهي قليلة ، أما الآن وقد تقدمت السن ببايارد ،  
وازدادت أساليبه جفافاً وتشبثاً مع صممه المتزايد ، فقد ازداد ميله لإحاطة  
نفسه بأشياء من طينة مشابهة ، فكشف عن كفاءة لاتصدق في اختيار  
الخدم الذين يشكلون أيامهم على طراز أيامه ، في أسلوب من التسكع  
والضياع اليائس ، ومن هؤلاء الخدم البواب الذي كان يطلق على بايارد العجوز  
لقب جنرال ، ويطلق عليه بايارد العجوز والعملاء الذين كان يؤدي لهم  
واجبات ، فيما يبدو ، لا آخر لها ، ومن نوع سيء وذى أهمية  
متواضعة ، كانوا يطلقون عليه لقب دكتور جونز ، كان أسود معنى  
الظهر بفعل الطبع الشكى والسن المتأخرة ، وكان يستغل كل شخص  
يسمح له بذلك ، وكان بايارد العجوز يسبه ويلعنه طول الوقت الذي  
يكون قريباً فيه منه ، ويسمح له أن يسرق طباقه وخزين المصرف من الفهم  
للشتاء أخذاً في كل مرة ملء دلو ليطيعه للزوجة الآخرين .

كانت النافذة التي جلس وراءها بايارد العجوز وضيئه تطل على ساحة  
فضاء بها قمامة وأعشاب مغبرة وكانت محاطة بجدران كالحة هي مؤخرة مبان  
من طابق واحد من أنواع متباينة ، حيث كانت توجد متاجر صغيرة  
لتصليح وتجارة المخلفات وأمثالها - وكان لها وجودها المتواضع وذاتها  
المجهولة . وكان أهل الريف يستخدمون الساحة نفسها في أثناء النهار كمحط  
لخيولهم وبغالهم ، وكانت بعضها مقيدة داخلها بالفعل ، وهي وسنانه ذاهلة  
ومجترة . وكانت العصافير تحوم في سحب مشاكسة حول الإفراقات  
النوشارية القديمة التي تركتها أجيالها الغابرة ، وكانت الحمام أيضاً ،  
تنزلق منحدره بصوت كحفيف النوافذ المعدنية الصدئة ، وتنبخر وتتجمل  
في أبهة مصقولة شرسة ، وهي تغنى لبعضها البعض بأصوات حنجرية  
غير واضحة .

جلس العجوز فولز على الجانب الآخر من المدفأة المملوءة بالقمامة ،  
وهو يمسح وجهه بمنديل أزرق نظيف .

قال معتذرا في صوت كالرعد : « إنهما ساقى المعجوزتين الملعونتين . اعتدت أن أمشي اثني عشر أو خمسة عشر ميلا في رحلة أو إلى اجتماع ترانيل ، فلا أتكلف من الجهد إلا أقل مما تجسمه لي هذه الأميال الثلاثة التي أقطعها إلى المدينة ، ثم مسح بالمنديل على وجهه الذي أصبح في كل هذه السنوات بنياً ومرحاً بفعل الأرض السحاء الممتدة . » يبدو وكأنهما قد صمما على خذلاني ، وأنا لم أصل بعد إلا إلى الثالثة والتسعين ، وقبض على لفافته في يده ، الأخرى ، وظل يمسح على وجهه ولم يفتحها .

صاح بايارد المعجوز ، « لم لم تنتظر على الطريق حتى تمر بك عربة . دائماً تجد ولدا ملعونا قادما إلى المدينة يملأ عربة من الأعشاب ؟ »

قال الآخر مؤيداً ، « كان من الجائز أن أفعل ولكن الوصول إلى هنا بسرعة كبيرة يتلف على يوم عطائي ، أنا لست مثلكم أتم أهل المدينة ، ليس لدى من الوقت الكثير حتى أستطيع أن أتعجله ، ثم وضع المنديل جانبا ووقفه ووضع لفافته بحرص على الرف ، وأخرج من جيب قميصه شيئا صغيراً ملفوفاً في قطعة قماش بالية نظيفة ، ومن بين أصابعه المتعثرة المتباطئة برزت علبة نشوق معدنية ، صقلت بفعل الزمن والاستعمال حتى اكتسبت لون الفضة الناعم الخابي . وقد جلس بايارد المعجوز يرقبه ، راقبه بهدوء عندما نزع غطاء العلبة ووضعها أيضا جانبا بحذر .

قال المعجوز فولز ، « والآن ، أدر وجهك نحو النور ، »  
« ويلى ، لوش يبيودي يقول إن هذا العقار سيصيدني بتسمم في الدم ، ومضى الآخر في استعداداته البطيئة ، وعيناه الزرقاوان البريقتان مشغولتان في استغراق . قال مصحفاً بهدوء ، « لوش يبيودي لم يقل هذا قط أحد هؤلاء الأطباء الشبان قال لك هذا . بايارد . حول وجهك إلى النور ، »

أما بايارد العجوز فقد جلس متوتراً ، وأسند ظهره إلى المقعد وبديه على مرفقي المقعد ، وظل يرقب الآخر برزاة بعينه العجوزين النفاذتين وبشيء من الحزن . لقد امتلأت عيناه بأشياء لا أسماء لها ، كأعين الأسد العجوز ، كما امتلأت بالإصرار .

أخذ العجوز فولز كتلة مناسبة من دهانه القاتم ووازانها على أحد أصابعه ، ووضع العلبة بجواره على مقعده الشاغر ، ووضع يده على وجه بايارد العجوز . . إلا أن بايارد العجوز ظل يقاوم وإن كان بطريقة سلبية ، وفي عينيه أشياء لا يمكن التعبير عنها ، وأزاح العجوز فولز وجهه بحزم ورقة نحو النور الداخل من النافذة .

« تعال هنا . لم أعد شاباً بما فيه الكفاية لأضيع وقتي في إيذاء الناس ، والآن ، لا تتحرك ، حتى لا ألتطخ وجهك بالدهان ، فات الوقت الذي كانت فيه يداي ثابتتين تستطيعان التقاط رصاصة بندقية من فوق غطاء موقد ساخن ، »

وهنا استسلم بايارد ، ونشر العجوز فولز دواءه على البقعة بلبسات صغيرة رشيقة ثم أخذ قطعة القماش ومسح الفأض من فوق وجه بايارد ، ورمى بها ، إلى اليوم التاسع من يوليو . ستدبل وتنساقط . ولا تدع أحداً يلبسها ، وقال راويا ، أخذت جدتي هذه الوصفة من إحدى نساء قبائل الشوكتا منذ أكثر من مائة وألّاين سنة ، ولم يتحدث أحداً قط عما في هذه العلبة ، ولا ترك لها أثراً وراءه ، ووقف بصعوبة ونفض التراب من فوق ركبتيه ثم أعاد الغطاء إلى العلبة بنفس العناية غير المتعجلة ووضعه جانبا ، والتقط حزمته من فوق الرف ، واستعاد مكانه .

« ستصبح سوداء غداً . وطالما ظلت سوداء فإن مفعولها مستمر . لا تضع ماء على وجهك قبل صباح الغد ، وسأحضر مرة أخرى بعد عشرة أيام ، وأدهنها مرة أخرى ، وفي يوم - ، واستغرق في التفكير

مرة أخرى وهو يعد ببطء على أصابعه المفضنة ، وشفتاه تتحركان ولكن دون أن تحدثا صوتا . . في اليوم التاسع من يوليو ، ستسقط ، ولا تدع مس جيني ولا أيا من هؤلاء الأطباء يضايقك في شأنها .

ثم جلس وركبته مضمومتان معا . كانت حزمته مستقرة على ركبتيه ، وقد فتحها بعد أن أدى طقوسه العتيقة المعقدة ، وبعد أن ظل يتحسس بأصابعه العقدة الحمراء محاولا فكها ، بأناة تكفي لإثارة شخص أصغر منه ودفعه للسخط عليه والصياح فيه . أما بايارد العجوز فقد أشعل سيجاراً وأسند قدميه إلى حافة المدفأة ، وفي الوقت المناسب حل العجوز فولز أسرار العقدة ، وخلص الخيط ووضع على مسند مقعده . ولكنه سقط على الأرض ، فأنحنى إليه ، وأخذه بين أصابعه السكيلة ، ووضع مرة أخرى على مسند المقعد . وظل يرقبه لحظة ليتأكد من أنه لن يسقط ثانية . ثم فتح الحزمة . جاءت أولاً علبة طباقه ، فأخرج منها قطعة وتشمها ، وقلبها في يده ، ثم تشمها مرة أخرى ودون أن يقضم منها وضعها مع أخريات من صنفها جانباً ، وزج بيده داخل الحزمة . ثم فتح عنق الكيس الورقي الذي أخرجه ، وتطلعت عيناه ، البريقتان كميني صبي ، إلى محتوياتها بشبهة ووقار .

قال ، ، أنا أعترف أنني أحياناً أحس بالخجل فعلاً من رغبتى في الحصول على حلوى الفم هذه . إنها لا تترك لى لحظة راحة على الإطلاق . ، ثم هز الكيس الورقي ، دون أن يفقد ملاحظته للأشياء الأخرى المسندة على ركبتيه ، وأخذ منه اثنين أو ثلاثة من الأشياء المخططة التي تشبه حيوانات صغيرة ملونة بأطراف متعددة ، أخذها في كفه ثم أعادها كلها إلا واحدة ، وضعها في فمه . وأنا أخشى الآن أن أفقد أسناني يوماً ، فيتحتم على أن آكل الأنواع الطرية منها . أنا لا أستطيع أبداً الحلوى الطرية ، وقد أخذ خذه في التقبيل قليلاً مع حركة مضغه برتابة بطيئة ، كحركة التنفس ، ثم حلق داخل الحزمة مرة أخرى ، ووضعها في يده وكأنه يزنها ويقدر محتوياتها .

كانت أيام في سنة ٦٣ وقبلها حينما كان يستطيع الرجل أن يشتري قطعة أرض وزوجاً من الزنوج بهذا الكيس من الحلوى . أنا أذكر هذا وقد حدث مرات وكل شيء قد اتجه ضدنا ، ولم يعد ثمة سكر ولا قهوة وأصبح الطعام شحيحاً ، فكنا نأكل الدقيق العطن عندما كان هناك دقيق ليسرق ، وحشائش المستنقعات عندما كان يتعذر سرقة الدقيق ، وكنا نعسكر في الليل تحت المطر ، وسبح صوته مولياً بين أشباح عتيقة هي أشباح صلابة النفس والجسد ، في عوالم من النضال الساحر عديم الفائدة ، حيث تقيم هذه الأشباح ضحك بهدوء ووضع قطعة أخرى من حلوى النعناع في فمه .

أذكر ذلك اليوم عندما كنا معسكرين حول جيش جرانت المتجه إلى الشمال ، كان جرانت في جرينادا حينئذ ، وأيقظنا نحن الأولاد ، الكولونيل وأخذنا الخيول والتحقنا بفان دورن في ذلك الطريق . كان ذلك حينما كان الحصان الفضي مع الكولونيل . كان جرانت حينئذ في جرينادا ، ولكن فان دورن انطلق ذات يوم واتجه إلى الشمال . ولم نكن نعرف نحن الأولاد . ربما كان الكولونيل يعرف ولكنه لم يقل لنا أبداً ، وليس يعني هذا أننا كنا نهم كثيراً ، مادامنا متجهين إلى بلادنا .

وهكذا ركب رفاقنا معا ، متجهين للحاق بكنتة الجيش بعد ذلك . هذا ما كان يعتقد الآخرون ، ولكن الكولونيل لم تكن لديه أية فكرة عن هذا . لم يكن تاج استشهاده قد أعد بعد ، وكان يتنوى العودة إلى البيت لقضاء فسحة قصيرة . لم نكن فارين . كنا نعرف أن فان دورن يستطيع أن يصمد لهم تماماً أسبوعاً أو أسبوعين . كان يفعل هذا عادة . كان رجلاً طيباً .

قال بايارد مؤيداً وكانوا كلهم رجلاً طيبين في تلك الأيام ، ولكنكم ،

أنتم أيها الأولاد الملاعين ، كنتم تتخلون كثيراً عن القتال وتعودون إلى بيوتكم .

قال العجوز فولز مدافعا ، « حسناً . حتى إذا كانت أرض التلال تفيض بالديبة الجارية فليس في استطاعة الرجل أن يمضي دون انقطاع في اصطياكها . حتم عليه أن يترك القتال بين الحين والحين ، حتى إذا كان هذا لإعطاء الكلاب والخيول قسطاً من الراحة . إلا أنني أعتقد أنه كان في استطاعة تلك الكلاب والخيول أن تمضي في الصيد ، كأحسن ما تستطيعه غيرها . » ثم قال وقد أخذته كبرياء وقور ، « طبعاً لم يكن في استطاعة كل شخص أن يثابر على المضي مع ذلك الحصان ذي اللون الضبابي . لم يكن في كل جيش الاتحاد ، إلا حيوان واحد يستطيع أن يصمد له . ذلك الحصان الأخير الذي اقتنصه زيب فوترجيل من أحد فرسان الحرس التابعين لشيرمان ، في رحلته الأخيرة إلى تينس . »

« مامن أحد استطاع أن يعرف ما كان يفعله زيب في رحلاته هذه . زعم كولونيل أنها كانت فقط لسرقة الخيل . إلا أنه لم يكن يعود قط بأقل من حصان واحد ومرة عاد بسبعة من أشرف مامشي منها على الأرض ، على ما أعتقد . وقد حاول أن يستبدل بها شيئاً من اللحم والقمح ، ولكن لم يرد أحد أن يأخذها . ثم حاول أن يعطيها للجيش ولكن حتى الجيش رفض أن يأخذها ، فأطلقها ثم طالب قيادة جو جونسون بثمن عشرة خيول بيعت لفرسان فورست . لا أعلم إن كان حصل على رد على الإطلاق . رفض نيت فورست أن يأخذ هذه الخيول . وأشك إن كانوا قد أكلوا لحمها في فيكسبرج . . . أنا لم أكن أثق كثيراً في زيب فوترجيل ، وهو يذهب ويعود ، بطريقة هذه ، وحده ولكنه كان يعرف الخيل وكان يحضر معه عادة حصاناً طيباً ، كلما ذهب إلى الحرب . إلا أنه لم يحضر أبداً واحداً يشبه هذا . »

وقد ذهب الالتفاح من فيه ، فأخرج مطواة من جيبه واقتطع قضة  
أنيقة من الطباقي ، والتقطها بضمه من على نصل السكين . ثم أعاد حزم  
لقائفه وربط الحيط حولها وارتمد رماد سيجار بايارد برقة حول قلبه  
التوهج إلا أنه لم يتساقط .

بصق العجوز فولز بأناقة بضاقاً بنياً في المدفأة ومضى يروى ، وكنا  
ذلك اليوم في منطقة كالمون . كان صباحاً صيفياً جميلاً كأجل ما يكون  
الصباح ، وقد استرخى الرجال والخيل وطعموا وقاض بهم شعور الزنا ،  
ومضوا يتسكعون على امتداد الطريق خلال الغابات والحقول حيث كانت  
الطيور تشدو ، وصفار الأرانب تتقافز فوق الطريق . وكان الكولونيل  
وزيب راكبين معاً جنباً إلى جنب على تلك الحصانين . كان الكولونيل  
على جوبيتر ، وزيب على ذلك المهر الذي يبلغ من العمر عامين ، وكانا  
يتفاخران كمادتهما وكنا جميعاً نعرف جوبيتر حصان الكولونيل ، ولكن  
زيب مضى يردد أنه لن يتلقى من أى رجل الغبار الذي يشبه حصانه .  
كان الطريق مستقيماً عبر بطن الوادى في اتجاهه نحو النهر ، ومضى زيب  
يستفز الكولونيل ليسابقه ، حتى قال الكولونيل ، « وهو كذلك ، ثم  
قال للأولاد أن يحضروا وذهب هو وزيب وانتظرونا عند معبر النهر على  
بعد أربعة أميال ، ثم وقف هو وزيب بجوار بعضهما البعض وانطلقا .

« كان الحصانان أجمل شيء رأيته في حياتي . انطلقا معاً كصقرين ،  
والعنق توازى العنق . واختفيا عن الأنظار في مثل لمح البصر والغبار  
من ورائهما نثر في دوامات ، إلا أننا استطعنا أن نتبعهما من خلال  
الغبار المتصاعد من ورائهما ، وكأنه يمتص من الطريق مسحوباً إلى أعلى ،  
وكان واحدة من تلك السيارات تمضى في وسطه وعندما وصلا إلى  
حيث ينحدر الطريق إلى النهر ، كان الكولونيل قد انتصر على زيب  
بما يقرب من ثلاثمائة ياردة . وكانت ثمة شجرة خضراء تحت الحافة

المرتفعة ، وعندما مرق الكولونيل فوق المرتفع رأى جماعة من فرسان اليانكي ،  
بخيولهم المقيدة ، وبنادقهم المسندة يتناولون طعامهم بجوار النبع . قال  
الكولونيل إنهم كانوا جالسين هناك يتطلعون إلى المرتفع عندما اعتلاه ،  
وفي أيديهم فناجين القهوة وقطع الخبز ، وبنادقهم مسندة على بعد أربعين  
قدماً منهم وقد جمحت عيونهم نحوه .

لم تكن لديه - على كل حال - فسحة من الوقت ليستدير ويرتد ،  
إلا أنني لأظنه كان يفعل حتى لو توافر له الوقت . انحدر على الفور من  
فوق المرتفع واندفع بحصانه بينهم نائراً نيران الطهو ، والبنادق والرجال ،  
وهو يصيح : استسلموا يا أولاد . من تحرك منكم فهو ميت ، وحاول  
أحدهم أو اثنان الفرار ولكن الكولونيل انتضى مسدسيه ، وأطلقهما فوق  
رؤوسهما ، فعادا وجلسا بين الآخرين ، وهكذا قعدوا واستأنفوا تناول  
طعامهم ، عندما وصل زيب ، وهكذا أيضاً وجدناهم عندما وصلنا بعد  
ذلك بعشر دقائق ثم بصق المعجوز فولز مرة أخرى بأناقة ، بصاقاً بنياً  
وضحك بهدوء وتلألأت عيناه وكأنهما حلزون بحري لامع ، تلك القهوة ،  
كانت جبارة رائحة ، بالتأكيد .

وهكذا كنا ، مع حزمة من الأسرى لاجدوى لنا منهم . احتفظنا  
بهم اليوم كله ، وأكلنا طعامهم ، وعندما جاء الليل أخذنا بنادقهم  
ورميناها في بحرى النبع وأخذنا ذخيرتهم وما تبقى من الطعام ، ووضعنا  
حارساً على خيولهم ، ثم نمننا ، نمننا الليل طوله في أغطية هؤلاء اليانكي  
الصوفية الجيدة ، ونحن نسمعهم ، هؤلاء الأسرى ، وهم يتسربون واحداً  
بعد الآخر منحدرين على الشط ، ثم غائصين في الماء إلى الشط الآخر .  
ومن حين إلى حين كانت تزل قدم أحدهم ، أو يهوى في الماء أو شيئاً ما  
من هذا القليل ، ثم يعم السكون بعد ذلك برهة . لنسمعهم بعد ذلك  
وهم يحاولون نفس الشيء ، وهم يزحفون تحت الأحراش متجهين إلى



الماء ، ونحن نأمنون هناك ، بحاقة أعطيتهم الصوفية مرفوعة بأيدينا فوق وجوهنا . كان قد مضى من الوقت الكثير قبل أن يتسلل آخرهم بالطريقة التي رأها مناسبة له .

ثم أطلق الكولونيل صيحة من حيث كان ينام ، كان في استطاعة هذه المخلوقات النعسة أن تسمعها على بعد ميل .

كان يقول ، ، اذهب أيها اليانكي . واذهب وابحث لنفسك عن حذاء هندي .

وفي الصباح التالي أسرجنا خيولنا وحملنا غنائمنا ، وأخذ كل رجل حصانا ، وتحركنا نحو أرضنا . كنا قد أمضينا في بلدنا أسبوعين ، وبذر الكولونيل قمحه ، عندما سمعنا عن غزو فان دورن لهولي سبرنجز واحتراق مخازن ذخيرة جرائت . وبات وكأنه لم يعد في حاجة إلى مساعدتنا على الإطلاق ، ظل يعضغ طباقه برهة ، وهو يراجع الأمر بهدوء مستعيداً من الموت في حضرة الرجال تراباً ، مع التراب الذي من أجله ، ودون علم ربما ، قاتلوا تلك الأيام البطولية مجزومة البطون ، في ممالك لا يستطيع إلا قلة ممن يذهبون على الأرض الآن ، أن يدخلوها معه .

نثر بايارد العجوز الرماد من سيجاره وقال ، ويل ، بحق الشيطان ، عم كنتم تتقاتلون على أي حال ؟ .

وأجاب العجوز فولز ، ، بايارد ، فلتحل على اللعنة إن كنت عرفت هذا يوماً .

بعد أن رحل العجوز فولز ، بحزمته الصغيرة ، وخذه المنتفخ البريء ، ظل بايارد العجوز جالسا يدخن سيجاره ، ثم رفع يده ولمس الورم الصغير في وجهه ، ولكن برقة متذكراً تعليمات العجوز فولز لحظة رحيله . وإذا تذكر هذا ، جالت برأسه فكرة أخرى أن الفرصة لم تضع لإزالة الدمان بالماء .

ووقف واتجه إلى المغسل في ركن الحجرة ، وقد ثبت فوقه صوان صغير ، بمرآة على بابه وفيها تفحص البقعة السوداء في خده ، لامسا إياها مرة أخرى بأصابعه ، ثم فاحصا بعد ذلك يده . نعم . لا يزال من الممكن إزالته . ولكن ، فلتجمل عليه اللعنة إن فعل ، فليكن ملعوناً إذا كان لا يعرف بالضبط ما يريد ، ورمى سيجاره بعيداً وغادر الغرفة ومضى بخطوه الثقيل في نحو المصرف متجها نحو الباب حيث كان مقعده هناك ... إلا أنه قبل أن يصل إلى الباب استدار واتجه إلى نافذة المصرف ، حيث كان الصراف بمظلة عينيه الخضراء يجلس وراءها .

قال ، رس ، .

رفع الصراف عينيه ، نعم يا كولونيل ، .

من يكون هذا الولد الملعون الذي يتسكع حول هذا المكان ، ويتلصص بعينه من هذه النافذة طول اليوم ؟ وخفض بايارد العجوز صوته كن يدخل في حديث .

أي ولد ، يأكولونيل ؟ .

وأشار بايارد العجوز بإصبعه ، ورفع الصراف نفسه على مقعده العالي ، ونظر خلال الحاجز ورأى وراء النافذة المشار إليها ، ولدا في العاشرة أو الثانية عشرة يرقبه ببراءة وبطريقة عرضية . هتف ، د أوه ، إنه ابن ويل بيرد ، من الفندق الذي هناك . صديق بيرون ، على ما أظن ، .

ماذا يفعل هنا ؟ كلما مررت من هنا أراه هناك يتطلع من النافذة ؟ ماذا يريد ؟ .

قال الصراف حادسا ، ربما يكون لص مصارف ، .

صاح بايارد وقد أحاط كفه المقوس بوحشية حول أذنه ، ماذا ؟ .

صاح الآخر ، وهو يميل إلى الأمام على مقعده ، ، ربما يكون امر  
مصارف . .

وزفر بإيارد العجوز بشدة ومضى يضرب الأرض بقدميه بعنف ، وصفق  
مقعده بالباب الذي وراءه وجلس الصراف مكوما فوق بعضه بلا شكل .  
وهو يغمغم في أعماق جسمه الغليظ . قال دون أن يدير رأسه ، « سمح  
الكلونيل لويل فولز أن يطببه بذلك الدهان ، أما سنوبس فلم يخرج جوابا  
وهو في مكانه ، ولم يرفع رأسه أيضا . وبعد برهة تحرك الولد أيضا  
وانساق دون قصد معين ، وببراءة مبتعداً عن المصرف .

أصبح فيرجيل بيرد مالكا لمسدس يقذف تياراً من الماء النوشادري  
الذي يسبب آلاماً مبرحة للعين ، وفانوس سحري صغير ، وصندوق  
أنيق قديم من صناديق الحلوى ، كان يستخدمه لعرض ممتلكاته من بيض  
الطيور وتشكيلة من الحشرات ، مانت ببطء وهي مثبتة بالدبابيس ، ورصيد  
متواضع من الدراهم الصغيرة .

وفي يوليو غير سنوبس مسكنه . وتحاشى أن يلتق بفيرجيل في  
الطريق ، وهكذا ظل أسبوعين لم ير فيهما الولد على الإطلاق ، حتى كانت  
أمسية ، حينما خرج بعد العشاء من الباب الأمامي لمسكنه الجديد ووجد  
فيرجيل جالسا ببساطة وأدب على عتبة البيت .

قال فيرجيل ، « أهلا مستر سنوبس » .

بلغ الغضب والغليظ بمس جيني أقصى حد ، ذلك الأصيل ، حينما عاد  
بايارد العجوز إلى البيت صاحت كالعاصفة ، « أنت أيها العجوز العنيد .  
ألا يستطيع بايارد أن يقتلك عاجلا ، بما فيه الكفاية ، حتى يتحتم  
عليك أن تدع هذا الساحر العجوز ويل فولز يصيبك بتسمم في الدم ؟  
وبعد ما قاله لك دكتور ألفورد ، وواقفه عليه حتى لو ش يبيودي ،

وهو الذي يعتقد أن جرعة من الكينين أو الكالوميل تشفي كل شيء من عنت مكسورة إلى تورم الأصابع بتأثير الصقيع ؟ إني أعلن : أنني أضيق ذرعاً بكم أحياناً أيها الناس ، ولا أدري أي جريمة ارتكبتها وأكفر عنها باضطراري للحياة معكم . بمجرد أن هدأ بايارد بشكل ما ، واستطعت أن أكف عن الجري كلما دق جرس التليفون ، يتحتم عليك أن تذهب وتدع هذا المقسول العجوز يدهن وجهك بشحم العجلات والصناج الأسود . إني أفكر جادة في أن أحزم أمتعتي وأخرج ، وأبدأ حياتي من جديد في مكان ما لم يسمع فيه أهله مطلقاً عن أي سارتورس ، وماجت وماجت ومضت في ذلك ، وهاج بايارد العجوز أيضاً ، بالفاظ عنيفة وسباب فظيع ، وتمطت أصواتهما وماجت في البيت ، حتى خفف سيمون وإلنورا من وقع أقدامهما في المطبخ ، وأنصتا . وأخيراً خرج بايارد من البيت ووقع أقدامه ثقيل وركب حصانه ومضى تاركاً مس جيني تبلى غضبها الجنوني على الهواء الفارغ ، ثم ساد البيت سلام إلى حين .

ولكن العاصفة اختمرت ساعة العشاء مرة أخرى وانفجرت ، وكان في استطاعة سيمون ، من وراء باب غرفة الساق أن يسمعهم ، ومعهم بايارد الصغير أيضاً ، وهو يحاول صاخباً أيضاً أن يهدى تأثيرتهم . كان يصرخ : كفى . كفى . حبا في الله لا أستطيع حتى أن أسمع صوتي وأنا أمضغ طعامي في في ،

استدارت مس جيني عليه على الفور وصاحت : وأنت أيضاً . أنت مثله تماماً ، متعب شاق أنت وأساليبك العنيدة المظلمة المشؤمة وأنت تجوب المنطقة كالشيطان في تلك السيارة لمجرد أنك تتصور أنه ربما يوجد شخص ما يعنيه على الإطلاق إن كنت ستحطم عنقك التي لا قيمة لها أم لا ، ثم تأتي بعد ذلك إلى مائدة العشاء ورائحتك كرائحة خدم الإسطبلات لمجرد أنك اشتركت في حرب . أظن نفسك الشخص الوحيد في العالم الذي ذهب على الإطلاق إلى حرب ؟ أظن رجلي بايارد ، عندما عاد من الحرب ،

كان يحمل من نفسه مبعث ضيق لكل شخص يتختم عليه أن يعايشه ؟  
ولكنه كان سيداً مهذباً ، كان يشعل نيران جهنم كسيد مهذب ، وليس  
مثلكم أتم يا أهل ريف المسيحي . فلاحون أجلاف . انظر ماذا فعل  
بحصان فقط . لم يكن بحاجة إلى طائرة .

قال بايارد الصغير ، « انظري إلى الحرب التافهة التي ذهب إليها .  
كانت حرباً صغيرة إلى الدرجة التي جعلت الجد لا يرضى حتى بالبقاء في  
فيرجينيا حيث كانت تدور . »

وأجابت مس جيني على الفور ، « وما من أحد أراده هناك . رجل  
يجن جنونه لمجرد أن رجاله عزلوه وانتخبوا بدلاً منه كولونيلا أفضل .  
جن جنونه وعاد إلى الريف ليقود عصابة من القتلة قطاع الطرق . »

قال بايارد الصغير مرة أخرى « كانت حرباً تافهة وعلى حصان . أي  
شخص يستطيع أن يشترك في حرب على حصان . مامن فرصة لديه ليحمل  
الكثير من أي شيء . »

قالت مس جيني بسرعة ، « على الأقل استطاع أن يجعل نفسه يقتل  
بطريقة مهذبة . أتى بحصان مالم تستطيع أنت أن تفعله بتلك الطائرة . »

قال سيمون وأنفاسه تصطدم بباب غرفة الساق ، « ما أعنف شجارهم .  
هؤلاء الناس البيض يتشاجرون بالتأكيد . »

وهكذا كان مد وجزر في البيت في الأيام التالية ، ثم أبلى الأمر  
نفسه ، ثم قاض مرة أخرى عندما عاد بايارد إلى البيت بدنهنة جديد على  
وجهه . إلا أن سيمون كان حينئذ قد أصبحت له متاعبه الخاصة أيضاً ،  
متاعب استشار فيها بايارد آخر الأمر ذات أصيل . كان بايارد الصغير في  
فراشه بأضله المهشمة ، ومس جيني ترعاه بحب وحشى رهوم ، ومس  
يئنبو تعوده وتجلس معه وتقرأ له ، وعاد سيمون إلى شؤونه الخاصة مرة

أخرى . لقد هبطت القبة العالية والمعطف من فوق المسبار ، وتناقصت سجاثر بايارد العجوز بمعدل سيجار واحد يوميا واستهلك زوج الخيل المتوافق كسلها المتراكم ما بين البيت والمصرف ، حيث كان ينحدر بها سيمون ويوقفها كل أصيل . كما كانت عادته منذ القدم ، بسيجاره المثبت في وجهه ، وسوطه الرشيق المنشور ، وكل استعراضات اللحظة الرائعة . قال سيمون متفلسفاً ، السيارة لا بأس بها للاستمتاع والاستثارة ، ولكن لكل سيد مذهب أصيل لا يوجد إلا شيء واحد ، هو الخيل .

وهكذا جاءت فرصة سيمون جاهزة بين يديه ، ومرة كانا قد خرجا من المدينة ، وقد استقر زوج الخيل في سرعته المنتظمة ، فانهز الفرصة . قال مفتتحا الحديث : حسنا ، كولونيل ، يبدو وكأننا ، أنت وأنا سنضطر إلى الاتفاق على بعض الترتيبات المالية .

ماذا ، ؟ واستحضر بايارد العجوز انتباهه من حديث كان يتجول بين الحقول المزروعة المألوفة والتلال الزرقاء المضئنة من ورائها .

قلت إنه يبدو أننا ، أنا وأنت سنضطر لعمل بعض الترتيبات بشأن قدر قليل من المال ،

أجاب بايارد العجوز : سيمون ، أنا مدين لك بالشكر . إلا أنني لست في حاجة إلى المال الآن . أشكرك على كل حال ،

وضحك سيمون من أعماقه ، كولونيل ، أنا أعلن ، أنت بالتأكيد رجل فكه ، غنى مثلك يحتاج إلى المال ، ثم ضحك مرة أخرى ، ضحكا لزجا قصيرا : نعم ، سيدي ، بالتأكيد أنت رجل فكه ، ثم توقف عن الضحك واستغرق في الخيل برهة . كانا توأمين . روزفلت وتافت . بمؤخرات انسيابية وأنحاذ عريضة مريحة ، أنت تافت ، ميل على هذا الطوق . الكسل يتزايد فيك وسيقتلك يوما بالتأكيد . وجلس بايارد العجوز يرقب رأسه القردية الشكل وقبعته

العالية المختالة ، ثم أدار سيمون وجهه المتغضن البرىء فوق كتفه مرة أخرى وقال : ولكن ، بالتأكيد يتحتم علينا أن نهدى هؤلاء الزوج بطريقة ما ، .

« ماذا فعلوا ؟ ألا يستطيعون أن يجدوا ثمة شخصا يأخذ أموالهم ،

قال سيمون شارحا : « حسنا ، سيدى ، الأمر هكذا . إنه بشكل ما غريب من كل ناحية . أنت ترى ، كانوا يجمعون المال لبناء تلك الكنيسة التي احترقت ، وعندما حصلوا على النقود ، أعطوها لى ، بمالى من مركز رسمى هام فى مجلس إدارة الكنيسة ، ولأننى من أحسن الأسر فى المنطقة . حدث هذا فى عيد الميلاد الماضى ، والآن ، إنهم يريدون استرداد النقود ، .

قال بايارد العجوز : « هذا غريب ،

وافق سيمون فى الحال ، « نعم سيدى ، أحسست مثلك بنفس هذا الشعور ، .

« إذا أصروا ، أظنه من الأفضل لك أن تعيده إليهم ،

« والآن هأنت قد اقتربت من المشكلة ، وأدار سيمون رأسه مرة أخرى ، كان أسلوبه أسلوب من يعترف بسر خطير ، وقد فجر قبيلته بعد لحظة هدوء ، وبطريقة بالغة التأثير المسرحى ، « لقد ضاعت النقود ،

أجاب بايارد العجوز ، وقد غاضت فكاهته فجأة ، « عليها اللعنة ، أنا أعرف هذا . أين ذهب هذا المال ؟ ،

قال سيمون ، وما زالت نغمته سرية ، وإن تخللها العجب الحزين من بلادة العالم : « هؤلاء الزوج يتهموننى الآن بسرقتها ، .

« هل تريد أن تقول لى إنك أخذت نقوداً تتعلق بناس آخرين ثم ذهبت وأقرضتها لغيرهم ؟ ،

قال سيمون : « أنت تفعل مثل هذا الأمر كل يوم . أليس لإقراض

المال هو عملك الأساسي ؟

ودفع بايارد العجوز من أنفه صوتا غليظا عنيفا ، وقال : عليك أن تسترد هذه النقود وتعيدها إلى هؤلاء الزوج ، وإلا فستنتهي إلى السجن ، هل تسمعي ؟

قال سيمون بلهجة تفيض بالآلم ، أنت تتكلم بالضبط كهؤلاء الزوج الذين يقيمون في طرف البلدة . ثم قال مذكرا سيده : هذه النقود قد ذهبت الآن ،

استعدها .. ألا يوجد لديك رهن لها ؟

ألا يوجد لدى ماذا ؟

شيء يساوي المال في القيمة تحتفظ به حتى تسترد المال ؟

نعم سيدي . عندي هذا ، ثم ضحك بهدوء مرة أخرى ، ضحكة طرية لزجة ، ساخرة وغنية بالإشارات اللطيفة : نعم سيدي ، وهو كذلك ، لدى هذا . إلا أنني لم أسمع الكلمة قبل الآن . والآن سيدي ، ليس الأمر كذلك .

سأله بايارد العجوز ، هل أعطيت المال لامرأة زنجية ؟

قال سيمون : حسنا ، سيدي الأمر كذلك . ولكن الآخر قاطعه : آه . يا للشيطان . وأنت تتوقع مني الآن أن أدفعه لهم ، أليس كذلك ؟ كم كان المبلغ ؟

لا أذكر كم كان بالضبط . يزعم هؤلاء الزوج أنه كان حوالي سبعين أو تسعين دولارا أو ما يقرب من هذا . ولكن لا تعرهم التفاتك . ادفع لهم ما يترأى لك صوابا . سيأخذونه .

أكون ملعوناً لو فعلت . يستطيعون أن يستخلصوه من جلدك الذي لا يساوي شيئا ، أو أن يرسلوك إلى السجن . أيا كان ما يرغبون في



عمله ، ولكن سأكون ملعونا إذا دفعت منه شيئا واحدا ،  
قال سيمون ، كولونيل ، وبعد .. أتسمع لبعض زنوج البلدة هؤلاء  
أن يتهموا أحد أفراد أسرتك بالسرقة ، ؟

صاح بإيارد العجوز ، ادض ا ، واستدار سيمون على المقعد ، وهتف  
بالخيل ، ومضى وسيجاره مرفوع باختيال إلى حافة قبعته ، ومرافقاه  
مفرودان ، والسوط وقد امتد برشاقة إلى الخلف في يده ، وهو يلقي  
بين الحين والحين نظرة تفيض بالتسامح والازدراء على الزنوج العاملين  
بين صفوف القطن .

أعاد العجوز فولز الغطاء إلى علبة الدواء المعدنية ، ومسح العلبة  
بعناية بقطعة القماش البالية ، ثم ركم على الأرض أمام المدفأة الباردة  
وقرب ثقابا مشتعلا من الخرقه .

قال متسائلا ، د أظن هؤلاء الأطباء ما زالوا يقولون لك إنه سيقتلك ،  
أليس كذلك ؟

وأسند بإيارد العجوز قدميه إلى حافة المدفأة . ووضع ثقاباً مشتعلا محاطا  
بكفه في طرف سيجاره ، فظهرت في عينيه صورة لهبين دقيقين مشتعلين .  
ورمى الثقاب بعيداً وزام .

راقب العجوز فولز خرقته البالية وهي تمسك بالنار ببطء ، وخيطا رفيعا من  
الدخان المصفر اللون نفاذ الرائحة ، وهو يتصاعد ويتلوى ويتبدد في الهواء  
الساكن . قال : د بين كل حين وحين ، يتحتم على الرجل بشكل ما ،  
أن يقف ويخرج ويبصق في وجه الموت ، من أجل خير نفسه . يتحتم  
عليه أن يضع على نفسه ، بشكل ما ، حدا ، وكأنه بذلك يضع حافة فأسه  
على حجر المسن . ثم جلس القرفصاء أمام اثثناءات الدخان نفاذة الرائحة  
وكانه صورة مصغرة لطقوس دينية همجية ، إذا كشف الرجل عن وجهه  
بين الحين والحين للموت ، فسيتركه الموت حتى تمين ساعته .

« الموت يجب أن يأخذ الرجل غيلة » ..

قال بايارد العجوز ، « ماذا » ؟

وقف العجوز فولز ونفض التراب بعناية من ركبتيه . قال بصوت مدور « الموت كالأشياء القارعة الجبابة الأخرى ، لن يهاجم رجلاً ينظر إليه في عينيه ، إلا إذا اقترب منه كثيراً ، أبوك كان يعرف هذا . وقف في باب ذلك المخزن ، ذلك اليوم ، عندما استحضر المهيجان السياسيان الزوج ليصورتوا لهما في ذلك اليوم سنة ٧٢ » وقف هناك بسترته من طراز ألبرت وقبعته المصنوعة من فراء القنبدس ، وذراعاها مطبقتان ، وقد ذهب كل شخص آخر ، وقف يرقب الرجلين القادمين من ميسورى ، وهما يسوقان الزوج على الطريق إلى المخزن ، وقف في وسط الباب بالضبط ، بينما تراجع المحرضان وأيديهما في جيوبهما حتى ابتعدا عن الزوج ، وسباه ، وهو واقف مكانه هكذا . وعقد ذراعيه على صدره ، ويداه باديتان للعيان ، وإبرهه وجيزة رأى بايارد العجوز ، وكأنه يتطلع من خلال زجاج غطاء الضباب ، ذلك الشكل المتعجرف المألوف الذى استحضره بشكل ما ذلك العجوز ذو الملابس الرثة واحتفظ به في فراغ ذاته التى كان ينكرها .

« وعندما ذهبنا وعادا إلى الطريق ، دخل الكولونيل من الباب ، وأخذ صندوق بطاقات الانتخاب ، ووضع بين قدميه .

« أنتم أيها الزوج جئتم لانتخبوا ، وهو كذلك تعالوا هنا وانتخبوا » .

« وعندما انفضوا وتفرقوا . أطلق ذلك المسدس الأمريكى الكبير فوق رؤوسهم مرتين ، ثم عبأه مرة أخرى وخرج إلى الطريق ، إلى بيت مس وينتر بوتوم حيث كان يقيم ذلك الرجلان .

« قال ، وهو يرفع قبعته : « سيدتى ، لدى أمر صغير أريد أن أتحدث فيه مع المقيمين عندك . اسمحى لى ، » وأعاد قبعته إلى رأسه ومضى إلى

الدرج ، في خطو كالاستعراض العسكري ، وهي فاعرة فاما . مضى مباشرة إلى قلب الغرفة ، حيث كانا جالسين وراء مائدة ، في مواجهة الباب ، ومسدساها على المائدة .

« وعندما سمعنا نحن الأولاد ، وكنا واقفين في الخارج ، الطلقات الثلاث ، جرينا داخلين . كانت مس وينتر بوتوم واقفة هناك ، تتطلع مشدوهة إلى أعلى من أول الدرج ، وفي دقيقة جاء الكولونيل وقبعته متعجرفة فوق عينييه ، في مشية منتظمة ، وكأنه قاض يدخل محكمة ، وهو ينفض الثراب من مقدمة سترته بمنديله . ونحن واقفون هناك ، نرقبه . ثم وقف أمام مس وينتر بوتوم ورفع قبعته ثانية .

قال : « سيدتي ، اضطررت لأن أفسد نظام غرفة ضيوفك كثيراً جداً . رجاء أن تقبلي اعتذاري ، وكفى زنوجك بتنظيفها ، وأرسلني كشف الحساب إلى . »

« سيدتي : اعتذاراتي مرة أخرى لاضطراري لإبادة حشرات قذرة في بيتك . ثم قال لنا : أيها السادة سعدتم صباحاً ، ووضع قبعته القندسية تلك على رأسه ومضى .

قال العجوز فولز : « وبايارد ، بشكل ما كنت أحسد هؤلاء الشماليين . أكون ملعوناً إذا لم أفعل . يستطيع الرجل أن يتخذ زوجة ويعيش معها زمناً طويلاً ، إلا أنهما مع ذلك ليسا من دم واحد . ولكن الشخص الذي يستحضرك إلى الحياة أو يخرجك منها . . . »

من حيث كان يقبع وراء باب مخزن الطعام ، كان في استطاعته أن يسمع صوتي مس جيني وبايارد العجوز وهما يعصفان بانتظام ، وعندما ذهبا إلى المكتب ، جلست إلنورا وكازبي وإيزوم حول المائدة في المطبخ في انتظاره ، وقد جاء إليهما هزيم ثورة مس جيني ، وعناد بايارد العجوز الصخري في موجات مكظومة ، وكأنها أمواج بحر تتلاطم من بعيد .

سأل كازي ابن أخيه : « وعم يتشاجرون الآن ؟ هل ذهبت وفعلت شيئاً ؟ » وأدار إيزوم عينيه بهدوء فوق فكيه العاملين بانتظام وغمغم : « لا سيدي لم أفعل شيئاً » .

« يبدو وكأنهما سينفجران بعد قليل . لنورا ، ماذا يفعل بابا ؟ »  
« هناك في البهو يتسقط الحديث . اذهب وقل له أن يأتي حتى يتناول عشاءه واستطيع أن أتهى من عملي » .

انزلق إيزوم من مقعده ، وهو يمضغ ، وغادر المطبخ . وتزايد عجيبي الصوتين المنتظم حيث كان جده يقف في ردة البهو المعتم . كان شكلاً غير واضح ، كأنه طائر عتيق قبيح وقد استطاع إيزوم أن يميز كلمات ، سم ... دم ... تصور أنك تستطيع أن تقطع رأسك وتعالجها ... يا أحق ضعه على قدمك ولكن ... رأس وجه ... تموت وخبر الخلاص ... أحق مثلك يموت بسبب حافة رأسك ، رأس نور ... استلق أولاً على ظهرك ...

ثم طغى صوت بايارد المعجوز على الأخرى مؤقتاً ، أنت وذلك الطبيب الملعون تزعماني إلى درجة الموت . لن تكون لدى ويل فولز ثمة فرصة لقتل . لا أستطيع الجلوس في مقعدي في البلدة ، دون أن يتسحب هذا النظام من حولي ، وعلى وجهه خيبة الأمل ، لأنني ما زلت على قدمي حياً أرزق . وعندما أعود إلى البيت ، عندما أخلص منه ، لا تستطيعين حتى أن تدعيني أتناول عشاءي بسلام ، يتحتم عليك أن تعرضي على حشداً ملعوناً من الصور الملونة لما يعتقد أحق ملعون أنه موجود داخل الجسم .

همس إيزوم : « بابا ، من الذي سيموت ؟ »

أدار سيمون رأسه ، « يا ولد ، لم تتطلع هنا ؟ اذهب حالا إلى المطبخ حيث يجب أن تبقى » .

قال إيزوم : « العشاء ينتظر . بابا ، من الذي سيموت ؟ »

« ما من أحد سيموت . هل يبدو الموت على أحد ؟ والآن اخرج من البيت » . وعادا معا عبر الهو ودخلا المطبخ ، وقد ما جت الأصوات من ورائهما وعصفت ، وإن فقت وضوحها بفعل الجدران . إلا أنها ظلت سائدة وجلية .

سأل كازي وهو يعضغ : « وعم يتشاجران الآن ؟ »

قال سيمون : « هذا من شئون البيض . اهتم بشئونك ، وسيكونون هم على ما يرام » ، وجلس ، وهمت إلانورا وملأت قنجانا من إناء القهوة فوق الموقد وأحضرتة إليه ، لدى الناس البيض متاعبهم ، تماما كالزنوج ، أعطنى يا ولد ، طبق اللحم هذا .

وقد أخذت العاصفة مجراها كل ليلة في البيت ، ثم توقفت على ما يبدو وبالاتفاق المتبادل ، وإن ظل كل من الطرفين متحصنا في خنادقه ، لتستأنف مرة أخرى في الأمسية التالية ساعة العشاء . وهكذا ، يوما بعد يوم ، حتى كان الأسبوع الثانى من يوليو ، بعد ستة أيام من إحضار بايارد الصغير بصدرة المهشم إلى البيت ، إذ ذهبت مس جيني وبايارد العجوز ودكتور ألفورد إلى ممفيس لاستشارة خبير في الدم وأمراض الغدد واسع الصيت ، استطاع دكتور ألفورد أن يعقد معه بصعوبة محدودة اتفاقا رسميا . وقد استلقى بايارد الصغير في قلبه في الطابق العلوى ، ولكن نارسيسا يينو وعدت بالحضور والبقاء معه ذلك اليوم .

وفيما بينهما استطاعا أن يضعا بايارد العجوز في قطار الصباح المبكر ، وإن ظل يحتج ويسب ويلعن ، كشور عنيد معذب . وكان في العربية آخرون ممن يعرفونه ومن لاحظوا مصاحبة دكتور ألفورد لها ، فأخذهم حب الاستطلاع والقلق . وقد استغل بايارد العجوز هذه الفرصة وحاول فرض إرادته بدمدمات عنيفة تجاهاتها مس جيني .

وأخذوه ، كصبي صغير مشاكس ، إلى العيادة حيث سيلتقى بالطبيب

الإخصائي ، وجلسوا في غرفة تشبه بهو فندق صيني خال من الرسميات ،  
بين آخرين جلسوا ينتظرون أيضاً في هدوء وهم يتكلمون همساً . بين قمعقة  
صحف ومجلات . كانوا جميعاً ينتظرون وصول الإخصائي وقد انتظروا وقتاً طويلاً .

وقد هاجم دكتور ألفورد ، بين الحين والحين بشاشة المرأة الجالسة  
إلى لوحة التليفون ، تلك البشاشة التي لا يمكن النفاذ منها ، وفي كل مرة  
صد هجومه ، وعاد ليجلس متصلياً بجوار مريضه وهو يعي أنه مع  
كل دقيقة تمر ، يفقد جزءاً من تقدير مس جيني له ، وقد تم إخضاع  
بأيارد العجوز أيضاً ، رغم أنه ظل يدمدم على مس جيني بأمل بين  
الحين والحين .

قاطعته أخيراً وقالت : أوه ، كف عن السباب . لا تستطيع أن  
تخرج الآن . خذ . خذ ، هذه جريدة الصباح .. خذها واهداً .

ثم دخل الإخصائي مسرعاً وذهب إلى المرأة الجالسة إلى لوحة التليفون ،  
ورآه دكتور ألفورد ، ووقف ، وذهب إليه . استدار الإخصائي - كان  
رجلاً محتدماً أريباً يتحرك بعنجهية ، حركة تشنجية ، كأنه يتدرب على  
مبارزة بسيف صغير ، وقد استدار فسكاد أن يطأ قدم دكتور ألفورد .  
ثم ألقي عليه نظرة ثلجية عيل صبرها ، ثم صاحفه وأطلق سيلاً من الألفاظ  
المتقطعة العالية ، أرى أنك أتيت في الموعد بالضبط . في الموعد .. عظيم !  
عظيم ! . المريضة هنا ؟ احتملت الرحلة بسهولة ، هل فعلت ؟ ،

« نعم يا دكتور ، إنه - »

« حسن ، حسن .. خلعت ملابسها وكل شيء معد ، إنه ؟ »

« المريض .. »

« استدار الطبيب ، لحظة واحدة . أوه ، مسز سميث ، »

« نعم يا دكتور ، ولم ترفع المرأة الجالسة إلى لوحة التليفون رأسها ،  
ودخل في هذه اللحظة ، إخصائي آخر من نوع ما ، إخصائي ضخم يحوطه

جو من الفخامة والسرية وكأنه تربي ملكي ، دخل وألجم دكتور ألفورد ،  
ولرهة قعقع كل منهما وجلجل على الآخر ، بينما ظل دكتور ألفورد واقفاً  
وقد تجاهلاه ، وهو يكظم غيظه بصلاية وأدب ، وقد أحس بتساقط قيمته  
المهنية رويداً رويداً في نظر مس جيني . ثم انتهى الإخصائيان ، وصحب  
دكتور ألفورد رجله إلى المريض .

« قلت إنك أعددت المريض ؟ حسن ، حسن ، هذا يوفر الوقت .  
سأتناول الغداء في المدينة اليوم . هل تناولت طعام غداك ؟ »

« لا . ولكن المريض ... »

قال الإخصائي ، « أجزؤ أن أقول إنك لم تفعل . توجد فسحة من  
الوقت مع ذلك ، ثم استدار بسرعة متجهاً إلى منفذ مستور ، إلا أن  
الدكتور ألفورد قبض على ذراعه بحزم ولكن بلطف وأوقفه . كان بايارد  
العجوز يقرأ الصحيفة . وكانت مس جيني ترقبهما برود ، وقبعتها فوق  
قمة رأسها تماماً .

قال دكتور ألفورد ، « مسز دوبري ، الكولونيل سارتورس ، هذا  
دكتور براننت . الكولونيل سارتورس هو ... »

« كيف الحال ؟ جاء مع المريضة إليه ؟ ابنة ؟ حفيذة ؟ » ورفع  
بايارد العجوز عينيه .

قال ، وهو يحيط أذنه بكفه ، « ماذا ؟ » ورأى الإخصائي يحمق فيه .  
« ما هذا الذي على وجهك ؟ » ودفع يده بحركة مفاجئة ولمس البروز  
المتفحم وإذا فعل انفصل الشيء في أصابعه ، تاركاً على خد بايارد العجوز  
المغضن ، بقعة مستديرة من الجلد الوردي الجميل كبشرة طفل .

وفي القطار ، تكلم بايارد العجوز فجأة بعد أن ظل وقتاً طويلاً غارقاً  
في الفكر العميق ، جيني ، أي يوم من أيام الشهر هذا ؟ »

قالت مس جيني ، ، التاسع ، لماذا ،

وظل بايارد العجوز جالساً أيضاً ، ثم وقف وقال ، ، أظننى سأذهب  
لأدخن سيجاراً . دكتور ، ما رأيك ، لأحسب قليلاً من التدخين  
يؤذنى ؟

وبعد ثلاثة أسابيع ، وصلهم كشف حساب من الطبيب الإخصائى  
يطالبهم فيه بخمسين دولاراً . قالت مس جيني بلهجة لاذعة ، أنا أعرف  
الآن لم هو مشهور جداً ، ثم قالت لابن أخيها ، ، الأفضل لك أن  
تشكر طالعك لأنه لم يأخذ قبعتك من فوق رأسك ، .

وكان موقفها من دكتور ألفورد دفاعياً إلى أقصى حد فكانت تحميه  
بوحشية ، وإلى العجوز فولز كانت توجه تحية مقتضبة عاجلة إلى أقصى  
حد ، وتمضى وأنفها مرفوعة فى الهواء ، أما لوش ييبودى فلم تكن  
تخاطبه على الإطلاق .

دخلت مع الصباح النضير الحار إلى البهو الرطب ، حيث كان سيمون  
قابضاً على منفضة فى يده ، باهتمام ودون فائدة ، فمز لها رأسه وقال ،  
، ذهبوا اليوم إلى ممفيس . مستر بايارد ينتظرك . . اصعدى مباشرة  
يا آنسة . .

قالت ، شكراً لك ، ومضت وارتقت الدرج وتركته مشغولاً  
بطرده الغبار من سطح إلى آخر ثم إعادته مرة أخرى . صعدت إلى  
تيار هوائى منتظم كان يهب من الأبواب المفتوحة فى نهاية البهو ، ومن  
خلال هذه الأبواب استطاعت أن ترى قطاعاً من التلال الزرقاء ، والسماء  
ملحية اللون . توقفت عند باب بايارد ووقفت برهة وهى تضم الكتاب  
إلى صدرها .

وكان بالبيت رغم حركة سيمون فى البهو الأسفل ، هدوء غريب



مريب يبعث على الخوف ، ذلك أنه خلا من الطمأنينة التي يبدؤها فيه وجود مس جيني الدائب . وكانت تصلها أصوات خافتة قادمة من بعيد جداً . أصوات من خارج البيت ، انسلت تموجاتها الأخيرة الوسنانة إلى البيت على هواء يوليو المتدفق بالحياة ، أصوات بلغ بها النعاس والبعد أن عجزت عن أن تموت وهي بعيدة .

ولكن صوتاً ما لم يصل إليها من الغرفة التي أمامها . ربما كان نائماً . والدافع الأصلي ، الوعد الذي أعطته ، وقوة قلبها المستيقظ التي مكنتها من الحضور رغم غياب مس جيني ، قد تخلت عنها بعد أن أدت دورها ، فوقفت خارج الباب بالضبط ، آملة أن يكون نائماً ، آملة أن ينام اليوم كله .

إلا أنه يتحتم عليها أن تدخل الغرفة لتعرف إذا كان نائماً ، ولذا لمست وجهها بيديها وكأنها تعيد إليه بذلك الاستقرار الوفور المفقود حتى يراه ، ثم دخلت .

قال بيارد و سيمون . كان مستلقياً على ظهره . ويداه تحت رأسه ، وقد مد باصره عبر الغرفة إلى النافذة ، وتوقفت مرة أخرى داخل الغرفة وبجوار الباب بالضبط . وأخيراً وقد استثاره صمتها ، أدار رأسه ونظرته الجوفاء . « حسناً ، أنا ملمعون لم أصدق أنك ستأتين اليوم . »

قالت « نعم كيف حالك ؟ »

ومضى يقول « وأنت تضعين إحدى قدميك في البهو كلما خرجت مس جيني من الغرفة ، هل هي التي جعلتك تحضرين ؟ »

« طلبت مني أن أحضر . إنها لا تريد لك أن تبقى وحدك طوال اليوم ، وليس في البيت إلا سيمون . هل تشعر بتحسين اليوم ؟ »

قال في صوت مسترسل « هكذا ؟ ألا تجلسين ، إذن ؟ » ومضت إلى

ركن من الغرفة حيث كان مقعدها المألوف وجرته عبر الغرفة . وكان يرقبها وهي تدير المقعد وتجلس ، وسألها ، وما رأيك في الأمر ؟ ،  
« أي أمر ؟ »

« حضورك حتى لا أبقى وحدي ؟ »

قالت « أحضرت معي كتاباً جديداً . حصلت عليه أخيراً . أرجو أن يعجبك ، هذا الكتاب »

قال « أرجو هذا ، ولكن دون أي اقتناع » ، أظن أنني سأستمتع بكتاب آخر بعد قليل أليس كذلك ؟ ، ولكن ما رأيك في حضورك إلى هنا اليوم ؟ »

قالت « أحسب أنه لا ينبغي أن يترك شخص مريض بلا أحد من حوله إلا الزوج » ، وقد انحنى وجهها على الكتاب . « اسم هذا الكتاب - »

« لم لا يرسلون ممرضة إذن ؟ ما من فائدة في حضورك إلى هنا . والتقت نظراته الحادة أخيراً ، بعينها الجادتين المستيئستين . سأل بإصرار :  
« لم تأتين وأنت لا ترغبين في الحضور ؟ »

قالت « لا .. يضايقني هذا » ثم فتحت الكتاب ، « اسم هذا الكتاب .. »

قال مقاطعاً « لا تفعل . سيختتم على أن أنصت إلى هذا الشيء الملعون طوال اليوم . فلتسكلم قليلاً ، ولكن رأسها كانت منحنية ويداه جامدتان على الكتاب المفتوح ، ما الذي يجعلك تخافين من الحديث معي ؟ »

قالت بمررة ، « خائفة ؟ أتفضل أن أذهب ؟ »

« ماذا ؟ لا .. اللعنة على كل شيء . أنا أطلب منك أن تكوني آدمية مرة واحدة وتتحدثي إلى . تعالى هنا ، لم تنظر إليه ، ورفعت يديها بينهما

وكأنه لم يكن مستلقياً على ظهره عاجزاً على بعد ياردين منها . قال لها  
أمراً ، « تعالى هنا واقتربي مني قليلاً ، » وقفت وقد قبضت على  
الكتاب بشدة .

قالت « أنا ذاهبة . سأطلب من سيمون أن يظل حيث يستطيع أن  
يسمعك عندما تناديه . وداعاً ، »

قال ، « حسناً . ومضت مسرعة نحو الباب . »

«وداعاً» .

« بعد كل ما قلته الآن ، عن بقائي وحدي بلا أحد من حولي في  
البيت إلا الزوج ؟ » وتوقفت عند الباب ، وقال بمكر بارد « بعدما قالت  
لك العمة جيني - ماذا أقول لها ، الليلة ؟ لم تخافين من رجل مستلق على  
ظهره في سترة ملعونة من الحديد المصبوب ، على أي حال ؟ » إلا أنها  
ظلت تنظر إليه بعينين وقورتين يائستين . قال بعنف ، « وهو كذلك .  
اللجنة على كل شيء » ، اذهبي إذن ، « ورمي رأسه على الوسادة ومضى  
يحملق من النافذة ، بينما عادت إلى مقعدها . قال برقة « ما اسم هذا  
الكتاب ؟ » وقالت له . « لتمض إذن . على أية حال أظن أنني سأنام  
سريعاً ، »

فتحت الكتاب وبدأت تقرأ بسرعة ، وكأنها كانت تقبع وراء ستار  
الكلمات الذي أقامه صوتها بينما مضت تقرأ بانتظام زمناً ، وهو على  
فراشه لا يأتي أية حركة ، وكان رأسها مخبياً على الكتاب ، واعياً بمرور  
الوقت . كأنها كانت في سباق مع الزمن . ثم انتهت جملة وتوقفت ،  
دون أن ترفع رأسها ، إلا أنه تسكلم على الفور تقريباً « امضي . مازلت  
هنا . حظاً أفضل المرة القادمة ، »

وهكذا انقضت ساعات ما قبل الظهيرة . وفي مكان ما ، كانت شمة

ساعة تدق كل ربع ساعة وفيما عدا هذا ، فلم يكن ثمة صوت في البيت . وقد انتهى نشاط سيمون في الطابق الأسفل منذ وقت طويل ، ولكن همهمات من الصوت كانت تصلها على فترات من مكان ما ، غمغمة لا يمكن تمييزها . لم تهتز الأوراق على الغصن الصاعد وراء النافذة واندمجت في الهواء الساخن ، آلاف الأصوات في نغم واحد وسنان - أصوات الزنوج ، أصوات الحيوانات في ساحة الجرن ، تأوهات مضخة الماء الرتيبة ، وصيحات مفاجئة صاخبة من الدجاج في الحديقة أسفل النافذة ، تقطعها صيحات ليزوم الخالية من كل معنى وهو يسوقها خارج الحديقة .

وقد نام بايارد ، وعندما أدركت هذا أدركت أيضا أنها لا تعرف متى توقفت بالضبط عن القراءة ، وظلت جالسة والكتاب مفتوح على ركبتيها ، على صفحة لم تترك كلماتها أي صدى على عقلها ، ومضت تنظر إلى وجهه الهادي . لقد أصبح مرة أخرى كقناع من برنز طهره المرض من حرارة عنقه إلا أن العنف كان ولا يزال قائما هناك ، وإن كان أصنى قليلا . . . ثم حولت نظرها بعيداً وظلت مكانها بالكتاب المفتوح ، وبدأها المستقرتان بلا حركة على الصفحة ، وأخذت تطلع من النافذة ، تعلقت الستائر في مكانها ساكنة بلا حركة وتعلقت الأغصان خارج النافذة بلا حركة أيضا ، تحت أصابع الشمس المتقطعة ، وجلست هي الأخرى بلا حياة ، لا يهتز نسيج ثوبها بتنفسها غير المحسوس وهي تفكر أن السلام لن يتحقق لها إلا في عالم خال من الرجال تماماً .

دقت الساعة اثنتي عشرة مرة . وبعدها على الفور ، وبمقدمة من أنفاس ثقيلة محشجة وحركات متلصصة كحركات فأر هائل ، وحركات جردانية مختلفة أيضا في البهو ، دفع سيمون رأسه من الباب ، وكأنه جد جميع القردة .

قال في همس مبهور ، ألم ينم بعد ؟

قالت نارسيسا وهي ترفع يدها ، ش ش ش . . . ودخل سيمون على

أطراف أصابعه ، وهو يتنفس بثقل ، ويسحب قدميه على الأرض .  
قالت نارسيسا بسرعة ، « ش ، ستوقظه » .

قال سيمون في همس ، « الغداء معد » .

قالت هامسة ، « تستطيع أن تحتفظ بغدائه دافئاً حتى يستيقظ ، هل  
تستطيع أن تفعل هذا ؟ » ثم نادته هامسة أيضاً « سيمون ! » . ووقفت  
ولكنه كان قد جاء إلى المائدة ، حيث تحسّس صف الكتب الموجودة  
عليها ، واستطاع في النهاية أن يسقط أحدها على الأرض ، محدثاً ضجة  
عشوائية . فتح بإبارد عينه .

قال ، « يا إلهي الطيب ، أنت هنا مرة أخرى ؟ » .

قال سيمون متضائلاً ، « حسناً ، والآن ، إذ لم نوقظه أنا ومس  
يبنو » .

قال بإبارد ، « لم لا تستطيع أن تحتمل رؤية أي شخص نائم على ظهره  
وعيناه مغمضتان ، لا أستطيع أن أفهم . شكراً لله لأنك لم تولد في مستنقع  
كالبعوض » .

قال ، « استمعي إليه . ينام وهو يتشاجر ، ويستيقظ من النوم  
ليتشاجر . أعدت لإثورا الطعام لكما » .

قال بإبارد ، « إذن لم لم تحضره ؟ وغداء مس يبنو أيضاً  
» وأضاف ، « إلا إذا كنت ترغبين في النزول إلى الطابق الأسفل ؟ »

كن سيمون في كل ما يأتيه من حركة صورة هزلية لنفسه . وقد اتخذ  
لنفسه الآن مسلك اللائم المتألم : « غرفة الطعام هي مكان الضيوف » .

قالت نارسيسا : « لا . سأنزل إلى الطابق الأسفل . لن أدع سيمون  
يتحمل هذا العناء » .

قال سيمون نافياً ، « ليس ثمة عناء . كل ما في الأمر أنه ليس - » .  
قالت نارسيسا . « سأنزل . اذهب أنت وأعد صينية مستر  
بايارد » .

قال سيمون ، « نعم سيدتي ، واتجه إلى الباب « تستطيعين أن  
تنزلي حالا ، ستضعه للنورا على المائدة في اللحظة التي تصلين فيها »  
وخرج .

قالت نارسيسا . « حاولت أن أبعده ... »

قال بايارد مقاطعاً ، « أنا أعرف ، لن يسمح لأحد بالنوم ساعة تناول  
الطعام . والأفضل لك أن تذهبي وتتناولي طعامك ، وإلا فسيعيد كل شيء  
إلى المطبخ . وليس عليك أن تعودي بسرعة من أجل » .

« ليس على أن أعود بسرعة ! » وتوقفت عند الباب واستدارات إليه .  
« ماذا تعني ! ظننتك تعبت من القراءة ، ربما » .

« أوه ، ، ونظرت بعيداً ، وظلت مكانها واقفة ، وقد اكتست  
ببأسها العميق » .

قال فجأة « اسمعي ، هل أنت مريضة أو بك أي شيء آخر ! أتفضلين  
العودة إلى البيت ؟ »

قالت ، « لا . » وتحركت مرة أخرى ، « سأكون هنا سريعاً » .

وتناولت طعامها في أبهة موحشة في غرفة الطعام المعتمة ، بينما ظل  
سيمون بعد أن أرسل صينية بايارد مع ليزوم يتحرك حول المائدة حاضاً إياها على  
قبول أطباق الطعام ، بإصرار لطيف ، مستنداً على الصوان بجوار الحائط  
يغمغم برتابة بحديث بدا وكأنه بلا بداية ولا أمل في نهايته . وظل  
الحديث ينسال بسهولة من ورائها ، وهي ماضية إلى نهاية اليوم ، وكان

مستمراً أيضاً عندما وقفت عند الباب الأمامى ، الفاظ بلا حروف وكأنها سحرت بوجودها الذاتى وتغلّت من ذات عزمها .

وقد استلقى حوض السلفيا وراء المدخل فى وهج لا يحتمل من الضوء الأبيض ، فى بقع صاخبة ومن ورائه تلالاً الممر بالحرارة ، حتى تحول إلى نفق أخضر أقواسه من أشجار البلوط والخروب ، فأصبح رطبا حتى وصل إلى البوابات وشريط الطريق الساخن . ومن وراء الطريق امتدت الحقول المتلألئة ، وقد تناثرت فيها متباعدة كتل من الأشجار الساكنة حتى التلال التى ذابت فى زرقة يوليو الشاحبة .

ظلت مستندة برهة على الباب ، وهى فى ثوبها الأبيض ، وخدها ملتصق بعارضة الباب الباردة الناعمة ، فى نسيم رقيق كان يهب بانتظام من جهة ما ، رغم أن ورقة ما لم تهز ، وقد انتهى سيمون من غرفة الطعام ، وصعدت من المطبخ إلى البهو همهمة أصوات وسنانة ، محمولة على تلك الاهتزازة الرقيقة من الهواء التى كانت أدفاً من أن تسمى نسيمًا .

وأخيراً سمعت حركة ما فى آخر الدرج ، وتذكرت إيزوم وصينية بايارد ، فاستدارت وفتحت أبواب القاعة ودخلت . كانت الستائر مسدلة بإحكام وأسهمت حزمة الضوء التى تبعثها فى تعميق العتمة . وجدت البيانو ووقفت بجواره برهة . وهى تتلمس سطحه المغبر ، متذكّرة فى خيالها مس جينى منتصبه الظهر لا تقهر ، وهى جالسة فى مقعدها بجواره . سمعت إيزوم وهو ينزل الدرج ، وسرعان ما مانت خطواته وهى تبتعد فى البهو ، وسحبت المقعد وجلست ووضعت ذراعيها على امتداد الغطاء المغلق .

دخل سيمون غرفة الطعام مرة أخرى ، وهو يغفم لنفسه ، ثم جاءت للنورا بعده ، وصفقا الأطباق إلى بعضها البعض وهما يتحدثان معاً بالفاظ بلا حروف مستحيلة التمييز ، تصعد برقة وتهبط . ثم ذهبا . ولكنها ظلت

مكانها جالسة ، وذراعاها على امتداد الخشب الرطب ، في الغرف الهادئة المعتمة حيث كان كل شيء يتسكسل قليلا ، حتى الزمن .

ودقت الساعة مرة أخرى وتحركت . وفكرت : كنت أبكى . كنت أبكى ، قالتها في همس كثيب مستمتع بما فيه من وحشة وحزن . ثم وقفت بالقرب من باب الغرفة أمام المرأة الطويلة وحملت في صورتها المنعكسة المعتمة ، وهي تلبس عيظها بأطراف أصابعها . ثم مضت وتوقفت مرة أخرى عند قاعدة الدرج ، وأنصتت . ثم صعدت الدرج بحمية ، ومضت إلى غرفة مس جيني ، ودخلت حمامها وغسلت وجهها .

وقد ظل بايارد مستلقيا كما تركته . كان يدخن سيجاره . وبين النفثات كان يدق طرفها دون اهتمام بطبق موضوع على الفراش بجواره . قال : حسنا ،

قالت وهي ترفع الطبق : ستشعل النار في البيت بهذه الطريقة . أنت تعرف أن مس جيني لن تسمح لك أن تفعل هذا ،

قال بشيء من الخجل : أنا أعرف هذا ، وجرت المائدة ووضعت عليها الطبق .

« أتستطيع أن تصل إليه الآن ؟ »

« نعم . شكراً . هل أعطوك كفايتك من الطعام ؟ »

« أوه . نعم . سيمون شديد الإلحاح كما تعرفه . هل أقرأ لك أيضاً أم تفضل أن تنام ؟ »

« اقرئي ، إن كان هذا لا يضايقك . أظنني سأظل متيقظا هذه المرة »

« وهل هذا تهديد ؟ »

نظر إليها بسرعة وهي تأخذ مكانها وتلتقط الكتاب : « قولي لي ،

ماذا حدث لك ؟ »



« كنت قبل الغداء في غاية الضيق . هل أعطاك سيمون شراباً أم ماذا ؟ »  
 « لا ليس إلى هذا الحد من سوء . » وضحكت ، وكانت ضحكها  
 وحشية قليلاً ، وفتحت الكتاب ، وقالت وهي تقلب صفحاته بسرعة ،  
 « نسيت أن أضع علامة على المكان ، هل تتذكر ؟ لا ، كنت نائماً وليس  
 كذلك ؟ هل أعود إلى حيث توقفت عن الإنصات ؟ »  
 « اقرئي حيثما تشائين . أظنه كله يشبه بعضه بعضاً . أحسبني سأظل متيقظاً  
 إن اقتربت قليلاً . »

« نعم إذا شئت . لا يضايقني هذا ، »  
 « أتعنين أنك لن تقربي أبداً . » سألتها وهو يحدها بنظراته الجوفاء .  
 وحركت مقعدها قليلاً ، وقربته منه وفتحت الكتاب مرة أخرى وقلبت  
 صفحاته .

قالت بتردد ، « أظنني توقفت هنا تقريباً . نعم . » ثم قرأت  
 لنفسها سطراً أو سطرين ثم بدأت بصوت مرتفع ، وقرأت إلى نهاية  
 الصفحة ، حيث تشاغل صوتها في دهشة جادة . ثم قلبت الصفحة التالية ، ثم أعادتها  
 مرة أخرى . « أنا قرأت هذا مرة ، أنا أتذكر الآن ، » وقلبت الصفحات ،  
 وقد تجعدت جبهة الهادئة قليلاً .

قالت : « لا بد أنني كنت نائمة أيضاً ، ثم ألقت عليه نظرة تحفل بالعجب  
 والصدقة . يبدو وكأنني قرأت صفحات وصفحات . »

قال مرة أخرى ، « أوه اقرئي في أي مكان . »  
 « لا ، انتظر هذه هي ، » ثم قرأت مرة أخرى والتقطت خيط القصة ، ورفعت  
 عينيها مرة أو مرتين بسرعة ورائته وهو يرقبها ، بنظرة كثيفة ولكن هادئة ، ثم  
 توقف عن النظر إليها وأخيراً ، إذ وجدت عينيها مغمضتين ، ظنته نائماً ، انتهت  
 من الفصل وتوقفت .

قال في صوت وسنان ، « لا ، ليس بعد . » ثم ، إذ فشلت في استئناف القراءة  
 فتح عينيها وطلب منها سيجارة ، وضعت الكتاب جانباً وأشعلت له ثقاباً ، ثم  
 أخذت الكتاب مرة أخرى .

وأبلى الأصيل نفسه ، ذهب الزنوج ولم يبق في البيت ثمة صوت عدا صوتها ،  
ودقات الساعة كل ربع ساعة ، وفي الخارج أخذت الظلال تستطيل وتستطيل ،  
رسل السلام القادمة في طلعة المساء ، ثم ذهب في سبات ، رغم اعتقاده المضاد ،  
وبعد قليل توقفت ووضعت الكتاب جانبا ، استلقى جسمه الطويل متصليا في قلبه  
تحت الغطاء ، وظلت جالسة تنظر إلى وجهه الهادي الجريء ، وتنكره المحطم ،  
وفاض حزنها الهادي وأحسست بالعطف عليه ، كان خلوا من كل عاطفة على  
الإطلاق لأي شيء ، قاسياً .. جداً .. جداً .. لا ، ليست هذه هي الكلمة  
ولكن .. بارداً ، تحاشتها ، كان في استطاعتها أن تفهم القسوة ،  
ولا تفهم البرود ..

ومضى الأصيل ، وكان المساء يحاول أن يجد نفسه ، وقد جلست في تأملاتها  
الساكنة الهادئة ، تتطلع من النافذة ، ولم يكن الهواء قد صافح أوراق  
الشجر بعد ، جلست هكذا وكأنها تنتظر شخصاً ما ليقول لها ماذا تفعل  
الآن ، وفقدت كل تصور للزمن إلا أن يكون مجرى معتما غير متعجل ،  
ظلت تحمق فيه إلى أن تمكنت معاويز المساء المسحور من أخذ المساء  
نفسه مولية به .

أحدث صوتاً لا يوصف ، وأدارت رأسها بسرعة ، ورأت جسمه  
مشدوداً بشكل مربع داخل قلبه وقبضتيه مضمومتين بعنف شديداً ،  
وأسنانه بارزة تحت شفتيه المشدودتين ، أخذت فظلت في مقعدها وقد  
غاض اللون من وجهها وعجزت عن القيام بأية حركة ، ثم أحدث الصوت  
مرة أخرى ، رفخت أنفاسه وصفرت من بين أسنانه ، ثم صرخ بصوت  
خال من الكلمات سرعان ما اتصل بدفقة من ألفاظ السباب واللعن ، وعندما  
وقفت أخيراً بجواره ، ويداها على فمها ، استرخى جسمه ، ومن تحت  
جبهته الناضجة بالعرق ، نظر إليها بعينين واسعتين مصممتين ، تربص فيهما  
الرعب والجنون ، والغضب الحبيس واليأس .

قال بصوت جاف رقيق ، « كاد أن يصيبني أخيراً ، عليه اللعنة ، »  
ومضى يرقها من وراء المحنة الفائضة في عينيه الواسعتين ، « كانت ثمة

حلقة منهم حول صدرى ، وفى كل مرة أطلق النار ، كان يشد الحلقة من حول صدرى قليلا . . . وتحسس الغطاء بيديه وحاول أن يشده إلى وجهه ، أتستطيعين أن تأتينى بمنديل ، يوجد عدد منها فى الدرج العلوى هناك .

قالت : « نعم نعم » ، ثم ذهبت إلى الصوان ، وأمسكت به لتسند جسمها المرتعد ، ووجدت المنديل وأحضرتة إليه . حاولت أن تجفف جبينه ووجهه ، ولكنه أخذ المنديل منها ، وفعل هذا بنفسه . قالت وكأنها تنوح : أنت أفرعتنى . أنت أفرعتنى إلى درجة كبيرة . ظننتك . . .

قال باقتضاب : آسف . أنا لا أفعل هذا عن عمد ، أريد سيجارة .

أعطتها له ، وأشعلت الثقاب ، ومرة أخرى كان عليه أن يقبض على يدها حتى يستقر اللهب فيها ، وأخذ أنفاسا عميقة من السيجارة عدة مرات وهو قابض على يدها . حاولت أن تخلص رسغها ، ولكن أصابعه كانت كالصلب ، ولحانها جسمها المرتعد ، وتساقطت مرة أخرى على مقعدها ، وهى تحمق فى برعب وفزع ، وفرغ من السيجارة بأنفاس عميقة سريعة ، وبدأ يتحدث عن أخيه الميت ، وهو قابض على رسغها ، دون مقدمة ، وبوحشية . كانت قصة وحشية ، دون بداية ، عنيفة بفضاعة وبلا جدوى وفى بعض أجزائها دنسة وغليظة ، رغم أن وحشيتها نفسها سلحتها القدرة على جرح المشاعر ، كما حتمت فظاظتها من بداءتها . ومن تحت هذا كله ، كبرياؤه الكاذبة العنيدة فى صراعها المرير ، وهى جالسة وذراعها فى قبضته وبدها الأخرى ضاغطة على فمها ترقبه مخلوبة اللب مرعوبة .

« كان يطير فى خط لولبي ، وهذا ما منعنى من اصطياذ الألمانى ، فى كل مرة استطعت فيها أن ألتقط الألمانى ، كان جون يدخل بيننا ، فأضطر إلى الابتعاد قبل أن يلحق بى واحد من الآخرين . ثم كف عن الطيران اللولبي ، وبمجرد أن رأيته ينحدر مائلا عرفت أن كل شئ قد انتهى .

ثم رأيت النار تتصاعد على امتداد جناحه ، وكان ينظر إلى الخلف .  
لم يكن يتطلع إلى الألماني مطلقا ، كان يتطلع إلى . وهنا ، توقف الألماني  
عن إطلاق النار ، وكلنا بشكل ما ، ظللنا جالسين هناك . لم أستطع أن  
أعرف ما الذى كان يعتزمه جون بعد ذلك ، حتى رأيت يخرج ساقه .  
ثم لمس أنفه بإبهامه مشيرا إلى كما كان يفعل دائما ، ولوح بيديه للألماني ،  
ورفض طائرته بعيداً وقفز ، قفز بساقه أولاً . أنت لاتستطيعين أن  
تقطعى مسافة كبيرة وسافاك إلى أسفل ، كما تعلمين ، وسرعان ما انبطح  
مستويا . كانت ثمة كتلة من السحاب تحتنا مباشرة ، واندفع إليها وبطنه  
إلى أسفل ، كهذا النوع من السباحة الذى اعتدنا أن نسميه مفجر البطون .  
إلا أننى لم أستطع قط أن أجده تحت السحاب . أنا أعرف أننى هبطت  
قبل أن يكون فى استطاعته الخروج من السحاب لأننى بعد أن هبطت ،  
جاءت طائرته منقضه على مباشرة وقد أمسكت بها النار تماما . انحرقت من  
طريقها بسرعة ، ولكن الطائرة الملعونة مرقت أمامى واستدارت بسرعة  
وانقضت على مرة أخرى ، وكان على أن أتفادها . ولذا لم أستطع أبدا  
أن أجده عندما خرج من السحابة . هبطت بطائرتى بسرعة حتى تأكدت  
أننى تحته ، ونظرت مرة أخرى . ولم أستطع أن أجده ظننت أننى ،  
ربما لم أهبط إلى المستوى الكافى . ففطست بطائرتى بسرعة ورأيت طائرته  
وهى تصطدم بالأرض على بعد ثلاثة أميال ، إلا أننى لم أستطع أن أرى  
جون مرة أخرى . ثم بدءوا فى إطلاق النار على من الأرض .

ومضى يتكلم ، وفارقت يدها فيها ، وانزلت على ذراعها الأخرى  
وحاولت أن تفك قبضة أصابعه من على يدها .

همست ، أرجوك ، أرجوك ، وهنا توقف ونظر إليها ، وتحركت  
أصابعه ، وفى اللحظة التى تصورت فيها أن يدها تحررت ، انقبضت  
أصابعه ، وأصبح رسغاهما معا أسيرين . ناضلت ، وهى تحملق فيه برعب ،  
ولكنه ابتسم لها فبرزت أسنانه ، وضغط ذراعها المعقودتين على  
الفراش بجواره .

قالت متضرعة ، ، أرجسوك ، أرجوك ، ، وناضلت ، كمن في استطاعتها أن تحس بلحم راسغيا ، وبالعظام وهي تتحرك داخله وكأنها في ثوب فضفاض ، وأن ترى عينيه الكثيبتين والسخرية المستقرة بين أسنانه ، ولجأة مالت في مقعدها إلى الأمام ، وسقطت رأسها بين ذراعيها الأسيرين ، وبكت بكاء هستيريا يائسا فظيعا .

بعد قليل لم يعد في الغرفة ثمة صوت ، وحرك رأسه ونظر إلى تاج رأسها القائم . ورفع يده ورأى مواضع قبضته على راسغيا ، وقد غاض منها الدم وتكدمت . إلا أنها لم تتحرك أيضا ، فوضع يده على راسغيا ، مرة أخرى ، وهذا ، وبعد برهة ، توقف حتى ارتجاف جسمها وارتعاده .

قال ، ، أنا آسف .. لن أفعل هذا مرة أخرى ، .  
وكان في استطاعته أن يرى قمة رأسها المعتمة فقط ، وقد استلقت يداها خامدتين تحت يده .

قال مرة أخرى ، ، أنا آسف . لن أفعل هذا بعد الآن ،  
سألته ، ، لن تقود هذه السيارة بسرعة بعد الآن ، ولم تتحرك  
وكان صوتها مكظوما .

، ماذا ؟

لم تحر جوابا ، وبسلسلة من الآلام الصغيرة التي لانهاية لها ، وببطء ،  
أدار نفسه وقاله ، رويداً .. رويداً ، حتى أصبح على جنبه . وهو يعض  
شفته ويسب ويلعن من بين أسنانه ووضع يده الأخرى على شعرها .

قالت دون أن ترفع رأسها ، ماذا تفعل ! ستكسر أضلاعك مرة أخرى ، .

قال ، نعم ، ومسح على شعرها بيديه باضطراب .  
قالت ، ، وهذه هي المشكلة . هذه هي الطريقة التي تسلك بها . أن تأتي  
من الأشياء ما - ما - أنت تأتي من الأفعال ما تؤذي به نفسك لمجرد

إزعاج الآخرين . أنت لا تجد ثمة متعة في عمل ما تفعله .  
قال مؤيدا ، « نعم » واستلقى بصدرة المملوء بالإبر الساخنة ؟ وهو  
يمسح على رأسها القائمة بيده الجافة المضطربة . وقد صعدت من فوقه القمة  
الساكنة بين النجوم السوداء المتوحشة ، ومن حوله وديان الهدوء  
والسلام . ثم مضى الوقت ، وقد استطالت الظلال في الحجرة ، وأخذت  
تفقد نفسها في ظلال أخرى ، ومن وراء النافذة كان ضوء الشمس إشعاعا  
منتشرا ؛ بلا منبع ، إلا أنه من الممكن رؤيته ، ومن مكان ما تنادت  
الأبقار على بعضها البعض ، بكآبة وحزن ، وأخيرا اعتدلت في جلستها  
وتحسست وجهها وشعرها .

« أنت معقد تماما . ولن تتقدم إلا إذا أحسنت من سلوكك ، والآن ،  
نم على ظهرك . » وأطاع . وفعل ببطء وألم ، وشفته بين أسنانه ،  
وقطرات عرق على جبينه بينما كانت ترقبه بقلق عميق « هل يؤلمك هذا ؟ »  
« لا » وانغلقت يده مرة أخرى على راسها فلم يحاول الهروب .  
وقد غربت الشمس ، وجاءت لحظة الغسق ، أم الهدوء والسلام ،  
وملأت الغرفة الغائضة ، ثم وجد المساء نفسه ،

قالت من العتمة في إصرار ، « وأنت لن تقود هذه السيارة بسرعة  
بعد الآن ! »

قال ، « لا »

وقد تلقت خطابا آخر من مراسلها المجهول ، أحضره إليها هوراس  
عند عودته في المساء إذ كانت مستقلة في فراشها مع كتاب ، طرق بابها  
برقة وفتحها ووقف برهة مستحييا ، وهكذا ظلا لحظة يتبادلان النظر عبر  
سد تنافرهما المتبادل وكبريائهما العنود .

قال بحفاف ، « آسف لإزعاجك ، وكانت مضطجعة تحت النور المظلل

وشعرها القاتم متناثر على الوسادة ، ولم يتحرك منها - وهو يعبر  
إليها الغرفة - إلا عيناها ثم وقف بجوارها وهي مستلقية مكانها وقد تركت  
كتابها ، وأخذت ترقبه في تساؤل رصين سألهما ، « ماذا تقرئين ؟ »  
وللإجابة أغلقت الكتاب على إصبعها وكشفت غلافة ورسوم عنوانه  
الملونة إلى أعلى . ولكنه لم ينظر إليه كان قبضه مفتوحاً تحت رداءه  
الحريرى ، وتحركت يده النحيفة بين الأشياء الموضوعة على المائدة بجوار  
فراشها ، والتقط كتاباً آخر ، لم أكن أعرف أنك تقرئين بهذه  
الكثرة .

أجابته ، « لدى الآن مزيد من الوقت للقراءة » .

« نعم » وظلت يده تتحرك فوق المائدة ، وهي تتلصص الأشياء  
هنا وهناك .

وظلت مستلقية مكانها تنتظر منه أن يتكلم . ولكنه لم يفعل ،  
وقالت ، « هوراس ، ما الأمر ؟ »

ثم جاء وجلس على حافة الفراش ، وظلت عيناها معاديتين متسائلتين  
وكان ظلها عنوداً بارداً قال « نارسى » : « خفضت عينيها إلى الكتاب ،  
فقال « أولاً ، أريد أن أعتذر لأننى أتركك وحدك فى الليل كثيراً جداً ،  
« نعم » .

وضع يده على ركبتيها « انظرى إلى » ورفعت وجهها والعداء فى  
عينها فقال مكرراً « أريد أن أعتذر عن تركك وحدك فى الليل » .

« وهل يعنى هذا أنك لن تفعلها بعد الآن ، أم أنك لن تأتى على  
الإطلاق ؟ » ظل جالساً برهة يتأمل استكاثرة يده المتوحشة وهي  
مستلقية على ركبتيها المغطاة ، ثم ترك مكانه ووقف مرة أخرى بجوار  
المائدة ، وأخذ يلبس الأشياء التى عليها ، ثم عاد وجلس على الفراش . كانت قد  
استأنفت القراءة مرة أخرى وحاول أن يأخذ الكتاب من يدها ولكنه قاومت .

قالت وقد عيل صبرها : هوراس ماذا تريد ؟ .  
استغرق مرة أخرى في تأملاته بينما ظلت ترقب وجهه ، ثم رفع وجهه  
وقال بسرعة : سأزوج بيل .

« ولم تقول لي ؟ هاري هو الشخص الذي تقول له هذا . إلا إذا  
كنت ، أنت وبيل ، ستستغنيان عن شكليات الطلاق » .

قال : « نعم إنه يعرف » . ووضع يده على ركبتيها مرة أخرى  
ومسح عليها من فوق الغطاء : « أنت لم تدهشي حتى لهذا .. أليس كذلك ؟ » .

« أنت الذي تثير دهشتي ، وليست بيل ، بيل لها طبيعة الشوارع  
الخلفية » قال مؤيداً : « نعم » ، ثم : « من قال لك هذا ؟ أنت لم تتصورى هذا  
بنفسك » وظلت مستلقية مكانها ، وكتابها مرفوع قليلاً ، وعيناها عليه  
.. أمسك يدها بغلظة ، وحاولت أن تستخلصها ، ولكن دون جدوى  
ثم سأله : « من الذي قال لك هذا ؟ » .

« لم يقل أحد لي هذا . هوراس ، لا تفعل » .

ترك يدها وقال : « أنا أعلم من . إنها مسز دوبري » .

قالت مرة أخرى : « لم يقل أحد هذا . هوراس ، اذهب  
ودعني وحدي » .

ومن وراء العداء كانت عيناها بائستين مستيشتين . « ألا ترى أن  
الكلام لا جدوى منه ؟ » .

قال بإعيااء : « نعم » ، إلا أنه ظل جالساً بذلك ركبتيها . ثم وقف ودفع  
يده داخل ثوبه وإذا استدار ليخرج توقف مرة أخرى ، أخرج من جيبه  
غلافاً : « هذا خطاب لك نسيتته معي أصيل اليوم . آسف » .

كانت تقرأ ، فقالت له : « ضعه على المائدة » ، دون أن ترفع عينيها .  
ووضع الخطاب على المائدة وغادر الغرفة . وعند الباب نظر إلى الخلف .  
وايكن رأسها كانت مخنية على الكتاب .



وإذا أخذ في خلع ملابسه ، بدا له بالفعل ، وكان رائحة بيل الثقيلة الشاحبة قد تعلقت بها ، وببيديه أيضاً حتى بعد أن أوى إلى فراشه ، وإذا تعلقت به تلك الرائحة جسدت في الظلام بجواره شهوية بيل الحيوانية الغزيرة ، وكان ولم يزل في تلك المنطقة الدافئة التي لم تغط في النوم بعد ، حيث تقيم أم الأحلام ، فتجاسمت بيل أشد وضوحاً وجلالاً ، بقدر ما انزلق جسمه مبتعداً عنه . وهارى أيضاً ، بصمته الشرس ، واستقصائه الجريح ، الذي لم يكن في بعضه إلا غروراً خطياً وصدمة ، وفي أغلبه حيرة صبي مخاضة ، أطلقت نفسها بعنف هائل في شكل عبارات سينائية . وبالضبط قبل أن ينام ، استحضر عقله ، بما للعقل من قدرة غريبة على استرجاع الذكريات غير المناسبة ، استحضر بشبحية جهاز تسجيل الصوت المذهلة ، حادثاً اعتبره في حينه تافهاً . أخذت بيل فها منه ، وإبرهة ظل جسدها ملاصقاً له ، وأمسكت وجهه بيديها معاً ، وتطلعت إليه بعينين مركزتين مستفهمتين ، « هوراس ، هل تملك مالا كثيراً ؟ ، وأجابها على الفور « نعم . طبعاً عندي ، ثم أحاطت به مرة أخرى وكانها عقار شديد سميت ، وكأنها بحر ساكن موحد ، راقب نفسه وهو يغرق فيه .

ظل الخطاب (١) على المائدة تلك الليلة ، منسياً ، ثم اكتشفته في الصباح التالي وقتحته ، أنا أحاول أن أنساك . أنا لا أستطيع أن أنساك عيناك الكبيرتان شعرك الأسود كم يجعلك شعرك الأسود تبدلين بيضاء ، وكيف تمشين . أنا أرقبك . يفوح العطر منك كزهرة ، عيناك تلعبان بسر ، أسلوبك في المشي يجعلني مريضاً كحموم طول الليل أفكر كيف تمشين . أنا أستطيع أن أمسك وأنت لا تستطيعين أن تعرفي . كل يوم ولكنني لا أستطيع يجب أن أفرغ على الورق يجب أن أنكلم أنت لا تعرفين . شفقتك كقفوس كيوبيد عندما يأتي اليوم عندما أضغطهما على شفقتي كما حللت في حمى من الجنة إلى الجحيم . أنا أعرف ماذا تفعلين أنا أعرف أكثر مما تتصورين . أنا أرى رجالاً يزوروك بألم مر . كوني حذرة

(١) في هذا الخطاب من الأخطاء ما يدل على عدم تمكن صاحبه من اللغة (الراجع) .

إنا رجل مستيثس . لن يهني شيء إذا أحببت بدنس رجلا سأقتله .  
« أنت لا تجيبين أنا أعرف أنك تستلميها أنا رأيت واحدا في حقيبة  
يدك . الأفضل لك أن تجيبي سريعا أنا رجل مستيثس تأكله الحي  
ولا أستطيع أن أنام منها أنا لن أؤذيك ولكنني مستيثس لا تنسى أنني  
لن أؤذيك ولكنني رجل مستيثس . »

وتراكت الأيام . لم تكن أياما حزينة ولا موحشة ، كانت محومة إلى  
الدرجة التي لا تجعلها حزينة وكانت نفسها ممزقة في اتجاهين ، بعد أن  
دمرت جدران حديقتها الهادئة ، وهي نفسها كحيوان ليلى أو طائر وقع  
في حزمة من النور ويحاول سدى أن يهرب .

لقد ذهب هوراس نهائيا في طريقه ، ومضيا معاً كغريبين يعيشان  
رتابة أيامهما المادية ، في قطيعة لا تنحني ، لود طويل وكبرياء متشابهة  
اختفت تحت غلاف كاذب رقيق من الصغائر . وكانت تجلس مع بايارد  
تقريبا كل يوم ، ولكن بحذر على مسافة ياردتين منه .

في البدء ، حاول أن يخضعها بالجمعة ثم بالمداينة ولكنها كانت  
صلبة ، فكف أخيراً واستلقى في فراشه لتطلع بهدوء من النافذة ،  
أو لينام وهي تقرأ .

وكانت مس جيني ، تأتي من حين إلى حين ، لتطل من الباب عليهما  
وتذهب . أما نفورها وتوقعها للخطر ورعبها من وجودها معه فقد ذهبت  
كلها ، وأحيانا ، كانت تكف عن القراءة ، ويتحدثان معا بهدوء حديثا  
غير شخصي . وشبح ذلك الأصيل بينهما ، رغم أن أحدا منهما لم يشر  
إليه على الإطلاق وقد استبد حب الاستطلاع قليلا بمس جيني حول ذلك  
اليوم ، إلا أن نارسيسا رفضت بحدية ووقار أن تقول شيئا ، ولم يتكلم  
بايارد أيضا ، وهكذا تكونت بينهما رابطة أخرى إلا أنها لم تكن  
رابطة مضمينة ، وقد سمعت مس جيني أيضا شائعات حول هوراس وبيل ،  
ولكن نارسيسا لم يكن لديها شيء تقوله حول هذا الموضوع .

قالت مس جيني بمكر ، خذى الأمر كما تشائين أنا أستطيع أن أكون رأى الشخصى ، وأنا أتصور بيل وهوراس وفى استطاعتهم أن يحدثا معاً الكثير من الفوضى . وأنا مسرورة بهذا . هذا الرجل كان سيجعل منك عائساً عجوزاً . لم يتأخر بك الوقت كثيراً جداً . ولو انتظر خمس سنوات أخرى ليلعب دور الأحمق ، لما تبقى لك ثمة شيء ، عدا إعطاء دروس فى الموسيقى . ولكنك تستطيعين الزواج الآن .

سألها نارسيسا ، « وهل تنصحينى بالزواج ؟ »

« لن أنصح أحداً بالزواج . لن تكونى سعيدة ، ولكن النساء لم يتحضرن بعد بما يكفى ليكن سعداء وهن غير متزوجات . ولذا يجوز لك أن تجربى الزواج . ونحن مع ذلك نستطيع أن نصمد لأى شيء . والتغيير خير للناس . هكذا يقولون على الأقل ، »

ولكن نارسيسا لم تكن تصدق هذا . قالت لنفسها ، لن أتزوج قط الرجال . ذلك هو الشيء الذى يمكن فيه الشقاء ، أن تسمحى للرجال بالدخول فى حياتك ، »

« وإذا كنت قد عجزت عن الاحتفاظ بهوراس بكل ما منحته من حب . . . ونام بيارد والتقطت الكتاب وأخذت فى القراءة لنفسها ، عن ناس عجيبيين فى عالم عجيب حيث كانت الأشياء تحدث كما ينبغي أن تحدث ، واستطالت الظلال نحو الشرق ومضت تقرأ ، وقد فقدت إحساسها بالموجودات .

تبقى بيارد بعد وقت قصير ، وأحضرت له سيجارة وثقاباً . قال :  
لن يكون عليك بعد الآن أن تفعلى هذا . أحسبك آسفة ،

وكان يعنى بهذا أن قلبه سينخام عنه فى الغد . وقد استلقى فى فراشه يدخن سيجارته ، ويتحدث عما سيفعله عندما يعود إلى حالته الطبيعية . سيعنى أول ما يعنى بإصلاح سيارته ، سيأخذها إلى ممفيس فى المرجح .

وخطط رحلة لثلاثتهم مس جيني ونارسيسا وهو - في الوقت الذي تكون فيه السيارة قيد الإصلاح . قال : « سيأخذ ذلك ما يقرب من أسبوع لا بد أنها في حالة سيئة جداً . أرجو ألا أكون قد أذيت أجهزتها . »

قالت له تذكره ، « ولكنك لن تقودها بسرعة بعد الآن ، وظل مستلقيا في سكون وسيجارته تحترق بين أصابعه فاستطردت تقول : « أنت وعدت بهذا . »

« متى وعدت ، ؟ »

« ألا تتذكر ؟ ذلك . . . الأصيل عندما كانوا . . »

« عندما أفزعتك ؟ ، وكانت في مكانها ترقبه بعينها الجادتين المهمومتين . فقال « تعالى هنا ، فوقفت وذهبت إلى فراشه وأخذ يدها . »

قالت بإصرار : « لن تقودها بسرعة مرة أخرى . »

قال : « لا ، أنا أعد ، وظلا هكذا ساكنين لحظة ، ويدها في يده . اهتزت الستائر في النسيم ، وطرفت أوراق الغصن القريب من النافذة بأعينها لبعضها البعض ، واستدارت وتهامست معا . لم يعد الغروب بعيد ، وحينئذ يتوقف النسيم . ثم تحرك . »

ناداها ، « نارسيسا ، فنظرت إليه ، فقال : « ميلي وجهك إلى ، »

نظرت بعيداً ، ولبرهة قصيرة لم تكن ثمة حركة بينهما ولا صوت .

قالت أخيراً بهدوء ، « يجب أن أذهب ، وتخلي عن يدها . »

وقد خلع عنه قاليه ، ووقف وجال في المكان ، وكان يتحرك - بالتأكيد - متعثراً إلى حد ما إلا أن مس جيني كانت قد بدأت بالفعل تتأمل حالته بشيء من القلق . « إذا استطعنا فقط أن ندبر الأمر بحيث

نكسر إحدى عظامه الأقل أهمية ، واحدة كل شهر أو ما يقرب من هذا بما يكفي لإبقائه في البيت . . . .

قالت لها نارسيسا : « لن يكون هذا ضروريا . سيحسن منذ الآن التصرف ، سألتها مس جيني « من أين تعرفين هذا ؟ أى شيء في العالم يدفعك إلى التفكير بهذه الطريقة ؟ »

« وعد أن يفعل ، »

أجابت مس جيني على الفور « سيعد بأى شيء وهو مستلق على ظهره . كلهم سيفعلون ، وكلهم فعلوا . ولكن ما الذى يدفعك للاعتقاد بأنه سيحفظ الوعد ؟ »

قالت نارسيسا بوقار ، « وعدنى أن يفعل ، »

كان العمل على إصلاح السيارة أول ما اهتم به . كانت قد جرت إلى البلدة وأصلحت بالطريقة التى تكفل لها السير بقوة ذاتية ، إلا أنه كان من المهم أن تؤخذ إلى مفيس لتقويم هيكلها وإصلاح جسمها ، وكان بإيارد مصمما على عمل هذا بنفسه ، بأضلاعه حديثة العقد وأربطته ، ولكن مس جيني أصرت على موقفها . وبعد نصف ساعة صاخبة كانت هزيمته قد تحققت . وهكذا قاد شاب من يرتزقون من حول أحد جراجات البلدة السيارة إلى مفيس .

قالت مس جيني ، « ستصحبك نارسيسا في سيارتها إن كان من الضروري لك أن تركب ، قال بإيارد ساخراً ، « فى محصة الفول السودانى هذه ؟ لن تقطع أكثر من واحد وعشرين ميلا فى الساعة ، »

أجابت مس جيني « لا وشكراً لله . وقد كتبت إلى مفيس وطلبت منهم أن يضبطوا سيارتك حتى تجرى بنفس هذه السرعة أيضا ، »

خلق بايارد فيها بكآبة ووجوم وسألها ، هل فعلت أى شيء مثل هذا الشيء الملعون ؟ ، صاحت مس جيني « أوه ، خذيه بعيداً عني يانارسيسا . أغربني به عن عيني . سئمت تماماً النظر إليه ، .

وقد رفض في البدء أن يركب سيارة نارسيسا . ولم يدع ثمة فرصة تفوته للتحدث عنها بسخرية واستخفاف ثقيلين ، وهو ماض في إصراره على رفض الركوب فيها .

وقد اصطنع دكتور الفورد ضمادة مطاطية لصدره تمكنه من ركوب حصانه ، غير أنه اكتسب رغبة عجيبة في التسكع حول البيت عندما تكون نارسيسا فيه .

وكانت نارسيسا تأتي كثيراً . وقد تصورت مس جيني أنها تفعل هذا من أجل بايارد ، واستفسرت من ضيقتها بأسلوبها المباشر ، فحدثتها نارسيسا عن هوراس وبيسل ومس جيني جالسة مكانها تستمع منتصبية الظهر لا تقهر بجوار البيانو .

قالت . « يا للطفل المسكين ، ثم يا إلهي ؟ ، أليسوا أغبياء ؟ وأخيراً ، حسناً ، أنت على صواب . لو كنت مكانك لما تزوجت أحدا منهم . »  
قالت نارسيسا . « ولا أنا . تمنيت ألا يوجد أحد من الرجال في العالم ، وصاححت مس جيني « أوف ، .

وذات أصيل ، كانا في سيارة نارسيسا ، وكان بايارد جالسا إلى عجلة القيادة رغم احتجاجها في البداية إلا أنه كان يتصرف بحكمة تماماً ، فاطمأنت في النهاية . مضيا بالسيارة هابطين طريق الوادي واستدار إلى التلال ، وسألته عن وجهتهما . ولكن إجابته كانت غامضة . وهكذا جلست بهدوء بجواره ، وصعد الطريق في انحناءات طويلة بين أشجار صنوبر تعتمت في الأصيل المنحدر . ولف الطريق وهو يكشف عند كل دورة مشاهد واسعة صغيرة من الوديان التي أضاءتها الشمس ، والتلال

المقابلة وكانت تحوطهما دائما أشجار الصنوبر الكثيرة وأريجها الكليل المنعش .  
وبعد وقت ما اعتلى تلاً وأبطأ السيارة ومن تحتهم تهادى الطريق ،  
ثم اعتدل متجها إلى صف من أشجار الصفصاف ، ثم فوق جسر حجري ،  
وصعد الطريق مرة أخرى واستدار واجر لونه واختفى بين الأشجار  
القائمة .

قال « هذا هو المكان » .

قالت وهي سارحة « المكان ؟ » ، ثم ، وإذا انزلت السيارة مرة أخرى  
إلى الأمام وهي تكتسب سرعة متزايدة ، أنهضت نفسها . وأدركت  
ما يعنيه وصاحت به ، « أنت وعدت ! » ولكنه دفع خناق الوقود  
إلى أسفل ، فتعلقت به وحاولت أن تصرخ إلا أنها لم تستطع أن تخرج  
صوتا ، ولا استطاعت أن تغمض عينيها عندما اندفع عليهما الجسر الضيق  
مترافعا . ثم توقفت أنفاسها وقلبها عندما مرقا مبرقين ، بهزيم كأصدا .  
عاصفة ثلجية على سطح من الصفيح ، بين صف من الصفصاف ولألاء مياه  
متساقطة واندفعا نحو التل التالى . وتمايلت السيارة الصغيرة على المنحني ،  
وانزلقت أقدامها عن الأرض ، ومضت إلى المستنقع ، وقفزت منه ،  
واندفعت إلى الطريق . ثم أحكم بايارد قيادتها وصعدت إلى قمة التل بسرعة  
متناقصة ، وتوقفت وقد كانت جالسة بجواره وفما الشاحب مفتوح تستعطفه  
بمينيها الواسعتين البائستين . ثم التقطت أنفاسها فناحت .

قال متعلشاً ، لم أقصد . . . أردت فقط أن أعرف إن كان فى  
استطاعتى أن أفعلها . وأحاطها بذراعيه وتعلقت به ، ويداه تتحركان  
بجنون حول كتفيه ، قال مرة أخرى ، « لم أقصد . . » وكانت يداها  
المجنونتان حينئذ على وجهه وكانت تبكى بوحشية ووجهها على شفثيه .

قضى ساعات الصباح منكبا على دفاتره ، متتبعا بنوع ما من الدهشة .  
يده وهي تضع الأرقام الأنيقة فى الأعمدة المسطرة . وقد انتهى به الأمر  
إلى شكل ما من أشكال الذهول بعد ليلة لم يغمض له فيها جفن وقد

تبسدت طاقة عقله إلى الدرجة التي أعجزتها حتى عن تأمل صور شهوته العارمة التي صدت إلى آخر الزمن ، إلا بدهشة غبية ، لأن الصور لم تملأ دمه بالغضب الجنوني واليأس ، ولذا فقد كان ينبغي أن تمر برهة قبل أن تتفعل أعصابه المخدرة بمخطر جديد ، وتدفعه لأن يرفع رأسه . كان فيرجيل يرد يدخل في تلك اللحظة من الباب .

انزلق بسرعة من فوق مقعده العالي وتسلسل حول الركن واندفع من باب مكتب بايارد العجوز وقبع داخل الباب . وسمع الصبي وهو يسأل بأدب عنه ، وسمع الصراف يقول له إنه كان هناك منذ دقيقة ، وإنه يعتقد أنه قد خرج لشأن ما ، وسمع الصبي وهو يقول له ، إنه يرى أن ينتظره حتى يعود ، ثم ظل قابلاً داخل الباب ، وهو يسمح له الذي يتصعب باللعب بمنديله .

ثم فتح الباب ، بعد برهة ، بحذر . وقد ألقى الصبي مستنداً إلى الجدار بصبر وبساطة ، ووقف سنوبس مرة أخرى بيديه المقبوضتين المرتعدين . لم يسب ، كان غضبه الجنوني اليأس أضخم من الكلمات ، ولكن أنفاسه كانت تأتي وتذهب بصوت سريع في حنجرتة آه - آه - آه وبدا له وكأن كرتي عينيه قد شدتا إلى الخلف إلى داخل جمجمته ، وأنها تباعدان حتى توشك الحبال التي تشدهما على الانقطاع ، ثم فتح الباب . صاح الصبي بسرور وهو يقف ، « أهلاً ، مستر سنوبس ، ومضى مستر سنوبس ودخل ردهة المصرف ، واقترب من الصراف .

قال بصوت هامس لا يكاد يسمع : « ريس أعطني خمسة دولارات ، ماذا ؟ »

قال مرة أخرى بصوت مبجوح ، « أعطني خمسة دولارات ، وقد فعل الصراف ، وكتب بسرعة مذكرة وشبكها بدبوس على إضبارة بجواره وكان الصبي قد جاء إلى النافذة ، ولكن سنوبس مضى في طريقه وتبعه الصبي عائداً إلى المكتب مرة أخرى ، وقدماه العاريتان تحدثان فحيحاً على أرضية المكتب المصنوعة من المشمع .



قال موضحاً ، حاولت أن أعثر عليك ليلة أمس ، ولكنك لم تكن في البيت ، ثم رفع عيفيه ورأى وجه سنوبس ، وبعد لحظة صرخ وتخلص من ذهوله واستدار مولياً . ولكن الرجل أمسك به من ثوبه قتلى في يده وتشنج ، وهو يستغيث في رغب شامل . والرجل يجره عبر المكتب ، ثم يفتح الباب المؤدى إلى الساحة الخالية . كان سنوبس يحاول أن يقول شيئاً في صوته المجنون المرتعد ، ولكن الصبي ظل يصرخ دون توقف ، وقد استرخى جسمه في قبضته ، والرجل يحاول أن يزج بالورقة المالية في جيبه وفي النهاية استطاع أن يفعل ذلك ثم أطلق الصبي ، الذى نعث مبتعداً ، ثم وجد الطريق إلى ساقيه ، ففر هارباً . وعاد إلى المكتب فسأله الصراف بدهشة ، « لم كنت تضرب هذا الصبي ؟ »

قال على الفور وهو يفتح دفتره « لتطفله على شئون الآخرين ، .

تطلع وهو يعبر الميدان الخالى إلى وجه الساعة المضى . كانت الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق . ولم تكن ثمة علامة من علامات الحياة إلا شبح حارس الليل الوحيد بجوار باب ردهة إدارة البريد .

وغادر الميدان ودخل شارعاً ومضى فى خطو منتظم تحت أضواء المصابيح الكهربائية ، كان الشارع حينئذ له وحده ، وظله واسع الخطو ، الذى يطارده بانتظام من الظلام ويتبعه فى بحيرة النور ، ثم إلى الظلام مرة أخرى ، واستدار عند ركن ومضى أيضاً فى شارع أكثر هدوءاً ، ثم عرج منه إلى مرج بين سياجين كشيئين من الياسمين البرى أكثر ارتفاعاً من قامته ، وبأريج حلو فى هواء الليل . كان المرج معتماً أسرع من خطوه . وعلى الجانبين ارتفعت الطوابق العليا من البيوت فوق الياسمين البرى فظهرت نافذة مضيئة من حين إلى حين بين الأشجار المعتمة . وظل ماضياً بالقرب من الجدار وقد أسرع خطوه ، حتى أصبح بين خلفيات البيوت . وبعد برهة تشاى بيت آخر ، وصف من أشجار الأرض المتراخمة ، تشاى أيضاً ومن ورائها سماء أكثر شحوباً ، ثم استرق خطاه بجوار حائط حجرى وبذلك أصبح قبالة الجاراج .

توقف هنا وبحث بين الحشائش الغزيرة تحت الجدار وانحنى والتقط قائمة خشبية أسندها إلى الجدار ثم تسلق الجدار مستمينا بالقائمة واعتلى سقف الجاراج .

كان البيت معتماً ، وهنا انزلق إلى الأرض واسترق خطاه عبر المرج وتوقف تحت نافذة . كان ثمة ضوء من مكان ما في مقدمة البيت ، ولكن بلا صوت ولا حركة ، وظل واقفاً ينصت برهة ، وهو يرمح بنظراته هنا وهناك ، متلصصاً دون انقطاع وكأنه حيوان وقع في مصيدة .

واستسلمت النافذة لسكينه بسهولة ورفعها وأنصت مرة أخرى وبحركة واحدة مضطربة أصبح داخل الغرفة ، وقبع . ثم لا صوت عدا وقع ضربات قلبه ، وانبعث من البيت كله الإحساس الذي لا يخطئ بخلوه الموقت من أهله . ثم أخرج منديله ومسح فمه .

كان الضوء في الغرفة المجاورة ، ومضى إليها ، وكان الدرج يبدأ في آخر هذه الغرفة فرق خلالها ، وصعد الدرج مسرعاً إلى عتمة الطابق العلوى وتحسس طريقه حتى لمس جداراً ثم باباً ، ودار مقبض الباب في يده .

كانت هي الغرفة المطلوبة ، وقد عرف على الفور هذا . كان وجودها يحيط به من كل جانب ولمدة من الزمن دق قلبه في حنجرتة وضرب فيها بالمطارق الثقيلة ذوات الصوت المكتوم ، وزلزله الغضب الجنوني والشهوة واليأس . ثم تماسك ، يجب عليه أن يخرج بسرعة ، وتحسس طريقه إلى فراشها ، واستلقى منكفئاً عليه ، ورأسه مدفون بين الوسائد ، وهو يتلوى معذبا ينبعث منه أنين حيواني محبوس ولكن يجب عليه أن يخرج بسرعة ، فقام وتجول متحسسا طريقه في الغرفة مرة أخرى . وما كان في الغرفة من ضوء كان خلفه في تلك اللحظة ، وبدلاً من أن يجد الباب ، وقع على صف من الأدراج ، فتوقف لحظة ، وهو يتعرف على شكلها بأصابعه ثم فتح أحدها وبحثت أصابعه فيه بطريقة عشوائية . كان مملوءاً بأثواب رقيقة خفيفة العطر ، إلا أنه لم يستطع أن يميز بأصابعه قطعة منها من الأخرى .

وجد ثقابا في جيبه وأشعله تحت ستار كفه ، وبضوئه اختار إحدى قطع  
الملابس الناعمة ، مكتشفا ، ولهب الثقاب يموت ، حزمة من الخطابات في ركن  
الدرج . وقد تعرف عليها في الحال ، ورعى الثقاب الميت على الأرض ،  
وأخذ الحزمة من الدرج ووضعها في جيبه ، ووضع الخطاب الذي انتهى للتو  
من كتابته في الدرج ، وظل واقفا لحظة ووجه مدفون في قطعة الثياب  
ضاغطاً بها عليه بعنف هائل ، وظل هكذا وقتاً ، حتى دفعه صوت لأن  
يرفع رأسه فجأة وينصت . كانت ثمة سيارة تدخل الممر الخاص ، وإذا كان  
يقفز إلى النافذة اكتسحت أضواؤها المكان من تحته وسقطت بكل قوتها  
على الجاراج المفتوح ، فقع في النافذة في رعب هائل . ثم أسرع إلى  
الباب وتوقف مرة أخرى ، وأقوى ، وهو يلثم ويزجر متردداً .

جری عائداً إلى النافذة . كان الجاراج مظلماً ، وقد أخذ شخصان  
تحوطهما العتمة في الاقتراب من البيت ، فقع بجوار النافذة حتى اختفيا  
عن الأنظار ، ثم تسلق النافذة ، وهو قابض على قطعة الثياب في يده ،  
وظل معلقاً من حافتها بيديه لحظة ، ثم أغمض عينيه وهوى .

ودوى صوت تحطيم الزجاج ، فزحف وقد أفقدته الصدمة إحساسه بين  
أصوات تحطيم أقل ، وموجة غبار عطن جاف . لقد سقط في حوض  
زهور محفور على انخفاض قليل من الأرض فتسلقه زاحفا وحاول أن يقف  
وسقط مرة أخرى ، وقد شمله شعور الغثيان وكأنه في دوامات . كانت  
ركبته وقد استلقى متألماً ، وشفتاه مشدودتان لاهتتان ، بينما نرف ساق  
سرواله ببطء ودفء ، وقد قبض على قطعة الثياب في يده . وحلق في السماء  
المعتمة بعينين واسعتين مجنوتتين .

ثم سمع أصواتاً في البيت ، وأضاء نور وراء النافذة التي تعلوه ، واستدار  
وحباً بقفزات زاحفة عبر المرج وغطس في ظلام الأرض بجوار الجاراج ،  
حيث استلقى هناك وهو يرقب النافذة التي انحنى منها رجل أخذ يتطلع من

حواله ، وقد تأوه قليلا بينما كان دمه يجري بين أصابعه المضمومة . ودفع نفسه مرة أخرى الى الأمام ، وجرجر ساقه الدامية فوق الجدار ، وهبط على المرج ورمى القضيبي جانبا . وعلى بعد مائة ياردة أخرى ، توقف وأزاح سرواله الممزق جانبا وحاول أن يضمد النزيف المتدفق من ساقه . إلا أن المنديل تلمطخ كله في الحال تقريبا ، وظل الدم يجري منسالا فوق ساقه الى داخل حذائه .

ما كاد يصل إلى غرفة البنك الخلفية حتى رفع ساق سرواله ونزع المنديل وغسل الجرح في المغسل . إلا أنه ظل ينزف ، وقد أشاع منظر دمه فيه الغثيان قتايل ويده مستندة إلى الجدار ، وهو ينظر إلى دمه . ثم خلع قميصه وضمد به ساقه وشده قدر ما استطاع . وقد ظل شعور الغثيان ملازما له ، فشرب بشراهة من ماء الصنبور الفاتر . وعلى الفور أتخمه الماء وثقل عليه ، فاستند إلى جدار المغسل ، وقد تصبب عرقا ، محاولا ألا يقي . حتى مرت الأزمة ، وكان ضعيفا وتغنى أن يستلقي ولكن لم يجرؤ أن يفعل .

دخل ردهة البنك ، وكعب حذائه الأيسر يترك بصمة حمراء عند كل خطوة . وقد انفتح باب القبو دون صوت ، ودون حاجة إلى ضوء وأخذ مفتاح صندوق العملة النقدية وفتحه . لم يأخذ إلا أوراقا مالية إلا أنه أخذ كل ما استطاع أن يجده . ثم أغلق القبو ، وثبته بالقفل ، وعاد إلى المغسل وبلل منشفة بالماء وأزال بصمات كعبه من الأرضية المغطاة بالشمع . ثم خرج من الباب الخلفي ، ورمى السقطة حتى ينغلق الباب من ورائه . ودقت الساعة في بيت القضاء الثانية عشرة .

جلس زنجي في سيارة فورد عظيمة بين متجرين من متاجر السود . كان ينتظر . أعطى الزنجي ورقة مالية ، وشغل الزنجي الآلة وعاد وحلق بدهشة في قطعة النسيج المغطاة بالدم تحت سرواله الممزق . قال الزنجي :

« ماذا حدث يا ريس ؟ ، أنت لم تصب بأذى أليس كذلك ؟ ،

قال باقتضاب : « تعثرت في سلك به وقود كثير أليس كذلك ؟ ،

وأجاب الزنجي بالإيجاب ومضى بالسيارة وإذا كان يعبر الميدان كان  
الأمور بك واقفا تحت الضوء أمام إدارة البريد ، وسبه سنوبس في صمت  
وسخرية مريرة . ومضى ودخل شارعاً آخر واختفى عن الأنظار ، ورويداً  
وريداً غاض صوت ذهابه .

---



## الجزء الرابع





كان أصيلاً بهيجاً في أحد أيام أكتوبر ، وقد مضت نارسيسا وبيارد في السيارة بعد الغداء بوقت قصير ، وكانت مس جيني وبيارد المعجوز جالسين في آخر الشرفة المشمسة عندما جاء الوفد بوقار من وراء ركن البيت وفي طليعته سيمون . كان وفداً من ستة زنوج في طراز كاثوليكي من ملابس الأحد الرسمية ، وكان ياتم الوفد زنجي هائل الحجم ذو رأس كرأس الثور . كان يرتدى بفيقة مؤخرتها مكان مقدمتها وسترة من طراز الأمير ألبرت . ومن حوله جو من الآهة المجمعجة وكانت له عينان وحشيتان قاهرتان .

قال سيمون ، « هؤلاء هم ، ودون أن يتوقف ارتقى الدرج واستدار ، فلم يترك في ضمير أحد ثمة شك في الجانب الذي يعتبر نفسه منتبياً إليه . وتوقف الوفد وتهامس أعضاؤه قليلاً باحتشام وقور .

قالت مس جيني « ما هذا ؟ أهذا أنت أيها العم بيرد ؟ . . . » وكشف أحد أعضاء الوفد عن فروة رأسه الصوفية المفلقلة وانحنى وقال : « نعم سيدتي مس جيني . . كيف حالك ؟ . . ونقل الآخرون أقدامهم ، ورفعوا قبعاتهم واحداً بعد الآخر : أما الزعيم فقد وضع قبعته فوق صدره ، وكأنه أحد أعضاء الكونجرس وهو يستعد لالتقاط صورة له .

سأل بيارد المعجوز « سيمون اسمع ما هذا . . ؟ لأي سبب أحضرت هؤلاء الزنوج هنا ؟ . . »

قال سيمون موضحاً ، « جاءوا من أجل أموالهم . »

« ماذا ؟ »

وقالت مس جيني باهتمام : « أموال ! ! سيمون . . أي أموال ؟ » .

قال سيمون هاتفاً « لقد جاءوا من أجل المال الذي وعدتهم به . »

قال بيارد « قلت لك إنني لن أدفع هذه النقود ، ثم سأل الوفد ، « هل

قال لكم سيمون إنني سأدفعها ؟ »

وقالت مس جيني مرة أخرى ، « أي نقود ، سيمون عم تتكلم ؟ »

أما زعيم الوفد فقد كان يعد وجهه للكلمات ، إلا أن سيمون سبقه وقال  
« كولونيل ، أنت قلت لي بنفسك أن أقول لهم ، هؤلاء الزنوج ، إنك  
ستدفع لهم . »

أجاب بايارد العجوز بعنف « لم أقل مثل هذا الشيء . قلت لك إنهم إذا كانوا  
يريدون أن يضعوك في السجن ، فليمضوا ويفعلوها . هذا هو ما قلته لك . »

« كولونيل ، أنت قلت لي هذا بكل صراحة . كل ما في الأمر أنك نسيت .  
أنا أستطيع أن أستشهد بمس جيني أنك قلت لي ، - فقاطعته مس جيني قائلة « ليس  
بي . هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن الأمر . سيمون أموال من هي ؟ » .

وأعطاه سيمون نظرة متألمة لأثمة « لقد قال لي أن أقول لهم إنه سيدفع لهم ،  
وصرخ بايارد « أكون ملهوناً لو فعلت . قلت لك إنني لن أدفع سقناً واحداً منها .  
وقلت لك إنك إذا سمحت لهم بإزعاجي حول هذا الأمر فسأسلخك حياً ياسيدي ،

تال سيمون مهدئاً « إن أسمع لهم أن يزعجوك ، وهذا هو ما أرهبه الآن .  
عليك فقط أن تدفع لهم أموالهم ، وأنا وأنت نستطيع أن نسوى الأمر فيما بعد . »

« أكون ملهوناً إلى الأبد إن فعلت . إذا سمحت لزنجى كسول لا يساوى  
ثمن طعامه و - »

قال سيمون موضعاً بصبر ، « ولكن ثمة شخص ما يجب عليه أن يدفع لهم ،  
مس جيني أليس هذا صحيحاً ؟ » .

وقالت مس جيني مؤيدة « هذا صحيح إلا أنني لست هذا الشخص ،

« نعم ياسيدي ليس ثمة خلاف أن شخصاً ما يتحتم عليه أن يدفع لهم وإذا لم يهدى .  
تأثرتهم أحد فسيضعونني في السجن وهنا ماذا سيفعلون كلكم . . ؟ دون أي شخص  
يقوم بإطعام الخيل وتنظيفها وتنظيف البيت وبالخدمة على مائدة الطعام . بالطبع  
أنا لا أضييق بالذهاب إلى السجن رغم أن أرضيته لن تفيد شقائي . . ورسم صورة  
طويلة مؤثرة لمبادئ سامية مقدسة ولتضحية بالذات صابرة

« كم المبلغ ،

انتفخ الزعيم داخل سترة الأمير ألبرت وقال : أيها الأخ مور ، أرجو أن  
تقرأ مجموع الربيع المستحق لمشروع كنيسة المعمدين الثانية لدى الشماس ستروتر  
المفصول بصفته أميناً لصندوق مجلس إدارة الكنيسة .

واصطنع الأخ مور اضطراباً خفيفاً في مؤخرة الجماعة ثم تقدم إلى الأمام  
بعمونة الكثير من الأيدي التي تطوعت راغبة في تقديم المعونة ، كان زنجياً صغير  
الحجم متردداً في لون الأبنوس ، وفي ملابس سوداء وقورة تفوق مقاسه كثيراً ،  
وقد وسع القس له المسكان بحركة ملكية وقورة ، محاولاً بشكل ما تركيز الاهتمام  
عليه . وضع قبعته على الأرض عند قدميه ، وأخرج من جيب سترته الأيمن  
منديلاً أحمر ، ثم « لبيسة » خذاء ، ثم قطعة من طباق المضغ ، ثم أمسكها جميعاً في يده  
الطليقة وغطس بيده الأخرى في جيبه وعلى وجهه شعور خفيف بقلق رجل مسئول  
ذى ضمير . ثم أعاد الأشياء مكانها ، ومن جيبه الأيسر أخرج مطواة وعصا  
قصيرة طوى عليها خيطاً من القنب ، وقطعة قصيرة من حزام جلدى مربوطة بعقدة  
معدنية صدئة وفاسدة فيما يبدو وأخيراً مفكرة ملطخة قدرة تآوت حوافها ، زج  
الأشياء الأخرى في جيبه وسقطت قطعة الجلد من يده ، فأنحنى إليها وأخذها  
ثم عقد هو والقس حديثاً مقتصراً هامساً ، ثم فتح المذكرة واضطرب ما بين  
أوراقها ، وظل هكذا حتى انحنى القس فوق كتفه ووجد الصفحة الصحيحة ووضع  
إصبعها عليها .

سال بايارد العجوز وقد عيل صبره : كم المبلغ أيها الموقر ؟ ...  
قال القس بنغمة هادئة : « سيقرأ الأخ مور المبلغ » . أما الأخ مور فقد نظر إلى  
الصفحة محلقاً باستغراق ثم غمغم شيئاً بصوت لا يمكن تمييزه عملياً .

قال بايارد العجوز ، وهو يحيط أذنه بكفه : كم ؟ ...  
وقال سيمون : اجعله يتكلم . ألا يستطيع أحدكم أن يخبرنا عما يقوله ؟  
وقال القس بصوت أجش : به أثر من الضجر ، « ارفع صوتك »  
قال الأخ مور أخيراً ، « سبعة وستون دولاراً وأربعون سنتاً » .  
وارتمى بايارد العجوز على مؤخرة ظهر مقعده وظل يسب ويلعن دقيقة كاملة

وسيمون يرقبه بقلق مكثوم ثم وقف وعبر الشرفة بخطواته الثقيلة ودخل البيت وما زال يسب ويلعن . وهنا تنهد سيمون واسترخى وتحرك الوفد قلقا وتراجع الأخ مور إلى المؤخرة . أما القس ، فقد احتفظ بطابع الفموض والعمق .

سألت مس جيني ، وقد أخذها حب الاستطلاع ، د سيمون وماذا حدث لهذا المال ، أنت أخذته ، أليس كذلك ؟ ،

أجاب سيمون ، د هذا هو ما يزعمونه ،

د وماذا فعلت به ؟ ،

قال لها مطمئنا ، د لقد سوى الأمر . صرفته ، هذا كل ما في الأمر بشكل ما ، . وافقته مس جيني وقالت برود ، د أراهن أنك فعلت . أراهن أيضا أنها لم تبرد قط وهي معك . وهم يستحقون أن يفقدوها جزاء لهم ، في المحل الأول ، عن إعطائها لك . من الذي أعطاها له ؟ ،

قال سيمون بسهولة ، د أوه ، أنا والكولونيل قد انتهينا من تسوية هذا الأمر منذ وقت طويل ، وجاء بايارد العجوز وهو يدب في البهو ثم خرج إلى الشرفة وفي يده شيك .

قال آمراً د خذ ، ، واقرب القس من سور الشرفة وأخذه وطبقه وسواه في جيبه ، وصاح بايارد د وأنتم أيها الناس إذا بلغت بكم الحافة الدرجة التي تجعلكم تعطونه مزيدا من أموالكم مرة أخرى فلا تحضروا إلى من أجلها ، أسمعوني ؟ ،

ثم سدّد عينيه الغاضبتين إلى الوفد برهة ، ثم إلى سيمون ، د وأنت ، عندما تسرق مالا في المرة القادمة ، وتأتي إلى لأدفعه عنك فساكون السبب في سجنك ، وسأقاضيك شخصياً . أخرج هؤلاء الزوج من هنا ، .

كان الوفد قد بدأ يتحرك بالفعل بطريقة منسقة ، إلا أن القس أوقفهم بحركة من يده ، ثم واجه سيمون مرة أخرى وقال : أيها الشماس ستروثر بصفتي راعيا لكنيسة المعمدين الأولى المحترقة ، وراعيا لكنيسة المعمدانين الثانية المقترحة ، ورئيسا لهذه اللجنة هأنذا أعيد إليك سلطاتك السابقة كشماس في كنيسة المعمدانين الثانية المقترحة سالقة الذكر . أمين كولونيل سارتورس ، سيدتي ، طالب يومكم ، ثم استدار وساق لجنته خارجا من المشهد - قال سيمون ، « شكراً لله ، انتهت مشغوليتنا بهذا الأمر ، ثم جلس على الدرجة العليا وتأوه بسرور .

قال بايارد محذرا ، « وأنت تذكر ما قلته ، مرة أخرى ، .

ولكن سيمون كان قد مد رأسه في الاتجاه الذي ذهب فيه مجلس إدارة الكنيسة وقال ، « والآن ، ماذا تظنهم يريدون الآن ؟ ، ذلك أن اللجنة كانت قد عادت وكانت تطلع بتردد من وراء ركن البيت . سأل بايارد ، « حسنا ما الأمر الآن ؟ ،

كانوا يحاولون مرة أخرى دفع الأخ مور إلى المقدمة ، ولكنه انتصر عليهم هذه المرة وأخيرا تكلم القس ، « أيها البيض ، لقد نسيتم الأربعين سنتا ، .

« ماذا ؟ ،

هاتف سيمون ، « يقول إنك لم تضيف الأربعين سنتاً ، . وانفجر بابارد العجوز ووضعت مس جيني كفها على أذنيها ، ودارت العيون في رهوس اللجنة بإعجاب مملوء بالخوف ، بينما خلق بابارد العجوز إلى قم رائحة ، منقضا في النهاية على سيمون .

صاح كالعاصفة ، « أنت أعطتهم هذه السنوات الأربعين ، وأخرجهم من هنا . وإذا سمعت لهم يوما بالعودة فسا ضربكم جميعاً بسوط من سياط الخيل ، .

« يا إلهي ليس عندي أربعون سنتا يا كولونيل ، وأنت تعرف هذا .  
ألا يستطيعون الاستغناء عنها بعد أن حصلوا على المبلغ ؟ »

قالت مس جيني « لا . يا سيمون معك ، معك نصف دولار تبقى معك  
بعد أن اشتريت لك هذا الحذاء ليلة الأمس ، ، ومرة أخرى ، نظر إليها  
سيمون بدهشة تفيض بالآلم .

قال بايارد العجوز آمراً « أعطها لهم ، وببطء مد سيمون يده إلى  
جيبه وأخرج قطعة نقود ذات نصف دولار وقلبها في يده .

قال متمتما « كولونيل ، ربما أحتاج إلى هذا المبلغ . يبدو وكأنه من  
الجائز لهم أن يتركوا لي هذا المبلغ . »

قال بايارد العجوز بصوت كهزيم الرعد ، « أعطهم هذا المبلغ !  
أحسبك تستطيع أن تدفع منه على الأقل أربعين سنتا ، . وقف سيمون  
متباطئا ، واقترب القس .

قال سيمون للقس ، « أعطني باقي النقود ، . ورفض أن يسلم قطعة  
نقوده حتى أصبحت قطعتان من النيكل في يده ، ثم رحلت اللجنة .

قال بايارد العجوز « والآن أريد أن أعرف ماذا فعلت بهذه النقود ،  
قال سيمون دون تردد « حسناً سيدي . حدث الأمر هكذا . صرفت  
هذه النقود ، .

قالت مس جيني ، « يا إلهي ، هل ستبدؤون الحكاية من جديد ،  
وتركتهما وكان في استطاعتهما وهي في غرفتها ، جالسة في نافذة يغمرها  
ضوء الشمس ، أن تسمعهما ، غضب بايارد العجوز الجنوني ومراوغات  
سيمون اللطيفة المقبولة ، وهي تعلو وتهبط فوق هواء السبت الوسنان .

كانت ثمة وردة ، وردة واحدة متبقية . وقد ظلت نضيرة عبر أيام  
الصيف الأخيرة الحزينة الميتة ، والآن أيضاً ، رغم أن أشجار السكاكي

قد علفت منذ زمن طويل زهورها التي تشبه شحوسا صغيرة بين الأغصان التي تحملت بعقود من الفراشات . وقضت أشجار الصمغ والإسفندان والجوز أسبوعين من الذهب والقرمز . والأعشاب ، أيضا ، حيث قدمت جود الجنادب يوما متبلدة ، وكأنها شيوخ مكتئبون في الثمانين من أعمارهم ، ترك عليها الصقيع رسوماً رقيقة ، وقد تعطرت ساعات الظهيرة المشمسة بأريج أشجار الغاب ، والتي ظلت تحمل زهورها رغم أنها فضجت منذ زمن ، فتهدأت قليلا وإن ظلت في أماكنها ببطولة ، وكأنها نجوم ساخرة خافية . وكانت مس جيني ترتدى صداراً صوفياً ، وكانت مسجتها تلمع أيضاً في قفازها ترابي اللون .

قالت : « إنها تشبه امرأة عرفتاً يوما . كل مافي الأمر أنها لاتعرف كيف تستسلم بنبل وتصبح جدة » .

قالت نارسيسا محتجة ، وكانت ترتدى ثوبا صوفيا رمادياً ، « دهبها تقض الصيف ، وكانت ثمة مسجة أخرى في يدها ، وقد ظلت تتابع برقة ووقار مس جيني التي عيل صبرها فتدفقت باللوم والتأنيب دون أن تحقق شيئاً ، بل وأسوأ من لا شيء ، وأسوأ حتى بما حققه إيزوم ، لأنها حطمت عزيمته ، فأعلن على الفور عن ولاته المكتوم للجناح الأيسر ، أو السلبي . قالت نارسيسا ، « من حقها أن تقضى الصيف كما ترى ، قالت مس جيني « بعض الناس لا يعرفون الصيف عندما ينتهي . والصيف الهندي ليس مبرراً للشيوخ كي يرددوا إلى المراهقة » .

« وهي ليست شيخوخة أيضاً » .

« وهو كذلك سترين يوما » .

« أوه يوما ما لست مستعدة تماما لكي أكون جدة الآن » .

ونزعت مس جيني بمسجتها بعناية وخبرة بصيلة زنبق وأزالت بمهارة من حول جذرها كتل الطين التي انمعدت حولها . قالت : « يبدو وكأننا

قد أتينا بإيارد تماما ، في الوقت الحاضر على الأقل أحسب من الأفضل  
لنا أن نسميه جون هذه المرة .

حسناً . . .

قالت مس جيني مرة أخرى ، نعم . سنسماه جون . أنت إيزوم ،

وما زالت حلاجة القطن تعمل بانتظام منذ شهر ، وماذا كان أمامها  
إلا أن تفعل هذا ولديها قطن آل سارتورس وزراع الوادى الآخرين ،  
والزراع الأقل شأنًا بحقولهم المنحدرة بين التلال . كانت أرض آل سارتورس  
تزرع بالمشاركة وقد انتهى معظم المستأجرين من جنى أقطانهم ، وحصد  
القمح المتأخر وفي الساعات المتأخرة من الأصيل ، وقد افترش الصيف  
الهندي الأرض ، وتمطى حزن عتيق حاد كدخان حريق من خشب فوق  
هواء ساكن . كان بإيارد ونارسيسا يخرجان من السيارة ويذهبان إلى مكان  
قريب من نبع على حافة الغابة ، حيث كان الزوج يحضرون عيدان قصب  
السكر ، ويصنعون نتاجهم الشتوى المشترك من العسل الأسود . كانت المعصرة  
والبغل الذى يزودها بالقوة المحركة ملكا لأحد الزوج الذى كان يشتغل  
بين المستأجرين مكانة الشيخ والزعيم . كان يقوم بالمصر ويشرف على  
طهو العصارة مقابل عشرين ، وعندما كان بإيارد ونارسيسا يصلان كانا  
يحيدان البغل وهو ماض فى دورانه البطىء الرتيب الصبور ، وأقدامه  
تحدث صوتا ضعيفا بين نخاع عيدان القصب الجافة بينما يقوم أحد أحفاد  
الشيخ بإطعام المعصرة بعيدان القصب .

وقد مضى البغل بدور وبدور وهو يضع أقدامه الرفيعة التى تشبه  
أقدام الغزلان بحذر ورقة بين نخاع القصب ذى الفحيح ، وعنقه تهتز إلى  
أعلى وإلى أسفل بليونة وكأنها قطعة من طوقه المطاطى ، وجنباه محصوران  
بين الأحزمة الجلدية ، وأذناه تهدلان إلى أسفل وكأنهما ميتين وعيناه  
نصف المغمضتين وسناتان بشر كامن وراء الجفون الشاحبة ، كان يبدو  
نائمًا بفعل حركته الذاتية الرتيبة . إن واجب أحد شعراء الحقول أن ينشد ،



وكأنه هوميروس القديم ، ملحمة البغل ومكانته في الجنوب . إنه البغل أكثر من أى مخلوق أو شئ . آخر ، ذلك الذى استمسك بالأرض عندما نهات عزائم الجميع إزاء الظروف المدمرة الساحقة التى لا أمل فيها ، غير مبال بالأحوال التى حطمت قلوب الرجال ، ذلك لأنه كان مستغرقاً بحقد وصبر فى الحاضر المباشر ، فاستخلص الجنوب المستسلم من تحت حذاء التعمير الحديدى ، ومرة أخرى عليه الكبرياء من خلال الذلة ، والشجاعة من خلال الانتصار على الشدائد ، هو ذلك الذى حقق ما كاد يكون مستحيلاً رغم العقبات المليئة بالصبر المنتقم الحقوق الخالص . الأب والأم إنه لا يشبههما ، الابن والبنت لن يعرفهما حقوق صبور ( ومن الحقائق المعروفة أنه يقبل على العمل من أجلك صابراً ، مدة عشر سنوات حتى يفوز بامتياز ركك مرة واحدة ) ، إنه وحيد ولكن دون تكبر باكتفاء ذاتى دون غرور ، وصوته هو صوت سخريته من نفسه . منبوذ وطريد بلا صديق ولا زوجة ولا حبيبة . أعزب ، وليس عليه شائبة ، لا يملك من الأرض دعامة أو كهفاً صحراوياً ، ليس محلاً لهجوم المغريات ، ولا تسوطه الأحلام بسياطها ولا تغريه عينه . الإيمان والأمل والمحبة ليست له . بغاض للبشر ، ومع ذلك يعمل ستة أيام دون جزاء من أجل المخلوق الذى يكرهه وهو مربوط بالأغلال للمخلوق آخر يحتقره ويقضى اليوم السابع وهو يركل رفاقه أو تركه . غير مفهوم حتى لدى ذلك المخلوق . الذى يقوده ، الزنجى ، الذى تشابهه حوافزها وعمليات عقلها إلى أقصى حد ، وهو يؤدي أعمالاً معادية فى ظروف مادية . إنه يصنع الخبز لا الجنس واحد بل لشكل شامل من أشكال السلوك ، متواضع ، وتركته تؤخذ مع روحه بعيداً لتطهى فى أحد مصانع الغراء . فيصح لا يتعب ، ومشاكس لا يمكن التأثير عليه بالمنطق أو بالمداينة ولا بالوعداً والمكافأة ، إنه يؤدي واجباته المتواضعة الرتيبة دون شكاية والضربات ثوابه . وعندما يكون حياً ، يرفع العالم كله ذكره كرمز للسخرية العامة ، غير مبكى عليه ، غير مكرم ، غير مثنى عليه ، ثم يترك عظام هيكله القبيحة المتهمة لتسبلى بين علب الصفح التى يأكلها الصدا والآوانى الفخارية المهشمة وإطارات السيارات ( م - ٢١ )

البالية على سفوح التلال العزلاء ، بينما يصعد لمة محلقاً دون أن يدري في  
زرقة السماء في حويصلات الصقور .

كانت تأوهات المعصرة وصريها هي أول ما يصل أسماعها من همس وهما  
يقتربان من المكان إلا إذا كانت الريح تهب نحوهما ، وهنا نكون الرائحة  
الحادة المثيرة المنتشرة من التخمير والعسل الأسود الذي يغلي . كان بايارد يميل  
إلى هذه الرائحة ، وكانا يعضيان بسيارتهما ثم يتوقفان برهة بينما يسترق  
الصبي الذي يزود المعصرة بعيدان القصب النظر إليهما ، وهما يرقبان البغل  
الصابر والعجوز الذي ينحني فوق القدر المغلي . كان بايارد يخرج  
من السيارة أحياناً ويذهب إلى الرجل ويتحدث إليه تاركاً نارسيسا في  
السيارة مغلقة في أريج السنة التي أوشكت على الانتهاء ، وفي أحزانها  
العميقة الغامضة ، ونظرتها تتأمل بايارد والزنجي العجوز أحدهما نحيف  
وطويل وبه شباب يحوطه الشؤم ، والآخر أحنى الزمن ظهره ، وكانت روحها  
تنطلق في موجات وقورة رتيبة ، تغلفه دون أن يعي .

ثم كان يعود ويجلس بجوارها فتلس نيا به الخشنة ، ولكن برقة فلا  
يحس بها ، ثم كانا يعودان في الطريق غير الواضح غير المستوي ، بجوار  
الغابات المتباهية المزدهرة ثم يعبران منحني الخروب والبلوط ، إلى البيت  
الأبيض البسيط الهائل الراسخ ، وقرص قر أيام الحصاد البرتقالي يطل  
من فوق التلال البعيدة ، وقد نضج كقرص من الجبن .

وأحياناً كانا يعودان مرة أخرى بعد الظلام . حينئذ تكون المعصرة  
صامتة وقد سكن ذراعها الطويل دون حركة وبرز في المشهد الذي تضئته  
النيران . كان البغل يحرش طعامه في إسطلبه أويركه بقدميه ، ويتفحص  
مزوده بدمه ، أو نائماً وهو واقف غير مشغول بالغد ، وظهرت أشباح  
تتحرك في ضوء النار . لقد تجمع الزوج : عجائز من النسوة والرجال  
جالسون على وسائل مقطعة من عيدان القصب من حول النار . كان  
يزودها واحد منهم بالعيدان المعصورة وتمضي في هذا حتى تدوم ثورتها  
المجنونة المحملة بالأريج وتعلق بالسنتها عروق الخشب فوق رؤوسهم ،

فزيد الأوراق الذهبية المتلألئة ذهباً على ذهب ، ورجال وقتيات في سن الشباب ، وأطفال قاعدون في سكون كالحيوانات ، وهم يحملون في النار ، وكانوا يغنون أحياناً. أنفاما مرتعدة بلا كلمات تندمج فيها الأصوات النائمة بالأصوات الجشة الخفيفة في توتر حزين أقدم من التاريخ ، وقد انحنت وجوههم المعتمة الجادة على السنة النيران بلا حركة في الشفاء .

إلا أن الغناء كان يتوقف عند وصول الناس البيض ، ويستلقون أو يجلسون من حول النار التي يغلي من فوقها القدر الأسود ، وهم يتحدثون في همس متقطع منغم ، متطلع إلى المرح المشبع بالحزن ، بينما يضطجع الشبان والفتيات على فرش ظليّة بين عيدان القصب الجافة الهامسة ، كانوا يتحدثون همساً ويضحكون .

ودائماً كان أحدهما ، أو كلاهما معا يعرج على المكتب ليجد بايارد العجوز ومس جيني تحت الضوء المنبعث من وهج المدفأة بجريدتها اليومية المثيرة ، وبايارد العجوز وقدماه في خفيهما مستندان على جدار المدفأة ، ورأسه مكلل بالدخان والكلاب العجوز يحلم من آن إلى آخر بجوار المقعد ، ربما كان يعيش أياماً متكبيرة عتيقة مرة أخرى ، ربما كان يمضي بالحلم إلى ما قبل ذلك ، إلى أيام صباه الخرقاء العجفاء ، عندما كان العالم مملوئاً بالروائح التي كانت تثير الجنون في دمه . حينما لم تكن الكبرياء قد عاثت به ضبط النفس . ومعهما بايارد ونارسيسا ، ونارسيسا تحلم أيضاً في ضوء النار ، وهي وقورة هادئة ، وبايارد الصغير يدخل سيجارته في لحظة استرخائه المخللة القائمة .

وأخيراً يرمي بايارد العجوز سيجاره في المدفأة ، ويهبط بقدميه على الأرض ويستيقظ الكلب ويرفع رأسه ويرمش بعينه ويتثائب بتأن واضح إلى الدرجة التي كانت تحصل نارسيسا ، وهي ترقبه ، تتثائب أيضاً . جيني هيا .

ثم تضع مس جيني صحيفتها جانبا وتقف ، وتقول نارسيسا : دعيني دعيني

أذهب ، إلا أن مس جيني لم تكن تسمح لها قط ، وتمود بصينية عليها ثلاثة أكواب ، فيفتح بايارد العجوز مكتبه ويخرج الدورق ذا الغطاء الفضي ويعد ثلاثة كئوس من الشراب بعناية ، وكأنه يؤدي طقوسا دينية .

ومرة أغراها على ارتداء ملابس الصيد الخاكية والأحذية الطويلة وأخذها في رحلة لصيد حيوان المتماوت . كان كازبي في انتظارهم عند البوابة المؤدية إلى الساحة الخالية ويحمل على كتفه فانوسا حجب نوره إلا من خطوط رفيعة وبوقا وإيزوم ومعه زكية من السكتان ، وقأس وأربعة كلاب صيد متحفزة بدت كالأشباح في عتمة الليل وبدءوا رحلتهم بين جرون شبحية من القمح ، كان بايارد يصيد منها كل يوم عددا من طيور السماء وانجهوا إلى الغاية .

سأل بايارد كازبي ، من أين تبدأ الليلة ؟ ،

من وراء مكان العم هنري يوجد واحد هناك في تسكيبية العنب خلف مخزن القطن طارده بلو حتى هناك ليلة أمس ، .

سأله نارسيسا ، من أين لك العلم إنه لا يزال هناك ؟ ،

أجاب كازبي بثقة ، لا بد أن يكون هناك إنه هناك الآن بالفعل يرقب هذا المصباح بمينيه المتطلعتين وينصت ليعرف إن كانت الكلاب معنا ، .

وتسلقوا سياجا وانحنى كازبي ووضع الفانوس على الأرض وتزاحمت الكلاب وتجادبت حول قدميه ، وهي تشمشم وتدمدم على بعضها البعض في أصوات حنجيرية مكتومة وهو يفك قيودها ، أنت ، روبي ، قف هادئا مكانك أنت بالاعق الأواني . . . . . كفف ، .

إلا أنها ظلت تهمهم وتتدافع ، وقد لمعت أعينها في نظرات سريعة سائلة ، ثم غاصت دون صوت وبسرعة في الظلام واختفت . قال كازبي ، أعطها فسيحة من الوقت ، دعها تر إذا كان قد عاد إلى هناك ، ثم نبح كلب ثلاث مرات بصوت حاد من الظلام . . .

قال كازبي : هذا نباح الكلب الصغير ؛ إنه يستعرض نفسه فقط لم يشتم شيئا . ، وقد سبحت النجوم فوق رؤوسهم بغموض في السماء الشاحبة ، لم يكن الهواء قد أصبح بارداً بعد ، كانت الأرض ولا تزال دافئة على ملس اليد . وقد وقفوا في واحة مستقرة من ضوء الفانوس في عالم من بعد واحد ، مستودع غامض من الظلام مملوء بالضوء الواهن وغطاؤه مظلة بلا حافة من النجوم البالية . كان الدخان ينبعث من الفانوس ويبت رائحة حرارة خفيفة ثم رفعه كازبي وخفض شعلته ووضعها عند قدميه مرة أخرى ثم من الظلام جاء عواء وحيد رنان ومنخفض وجاد قال إيزوم : إنه هناك . ،

قال ، كازبي مؤيداً : هذا روبي . والتقط الفانوس . لقد أمسك به ، وعوى الكلب الصغير مرة أخرى بهستيرية مجنونة ، ثم تلاآت الصيحة الوحيدة المنخفضة فوضعت نارسيسا ذراعها في ذراع بايارد ، ولكن كازبي قال : لا داعي للمجلة لم يجدوا أثره بعد ، ثم رفع صوته وأرسل نداء طويلاً ممدوداً للكلاب . كان الكلب الصغير قد توقف عن العواء ، ولكن الآخر ظل يرسل على فترات عواءه الوحيد المميز ، ومضوا في أثره وأرسل كازبي نداءه الطويل إلى الكلاب .

وتعثروا قليلاً في حفر الأرض الشاحبة التي خلفتها أسنان المحارث ، وهم ماضون وراء فانوس كازبي الصاعد الهابط ثم امتلأ الظلام فجأة بصيحات قصيرة هادئة في أربعة أصوات مختلفة . قال إيزوم : وجدوه . ،

قال كازبي مؤيداً : هذا صحيح فلنذهب . أمسك به يا كلاب ، وأسرعوا خطوهم ، ونارسيسا متعلقة بذراع بايارد ، ثم اندفعوا خلال أعشاب عطنة ثم فوق سياج آخر ثم بين الأشجار ولعلت عيون اللاحه من الظلام ثم عاصفة أخرى من النباح تخاللتها همهمات متوترة قلقة وماجت الكلاب بين ظلال متشرة نصف مضادة . قال كازبي : إنه هناك فوق ، وبلو العجوز يراه . ،

قال ليزوم : هذا كلب العم هنرى أيضاً .  
زام كازبى وقال : كنت أعرف أنه سيكون هنا . لم يعد يستطيع أن  
يطارد متماوتا ، ولكن دع أى كلب يطارد متماوتا حيثما يستطيع أن يسمعه . .  
ثم وضع الفانوس فوق رأسه ، وسدد عينيه إلى الساق المغلفة بأغصان  
العنب وأخرج بايارد من جيبه مصباحا كهربيا ووجه حزمة ضوئه إلى  
الشجرة . وقد جلس الكلاب الثلاثة : الأكبر سنأ ، وحيوان العم هنرى  
العتيق الذى أكلت الشيوخوخة فيه فى حلقة متوترة بالقرب من الشجرة ،  
وهى تهتمهم أو تعوى فى دفعات بينها فترات قصيرة ، ولكن الكلب  
الصغير ظلى يعوى بانتظام فى دفعات هستيرية مجنونة . صاح كازبى آمرا ،  
« اضرب هذا الكلب حتى يسكت . »

صاح ليزوم : أنت ، جنجر ، اقفل فك ، ثم وضع فأسه  
وجرارته على الأرض وأمسك بالكلب ووضع بين دكبتيه . وتحرك  
كازبى ، وبايارد ببطء من حول الشجرة ، وبين الكلاب القلقة وتبعهم  
نارسيسا .

قال كازبى ، « هذه الأعشاب كثيفة جداً فوق هذه الشجرة . . . »  
قال بايارد فجأة « هذا هو ، وجدته ، ثم صوب مصباحه وتحرك  
كازبى من ورائه ونظر من فوق كتفه .

وسألت نارسيسا : أين ؟ هل تستطيع أن تراه ؟ ،

قال كازبى مؤكداً ، « هذا صحيح هو هناك . روبرى لا تكذب .  
عندما تقول إنه هناك يكون هناك . »

قالت نارسيسا مرة أخرى ، « بايارد ، أين هو ؟ ، فأوقفها أمامه  
وصوب مصباحه من فوق رأسها إلى الشجرة ، وهنا حملقت فيها ، من  
بين أغصان العنب المتكاثفة ، نقطتان حمراوان من النار ، لا تبعدان  
عن بعضهما البعض عرض ثقاب ، ثم طرفتا ، ثم أضاءتا مرة أخرى .  
قال كازبى ، « إنه يتحرك . متماوت صغير . ليزوم ، اصعد إليه

واطرده من مكانه . وثبت بايارد ضوء مصباحه على عين الحيوان ، ووضع كازبي فانوسه على الأرض ، وجمع الكلاب حول ساقيه . تسلق لزوم الشجرة واختفى في أغصان العنب المتكاثفة ، إلا أنه كان في استطاعتهم تتبع حركته من خلال الأغصان المهتزة وكلماته اللاهثة ، وهو يهدد الحيوان بخليط من ألفاظ المداينة والأقسام المغلظة .

وقال وهو يصر على أسنانه ، هاه . لن أؤذيك . لن أفعل بك شيئاً إلا أن ألقى بك في إناء الطمو . انتبه ، أيها السيد ، أنا قادم إليك ، ثم مزبد من الضوضاء ، ثم توقفت . وكان في استطاعتهم أن يسموه وهو يزيج الأغصان بحذر ثم هتف فجأة ، هذا هو . أمسك هذه الكلاب الآن .

سأل كازبي ، صغير أليس كذلك ؟

لا أستطيع أن أعرف . لا أستطيع أن أرى إلا وجهه . راقب هذه الكلاب . ثم انفجرت الأغصان العليا في غضبة مجنونة مهتمة ، وعلا صياح كازبي أكثر وأكثر وهو يمز الأغصان ، ثم هتف . هو . . . لقد خرج ، ثم تساقط شيء غير مرئي ببطء وتردد من غصن إلى غصن آخر ، وتوقف وأحدثت الكلاب صخباً مضغوطاً . سقط الشيء مرة أخرى ، وتبع ضوء مصباح بايارد شيئاً ثقيلاً متكسلاً سقط على الأرض فأحدث اصطدامه بها صوتاً مكتوماً ثم اختفى على الفور تحت دوامة من الكلاب .

وثب كازبي وبايارد على الفور إلى وسطها وهما يتصايحان ، ونجحا أخيراً في جرحرتها بعيداً . ورأت نارسيسا الحيوان في بحيرة من ضوء مصباح بايارد ، مستلقياً على جنبه ، وجسمه منحني في قوس مبتسم ، وعيناه مغمضتان ؛ ويداه الجراوان اللتان تشبهان يدي طفل مقوستان على صدره . نظرت إلى الشيء الساكن دون حركة بعطف واشمئزاز واضح . وذلك التناقض ، الابتسامة الماكرة التي تشبه جمجمة منشقة ، وتلك

اليدين الدقيقتان اللتان تشبهان يدي إنسان ، وذلك الذيل الطويل ، ذيله  
الذي يشبه ذيل الفأر . وقفز إيزوم من فوق الشجرة ، وسلم كازبي  
الكلاب الثلاثة المناضلة الثائرة إلى ابن أخيه ، والتقط الفأس ، وبينما كانت  
نارسيسا ترقبه بتطلع ووجل ، وضع الفأس فوق عنق الحيوان ، وقدمه  
على طرفي ذراعها ، وقبض على ذيل الحيوان . واستدارت وفرت وقد  
أطبقت يديها على فها .

إلا أن سور الظلام أوقفها ، فوقفت مكانها ترتعد ، وبها غشيان  
قليل ، ومضت ترقبهم وهم يتحركون من حول الفانوس . ثم طرد كازبي  
الكلاب ، وأعطى كلب المم هنري العجوز ركلة قوية رناته أرسلته إلى  
بيته ، بعويل مذهل يحمّد الدم في العروق ، وطوح إيزوم الفرارة المتكتلة  
فوق كتفه . واستدار بإيارد وبحث عنها ، نارسيسا ؟

قالت ، ، هنا ، فذهب إليها .

« هذا واحد . ينبغي أن نحصل على اثني عشر الليلة ، .

قالت وهي ترتعد ، « أوه.. لا ، فنظر إليها بحمقا وهو يردد متسائلا  
« لا ، ثم أضاء مصباحه فجأة وسقط ضوءه على وجهها . فرفعت يدها  
ووضعتها جانبا .

« ما الأمر ؟ أنت لم تتعبى بعد ؟

قالت ، « لا . فقط أنا . . . هيا بنا ، سيتركونا وراءهم ، .

قادم كازبي إلى الغابات ، وكانوا يمشون على حفيف أوراق الشجر  
الجافة وطققة شجيرات الغابة . تجاسمت الأشجار في ضوء الفانوس ، ومن  
فوقهم ، ومن بين الأغصان المتضائلة كانت النجوم تسبح في السماء الصامتة  
الغامضة . كانت الكلاب في مقدمتهم ، ومضوا بين جذوع الأشجار  
المتشعبة منحدرين إلى أخاديد لمعت رمالها في بحيرة نور الفانوس ، وتجاسمت  
فيها ظلال قدي كازبي ، وكأنها مقصات هائلة تنفتح وتنغلق ، وشقوا



طريقهم خلال أدغال ذوات أشواك من الورد الوحش صاعدين إلى الجانب الآخر .

قال كازبي مقترحاً ، « الأفضل لنا أن نمضي بعيداً عن قاع النهر ، فقد يقعون على حيوان الراقون ، فلا يعودون إلى البيت قبل طلوع النهار ، ثم شق طريقه مبتعداً نحو الأرض المكشوفة مرة أخرى ، وخرجوا من الغابة ، وعبروا حقلاً من نبات الحلفاء ، تفوح منه رائحة الشمس والغبار ونمشي فيه على ضوء المصباح قليلاً . وهتف كازبي بالكلاب - دخلوا الغابات مرة أخرى . وقد بدأ التعب يأخذ طريقه إلى نارسيسا ، ولكن بايارد مضى مسرعاً بتجاهل رفيع لهذه الإمكانية ، ونبعته دون شكاية . وأخيراً ، ومن مكان بعيد جاءت تلك الصيحة الرنانة الوحيدة . توقف كازبي وقال ، « فلنر في أي اتجاه يمضي ، ووقفوا في الظلام ، في انحدارة السنة الحزينة المقرورة قليلاً نحو نهايتها . وقفوا بين الأشجار ، ينصتون ثم صاح كازبي « هر . . . ي ، امض إليه وامسك به ،

وأجاب الكلب ، وتحركوا مرة أخرى ببطء ، متوقفين من لحظة إلى أخرى لينصتوا ، وعوى الكلب ، كان ثمة صوتان الآن وبدوا وكأنهما يتحركان في دائرة عبر اتجاهيهما . ونادى كازبي ، « هو . . . ي ، رصوته يفيض في أصدااء متعاقبة بين الأشجار ومضوا . ومرة أخرى تكلمت الكلاب ، وقد ابتعد نصف الدائرة عن مكان صيحتها الأولى . قال كازبي إنه يسحبهم وراءه إلى المكان الذي جاء منه . الأفضل لنا أن ننتظر حتى يوقفوه . ووضع الفانوس على الأرض ، وقعد بجواره ، ووضع ليزوم حمله على الأرض ، وقعد أيضاً وجلس بايارد مستنداً إلى جذع شجرة ، وشد نارسيسا وأجلسها بجواره . وعوى الكلاب مرة أخرى ، ولكن من مكان أقرب وتطلع كازبي في الظلام نحو المكان الذي جاء منه الصوت .

قال ليزوم ، « أظنه راقونا أمسكوا به ،

« ربما يكون راقونا جبلياً ،

« إنه متجه إلى تلك الشجرة ذات الجذع الأجوف ، أليس كذلك ؟ »

« يبدو كذلك . ، وأنصتا ، دون حركة . قال كازبي ، « سيكون لدينا من العمل ما يشغلنا ، إذن . . ثم صاح ، « هو . . . » كانت ثمرة برودة خفيفة في الجو ، ذلك أن الأرض قد بدأت تفقد حرارة النهار ، واقتربت نارسيسا من بايارد . أخرج علبة سجائره من جيبه وأعطى كازبي واحدة وأشعل أخرى لنفسه . جلس ليزوم على عقبه ، وكانت عيناها تدوران وبياضهما يلمع في ضوء الفانوس .

قال « أعطني واحدة ، أرجوك يا سيدى ،

قال كازبي ، « يا ولد ، ليس من شأنك أن تدخن ، ولكن بايارد أعطاه واحدة ، ثم قعد على عجيزته النحيلة ، ممسكا اللقافة البيضاء . بنحجل يديه السوداء المترددة ، ثم جاء صوت حركة وراءهم بين الأوراق وهممة متوترة ، ثم جاء الكليب إلى ضوء الفانوس ، وانزلق إلى ساقى كازبي ، وهو يحدث هممة رفيعة ، ونظرات عينيه الفسفورية المترددة من مكان إلى مكان . قال كازبي ، وهو يهبط يديه على رأسه « ماذا تريد ؟ شئ ما أفزعك هناك ؟ » وثنى الكلب الصغير جسمه النحيل ؛ وتحسس بفمه يد كازبي ، وهو يعوى بصوت خافت . قال كازبي ، « لا بد أنه قد وجد دبا هناك . ألا تساعدك تلك الكلاب الأخرى على الإمساك به ؟ »

قالت نارسيسا ، « يا للسكين الصغير . كازبي ، أظنه رأى ما أفزعه فعلا ؟ بوبي ، تعال هنا . »

قال كازبي ، « كل ما فعلته الكلاب الأخرى هي أنها ذهبت وتركته . وعرك الكلب الصغير جسمه بنحجل في كازبي . ثم تسلقه ولعن وجهه .

صاح كازبي ، « انزل من هنا » ورمى الكلب بعيداً فوقع على الأوراق الجافة بعرض جسمه ثم قام على أقدامه ، وفي هذه اللحظة غوت

الكلاب في الظلام مرة أخرى عواء رقيقا رنانا يمزا ودار الجرو حول نفسه كالدوامة وأسرع وهو يعوى بصوت حاد إلى مصدر الصوت . وعوت الكلاب مرة أخرى ، وأنصت ليزوم وكازبي .

قال كازبي ، « نعم يا سيدى . إنه متجه إلى هذه الشجرة التي هناك ، » .

قالت نارسيسا ، « كازبي ، أنت تعرف هذه المنطقة كما تعرف ساحة البيت الخلفية ، »

« نعم ياسيدى . ينبغي على اختراقها أكثر من مائة مرة منذ أن ولدت . مستر بايارد يعرفها ، أيضا . ما زال يصيد حيواناتها منذ زمن طويل مثلى . تقريبا . هو ومستر جوفى قبل ذلك . أرسلتني مس جينى معهما عندما حصلنا على أول بندقية لهما ، أنا وتلك البندقية ذات الماسورة الواحدة ، التي اعتدت أن أربطها بخيط مستر بايارد ، هل تذكر تلك البندقية العتيقة ذات الماسورة الوحيدة ؟ إلا أنها كانت تصيد . وما أكثر الثعالب التي اصطدناها في هذه الغابات ، والأرانب أيضا ، كان بايارد قد أسند ظهره إلى جذع شجرة ، كان يحمل بيده ، إلى قم الأشجار والسماء الناعمة من ورائها وسيجارته تحترق ببطء . بين أصابعه . نظرت إلى جانب وجهه . كان كئيبا في وهج الفانوس ، وتحركت قليلا واقتربت منه . إلا أنه لم يستجب ، ووضعت يدها برقة في يده . إلا أنها كانت أيضا باردة ، ومرة أخرى هجرها ليذهب إلى مرتفعات يأسه الموحشة . كان كازبي يتكلم في صوته البطيء . غير بارز الحروف والكلمات ، الذي تفيض من فوقه نغمة الحزن الرقيق . » مستر جوفى ، بالتأكيد كان يستطيع إصابة الهدف . أتذكر ذلك الوقت ، حينما كنا أنا وأنت وهو . . . »

وقف بايارد . رمى سيجارته وسحقها بعناية بكعب حذائه . قال : « هيا بنا الكلاب لا تتجه إلى شجرة هناك ، وأمسك يد نارسيسا وشدها

إلى قدميها ، واستدار ، ومضى . وقف كازبي ، وأمسك بوقه من فوق كتفه ووضع على شفتيه . وانطلق الصوت من حولهم ، جاداً وواضحاً وممتداً ثم مات في أصدائه وانتهى إلى الصمت مرة أخرى ، غير تارك وراءه ثمة اهتزازات في الظلام الصامت .

كانت قرابة منتصف الليل عندما تركا كازبي وإيزوم عند كوخهما ومضيا في المرج متجهين إلى البيت . وتشاوخ الجرن في الظلام بجوارهما ، والبيت أيضاً بين أشجاره المتناقصة ومن وراءه السماء الشاحبة . فتحت البوابة ومرت منها وتبعها وأغلقتها واستدار ووجدتها بجواره ، وتوقف . همست : « يا يارد ؟ » واستندت إليه . وأحاطها بذراعيه ووقف هكذا . وهو يتطلع من فوق رأسها إلى السماء . أخذت وجهه بين كفيها وجذبتة برقة إلى أسفل إلا أن شفتيه كانتا باردتين ، وذاقت من فوقهما طعم القدر المشوم ، وظلت متعلقة به لحظة ، وقد انحنت رأسها على صدره .

وبعد ذلك كانت ترفض أن تصحبه إلى الصيد . ولذا كان يذهب وحده ، ليعود في أي وقت بين منتصف الليل والفجر لينخلع ملابسه في الظلام بهدوء وينزلق بحذر إلى الفراش إلا أنها كانت تلمسه عندما يخيم عليه السكون وتتطق وهي بجواره باسمه في الظلام ، وتستدير إليه دافئة ناعمة والنوم في عينيها وهكذا كان يضطجمان وقد أمسك كل منهما في الظلام بالآخر ، في لحظات عابرة توقف فيها بأسه وانقشع ذلك المصير المشوم الذي ينتظره فلم يكن يستطيع منها فرارا .

قالت مس جيني بسرعة وبألفاظ واضحة . وأمامها إناء الحساء . لقد ذهبت فتاتك وهجرتك وتستطيع الآن أن تجد الوقت اللازم للخروج لزيارة أهلِكَ . أليس كذلك ؟

ابتسم هوراس ابتسامة صغيرة وقال : « إذا قلت الصدق ، فقد جئت لأحصل على بعض الطعام لآكله . لا أظن امرأة واحدة من عشر نساء لديها القدرة على إدارة شئون البيت ، إلا أن مكاني ليس بالتأكيد في البيت ،

قالت مس جيني وهي تصحح عباراته ، أنت تعنى أنه لا يوجد بين الرجال واحد من كل عشرة لديه ما يكفى من الحكمة للاقتراح بامرأة تجيد الطهى ،

« ربما يكون لديهم من الحكمة والتقدير الآخرين ما يمنعهم من إفساد الطاهيات البارعات ، ،

قال بايارد الصغير « نعم حتى الطاهية تترك العمل عندما تتزوج ، ،  
قال سيمون ، « هذه هي الحقيقة ، وقد وقف مستنداً إلى صوان الحائط وتمطى قليلاً . كان يرتدى قميصاً لا لون له بلا بنيقة وسراويل يوم الأحد ( كان يوم الشكر ) وتفوح منه رائحة خفيفة من الوبسكى بالإضافة إلى روائح الطهيية ، قال موافقاً . « كان على أن أجد ليوفرونى مكاناً جديداً تعمل فيه طاهية في الشهرين الأولين من زواجنا ، ،

قال دكتور ييبودى ، « سيمون ، لابد وقد تزوج طاهية شخص آخر ،  
قالت مس جيني ، « أفضل أن يتزوج المرء بطاهية شخص آخر على أن يقتل زوجته ، ،

هتفت بها نارسيسا مؤنبة « مس جيني . أرجوك ، ،

قالت مس جيني على الفور ، أنا آسفة . هوراس ، لم أقصدك بما قلت « إنها مجرد فكرة عبرت رأسى . لو ش ييبودى كنت أتحدث إليك . أنت تظن ، لمجرد أنك أكلت معنا في أعياد يوم الشكر وأعياد عيد الميلاد لمدة ستين عاماً ، أنك تستطيع أن تأتى إلى بيتى وتسخر منى ، أليس كذلك ؟ ،

قالت نارسيسا مرة أخرى ، « مس جيني اسكتى ، ووضع هوراس ملعقته ، ووجدت يد نارسيسا يده تحت المائدة .

قال بايارد العجوز ، « ما هذا ؟ ، كانت فوطته مثبتة فوق صداره . فأعاد ملعقته وأخاط أذنه بكفه .

قال بايارد الصغير لا شيء . العمة جيني والدكتور يتعاركان مرة أخرى ، سيمون تيقظ ، تحرك سيمون ورفع أطباق الحساء ، ولكن بتكاسل ، ذلك أن اهتمامه كان موجها إلى العراك .

واندفعت مس جيني تقول : نعم . أجرد أن ذلك الأحق العجوز ويل فولز وضع شحم العجلات على بروز صغير في وجهه دون أن يقتله يتحتم عليك أن تتجول بيننا وقد انتفخت بالاختيال وكأنك كلب مسموم ؟ وماذا كان شأنك بهذا الورم ؟ أنت بالتأكيد لم تعالجه .

.. ربما تكون قد قرأت بعض التعاويذ لتبرزه على وجهه في البداية سأل دكتور بيبوي سيمون برقة . سيمون أليس لديك قطعة من الخبز أو من أى شيء آخر تستطيع مس جيني أن تضعها في فمها ؟ حملت فيه مس جيني برهة بوحشية ، ثم ارتدت في مقعدها بعنف .

أنت ، سيمون اهل مت ا ، وجمع سيمون الأطباق وحملها خارجاً ، وجلس الضيوف وكل منهم يتحاشى أن تلتقى عيناه بعيني الآخر بينما ظلت مس جيني تنفث النيران والحمم ، وهي جالسة وراء متاريسها المكونة من الفناجين والقناني والقوارير والأشياء الأخرى .

قال بايارد العجوز مرة أخرى ، ويل فولز ، جيني ، قولي لسيمون ، عندما يعد تلك السلة أو يأتي إلى مكتبي ، لأن لدى شيئاً يجب أن يوضع فيها ، تلك كانت زجاجة الويسكى التي كان يضيفها إلى سلة العجوز فولز التي يأخذها في عيد يوم الشكر وعيد الميلاد ، والتي كان العجوز يقسمها في أيام الأعياد هذه بالمعلقة ، بقدر ما تكفي بين زملائه من السكحول والمشردين ودائماً كان بايارد العجوز يذكرها بأن تقول لسيمون شيئاً لم يغفل عنه أيهما .

قالت : وهو كذلك ، وعاود سيمون الظهور بمقمم قهوة فضى هائل ، ووضعه بجوار مس جيني وارتد إلى المطبخ .

سألت عامة الضيوف ، د كم عدد من يريدون قهوة منكم ؟ بايارد  
لن يستطيع أن يجلس ليتناول وجبة لا تصحبها القهوة أكثر من  
استطاعته الطيران . هوراس ، هل تريد ؟ ، ورفض دون أن تنظر  
إلى دكتور ييبودي ، قالت له ، أحسبك ستأخذ القليل منها ، أليس  
كذلك ؟ ، .

أجاب بركة ، د إذا لم يكن في هذا إزعاج لك ، وطرف بعينه  
إلى نارسيسا ووضع على وجهه رسم الاكتئاب والحنجل . أخذت  
مس جيني فنجانين ، وظهر سيمون بقارب هائل محمول ببطولة ومغامرة  
فوق رأسه ووضع أمام بايارد العجوز بحركة استعراضية عريضة .

قال بايارد الصغير ، د يا إلهي . سيمون من أين حصلت على حوت في هذا الفصل  
من السنة ؟ ، .

قال سيمون د نعم هذه هي السمكة ، ( وكانت سمكة طويلة ياردة  
وعريضة كدثار سرج ) وكان لونها أحمر بهيجا ، وقد استلقت في القارب  
فاغرة فاها ، وكأنها تقمقه جذلة في مرج غامر .

قال بايارد العجوز د عليها اللعنة جيني لأي سبب أردت أن تعدى  
هذا الطبق ؟ من الذي يريد أن يزحم معدته في نوفمبر بالسمك ، والمطبخ  
ملوء بالسناجب والديكة الرومية والمتماوتات ؟ ، .

قالت على الفور د يوجد آخرون غيرك في البيت ممن يأكلون . إذا  
كنت لا ترغب فيه لا تأكل منه . اعتدنا أن نطهو سمكا دائما في بيتنا  
في هذه المناسبة إلا أنك لا تستطيع أن تبعد هؤلاء الريفيين من أهل  
المسيحي عن الخبز واللحم ولو في سبيل إنقاذ حياتك . سيمون هيا ،  
ووضع سيمون صفا من الأطباق أمام بايارد العجوز ، ثم جاء بصينية  
ووضعت عليها مس جيني فنجان قهوة ، ثم قدمها إلى بايارد العجوز  
ودكتور ييبودي ، وأخذت مس جيني فنجانا ودار سيمون بالسكر  
والقشدة وقطع بايارد العجوز السمكة وهو يدمدم بصوت أجش .

قال دكتور بيبودى : لم أجد فى أى فصل من فصول السنة ما يدعو  
للكوى من أكل السمك .

قالت مس جينى فى الحال ، : لن تجد ، ومرة أخرى طرف بعينه  
بوضوح لنارسيسا ثم قال : كل ما فى الأمر أننى أرغب فى صيد أسماك  
بنفسى ، من بحيرتى الخاصة . أسماك لها قيمة غذائية أكبر ، .

سأل بايارد الصغير ، : أما زلت تحتفظ ببهيرتك الخاصة يا دكتور .

: نعم إلا أن الصيد لم يكن جيداً هذا العام . أصيب أب بالإنفلونزا  
فى الشتاء الماضى ، ومنذ ذلك الوقت وهو يقضى وقته دائماً وعلى حساب  
ويتعتم على دائماً أن أجلس هناك وأنتظره حتى يستقيظ فأخرج السمك  
من الماء وأضع طعاماً جديداً ولكن أخيراً فكرت فى ربط خيط الشص  
بساقه وطرفها الآخر بالدكة ، وعندما تهز عوامة الصنارة فإن كل ما على  
هو أن أشد الخيط ، وأيقظه . بايارد ، ينبغى عليك أن تصحب زوجتك يوماً  
ونائى . إنها لم تر بحيرتى أبداً .

سأل بايارد نارسيسا ، : أنت لم تريها ؟ ، وكانت لم ترها ، أحاطها  
بدكك من جميع الجهات ومتكآت للأقدام من أمام الدكك ، وسياج مرتفع  
بقدر ما يسمع لك بأن تسندى قصة الصيد عليه وزنجى لكل صياد ،  
ليضع الطعام فى شصه ، ويخرج له السمكة من الماء . لا أفهم لم تطعم كل  
هؤلاء الزوج يا دكتور ؟ .

: لقد ظلوا معى سنين طوالاً بحيث لئننى لا أعرف كيف أتخلص منهم  
اللهم إلا إذا أغرقتهم فى البحيرة ومع ذلك فإن إطعامهم هو المشكلة  
الكبرى منذ زمن طويل - هذا هو السبب فى تناولى الطعام خارج البيت  
كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً . إن كل وجبة مجانية أحصل عليها أشبه  
بنصف يوم عطلة بالنسبة لرجل عامل .

سأله نارسيسا ، : دكتور ، كم عدد من عندك من الزوج ؟ .



قال : « لا أعرف بالضبط . لدى ستة أو سبعة مسجلون رسمياً ،  
إلا أنني لا أعرف عدد المتسكعين الذي يقيمون عندي . كل يوم تقريباً  
أرى طفلاً ولیداً جديداً ، ،

وكان سيمون يرقبه باهتمام شامل .

سأله : « دكتور ألا يوجد لديك ثمة مكان آخر شاغر . أنا اكدر  
هنا اليوم بطوله كالمجد ، لأعد لهم طعامهم وغير ذلك ، .

سأله دكتور ييبودي بهدوء : « هل تستطيع أن تأكل كل يوم سمكاً بارداً  
وخضاراً ؟ » . أجاب سيمون بشك ، « حسناً ياسيدي ، لست واثقاً من  
هذا تماماً . أكلت السمك يوماً حتى سئمته ، كنت حينئذ رجلاً في مقتبل  
العمر . ومنذ ذلك الحين لم تعد معدتي تصلح له ، .  
« حسناً : هذا كل ما عندنا في البيت لتأكله ، .

قالت مس جيني « سيمون ، حسناً ، وكان سيمون مستنداً في سكون  
إلى صوان الجدار وهو يرقب دكتور ييبودي بدهشة وعجب .

« وأنت تحتفظ ببنييتك الضخمة بأكل السمك البارد والخضر ؟ لأنني  
ياسيدي سأصبح في أسبوعين هيكلًا من العظام على مثل هذا النوع من  
الطعام . بالتأكيد سأكون ، رفعت مس جيني صوتها بحدة « وسيمون ، ثم  
قالت « لوش ، لم لا تدعه وشأنه ، حتى يستطيع أن يقوم بعمله ، وخرج  
سيمون من لحظة تجليه فوراً ، وحمل السمكة من على المائدة وتحت المائدة  
وضعت نارسيسا يدها في يد هوراس مرة أخرى .

قال بايارد الصغير « أيتها العمة جيني ، كفي عن مضايقة الدكتور ،  
ثم لمس ذراع جده « ألا تستطيع أن تجعلها تدع الدكتور وشأنه ؟ » .  
سأل بايارد المعجور « جيني ، ماذا يفعل ؟ ألا يريد أن يأكل طعامه ؟  
أجابت مس جيني « لن يحصل أحد منا على شيء ليأكله إذا ظل جالساً هنا  
يتحدث مع سيمون عن السمك البارد وأوراق اللفت ، .

قالت نارسيسا ، ، مس جيني ، لا احسبك إلا خسيصة إذ  
تعاملينه هكذا ، .

أجاب دكتور بيبودي ، حسنا ، لأنها تزودني بشيء يتحتم على أن  
أشكرها من أجله ، إنك رفضت أن تأخذيني عندما سنحت لك الفرصة ،  
ثم قال لهم ، مرة ذهبت وعرضت على جيني الزواج ، .

قالت مس جيني ، أنت أيها الكاذب العجوز أشيب الشعر . أنت لم  
تفعل قط مثل هذا الأمر أبدا ، .

، أوه نعم فعلت . كل ما في الأمر أنني فعلته من أجل جون  
سارتورس قال لي إن لديه من المتاعب أكثر مما يستطيع أن يتحمل ،  
مع انشغاله بالنشاط السياسي ، هل تعلمون ، .

، لوش بيبودي ، أنت أكبر كذاب في العالم ، .

، . وكبت أن أصل إلى إقناعها . حدث هذا في ذلك الربيع الأول  
عندما أزهرت تلك الأعشاب التي أحضرتها معها من كارولينا لأول مرة  
وكانت ليلة مقمرة وكنا في الحديقة . وكان ثمة بيضاء يغنى ... ،

صرخت مس جيني . ، ما من شيء كهذا . لم يحدث قط . ،

قال دكتور بيبودي ، انظروا إلى وجهها إن كنتم تعتقدون أنني  
أكذب ، .

وردد بايارد الصغير بعد لحظة ، انظروا إلى وجهها . لقد احمرت  
وجنتاها خجلا ، وكانت كذلك . ولكن وجنتها كانتا كالبليارق .  
ورأسها عال ، في خضم الضحك الصاخب ، ووقفت نارسيسا وذهبت  
إلها وأحاطت كتفها المعتدلتين الأنيقتين بذراعيها . وقالت . ، أتم .  
اسكتوا جميعا حالا . خير لكم جميعا أن تعتبروا أنفسكم من المحظوظين  
عندما تقبل أينا الزواج منكم على الإطلاق . بل لئلا نظريكم عندما ترفض .

قال دكتور ييبودي : أنا ضحية الإطراء . وإلا ما كنت أرمـل  
الآن .

قالت مس جيني : ومن الذى لا يصبح أرمـل إذا كان فى حجم  
برميل كبير . ويعيش على السمك البارد وخضر اللفت . ثم قالت  
لنارسيسا : اجلسى يا حبيبتي . أنا لا أخاف رجلا يمشى فى الأرض .

عادت نارسيسا إلى مقعدها . وعاد سيمون الظهور من جديد . ومن  
ورائه إيزوم . وفى الدقائق القليلة التالية . ظلا يتحركان بانتظام بين  
المطبخ وغرفة الطعام بديك روى حجر وفخذ خنزير مقعد وطبق من  
طيور السمان . وآخر من السناجب ومتنارت مشوى على فراش من  
البطاطس والقرع والبسج المخلل . وآخر من البطاطس العادية والبطاطس  
الآيرلندية . والأرز والقمح الهندي المقشور المسروق والبسكوت الساخن  
والمضروب . وقضبان رقيقة طويلة من خبز القمح والكريز والكمثرى  
المحفوظة ومرببات السفرجل والتفاح . ويخنة التوت البرى والخوج المملح .

ثم توقفوا عن الكلام برهة وأكلوا بالفعل وهم يتطلعون من  
حين إلى حين عبر المائدة إلى بعضهم البعض . وهم فى وهج وردى من  
الوداد والروائح المتصاعدة مع الأبخرة . وكان إيزوم يدخل من لحظة إلى  
أخرى بالخبز الساخن بينما وقف سيمون يشرف على الميدان تماما .  
وبشكل ما كما وقف قيصر . ولا بد لينظر من فوق المرتفعات على بلاد  
الغال . بعد أن أصبحت فعلا بين يديه .

قال دكتور ييبودي بعد أن تنهد قليلا . وبعد سيمون : أحسبني  
أستطيع أن آخذك عندي . وسأجد لك قطعة من اللحم حين إلى آخر .

قال سيمون : أظنك تستطيع . وظل يرقبهم وكأنه قائد جيش ذو  
عينين صقريتين على استعداد لقفز الاحتياطي إلى المراكز المهددة .

ضاغطا عليهم بالمزيد من الطعام عندما تخاذلت قوام لكن حتى  
دكتور ييبودي سمح لنفسه في النهاية بالإقرار بالهزيمة . وهنا أحضر  
سيمون فطائر من ثلاثة أنواع وفطيرة صغيرة دسمة من البرقوق وكعكة  
دس فيها بدهاء الويسكى والنقل والفواكه ، كانت مغرية كعطور الجنة .  
خداعة وقاذلة كالحطيطنة . وأخيراً وبطريقة الساحرات عندما يقمن بطقوسهن  
وبأسلوب وقور عميق أحضر زجاجة من خمر النبيذ وقد اضطجعت الشمس  
غير واضحة المعالم في الأفق الجنوبي المتوهج . وأرسلت أشعتها أفقية  
عبر النوافذ لتسقط على أدوات الطعام الفضية المصفوفة على صوان الحائط .  
كانت الشمس تحلم في نورها الرقيق . وهي مستلقية بين حلقات  
مستديرة مستكينة من النور فوق الزجاج الملون العلوى في نوافذ  
وأبواب الحائط الغربى .

إلا أن ذلك كله كان في نوفمبر . فصل الأيام الشبهية المسترخية .  
عندما تصل فورة الحريف الأولى إلى نهايتها . ويطلق الشتاء من  
تحت الأفق الأعجف تعاويذه السحرية الأولى . - نوفمبر . عندما  
يموت العام في سلام . وكأنه امرأة عجوز مدثرة بشالها بين  
أطفالها ، تموت بسلام دون ألم ودون أن تصاب بمرض . وفي  
الأيام الأولى من ديسمبر سقطت الأمطار . وشابت ناصية العام  
وهو في فصل الانحلال والموت . وقد ظلت تهمس الليل طوله والنهار  
فوق الأسطح وعلى امتداد أفاريزه وذرفت الأشجار أوراقها الأخيرة العنودة .  
وشورت بأغصانها المخزونة السوداء على المشاهد التي لا تنتهى عدا شجرة جوز في  
طرف الحديقة فقد احتفظت بأوراقها ، ولمعت وكأنها لمب سائل في لازوردية  
السماء الخالدة . ومن وراء الوادى اختفت التلال تحت أقطعة من المطر .

كل يوم تقريبا . رغم معارضته لمس جينى وأوامرها .  
والاحتجاج العميق في عيني نارسيسا كان بايارد يخرج ببندقية صيد  
والكلبين ليعود قبل حلول الظلام بالضبط . وقد أغرق الماء ملابيه  
حتى جلده ، مقررورا . حينئذ تسكون شفتاه ثلجيتين فوق شفيتها .

وعيناه خاويتين بهما مس من جن . كانت تتعلق به في ضوء نار حجرتها  
الأصفر ، وتستلقى وهي تبكي بصمت في الظلام بجوار جسده المتصلب  
وكان شبحا يتوسطهما .

قالت مس جيني ، وقد قدمت عليها وهي جالسة مستغرقة في تأملاتها  
أمام النار في غرفة بايارد العجوز ، أنت تقضين وقتا أطول مما  
ينبغي بهذه الطريقة . ستصبحين بلهاء شاردة العقل . كفى عن  
الانشغال به ، لقد قضى نصف حياته في ملابس سقته مياه الأمطار .  
ومع ذلك فلم يصب أحدهما يبرد حتى... وهذا أستطيع أن أتذكره ،

أجابتها وهي شاردة ، ألم يصب ؟ ، ووقفت مس جيني بجوار  
مقعدها وظلت ترقبها بحدة ثم وضعت يدها على رأس نارسيسا ، وبرقة  
أكثر مما تستطيعها واحدة من أسرة سارتورس .

، أنت مهمومة لأنه لا يحبك ، ربما بنفس الشكل الذي كان ينبغي  
عليه كما تتصورين ؟ ،

أجابت ، ، ليس هذا . إنه لا يحب أى شخص . لن يحب حتى  
الطفل . يبدو عليه وكأنه لا يحس بالسرور أو الحزن أو أى  
شئ آخر .

قالت مس جيني ، ، نعم ، وطقطت النار وتطايرت بين قطع الخشب  
الصمغية ومن وراء زجاج النافذة الشاحب ، امتد النهار بلا نهاية .  
قالت مس جيني فجأة ، أنصتى . لا تركبى معه هذه السيارة بعد الآن  
أتسمعينى ؟ ،

، لا . لن يدفعه هذا لقيادتها ببطء . ما من شئ سيدفعه إلى هذا ،  
، طبعاً لا . ما من شخص يصدق أن وجودك معه فيها سيدفعه  
إلى هذا ولا حتى جده . إنه يصحبه في السيارة لنفس الأسباب التي تدفع  
هذا الولد ، سارتوس .

« إنها في الدم ، متوحشون . كل واحد منهم كذلك . وليس فيهم ثمة فائدة دنيوية لأى شخص ، وتعلقت أنظارها بألسنة النيران المتقافزة ، وما زالت يد مس جيني على رأس نارسيسا . قالت لها ، « أنا آسفة لأننى أوقعتك في هذا ، » .

« أنت لم تفعلها . ما من شخص أوقعنى فيها . أنا فعلتها بنفسى ، » قالت مس جيني بعد لحظة صمت ، « هل تفعلينها مرة أخرى إذا قدر لك ؟ » أما الأخرى فلم تجب ، فأعادت مس جيني سؤالها ، هل تفعلينها ؟ ،

أجابت نارسيسا « نعم ، ألا تعرفين ذلك ؟ » ثم ران الصمت بينهما مرة أخرى ، صمت وقعا فيه دون كلام . إنه حلفهما الياثس بتلك الشجاعة السلبية الرفيعة التى تعرفها النساء . ثم وقفت نارسيسا . « أحسننى سأذهب وأقضى اليوم مع هوراس . إذا سمحت ؟ »

قالت مس جيني « وهو كذلك - كنت سأذهب أيضا لو كنت مكانك ، يحتاج هوراس فى المرجح لبعض الرعاية هذه الأيام . كان يبدو إلى حد ما هزيلا عندما كان هنا فى الأسبوع الماضى ، وكأنه لا يتناول ما ينبغي من طعام ، »

عندما دخلت من باب المطبخ ، تحولت يونيس ، الطاهية ، عن مائدة إعداد الخبز ورفعت يديها بإشارة رقيقة غامضة . قالت « حسنا مس نارسى لم نترك منذ شهر . هل قطعت كل الطريق والمطر يهطل ؟ »

« جئت فى العربة . كان الطريق مبللا إلى الدرجة التى لا تلائم السيارة دخلت الغرفة وظلت يونيس ترقبها بسرور وجدية . قالت نارسيسا « كيف حالكم جميعا ؟ »

أجابت يونيس « إنه يجد ما يكفى من الطعام . أنا أهتم بهذا ، إلا أنه يتحتم على أن أدفعه لياكل . إنه يحتاج إليك لتكونى معه هنا ، »

« إننى هنا اليوم كله ، على أية حال ماذا عندك للغداء ؟ ورفعا  
أغطية الآنية معا ، وحلقا فى الآنية التى تغلى فوق الموقد ، وفى الفرن  
قالت « أوه فطيرة شيكولاته ! »

قالت يونيس موضحة « على أن أغريه بها على الطعام ، ثم قالت  
متباهية « سىأكل أى شىء إذا أعددت له فطيرة شيكولاته ، »

قالت نارسيسا « أراهن أنه يفعل . لا يستطيع أحد أن يصنع مثل فطائرک ،

قالت يونيس « لم تطلع هذه الفطيرة جيدة جداً ، واستطردت تنقدها :  
« أنا لست راضية عنها تماماً ، »

« لماذا ؟ يونيس لأنها رائعة ، »

قالت يونيس بإصرار « لا لست فى المستوى المطلوب ، إلا أن  
وجهها تألق بالسرور ، وإن ظلت حية جادة ، وظلا يتحدثان بود وضع  
دقائق ، ونارسيسا تنقب محتويات الدواليب والصناديق .

ثم عادت إلى البيت وارتقت الدرج . كانت مائدة الزينة قد أقفرت من  
آنيتها الفضية والبلورية العزيرة ، والأدراج خاوية ، والحجرة كلها بجوها  
الساكن الشاحب المقفر ، كأنها كانت توجه إليها عتابا . والبرد أيضا ، لم تشعل  
شمعة نار فى المدفأة منذ الربيع الماضى وعلى المائدة بجوار الفراش . كانت شمعة  
حزمة من الزهور زرقاء ، منسية من الجميع ذابلة ميتة . وإذا لمستها  
تفتت بين أصابعها ، تاركة عليها أثرا من لونها ، والماء فى الزهرية  
أيضا ، كانت فيه رائحة الانحلال العطنة . فتحت النافذة وألقها  
جميعا منها .

كانت الحجرة أبرد من أن تستطيع التوقف فيها طويلا ، وحزمت  
أمرها على أن تطلب من يونيس أن تشعل نارا فى المدفأة من أجل راحة  
ذلك الجزء الذى تتركها من روحها وأقام فى الغرفة ، برزاة يغشوها  
شىء من الحزن ، مقرورا فى البرد ، ولأنما إليها لما يحوطه من وحشة .

توقفت مرة أخرى عند صوان ملابسها ، وتذكرت تلك الخطابات ،  
بخوف وانزعاج مستغرقين لأئمة نفسها من جديد لإهمالها وعدم تمزيقها لها .  
ولكن ربما تكون قد مزقتها ، وهكذا دخلت مرة أخرى دائرتها المغلقة  
التي تسكن فيها الحيرة والخوف ، يحاول أن تتذكر ما فعلته بهذه الخطابات  
حقاً . إلا أنها كانت واثقة أنها تركتها في الأدراج مع ملابسها الداخلية كانت  
واثقة تماماً أنها تركتها هناك . إلا أنها لم تستطع أبداً أن تجدها ، ولا رأتها  
يونيس ولا هوراس كذلك ، كان ذلك في اليوم الذي فقدتها فيه ، اليوم السابق لليلة  
زفافها . عندما حُرمت أمتعتها . إنها افتقدتها في ذلك اليوم ، ووجدت  
مكانها خطاباً آخر بخط مختلف ، لم تتذكر أنها تلقتها . كان المقصود منه  
واضحاً تماماً ، رغم أنها لم تفهم بعض ما جاء فيه حرفياً . إلا أنها قرأته في  
ذلك اليوم وهي في استغراق هادئ . هو وكل ما استحضره إلى ذاكرتها كان  
قد أصبح الآن بالفعل من الماضي . ولم تكن لتدهش وقد افتقد حتى صفة  
الحضور ، أو تصدم لو فهمته . أخذها حب الاستطلاع ، ربما لإدراك معاني  
بعض الكلمات . إلا أن هذا كان كل شيء .

إلا أنها لم تستطع أن تتذكر ما فعلته بالخطابات الأخرى ، وقد تسبب  
عجزها هذا في إشاعة لحظات من الخوف الحقيقي في نفسها ، عندما أخذت  
بعين الاعتبار إمكانية معرفة بعض الناس أن البعض كان يخامره عنها مثل  
هذه الأفكار وأنه وضع أفكاره في كلمات . حسناً ، لقد ضاعت ، وما من  
شيء من المستطاع عمله بشأنها ، إلا أن تأمل أن تكون قد مزقتها ، كما  
فعلت بالخطاب الأخير ، أو إذا كانت لم تفعل ، أن تأمل بثقة ألا  
يكتشف الطريق إليها قط . إلا أن هذا كله أعاد إليها اشمزازها السابق  
وشعورها بالفزع : أن يكون صفاء حياتها المتناسك ، الذي لم يعكره شيء  
بعد ، محلاً لمغامرات الظروف ، أن يكون عليها أن تثق في الحظ ضد  
إمكانية التقاط غريب بمحض الصدفة لقصاصة ورق من على الأرض .

ولكنها حُرمت أمرها على أن تضع هذا كله جانباً ، في وقتها الحاضر  
على الأقل . ينبغي أن يكون هذا يوم هوراس ، ويومها أيضاً - مجرد



توقف لهذا الحلم الذي تجوس فيه الأشباح والذي تعلقت به وهي متيقظة ونزلت الدرج . كانت ثمة نار في غرفة الجلوس . وقد احترق الوقود حتى أصبح جمرات ، فوضعت فوقها فخا ، وقلبتها حتى تأججت . سيكون هذا أول ما يرى من أشياء عند عودته ، ربما يأخذه العجب ، ربما يعرف قبل أن يدخل فقد يدرك بوجوده حضورها قبل أن يراها بعينه . وفكرت في الاتصال به تليفونيا ، وظلت تداعب الفكرة دون حسم وهي جالسة أمام النار ، ثم قررت أن تجعل من الأمر مفاجأة . ولكن إذا فرض ولم يعد للبيت لتناول الغداء بسبب المطر فكرت في هذا ، ثم صورته في خيالها ماشيا في أحد الشوارع تحت المطر ، وعلى الفور وبإدراك غرزي سابق ، ذهبت إلى الصوان الموضوع تحت الدرج وفتحت بابه . كان الأمر كما توقعت ، معطفه ، ومعطف المطر معلقان هناك ، وأغلب الظن أيضا أنه لم تكن معه حتى مظلة ، ومرة أخرى فاضت في أعماقها مشاعر الضيق والحب العميق وأصبح الأمر كما كان منذ القدم ، وكل ما قام بينهما من حجب ، انزلق مبتعدا وكأنه سحب .

وقد كان من المعتاد دائما أن يدفع البيانو على عجلاته إلى غرفة الجلوس كلما أتى فصل الشتاء . ولكنه كان هذه المرة في ركنه الصغير . كان ثمة موقد هناك ، ولكن لم تشعل فيه نار بعد ، وكانت الغرفة باردة ، ومن تحت أناملها أطلقت المفاتيح الباردة نغما متكاسلا ، متها ولائما أيضا ، فعادت إلى النار ووقفت حيث تستطيع أن تتطلع من النافذة ، الممر الخاص تحت أشجار الأرز الوقورة المتهدلة - ودقت الساعة الصغيرة الموضوعة على الرف فوق المدفأة اثنتي عشرة دقة . كانت وراها . ثم ذهبت إلى النافذة ووقفت بها وأنفها تلمس زجاجها البارد وأنفاسها تتكاثف فوقه . سيأتي سريعا الآن ، لم يكن منظما أبدا في مواعيده ، إلا أنه لم يكن يتأخر عن موعد أبدا وفي كل مرة كانت تظهر أمامها مظلة كان قلبها يقفز في صدرها . إلا أنه لم يكن هو ، وتبعت حامل المظلة في خطواته حتى أزاح مظلته بالقدر الذي سمح لها أن تتعرف عليه ، وهكذا لم تر

هوراس حتى كان قد قطع منتصف الطريق عبر الممر . كانت قبعتنه  
تحجب وجهه وبنيقة معطفه مرفوعة حتى أذنيه ، وهكذا كان الأمر كما  
كانت تعرف . لم تكن معه حتى مظلته .

صاحت ، « أوه ، أنت أيها العبيط ، وجرت إلى الباب ، ومن  
وراء الزجاج المحجوب بالستائر رأت شكله المبهم وهو يقفز الدرج مسرعاً  
دفع الباب ودخل وهو يضرب ساقه بقبعته الملطخة بماء المطر ، ولذا فلم  
يرها حتى تقدمت إليه وقالت ، « أنت أيها اللاحق ، أين معطفك الواقى  
من المطر ؟ »

ظل يحملق فيها برهة ، وفي انتفاضة متوحشة خجولة ، ثم قال  
« نارسى ! ، وأضاء وجهه واكتسحها بين ذراعيه المبللتين .

صاحت ، « لا تفعل . أنت غارق في الماء ، ، ولكنه طوح بها  
من فوق الأرض ، محتضناً إياها في صدره الذى كان يقطر بماء المطر  
وهو يكرر ، نارسى ، نارسى ! . ثم لامس طرف أنفه وجهها ، وذاقت  
طعم المطر .

قال ، وهو يحتضنها « نارسى ، وقد كفت عن المقاومة ، والتصقت  
به . ثم فك عقلاها فجأة ، ورفع رأسه بحركة سريعة ، ونظر إليها وفي عينيه  
توتر رزين ، وقال لها ، « نارسى ، هل هذا الوغد الحقيقى - »

أجابت بحدة ، « لا طبعاً لا ، أنت جننت ؟ ثم احتضنته مرة  
أخرى بملابسه المبللة وكأنها بهذا تتمنى ألا تتركه أبداً ، أوه ، هورى .  
لقد عاملتك بقسوة وحشية ،

كانت السيارة هذه المرة من طراز فورد ، وقد رأى بايارد انزلاقها  
الجنونة ، عندما حاول سائقها أن يعيدها إلى الطريق الخادع المغطى بالجليد

المنصر . وفي اللحظة المبرقة ، وباستمتاع عابر ، رأى بايارد ، فيما بين  
بنيقة السائق الطليقة من ربطة عنق ، والجورب النسائي الملفوف حول  
رأسه تحت قبضته والمعقود تحت فكه ، رأى تفاحة آدم في رقبتيه  
وكأنها جرو مذعور محبوس في غرارة . مرق المشهد أمامه ومضى من  
خلفه وأدار بايارد عجلة القيادة بعنف . عادت الفوردة العطلة المثيرة  
للاشمزاز إلى مجال رؤية مرة أخرى عندما دارت العجلات على محاورها  
دون أن تتحرك السيارة على الطريق اللزج وكان محركها المفصول عن  
عجلاتها يزار ، ثم سبحت الفوردة بعيداً عن أنظاره عندما أدار عجلة  
القيادة مرة أخرى بعنف شديد في الاتجاه الآخر ، ووصل المحرك بعجلات  
السيارة ، ليزيد من اتزان حركتها وانضباطها ، ثم علا الهزيم الممثل غير  
المتعجل ، عندما رفضت السيارة أن تأخذ مكانها من الطريق ، وسبح  
أمام عينيه عالم ديسمبر المملوء بالصقيع ، كان بايارد العجوز جالساً بجواره  
وكان في استطاعته أن يرى من ركن عينيه الرجل العجوز وقد قبضت  
يده على حافة الباب العليا . كانا يواجهان في تلك اللحظة الأكمة التي  
تستقر فوقها الجبانة ، ومن فوقهم مذ تمثال جون سارنوس يده في إيماءة  
حجرية عريضة ، وتطلع من بين أشجار الشربين الساكنة على الوادي ،  
ليرى ميلين من خط السكة الحديدية الذي بناه وهي تمتد تحت نظرة عينيه  
المنحوتتين . أدار بايارد عجلة القيادة بعنف مرة أخرى

على الجانب الآخر من الطريق وكانت هوة تهبط عمودياً بين أشجار  
شربين قزمة وسنان صخرية مديبة تغطت هياكلها بطبقة هشة من الجليد والثلج  
الموحد ، حيث لم تستطع أشعة الشمس أن تصل بعد . وقد ارتكزت  
مؤخرة السيارة على حافة الهوة تماماً قبل أن تدور مرة أخرى ، ومحركها  
يعمل بأقصى قوته ، ثم اندفعت حتى شور أنفها مرة أخرى إلى أسفل التل  
دون أن تقلل من سرعتها ومع ذلك فلم تعد إلى الأخاديد التي تركتها  
العجلات على الطريق ، وكانت قد تعدت منتصفه ، رغم أنهم كانوا قد  
وصلوا تقريباً إلى أسفل التل ، فقد أدرك بايارد أنهم لن يستطيعوا  
صعوده بالسيارة ، وبالضبط قبل أن تنزلق بهم السيارة ، أدار عجلة

القيادة بعنف واندفع بمقدمة السيارة فوق جانب الطريق ، وتوقفت السيارة برهة ، وكأنها تلتقط أنفاسها ، صاح في جده صارخا ، أمسك جيداً ، ثم هوى .

لحظة من الزمن خلو تماماً من كل صوت ، اقتقد فيها كل إحساس بالحركة . ثم انقضت أشجار الشربين القزمة على محرك السيارة ، وصفعتهم بحقد وهما جالسان في انحناءة متقلصة الساقين ، ثم قفزت السيارة ودارت في الهواء . ثم برهة أخرى كالفراغ ، ثم صدمة ضربت عجلة القيادة بهدر بايارد ، ونفضت عنها قبضتيه القويتين ، وخلعت مفصلي ذراعيه ، انقذف جده إلى الأمام ، ومد بايارد ذراعه في نفس اللحظة ليحميه من الاصطدام بالحاجز الزجاجي الأمامي . صرخ مرة أخرى ، أمسك جيداً ، ولم تهدىء السيارة من اندفاعها وجرجر بايارد عجلة القيادة التي لم تكف عن الانفلات من يده ، ودارت بالسيارة في قاع الوادي الضيق ، وفتح المحرك ، وبقوة الآلة وبعزم اندفاع القطعة ، اندفعت السيارة صاعدة هابطة ، مصطدمة بكل شيء في قاع مجرى الماء واستدارت وصعدت وهي تلهث إلى جانب المجرى المنخفض وارتقت الطريق مرة أخرى . أوقفها بايارد .

جلس برهة ساكناً دون حركة ، ثم نفث الهواء من بين أسنانه بعنف ، ثم ، يا إله الجبل الجبار ، . وقد جلس جده بجواره دون حركة ، وما زالت يده قابضة على الباب ، ورأسه مcline قليلاً . قال بايارد : « أظنني سأدخلن سيجارة بعد هذا ، وأخرج واحدة من جيبه وثقاباً ، وكانت يده ترتعدان ، قال معتذراً ، فكرت في هذا الجسر الحجري مرة أخرى ، ونحن نعب ، . أخذ نفساً عميقاً وتطلع إلى جده وسأله : أنت بخير ؟ ، ولم يحرك بايارد العجوز جواباً ، وسكنت سيجارته في يده وألقى على جده نظرة أخرى . كان جالسا كما كان ، وقد انحنت رأسه قليلاً ، وقبضت يده على الباب . نادى بايارد جده .. جدى ؟ ولم يتحرك بايارد العجوز أيضاً ، ولا حتى عندما رمى حفيده السيجارة وهزه بعنف .

حمله فرسه الصغير الجسم الذى لا يصيبه تعب إلى قمة التل الأخير ،  
وامتدت ظللهما الطويلة في شمس الشتاء المنخفضة عبر حافة التل إلى الوادى  
من تحته حيث تصاعدت منه صيحات كلاب حادة . محمولة على الهواء الجليدى  
الساكن . قال بايارد محدثاً نفسه ، « كلاب صغيرة ، وأوقف فرسه  
في الدرب الضيق ، وأخذ ينصت إلى هسـتـيريا الكلاب حادة الصوت  
وأصداؤها التى تفيض إلى مجال سمعه ، وكان فى استطاعته أن يخنس  
بالصقيع فى الهواء ، وهو جامد مكانه . ومن فوقه ، كانت أشجار الصنوبر  
رغم سكون الهواء ، تحدث صوتاً وحشياً مستمراً حاداً ، وكأن صقيع  
الهواء قد أصبح ذا صوت وفم . ومن فوقهم جميعاً ، وتحت سماء الأصيل  
الزرقاء ، انزلت أوزات على ارتفاع منخفض وكانت تطير على هيئة  
رقم ٧ ، وفكر ، وهو ينظر إليها ، « سيسقط الثلج الليلة ، وتصور  
فى خياله المياه السوداء التى تذهب إليها لتستريح ، وأنصال الحشائش الميتة  
المتعفنة ، التى سينكش حولها الماء قريباً . ليتجمد فى أمواج صغيرة  
رقراقة ثابتة من العتمة الهشة .

ومن ورائه انطوت الأرض مبتعدة ، قمة وراء قمة ، زرقاء جميعاً  
كدخان الخشب المحترق مصعدة إلى سماء وهى تشبه طبقة رقيقة من الدم  
المتخثر . واستدار وهو على هرجه وحلق فى الشمس دون أن يطرف له  
جفن ، كانت منتشرة وكأنها بيضة قرمزية تكسرت فوق أبعد الآكام .  
وكان ذلك دليلاً على نوع الطقس ، وتشمم الهواء الساكن المدغدغ ، آملاً  
أن يكون قد استنشق أيضاً رائحة الثلج . وزفرت الفرس ورمت رأسها  
مختبرة ، واكتشف استرخاء الأعنة ثم خفضت رأسها وزفرت مرة أخرى  
فى الأوراق الميتة وإبر الصنوبر الرقيقة الجافة تحت أقدامها . قال بايارد  
وهو يشد الأعنة ، « بيرى ، هيا ، ورفعت بيرى رأسها وانطلقت فى  
خطو عال سريع ولكن بايارد ردها عن هذا ببراعة ، وأعادها إلى خطوها  
المنتظم الذى يشبه مشى الثعلب . ولم يكن قد ابتعد كثيراً ، حينما انفجرت

الكلاب عن يساره في زفير شديد ، ثم اقتربت منه فجأة ، وعندما أوقف يبرى ، وحلق على امتداد الدرب ، رأى الثعلب القادم عليه في وسط الطريق في خطو رتيب وقور ، وقد رآته يبرى أيضاً في نفس الوقت ، وردت أذنيه الدقيقتين إلى الخلف ، وأدارت عينيها الشابتين ، إلا أن الحيوان ظل ماضياً نحوهما دون أن يدرى في خطوات المنتظم غير المتعجل ، وهو يلقى من لحظة إلى أخرى ، نظرة إلى الخلف من فوق كتفيه . همس بايارد وهو يمسك يبرى بشدة بين ركبتيه تماماً ، يا للعجب ! ، لم يكن الثعلب يبعد عنهما أربعين ياردة ، وظل يتقدم وفيما يبدو لم يكن يحس أبداً بوجود الفارس ، ثم صاح بايارد .

ألقي الحيوان عليه نظرة ، وسبحت الشمس الغاربة حمراء في عينيهِ وانسالت ، ثم اختفى في ومضة واحدة متواضعة من اللون البني ، ونفت بايارد هواء صدره كان قلبه يدق بعنف داخل أضلاعه . صاح وهو . يا هيا يا كلاب ! ، تزايد طنين الكلاب وأصبح عجيجاً حاداً ، وانفجر قطيعها على الطريق فوضى من الجلود المنقطة ، والألسنة والآذان المتدلّية المهتزة . ولم يكن أحدها قد بلغ أشده ، وتجاهلت الحصان وراكبه واندفعت وهي تهوى نحو النباتات الكثيفة التي اختفى داخلها الثعلب ، وظلت تتصايح بأصوات حادة ، وإذ كان بايارد على فرسه جالساً يتطلع حيناً مرت واختفت بلغت أذنيه صيحات أكثر حدة وجنونا . اندفع من الغابات كلبان أحدث سنا من الكلاب الأخرى ورحبا أمامه على سيقانها القصيرة وهما يهمهان بصيحات تفيض بالاهتمام الجنوبي الذي يثير السخرية ، ثم غاض النباح وتحول إلى أصداء هستيرية وهكذا مضى .

ومضى ، وقد ارتفعت الأرض على جانبي الطريق وقد تعتم أحد الجانبين وكأنه جدار حصن صخري من البرنز واستلقت على الآخر أشعة الشمس الأخيرة الحمراء . وطارق الهواء الثلجي في خياشيمه ودغدغهما ، ولفح رتيبه بإبر منعشة . وقد مضى الطريق عبر الوادي ، لم يعد يبين من الشمس فوق الجدار الغربي إلا نصفها ، وبين الأشجار المتقاربة سار بحصانه في ظلال تبلغ ارتفاع ركابه ، وكأنه يخوض ماء بارداً . كان عليه

أن يبلغ البيت قبل الغروب ، فدفع بيرى إلى الإسراع قليلا . ثم تزايد ضجيج الكلاب مرة واقترب من الطريق وهنا دفع بيرى للجري .

أقبل بعد ذلك على عمر بين الأشجار - حقل قديم مزروع بالقصعين ، وقد التأم جراح المحراث فيه منذ زمن طويل ، وملأته الشمس الغاربة بالذهب الميت وفجأة أوقف حصانه حتى كاد أن يقف على خلفيته أمامه وفي ركن من الحقل بجوار الطريق كان الثعلب جالسا . جلس على مؤخرته كما تفعل الكلاب ، يرقب الأشجار من خلال الممر الضيق ، ودفع بإيارد حصانه مرة أخرى إلى الأمام . أدار الثعلب رأسه وألقى عليه نظرة متلصصة سريعة ، ولكن دون أن يبدو عليه قلق ، وأوقف بإيارد الحصان وهو في دهشة بالغة . اقترب ضجيج الكلاب من داخل الغابة ، إلا أن الثعلب ظل مقعيا مكانه ، يرقب الرجل بنظرات متلصصة مكتومة غير مهتم بالكلاب . لم يكشف عن أى قلق على الإطلاق ، ولا حتى عندما انطلقت الكلاب الصغيرة وهي تعوى بجنون عبر الممر الضيق وظلت تكدح عند حافة الغابة برهة بينما وزع الثعلب انتباهه بينها وبين الرجل .

وأخيراً رأى أكبر الكلاب الصغيرة الصيد ، كان من الواضح أنه زعيمها وعلى الفور كفت عن ضجيجها وقدمت في خطوة غير سريعة عبر الممر وقعدت في دائرة قبالة الثعلب ، وألستها مدلاة . ثم ، وفي لحظة واحدة ، استدارت كلها وواجهت الغابة التي بدأ الظلام يسودها ، كان العواء المجدد الحاد المروع يقترب منها رويداً رويداً . ثم عوى أكبر الكلاب مرة واحدة ، وهنا تزايد العواء القادم من الغابة بعد أن سادته نغمة الاطمئنان وإن ظل حاداً عنيفاً ، وظهر الكلبان الصغيران وزحفا خلال الحقل المزروع كدودتين صغيرتين ، حتى وصلا . ثم وقف الثعلب وألقى نظرة أخرى سريعة مختلصة على الفارس ، ثم مضى في خطو بطيء ، تحوطه حلقة الكلاب الصغيرة الصديقة ذات السترات القطنية ، وصعد إلى الطريق واختفى . قال بإيارد وهو يتطلع وراءها : يا للمعجب على اللعنة ! ، ثم : بيرى ، هيا ، .

وأخيراً ، حلقت في سكون فوق الأشجار البعيدة ريشة شاحبة اللون  
من الدخان وخرج من الغابة ، وتلاّلات في جدار البيت الممتد نافذة  
بدعوة دافئة للغريب ساعة الغروب . وكانت الكلاب قد أطلقت ضجيجاً  
رناناً كدق الأجراس ، وقد استطاع بايارد أن يميز من بينها أصوات  
الكلاب الصغيرة ، وصوتاً يأمرها بأن تسكف ، وإذا كان يقف يرى  
في الفناء كان الثعلب يتردد ودون عجلة وراء البيت . ثم صاح وجه  
نحيب في العتمة بفأس في إحدى يديه ، وملء ذراع من الخشب في اليد  
الأخرى ، وقال بايارد ، « بادي ، بحقك ما هذا الشيء ؟ هذا  
الثعلب ؟ » .

أجاب بادي ، « هذا لمن ، ووضع الخشب على الأرض برؤية ،  
وكذلك الفأس ، وجاء وهز يد بايارد مرة واحدة باسترخاء ، بأسلوب أهل  
الريف ، ولكن يده كانت قوية وراسخة ، كيف حالك ؟ » .

أجاب بايارد ، « بخير ، جئت لأسيّد ذلك الثعلب العجوز الذي حكى  
لي ريف عنه ، » .

قال بادي في صوته البطيء قليل الاستعمال ، « بالتأكيد . كنا نتوقع  
حضورك . ترجل ودعني آخذ فرسك ، »

« لا ، سأقوم بهذا بنفسى . أنت أدخل هذا الخشب ، سأضع يدي  
في مكانه ، إلا أن بادي كان حازماً ، دون إصرار أو غلظة ، وتخلّى له  
بايارد عن حصانه . »

صاح بادي في اتجاه البيت « هنرى . هنرى ، انفتح الباب على السنة  
نيران حلوة ، وقد وقف به شخص ، باعد ما بين قدميه ، قال بادي ،  
« بايارد هنا ، ثم قال له « ادخل واستدنى ، وأخذ الحصان ومضى به .  
أحاطت الكلاب ببايارد ، فالتقط الأخشاب والفأس ، واتجه نحو البيت ،  
وقد تحلق به جيشان شبحي منقط من الكلاب ، وظل الشخص في الباب



المضى ، بينما صعد بايارد إلى الشرفة وأسند الفأس إلى الجدار .

قال هنرى : كيف حالك ، ومرة أخرى كانت المصافحة طرية ، ومرة أخرى كانت اليد قوية راسخة ورقيقة ، كانت أكثر طراوة من جسد بادی الفتى القوى ، حمل عن بايارد الأخشاب ودخلا البيت . كانت جدران الغرفة من ألواح الخشب المشقة : وقد علق عليها تقويمان أو ثلاثة كلها قديمة ورسم ملون عن عقار طبي . كانت الأرضية عارية ، ومن ألواح الخشب المثبتة إلى بعضها البعض باليد ، وقد ضغطتها الأحذية الثقيلة ، وصقلت أقدام الأجيال الكثيرة من الكلاب ، كان في استطاعة رجلين أن يستلقيا واحداً بجوار الآخر في المدفأة . أما الآن فقد أمسكت النار فيها بقطع من الخشب تبلغ من الطول أربع أقدام ، ومن ورائها ظهر المدفأة المصنوع من الأحمر وتصاعدت ألسنتها المتوحشة في دوامات لتختفي داخل حويصلة المدخنة المظلمة . وقد جلس فيرجينس ماك كالم أمامها ، فبدأ معتما تحوط رأسه هالة فضية من فوضى شعره الكك .

قال هنرى : بايارد ، هذا بايارد سارتورس .

استدار العجوز في مقعده في حركة وفورة متأنية كأنها حركة أسد قابض ، ومد يده للضيف دون أن يقف . كان في سنة ١٨٦١ في السادسة عشرة من عمره ، وكان قد وصل حينئذ إلى ليكسنجتون بفرجينيا ساعيا على قدميه وتطوع في الجيش ، وخدم أربع سنوات في لواء ستونوول ثم عاد ماشيا إلى مسيسيبي وبني لنفسه بيتا وتزوج . كانت دوطه ، زوجته هي ساعة حائط وخنزير ملح ، وأعطاهما أبوه بغلا . وقد ماتت زوجته منذ سنوات طويلة وماتت أيضاً من جاءت بعدها وهو الآن جالس أمام المدفأة التي طهى عليها ذلك الخنزير ، تحت السقف الذى بناه في سنة ٦٦ ، وفوق الرف استقرت الساعة ، وهى تسخر من ذلك الزمن الذى كانت ذات يوم ، خادمته . قال ، : حسنا يا ولدى . تأخرت زيارتك كثيراً كيف حال أهلك ؟ ،

أجاب بإيارد ، د على ما يرام يا سيدى ، ونظر بإيمان وحدة إلى وجه العجوز وردى اللون الذى يفيض بالعافية ، لا ، لم يسمموا بعد ، .

د ما زلنا نتوقع حضورك منذ أن التقى ريف بك فى البلدة فى الربيع المنصرم . هنرى ، قل لمائدى أن تضع طبقاً آخر على المائدة ، .

وقد تبعته إلى الغرفة أربعة كلاب . ظلت ثلاثة منه ترقبه بعيون جادة متوهجة . أما رابعها ، وقد كان يرتدى سترة زرقاء ، وعلى وجهه رسم الوقار الملكى ، فقد جاء إليه ولمس بأنفه الباردة يده . قال له ، د جنرال كيف حالك ؟ ، ثم عرك أذنيه بيده ، وهنا تقدمت الثلاثة الأخرى وتحسست بأنوفها يده وحاولت أن تدسها فيها .

قال مستر ماك كالم ، د هات مقعداً واجلس ، ، واستدار بمقعده ، فعمل بإيارد كما أمره ، فتبعته الكلاب ، وتحلقت حول ركبتيه وهى تتدافع حوله بأدب ، واستطرد العجوز يقول د لم أكف عن دعوة جذك لقضاء بعض الوقت هنا . ولكنه لم يفعل لأنه متكبر أحق ، أو ربما كسول ملعون ، : ثم هتف بالكلب الكبير د جنرال ؟ اخرج من هنا . بإيارد اطردها ، ثم صاح د هنرى ! ، وظهر هنرى ، فقال له د اطرده هذه الكلاب حتى ينتهى العشاء ،

ساق هنرى الكلاب من الغرفة . التقط مستر ماك كالم من المدفأة عوداً من الصنوبر وأشعله وأشعل منه غليونيه ، وأخذ الشعلة فى رماد المدفأة ووضعها بجوارها . قال العجوز ، د ريف ولى يقضيان اليوم فى المدينة . كان فى استطاعتك الحضور معهما فى العربة . إلا أننى أظنك تفضل عليها حصانك ، .

قال بهدوء ، د نعم ياسيدى ، . إذن سيعرفون . ظل يتطلع إلى النار برهة ، وهو يمسح بيديه ببطء على ركبتيه ، وفى لحظة قصيرة ، طافت به ، دون أن ينفعل حور الأشهر الأخيرة من حياته ، بضياعها

واندفاعها وطيشها ، طافت به فراها كلها . وكانت شريط سينمائي يمضي به مسرعاً ، إلى خاتمة كان يخشاها ، وكان في استطاعة أي أحق أن يتنبأ بوقوعها ، حسناً ، عليها اللعنة ، ماذا وقد حدث : هل يمكن أن يلام ؟ هل هو الذي أصر على أن يصحبه جده في السيارة ؟ هل هو الذي منح العجوز قلباً هزبلاً تافهاً ؟ ثم سمع نفسه يقول في أعماقه يبرود : أنت خفت أن تعود إلى البيت أنت كلفت زنجياً أن يتسلل ويحضر لك حصانك دون أن يحس به أحد . أنت ، وأنت من يفعل من الأشياء عامداً ، ما يتشكك عقلك أنت في إمكان نجاحه ، بل وباستحالته ، أنت تجبن عن مواجهة نتائج أعمالك أنت . ثم مرة أخرى ، شيء مامر وعميق في أعماقه لا يهدأ قط ، اشتعل فجأة ، مدافعاً ومبرراً ومتهما ، ماذا ، لم يكن يعرف ، ثم يشتعل مرة أخرى ، من لم يكن يعرف . أنت فعلتها ! أنت تسببت فيها كلها ، أنت قتلت جوني .

كان هنري قد صحب مقعداً إلى جوار النار ، وبعد قليل ، دق العجوز غليونه بعناية فوق كفه ليفرغه بما فيه ، ثم أخرج من صداره الصوفي ساعة فضية دائلة بيضاوية الشكل . قال : الساعة الخامسة والنصف ألم يعد هؤلاء الأولاد بعد ؟

قال هنري ، : إنها هنا . سمعتم يتكلمون في الخارج ، وأنا أطرده الكلاب .

قال والده آمراً ، أحضر الدورق إذن ، وقام هنري وخرج مرة أخرى ، وهنا تعالى وقع أقدام ثقيلة في الفناء ، واستدار بايارد وتطلع دون اهتمام إلى الباب . ثم انفتح ودخل ريف ولي .

قال ريف ، : حسناً ، حسناً ، وأضاء وجهه النحيل الأسمر قليلاً . وصلت أخيراً أليس كذلك ؟ ، ثم صافح بايارد ، وجاء لي في إثره . كان وجهه لي ، كوجوههم جميعاً ، قناعاً أسمر عابساً ، لم يكن عريض البنية مثل ريف ، وكان أقلهم جميعاً حديثاً . كانت عيناه سوداوين

وقلقتين ، ومن ورائهما كن ثمة شىء . وحشى وحزين . صافح يد بايارد دون أن ينطق بكلمة .

ولكن بايارد كان يرقب ريف . لم يكن ثمة شىء فى وجهه ، لا برود ، ولا تساؤل . أمن الممكن أن يكون قد قضى وقتاً فى البلدة ، ولم يسمع رغم هذا ؟ أم أن بايارد نفسه حلم بالأمر كله ؟ ولكنه يذكر جيداً إحساسه عندما لمس جده ، يذكر كيف انهار فجأة ، وكأن صميم أنسجته ذاتها ، التى نسجت لتظل شماء ، راسخة عمرها كله ، بقوة الكبرياء والحتمية الحقاء ، التى تفيض من القدر المشثوم برأس الأسرة ، كائن هذه الأنسجة إنهارت فجأة تاركة لهيكله الفرصة ليرتاح أخيراً . وتكلم مستر ماك كالم .

« هل ذهبت إلى مكتب البريد السريع ؟ »

أجاب ريف « نحن لم نباع المدينة قط ، انكسر عمود المحور بجوار فرنون ، كان علينا أن نفصل المقطورة ونذهب إلى فرنون لإصلاحها هناك ، تأخر بنا الوقت لى نصل إلى البلدة ، اشترينا حاجتنا من هناك وعدنا ،

« حسناً ، لا بأس بهذا . ستذهب إليها فى الأسبوع القادم فى عيد الميلاد ، وأخذ بايارد نفساً عميقاً ، وأشعل سيجارة ، وفى سحابها الكشيف المعتم دخل بادی وقعد فى ركن المدخنة المعتم .

سأل بايارد ريف ، « ألا يزال هذا الثعلب الذى حدثنى عنه مخفياً هنا ؟ »

« بالتأكيد . وسنصيده هذه المرة . ربما غداً . الطقس سيتغير ،

« ثلج ؟ »

« ربما . بابا ، كيف سيكون الجو غداً ؟ »

أجاب المعجوز ، « مطر ، غداً أيضاً . إن يتحسن الجو قبل يوم

الأربعاء . هنرى ؟ ، وبعد برهة هتف مرة أخرى ، هنرى ا ، ودخل  
 هنرى بقدر مغطى بالسناج يقطر وراءه سحابة خفيفة من البخار ،  
 ودورق من الحجر ، وقدر غليظ فيه ملعقة معدنية . كان فى هنرى ثمة  
 شىء أليف أثوى ، بجسمه العريض المترهل قليلا ، وعينه بنيتى اللون  
 الناعمتين ، ويديه المتباطئتين القديرتين . كان هو الذى يشرف على المطبخ  
 ، أصبح يجيد الطهو خيراً من ماندى ، والبيت ، حيث كان يوجد دائماً  
 مشغولاً بلا نهاية بعمل ما ، كان يزور البلدة بنفس الندرة التى يزورها  
 به والده ، وكان لا يهتم بالصيد إلا قليلا ، وكانت تسليته الوحيدة فى  
 تقطير الويسكى ، ويسكى جيد لاستهلاك العائلة وحدها ، فى قعر مجهول ،  
 معروف مكانه فقط لوالده وللزنجى الذى يعاونه ، بوصفة تتابعت عبر  
 الأجيال الضائعة من أجداده الذين نشئوا على الويسكى . وضع القدر  
 والدورق والقدر على المدفأة وأخذ الغليون الفخارى من يد والده ووضعه  
 على الرف ، وأحضر كوباً مشروحاً به سكر ، وسبعة أقذاح ، بكل منها  
 ملعقة . انحنى المعجوز قليلاً نحو المدفأة وأعد الكشوس ، واحداً واحداً  
 بتأن وقور مزعج . وبعد أن وزع الكشوس على الجميع ، بقى اثنتان .  
 قال ، ألم يعد الولدان الآخران بعد ؟ ، ولم يجبه أحد . ووضع  
 السداة على الدورق . ووضع هنرى الكأسين على الرف .

وهنا جاءت ماندى إلى الباب ، فلاته بثوبها القطنى الأبيض . قالت  
 ، تستطيعون جميعاً أن تأتوا الآن ، ، وعندما استدارت لتمضى خاطبها  
 بإيارد وتوقفت ، وكان الرجال قد نهضوا ومضوا خارجين من الغرفة . كان  
 المعجوز منتصب القامة كرجل من الهنود الحمر وباستثناء قامة ماندى  
 النحيلة المتراخية ، فقد كان أطول عوداً من جميع أبنائه بقدر رأسه  
 انتظرت ماندى بجوار الباب ، ثم صافحت بإيارد . قالت له ، أنت  
 لم تزرنا منذ مدة طويلة ، وأراهن أنك لم تنس ماندى ، أيضاً .

قال بإيارد ، بالتأكيد ، لم أنس ولكنه كان قد نسى ، والنقود  
 بالنسبة لماندى لم تكن تعوضها فقط عن قطعة من الحلوى لا قيمة لها ،

كان جون لا ينسى أبداً أن يقدمها إليها عند زيارته . مضى إثر الآخرين في الظلام والصقيع . وقد أخذت الأرض تحت قدميه في التصلب ، وكانت السماء فوق رأسه لامعة بالنجوم . وتعثّر قليلاً وهو يمضي وراء الظهور المتزاحمة حتى فتح ريف بابا يؤدي إلى مبنى منفصل ووقف جانباً حتى دخلوا جميعاً ، كانت الحجرة مملوءة بالدفء وبسحاب رقيق شاحب أزرق يفيض بروائح الطهو ، ومصباح كيروسين يشع ضوءاً منتظماً على مائدة طويلة ، وأمام أحد طرفي المائدة كان مقعد مفرد ، ويوازي الجوانب الثلاثة الأخرى ذلك بلا مساند للظهر . كان الموقد بجوار الجدار البعيد ، وصوان هائل من ألواح الخشب المشقوق ، وصندوق خشبي . وقد جلس وراء الموقد زنجيان وصبي لم يكتمل نضجه وقد التفت وجوههم بفعل الحرارة ، ودارت أعينهم في محاجرهما فبدا بياضها واضحاً وقد تحلق حول سيقانهم خمسة كلاب صغيرة ، ظلت تزجر على بعضها البعض بوحشية مصطنعة ، أو تعضض بيلادة في ركب الزوج الساكنة أو تجوس وراء الموقد وحوله باستطلاع متخبط غير هادف .

قال بايارد : " كيف حالكم يا أولاد ؟ ، وناداهم بأسمائهم ، وهزوا رؤوسهم له ، بابتسامة سريعة حيية وهمهمات مهذبة .

قالت ماندي أمرة ، " ريتشارد ، أبعد هذه الكلاب ، ، جمع الزوج الكلاب الصغيرة واحداً واحداً وألقوا بها في صندوق أصفر وراء الموقد ، حيث ظلت تتحرك وتهرش جدران الصندوق بمخالبها ، وتتصادم مع بعضها البعض ومع جدرانه ، ومن حين إلى حين صيحة احتجاج مكتومة . وفي أثناء تناول الطعام . ومن لحظة إلى أخرى ، كان يطل رأس منها ويتطلع من فوق حافة الصندوق ، وقد أخذه فضول وقور هادئ ، ثم يختفي بسقطة مفاجئة وهرج ومرج ومزيد من صيحات الاحتجاج ، وتتصادم مرة أخرى أصوات المشاحنة الطفولية ، فيقول ريتشارد ، " صمتاً يا كلاب ! نامي الآن ، ثم يديق على الصندوق ببرجة أصابعه ، ثم توقفت الأصوات بعد قليل .

أخذ العجوز المقعد المفرد ، ومن حوله أولاده والضييف ، بعضهم كان بلا سترات ، وكلهم بلا ربطات عنق ، وكلهم بوجوه سمراء عابسة ، كلها قد صبت بوضوح من نفس القالب . وأكلوا سيجقا وأضلعاً ، وطبقاً من فطائر القمح الهندي ، وآخر من البطاطا المقلوة ، وخبز القمح وقندرا من غسل الذرة الصيفية الأسود ، وصبت ماندى القهوة من إناء هائل معدنى الطلاء . وفي أثناء تناول الطعام حضر الغائبان -- جاكسون الأكبر رجل في الثانية والخسين ، كانت جبهته عريضة شماء وحاجباه كشيفين ، وعلى وجهه يبدو على الفور رسم الاحتدام والخيالية -- كان فيه ، بشكل ما ، من سمات نبات السينسيناتس عديم الفائدة ، الكثير الخجل واللاواقعية وسيتوارت ، في الرابعة والأربعين وتوأم ريف . ورغم كونهما توأمين فلم يكن بينهما من التشابه أكثر مما بين أى اثنين من الآخرين . كان القالب كان واثقاً جداً إلى الدرجة التي صنع منها طبقات غاية في النظافة . الأمر الذي لم تضطر منه حتى الطبيعة إلى استعجاله أو تغييره . ولم يكن لستيوارت ثمة شيء من أسلوب ريف السهل . كان ريف هو الوحيد بينهم ، الذي يمكن أن يوصف بشيء من المبالغة بأنه كثير الكلام ، وكان فيه الكثير من رصانة هنرى . كان فلاحاً كفئاً ، وتاجراً ماكرأ وكان له باسمه حساب محترم في المصرف . أما هنرى . البالغ عمره الخمسين فقد كان الابن الثانى .

مضوا يأكلون بأدب صامتين غير متعجلين ، بأقل الكلمات وأشدّها ضرورة ، ولكن بود ، وكانت ماندى تمضى بينهم من المائدة إلى الموقد جيئة وذهاباً .

فاض زئير الكلاب فجأة في الظلام كالأجراس ولم يكونوا قد انتهوا من طعامهم بعد ، وانفصال عبر الجدران المحكمة إلى الحجرة . أصفى الزنجى ريتشارد وقال ، « الآن ! » وتعلق فنجان بادهى في يده .

« ديك ، أين هم الآن ؟ »

« وراء كوخ النبع ، وقد أحاطوا به أيضاً ووقف بادی وانسحب من ركنه بهدوء . ووقف بايارد أيضاً ، وقال « سأذهب معك ، ومضى الآخرون يأكلون بانتظام وأنزل ريتشارد فانوساً من فوق الصوان وأشعله وخرج ثلاثهم من الغرفة ، إلى الظلام الصقيع الذي جاء عبره عواء الكلاب ، في دفعات موسيقية رنانة كصوت يحدثه زجاج متجمد كان برد وظلام . وتجاسم البيت ، لا يبين من جداره الممتد إلا النافذة ، المتوهجة قال بايارد « الأرض تكاد أن تكون جافة ، » .

أجاب بادی ، « لن يظهر الصقيع الليلة . ديك ، أليس كذلك ؟ ،  
« لا ياسيدى ستمطر . »

أجاب بايارد ، « أنا لا أصدق هذا ، » .

أجاب بادی ، « بابا قال هذا أيضاً ، إنها أدفاً بما كانت ساعة الغروب ، » .

قال بايارد بإصرار ، « لا تبدو كذلك بالنسبة لي ، ومرا بالعربة ، كانت ساكنة خامدة في ضوء النجوم ، وإطاراتها تلعب كأشرطة من حرير أسود ، والإسطبل الطويل الممتد الذي تصاعدت منه أصوات رقيقة ، وزفرة عرضية عند عبور الفانوس . ثم تلالاً الفانوس بين جذوع الأشجار على منحدر الطريق . وتزايد ضجيج الكلاب تحتهم تماماً ، وتحركت أشباحها في الوهج الخافت ، وعلى غصن صغير وراء كوخ النبع بالضبط وجدوا المتماوت وقد انحنى على نفسه وسكن تماماً ، وأغمض عينيه بشدة ، كان بين غصنين على ارتفاع من الأرض لا يزيد على ست أقدام . حمله بادی من ذيله إلى الأرض ، دون مقاومة ، صاح بايارد ، « يا لجهنم ، » .

نادى بادی الكلاب أن تعود ، فصعدت إلى الممر مرة أخرى . وفي سقفة غير مستعملة وراء المطبخ ، تلالاً نقط حمراء متزاوجة ، بدت وكأنها على الأقل خمسون عيناً ، سطعت في اللحظة التي أدخل فيها بادی الفانوس وأسقط نوره على قفص محاط بالأسلاك ، تصاعدت منه رائحة



عطنة دافئة . كانت فيه أجسام ذات فراء خشن تتحرك متكاسلة ، أو تدير إلى النور وجوها حادة في شكل الجماجم . فتح الباب ورمى بأخر أسراه بين رفاقه وأعطى الفانوس لريتشارد وخرجا ، كان الجو قد أصبح شاحبا قليلا ، وفقد القليل من برودته الحادة .

وقد جلس الآخرون في شبه دائرة حول النار المتأججة وعند قدمي العجوز غفل كلب الصيد ذو السترة الزرقاء . ووسعوا لبايارد ، وقعد بادي مرة أخرى في ركن المدفأة .

سأل مستر ماك كالم ، « اصطدموه ؟ »

أجاب بايارد ، « نعم يا سيدي . كأنك ترفع قبعتك من فوق مسبار على الحائط ، »

وأخذ العجوز أنفاسا من غليونه ، « ستخرج معنا في عملية صيد كبيرة قبل أن ترحل ، »

قال ريف ، « بادي . كم عندك الآن منها ؟ »

أجاب بادي ، « ليس عندي إلا أربعة عشر ، »

أجاب ريف ، أربعة عشر . إن تستطيع أن تأكل أبدأ أربعة عشر ،

أجاب بادي ، « إذن ، أطلقها ، وصدها مرة أخرى ، . ومضى العجوز يدخن ببطء وكان الآخرون يدخنون أو يعضغون ، وأخرج بايارد سجاثره وقدمها إلى بادي . وهز بادي رأسه معتذرا .

قال ريف ، « لم يبدأ بادي التدخين بعد ، »

سأله بايارد « لم تفعل ؟ بادي ، ما الأمر ؟ »

أجاب بادي ، « وهو في العتمة ، لا أدرى . لم يتوافر لي الوقت لأتعلم ، على ما أظن ، »

لمقطعت النار ودومت ، ومن وقت إلى آخر كان سيتوارت ، وهو أقربهم إليها يضع قطعة خشب فيها . وكان السكيب القابع عند قدمي العجوز يحلم ، ومن لحظة إلى أخرى يشمشم ، وكان الرماد الخفيف يدور كالذوات حول أنفه فيعطس ، ويستيقظ ، ويرفع رأسه ويطرف بعينه ناظراً إلى وجه العجوز ، ثم يغفو مرة أخرى ، جلسوا جميعاً دون كلمات وبحركة ضئيلة جداً ، وكانت وجوههم الصارمة ذوات الأنوف المحدبة كأنما قد نحتت بالسنة النار من صخور العتمة الظلماء ، وشكلت بفكرة واحدة ، وسويت ولونت بنفس اليد .

دق العجوز غليظته برقة بكفه ونظر إلى ساعته الفضية . الساعة الثامنة .

قال ، د بايارد ، نحن نستيقظ في الساعة الرابعة . ولكن أنت ، ليس عليك ، أن تنهض قبل أن يحل النهار . هنرى ، مات الدورق ،

قال بايارد أيضاً ، الساعة الرابعة ، وقد أخذ هو وبادى في خلع ملابسهما في صقيع الغرفة ذات السقف المائل المضاء بمصباح كيروسين ، وحيث كان ثمة سرير خشبي هائل بلحاف صوفى حائل اللون مصنوع من قطع من النسيج من ألوان متباينة خيطة معا . كان ذلك هو فراش بادى . قال بايارد ، لا أدري لم تهتم على الإطلاق بالذهاب إلى الفراش ، وكانت أنفاسه تتكاثف في الهواء الثلجى وهو يتكلم .

قال بادى ، نعم ، وخلع قميصه من فوق رأسه ، وركل قدميه النحيلتين اللتين تشبهان سيقان خيول السباق من سراويله السكاكية القديمة . قال ، د تنقضى ساعات الليل بسرعة في بيتنا . أنت تؤنسنا ، أيضاً ، وكان فى صوته ثمة أثر ضئيل للغيرة والشوق الماضى . لن يكون النوم فى ساعات الصباح بعد أن تبلغ الخامسة والعشرين ذهبياً كما كان قبلها . كانت استعداداته للنوم بسيطة ، خلع حذاءه وسراويله وقمصه ، وذهب إلى الفراش فى ملابسه الداخلية الصوفية ، وقد استلقى لا يبين منه إلا رأسه المستدير ،

ليرقب بايارد ، الذى وقف فى صدار صوفى بلا أكمام ، وسراويل قصيرة رقيقة . قال بادى ، ان تمام مستدفئا بهذه الطريقة . أتريد بعض ملابسى الثقيلة ؟ .

أجاب بايارد ، اظنى ، سأنام مستدفئا . ثم نفخ المصباح فأطفأه ، وتحسس طريقه إلى الفراش ، وقد تقلصت أصابعه إلى أعلى من الأرضية الثلجية ، ودخل إلى فراشه . كانت الحشية مملوءة بقشور الذرة ، كانت تققع من تحته ، موسوسة بصوت رقيق كلما تحرك هو أو بادى ، مهما كانت الحركة ضئيلة ، أو أخذ شبيها عميقا . تحركت القشور بأصوات صغيرة ذات حفيف .

ارتفع صوت بادى فى الظلام ناصحا ، دلف ذلك اللحاف جيداً من هناك ، ونفس زفيراً فى صوت ، متفجر قصير يفيض بالشعور بالراحة . وتثاءب ، مسموعا غير مرئى . قال ، لم أرك منذ مدة طويلة .

هذا صحيح . فلتر ، متى كان آخر لقاء ؟ سنتين - ثلاث سنوات . ليس كذلك ؟ ، أجب بادى ، سنة ١٩١٥ ، آخر مرة أنت وهو . . ثم أضاف بهدوء . قرأت الاسم فى جريدة عندما وقع الحادث بشكل ما عرفت على الفور أنه هو . كانت صحيفة بريطانية .

حقاً ؟ أين كنت حينئذ . ؟

أجاب بادى ، هناك . حيث كان البريطانيون . حيث أرسلونا ، إلى بلاد منبسطة لا أدرى كيف يستطيعون تجفيفها بما يكفى لزراعتها ، ويسقط عليها كل هذا المطر .

نعم ، كانت أنف بايارد ، كقطعة من ثلج . وكان فى استطاعته أن يحس بأنفاسه وهى تبعث دفئا قليلا فى أنفه ، كان فى استطاعته حتى أن يرى الأبخرة الشاحبة التى تتصاعد مع أنفاسه ، كان فى استطاعته أن يحس بأنفاس شقيقه وهى تجمد خياشيمه مرة أخرى . بدا له وكأن

في استطاعته أن يحس بالأواح خشب السقف وهي تنحدر نحو الحائط القصير ، بجوار بادي ، كان في استطاعته أن يحس بالجو وهو يتراكم في ذلك الركن البعيد ، مريراً وبارداً وكثيفاً ، أكثف من أن يصلح للتنفس ، كأنه وحل غير مرئي ، وهو مستلقى تحته ... وكان واعياً بحفيف القشور الحاد من تحته ، واكتشف بهذه الطريقة ، أنه يتنفس في دفعات عميقة مضطربة ، وتمنى بشكل فظيع ألا يكون في الفراش ، أن يجلس ، أن يتحرك ، أمام نار ونور ، أينما كان . وقد استلقى بادي بجواره في جود الصقيع الضاغط نصف المتجلط ، وكان يتحدث بألفاظه البطيئة المناسبة ، التي تعلمها من الحرب . كانت بشكل ما حكاية غامضة حالة ، دون بداية ولا نهاية ، مملوءة بإشارات متعثرة إلى أماكن يخطئ في نطقها بشكل بشع . كانت تترك في المرء انطباعاً عن أناس هم مجرد مخلوقات عاجزة عن التصرف وبلا ماض ولا مستقبل ، وقعوا إلى الأبد في تيه الاهتمامات الفردية المتصارعة ، كأنها لعب تدور وتدور وتتقارع ، ومن ورائها كابوس وشيك الحدوث ولا يمكن فهمه .

سأله بايارد : « بادي هل أحببت الجيش ؟ »

أجاب بادي : « ليس كثيراً . ليس فيه ما يكفي من العمل . حياة طيبة لرجل كسول ، ثم استغرق في تأملاته برهة وقال في لحظة مصارحة خجولة وسرور وقور : منحوتى تعويذة ، »

قال بايارد ، « تعويذة ؟ »

« نعم . واحدة من تلك الحلى البرنزىة التافهة المعلقة بشريط ملون ، نويت أن أريها لك إلا أنني نسيت . سأريك إياها غداً ، هذه الأرضية باردة إلى الدرجة التي تجعلني لا ألمسها إلا عند الضرورة » سأترقب غدا لحظة عندما يكون أبى خارج البيت ، »

« لماذا ؟ ألا يعرف أنك حصلت عليها ؟ »

أجاب بادی ، « إنه يعرف . كل ما في الأمر أنه لا يميل إليها لأنها كما يزعم من تعاويذ اليانكي . ريف يقول إن أبي وستونوول جاكسون لم يستسلب قط . »

قال بايارد ، « نعم ، وتوقف بادی عن الكلام ، ثم ثاب مرة أخرى ، كأنه كان يقوم بتفريغ جسمه استعداداً للنوم . ولكن بايارد كان مستلقيا ومتصلا على ظهره في فراشه ، وعيناه مفتوحتان تماما . كنت تشعر وكأنك مخور كلما أغمضت عينيك ، ذلك أن الغرفة تبدأ في الدوران والدوران ، ولذا فإنك تستلقي في فراشك متصلا مفتوح العينين ، حتى لا تصاب بالغشيان . وقد توقف بادی عن الكلام وأصبح تنفسه أكثر امتدادا وهدوءا وانتظاما . وتحركت القشور في شكاية ذات حفيف حاد ، عندما استدار بايارد ليرقد على جنبه .

ومضى بادی يتنفس في الظلام بهدوء وسلام . وكان في استطاعة بايارد أيضا أن يسمع أنفاسه هو أيضا ، ولكن تلك الأنفاس الأخرى كانت تحلق فوقها وتحيط بها ، وتحتويه أيضا وكأنه كان شيئا يتنفس بأنفاس بجهد لاهثة ، شيئا ما داخله ، يأخذ أنفاسه مع بادی ، مستهلكا كل الهواء حتى يتحتم على الشيء الأضال أن يلمث في سبيله . وكان الشيء الأعظم يتنفس بعمق وهدوء ، وكان غافلا عن كل شيء ، نائما ، نائما . نعم ، وربما كان ميتا ، وتذكر ذلك الصباح ، وعاشه من جديد بانتباه مشدود منذ اللحظة التي رأى فيها دخان الرصاصة المضيفة الأولى حتى رأى من مكانه على التل المنحدر ، انفجار السنة النيران من أنف طائرة جون والسكامل ، وكأنه خفق بريق برتقالي صغير ، ورأى تلويحة أخيه المألوفة ، وانسطاحة جسمه الغاطس المفاجئة بعد أن فقد توازنه في الهواء . عاشها من جديد ، كما تجرى بعينيك فوق قصة مطبوعة قرأتها كثيرا من المرات ، محاولا أن يتذكر ويستشعر ، طلقة نارية آخذة طريقها إلى جسمه نفسه أو رأسه ، كان من الممكن أن تذبحه في نفس اللحظة . وهذا قد يفسر الموضوع ، قد يشرح الكثير جداً منه . إنه هو أيضا

ميت ، وإن ما يعيش فيه هو الجحيم ، الذي يتحرك عبره وخلاله إلى الأبد بوم من السرعة ، باحثاً عن شقيقه ، الذي كان بدوره في مكان ما يبحث عنه ، ولن يلتقي الشقيقان أبداً . استدار مرة أخرى ورقد على ظهره ، وهمست القشور من تحته بسخرية جافة .

كان البيت مملوءاً بالأصوات ، وبالنسبة لحواسه المرهفة كان السكون آلافاً من الأصوات : نحنة الخشب الجاف في الصقيع الأسود ، طقطقة القشور وهو يتنفس ، صميم الجو نفسه وكأنه ثلج لزج موحل في منجاة البرد ، يضغط على رثتيه . كانت قدماء باردتين ، وقد تغطت أطرافه بالعرق من فرط البرد ، ومن حول قلبه الساخن كان جسمه متصلباً يرتعد وقد رفع ذراعيه العاريتين فوق الأغشية ، وظل مستلقياً برهة وكان البرد من حوله قالب من الصلب أطبق عليه . وفي أثناء هذا كانت أنفاس بادی الهادئة وأنفاسه المشدودة المبهورة ، كلاهما بلا منبع إلا أن كلا منهما مكتنف بالآخر متداخل معه .

تحت الأغشية مرة أخرى ، كانت ذراعاها باردتين على صدره ويدها كقطع من ثلج فوق أضله ، وتحرك بحذر لا نهائي بينما انزلق الصقيع من فوق كتفيه إلى أسفل ، وثرثرت من تحته القشور المختفية ، وطوح ساقيه إلى الأرض . كان يعرف الطريق إلى الباب ، وتحسس طريقه إليه على أصابع متقلصة . كان مغلقاً بقضيب خشبي ، ناعم كالثلج ، وقد لمس شيئاً آخر بجواره وهو يتلمس الطريق إليه ، شيئاً ثلجياً وأسطوانياً ورأسياً ، وانزلت يده عليه إلى أسفل ، ثم ظل واقفاً بعد ذلك برهة في الظلام القاري الثلجي وبندقية الصيد في يده ، وبينما هو واقف كذلك ، وأصابعه المخدرة تعبت بالزناد ، تذكر صندوق الطلقات ، الذي يستقر عليه المصباح . لحظة أخرى ظل واقفاً هكذا ، ورأسه محني قليلاً ، والبندقية بين يديه المخدرتين ، ثم أسندها مرة أخرى في الركن ورفع القضيب الخشبي من فجواته بحذر ودون أن يحدث ضجة تراخي الباب ومال بعيداً عن مفصلاته ، وبعد الاحتكاك الغليظ الأول ، قبض على حافته ورفعها وردده إلى الخلف ، ووقف خارجة .

وفي السماء لم تظهر نجمة ، وكانت السماء جيفة ذاتها وقد تراخى  
وسطها . استلقت على الأرض وكأنها بالون فرغ من هوائه ، وقد تصاعد  
إليها شبح المظمى الأسود بلا عمق ، والأشجار من وزائه ، والأشكال  
المألوفة كأنها أشباح أرواح حزينة في ضوء الجيفة الجليدي . كومة من  
الخشب ، إحدى أدوات الزراعة ، برميل بجوار الشرفة المكسورة بالقرب  
من باب المظمى حيث تمثر ، قبل العشاء . انساب الصقيع الرمادي إلى  
داخله كما ينساب الماء في الرمال ، في موجات قصيرة متقاطعة ، متوقفة ،  
ثم متعشة طريقها من حول عقبة ، ثم ماضية في طريقها مرة أخرى ،  
لتتدفق على امتداد عظامه بلا مقاومة . كان ينتفض ببطء وانتظام  
في البرد ، ومن تحت يديه كان له قد تصلب وفقد القدرة على الإحساس  
إذ أنه كان ينتفض باستمرار ، وكأن شيئاً ما داخل غلافة الميت كان  
يناضل ليتحرر . دقت من فوق رأسه على السقف الخشبي طرقة رقيقة  
وحيدة ، وكأن انصمت الشاحب كان ينتظر هذه الإشارة فقد بدأ  
السكون في الحال في الانفضاض . أغلق الباب بسكون وعاد إلى فراشه .

وقد أخذته رعدة في فراشه أعنف من كل رعدة أخرى لحقت به  
في ذلك الليل . ومن تحته كانت القشور تسخر منه ببرود ، وقد استلقى  
على ظهره في سكون ، يتسمع همس أمطار الشتاء على السقف . لم يكن  
ثمة ضجيج كضرب الطبل ، كذلك الذي يتصاعد عندما تهطل أمطار الصيف  
عبر الهواء المنعش ، بل همس من صوت غير واضح النبرات ، وكأن  
الهواء البارد الذي اضطجع متثاقلاً فوق السقف ، قد أخذ في الذوبان  
والتقاطر متكاسلاً رتيباً من خلال الثقوب والفجوات . تدفق دمه في جسمه  
مرة أخرى والأغطية ملبس كملبس الحديد أو الثلج ، وبينما كان مستلقياً  
دون حركة تحت المطر تزايد الدفء في دمه حتى توقف جسمه أخيراً عن  
الارتعاد ، فذاب في شيء وكأنه إغفاءة معذبة متشنجة ، تحيط به من  
كل جانب صور وأشكال متعاقبة متوترة لليأس والعنود والصراع الذي  
لا يتوقف في سبيل . . . ليس في سبيل التبرير بقدر ما هو في سبيل  
الفهم ، مجرد يد ، ليس بهم يد من ، لتلمسه وتخرجه من فوضاء السوداء

سيزجرها بطبيعة الحال . ولكنها ستميد إليه كفايته الذاتية الباردة  
وظل المطر يهطل ويهطل ويهطل ، وبحواره كان بادى يتنفس بوداعة  
وانتظام : لم يغير حتى وضعه في الفراش . وقد غفى بآبارد من لحظة  
إلى أخرى في إغفاءات تشنجية وإذ كان يغفو ، كان في نفس الوقت  
متيقظا تماما ، وعند ما كان يستيقظ ، كان يضطجع في حالة غامضة مملوءة  
بأشكال النضال غير المعقولة ، ليس فيها ثمة لحظة انفراج أو راحة ، وقطرة  
وراء قطرة قطع المطر الليل كله ، وأبلى الزمان نفسه ، إلا أنه كان ليلا  
طويلا ، ليلا طويلا ملعونا إلى أقصى حد ، وقد تحرك دمه المبدد الجهد ،  
الذى أضناه النضال . تحرك في جسمه في نبضات متباطئة ، وكان كالمطر  
أيضا ، فقد أضنى نومه أيضا . إنه يأتي إلى الجميع . . . ، التوراة . . .  
واعظ ما ، على أية حال . . . ربما كان يعرف النوم . النوم يأتي إلى  
الجميع . . .

وأخيراً سمع من وراء الجدران ثمة حركة . كانت حركة لا تميز ،  
إلا أنه أدرك أنها حركة إنسان ، حركة أتاها ناس كان يعرف أسماءهم  
ووجوههم ، عادوا مرة أخرى إلى عالم لم يتمكن حتى من فقدته مؤقتا ،  
ناس كان بالنسبة لهم . . . وأحس بالراحة . واستمرت الأصوات ،  
وقد سمع بالتأكد حفيف باب ، وصوت إنسان ، أدرك أنه يستطيع أن  
يعرف اسمه بجهد ضئيل من التركيز . وأحس من كل الأشياء جميعا ،  
فقد عرف أن في استطاعته أن ينهض من فراشه ويذهب إليهم حيث  
كانوا متجمعين حول نار مطفقة ، هناك حيث النور والدفء . وهنا  
استلقى وبه شعور بالراحة ، منتويا في كل لحظة النهوض والذهاب إليهم  
في اللحظة التالية ، مؤجلا الأمر في كل لحظة إلى اللحظة التالية ، بينما  
كان دمه يسرى في جسمه في نبضات بطيئة ، وقد استرد قلبه هدوءه .  
كان بادى يتنفس بهدوء بحواره وقد انتظمت أنفاسه أيضاً كأنفاس  
بادى ، بينما كانت الأصوات الإنسانية تفيض مهمة على الغرفة الباردة  
فتسلوها بالثقة العميقة والأمن . إن النوم يأتي إلى الجميع ، يأتي إلى الجميع  
هكذا حاول قلبه أن يبت فيه شيئا من العزاء وأخيراً راح في سبات عميق .



استيقظ من نومه في ساعات الصباح الأولى الشاحبة ، وكان جسمه متعباً وثقيلًا وخامدًا ذلك أنه لم يفز من نومه بشيء من الراحة . وكان بادى قد ذهب ، وما زال المطر يهطل إلا أنه كان قد تحول فوق السقف إلى صوت شديد الإصرار واضح المعالم ، وزاد الدفء في الهواء ، إلا أن برودته ظلت تتحسس طريقها إلى عظامه نفسها ، ومضى في جواربه وحذاءه في يده ، عبر الغرفة حيث ينام لي وريف وستيوارت . ووجد ريف وجا كسون بصطليان أمام النار بفرقة الجلوس .

قال ريف ، « تركناك تأخذ حاجتك من النوم ، ثم قال « يا إلهي الطيب ، أنت تبدو كالشبح يا ولد . لم تنم ليلتك أمس ؟ »

أجاب بايارد ، « بلى . نمت على ما يرام ، ثم جلس ووضع قدميه في حذاءيه وشبك أشرطتها الجلدية تحت ركبتيه . كان جا كسون جالساً على أحد جانبي المدفأة . وفي الركن الظليل بجوار قدميه تهارش بسكون عدد من المخلوقات الحية الصغيرة . قال بايارد وهو يسوى حذاءيه في قدميه .

« جا كسون ، ما هذا الذي عندك ؟ أي نوع من أنواع الجراء هذه ؟ »

أجاب جا كسون : « هذه سلالة جديدة أحاول اصطناعها ، واستدار ريف وفي يده نصف قدح من ويسكي هنري ذى اللون الكهرمانى الشاحب ، قال « هذه جراء إلان . دع جا كسون يحكى لك عنها بعد أن تأكل . خذ اشرب هذا . تبدو مجهداً تماماً . ثم قال في سخرية باردة ، « لا بد أن بادى ظل يتكلم وحرملك من النوم . »

شرب بايارد الويسكى وأشعل سيجاره . قال ريف . « ما لندى تحتفظ بطعام إفطارك فوق الموقد ، »

قال بايارد مردداً ، « إلان ؟ أوه ، ذلك الثعلب . أردت أن أتحدث إليك عنه ليلة أمس . أقم تتولون تربيتها ؟ »

« نعم . لقد نمت مع دفعة جراء العام الماضي . بادی صادها .  
ويعتزم جاكسون بوساطتها أن يحدث ثورة في صناعة الصيد . يريد أن  
يصطنع سلالة من الحيوان ، يرثى كلب صيد وقوة احتماله ، وبراعة  
ثعلب وسرعته . »

اقترب بايارد من الركن وتفحص المخلوقات الصغيرة باهتمام وفضول ،  
وقال « لم أر قط مثل هذه الكثرة من جراء الثعالب ، ثم قال أخيراً ،  
« إلا أنني لم أر أى شيء يشبهها . »

أجاب ريف ، « ويبدو أن هذا ما يعتقد جنرال أيضاً . »

بصق جاكسون في النار ، وانحنى فوق المخلوقات . كانت تعرف يديه ،  
ولذا تزايد هراشها حدة ، وهنا لاحظ بايارد أنها لم تحدث صوتاً على  
الإطلاق ، ولا حتى مهمة الجراء الصغيرة . قال جاكسون ، « إنها تجربة ،  
الأولاد يسخرون منها ، إلا أنها لم تتعد إلا مرحلة الفطام . انتظر  
وسترى . »

قال ريف بغلظة ، « لا أدري ماذا ستفعل بها . لن تكبر إلى الحد  
الذي يسمح لها بالعمل . بايارد ، الأفضل لك أن تذهب وتتناول  
طعام إفطارك . »

قال جاكسون مرة أخرى ، « انتظر وسترى ، ثم تلس الأجسام  
الصغيرة المتدافعة وفي لمساته كانت رقة وحماية . قال لبايارد وكأنه  
يستعين به « أنت لا تستطيع أن تقطع بشيء عن كلب حتى يبلغ من العمر  
شهرين على الأقل ، أليس كذلك ؟ » وتطلع إلى بايارد من تحت حاجبيه  
الكشيفين وكان في نظره احتدام وغموض .

قال ريف بإصرار « بايارد اذهب وتناول إفطارك ، بادی تركك  
وفطر ، وقد غسل وجهه بماء ثلجى في وعاء من الصفيح على مدخل البيت  
وأكل طعام إفطاره الذى تألف من فؤد خنزير وبيض وفطائر ساخنة

كبيرة وعسل أسود ، وكانت ماندى تتحدث إليه وهو يتناول طعامه مع أخيه . عندما عاد إلى البيت كان مستر ماك كالم العجوز هناك . كانت الجراء تتزاحم وتتعارك في ركنها وقد جلس العجوز ، ويداه على ركبتيه ، يرقبها باستمتاع صريح هائل ، بينما جلس جاكسون على مقربة منه معنيا بها ، وكأنه دجاجة تحوم بعناية حول أفراخها .

قال العجوز عندما دخل بايارد : تعال هنا يا ولد . ريف ، اسمع ، هات قصبة صيد السمك ، وخرج ريف ، ليعود بعد برهة قصيرة بقطعة من جلد فنجد خنزير مثبتة في خيط أخذها العجوز ودفع الجراء بغلظة إلى النور ، حيث جثمت هناك بذلة وحقارة . وبطريقة غريبة لم يربايارد بين الجراء لها مثيلاً . لم يكن يشبه أحدها الآخر ولم تكن جميعها تشبه أيا من المخلوقات الحية الأخرى . لم تكن ثعالب ولا كلاب صيد ، أخذت بعضها من كل منها ، إلا أنها لم تكن أيهما . وبالرغم من طفولتها الرقيقة ، فقد كان ثمة شيء فيها بشع وناشر ووقح ، كان هنا فم الثعلب الحاد القاسي بين عيني كلب الصيد الحزبنتين ، وأذنيه الرقيقتين ، حاولت أذناها المتراخية بجرأة أن تقتصب ، وفشلت بشكل فاضح ، وتحرك الذيل القصير الرخو بشعره الذهبي الشاحب الذي يشبه لون ثمرة القسطل من الداخل . أما من ناحية اللون ، فقد تراوحت بين اللون البني المائل إلى الأحمرار عبر لون مخطط ومنقط وغير واضح المعالم حتى لون معتم شاحب تنخلله نقط واضحة ، وكان لأحدها ، إذا أخذت معالم وجهه كل على حدة ، وجه الجنرال العجوز ، وإن كان مصغراً مشيراً للسخرية ، حتى رسم الأسى وإدراكه لحقيقة الوجود وزوال الوهم وانعدام الأمل ، واحتماله لهذا بكبرياء وعزة ، قال العجوز : انقبه إليها الآن ، .

ودفعها جميعاً للنظر إلى أمام ، ثم دلى قطعة اللحم وراها وحركها . لم يدرك أحد وجودها ، دفعها إلى الخلف والأمام فوق رؤوسها بالضبط . فلم تنظر أحدها إلى أعلى . ثم رجحها مباشرة أمام عينيها ، إلا أنها ظلت جائعة تحجل على سيقانها الصغيرة غير الثابتة ، وتطلعت إلى قطعة

اللحم بشغف ، ولكن دون أى اهتمام ذاتى على الإطلاق ، ثم بدأت تتهاوش فيما بينها دون أى صوت على الإطلاق .

قال جاكسون ، أنت لا تستطيع أن تعرف أى شيء عن أى كلب ، ولكن أباه قاطعه ، قائلاً :

« والآن ، انتبه ، قبض على الجراء بإحدى يديه ، ثم دفع بالأخرى قطع اللحم فى أفواهها . وعلى الفور بدأت تتسدافع متعثرة مشوقة فوق يده ، إلا أنه حرك قطعة اللحم بعيداً ، ومن الحبل المربوطة به بدأ فى جر قطعة اللحم على الأرض أمامها وعلى بعد قليل جداً منها ، حتى أخذت فى المشى نحوها ، بطريقة متعثرة . ثم شد قطعة اللحم جانباً مسافة قصيرة ، ودون أن تنحرف فى اتجاهها ، ظلت ماضية متعثرة حتى وصلت إلى ركن ظليل ، حيث أوقفها الجدار ، ومن هناك بدأ هراشها الصامت الدئوب مرة أخرى . ذهب جاكسون إليها والتقطها وعاد بها إلى نار المدفأة مرة أخرى . »

سأل العجوز ، « والآن ماظنك بها ، كقطيع من كلاب الصيد ؟ لا تستطيع أن تشم . لا تستطيع أن تعوى . ولتجمل على اللعنة إن كنت أعتقد أنها تستطيع أن ترى . »

قال جاكسون مرة أخرى بصبر ، « لا تستطيع أن تعرف ثمة شيئاً عن أى كلب . » ولكن أباه قاطعه وقال « جنرال يستطيع . ريف ، اسمع . » ناد جنرال ليحضر هنا . »

ذهب ريف إلى الباب ، ونادى ، وبعد برهة دخل جنرال ، ولخالبه حفيف خفيف فوق أرضية الغرفة العسارية ، وسترته المنقطة مزركشة بقطرات المطر ، ثم توقف وتطلع بوقار إلى وجه العجوز متسائلاً . قال مستر هاك كالم : « تعال هنا ، وتحرك الكلب مرة أخرى بكبرياء وبطء . » فى هذه اللحظة رأى الجراء تحت مقعد جاكسون ، توقف فى وسط خطوه

وظل ينظر إليها برهة ، مفتوناً بها ، وفي نظره حيرة ورعب عميقان ،  
ثم ألقى على سيده نظرة واحدة جريئة عاتبة ، واستدار وخرج ، وذيله  
بين ساقيه . وظل مستر ماك كالم جالساً مكانه وفي صدره دمدمة مكتومة .

قال جاكسون مرة أخرى ، « أنت لا تستطيع أن تعرف ثمة شيئاً  
عن أى كلب . » ثم انحنى وجمع عهده واعتدل .

ظل مستر ماك كالم يدمدم ويهتز ، ثم قال : « أنا لا أوجه لوما لصاحبنا  
العجوز . إذا تحتم على يوما أن أنظر إلى حزمة من الفتيان تشبهها ،  
وأقول لنفسى ، حسناً ، هؤلاء ، هم أولادى . » ولكن جاكسون كان  
قد ذهب . وظل العجوز مكانه يدمدم باستمتاع عميق . نعم ياسيدى .  
أحسبني سأزدرىها بكبرياء كما فعل جنرال . ريف ، ناولتى غليونى . »

وقد ظلت السماء تمطر طوال ذلك اليوم ، واليوم التالى ، والآخر الذى  
تلاه . وظلت الكلاب تجوس فى البيت بين أقدام الرجال طوال ساعات  
الصباح ، أو تقوم برحلات قصيرة ، تستكشف منها حالة الجو ، لتعود  
وتستلقى أمام النار وسنانة ، ورائحة رديئة تفوح منها . وهى تتصبب عرقاً  
وتظل كذلك حتى يأتى هنرى ويسوقها خارج البيت ، ومن فتحة الباب  
رأى بايارد الثعلب إلن مرتين ، وهو ينسال بنحجل لينخفى فى الفناء .  
وباستثناء هنرى وجاكسون ، الذى كان يعاني من إصابة خفيفة بالروماتزم ،  
فقد ظل الآخرون فى مكان ما تحت المطر أغلب ساعات اليوم . ليلتقوا  
فى ساعة تناول الغداء ، بعد أن يخلعوا ستراتهم المبللة بماء المطر عند مدخل  
البيت ، دخلوا فى خطوات ثقيلة ليضعوا أحذيتهم الموحلة والى  
تتصاعد منها الأبخرة أمام النار بينما أحضر هنرى القدر المعدنى والدورق  
ثم جاء آخرهم بآدى ، وقد غرق فى ماء المطر .

كانت لبادى طريقته فى شد قامته النحيفة الطويلة من مكانها الركين  
بجوار المدفأة فى أى ساعة من ساعات النهار ، لينخرج دون كلمة ،  
وليعود فى ساعتين أو ست أو اثنتى عشرة أو ثمانية وأربعين ، ليحتوى

المسكان خلال هذه الفترة ، ورغم وجود جاكسون وهنرى وعادة لى ،  
جو غامض الخواء . وقد ظل الأمر كذلك حتى أدرك بايارد غياب  
كثرة الكلاب أيضاً . وعندما غاب بادی منذ ساعة الإفطار ، قالوا  
له : إنه ذهب للصيد .

سأل بايارد ، : إذن لم لم يدعنى أعرف ؟ ،

قال جاكسون مرجحاً : ربما اعتقد أنك لن تحرص على الخروج في  
هذا الجو .

ووضع هنرى قائلاً : بادی لا يهتم بحالة الجو . أى يوم بالنسبة له  
يشبه الآخر .

وقال لى : : ما من شيء له أهمية عند بادی ، . قالها بصوته المرير  
العاظم وقد جلس أمام النار غارقاً فى تأملاته ، ويداه النسايتان تتحركان بقلق  
فوق ركبتيه . : لن يضايقه أبداً أن يقضى حياته كلها فى قاع ذلك النهر ،  
بقطعة من خبز القمح البارد ، ليأكلها ، وعدد من الكلاب كصحبته ، .  
ووقف فجأة وغادر الغرفة . كان لى فى أعوامه الماضية الأخيرة من  
الثلاثينيات . وقد كان طفلاً ضعيفاً . وكان له صوت رجالي جيد وكان  
يطلب كثيراً للاشتراك فى ترانيم الأحد — وكان من المفهوم أنه يعاشر  
امرأة شابة تقيم فى قرية مونت فرنون ، التى تبعد ستة أميال . وكان يقضى  
أكثر وقته هائماً متجولاً مكتئباً فى البقاع المحيطة بهم .

بصق هنرى فى المدفأة وحول رأسه وراء أخيه الذاهب وقال : هل  
ذهب إلى فرنون أخيراً ؟ ،

أجاب جاكسون ، : هو وريف كانا هناك منذ يومين ، .

قال بايارد ، : حسناً ، لن أذوب فى ماء المطر . هل أستطيع اللحاق به  
الآن يا ترى ؟ ،

وظلوا صامتين لحظة ، وهم يصبقون بوقار في نار المدفأة . ثم قال  
جاكسون أخيراً ، « لا أنصح بهذا . من الجائز أن يكون بادى الآن  
على بعد عشرة أميال . عليك أن تلحق به في المرة القادمة قبل أن  
يخرج . »

وبعد ذلك فعل بايارد كما قيل له ، وهو وبادى حاولا اصطياد الطيور  
في الحقول العارية تحت المطر ، حيث كانت البنادق تحدث صوتاً ناعماً  
يتسكاً في الهواء المنفسال ، وكأنه بقعة من لون تنتشر ببطء ، أو تجربة  
حظهما في المياه الخلفية الراكدة على امتداد مجرى النهر بحثاً عن البط  
والأوز ، أو ، وفي صحبة ريف أحياناً ، اصطياد القطط الوحشية  
والراقون في بطن الوادى ، وأحياناً ، وعلى بعد كبير منهما ، كانا يسمعان  
عواء الجراء الصغيرة الحاد في تتابع جنونى . وكان بادى يعلق ، « هذه  
إن ذاهبة . وقل نهاية الأسبوع ، صفاء الجو ، وذات غروب منذر بسقوط  
الصقيع ، وبينما كانت رائحة الأرض طيبة ، أخذ جنرال المعجوز النعاب  
الأحمر الذى ضلله مراراً كثيرة ، على غرة . »

وقد ظلت الأصوات الصداحة الرنانة كالأجراس تتردد طول الليل ،  
وترتعد وتتجاسم وتتردد أصداؤها بين التلال ، وكلهم عدا هنرى  
تنبهوا أثر الصيد على صهوات خيولهم مقودين بصيحات الكلاب ، ولكن  
في الأرجح بالبراعة العجيبة التى كان يبيدها الرجل المعجوز وبادى والى  
تصل إلى درجة الشفافية في إدراك اتجاه سير الطراد . كانوا يتوقفون  
أحياناً ، حيث يتجادل بادى وأبوه حول المسكان الذى سيتجه إليه الصيد ،  
وكانا يتفقان عادة ، متنبئين بحركات الحيوان ، قبل أن يعرفها الحيوان  
نفسه ، ومرة أوقفوا خيولهم فوق قمة تل وظلوا ساكنين في الصقيع الذى  
نضيته النجوم ، حتى فاضت أصوات الكلاب من الظلام ، نائمة مجلجلة  
كالأجراس ، ثم تجاسمت وازدادت قرباً ومرت بهم دون أن يروها ،  
على بعد يقل عن نصف ميل ، ثم غاضت متضائلة ، وبغموض متوتر  
كأصوات الأجراس ذابت في الصمت مرة أخرى .

قال العجوز ، الآن ، وكان يبدو بلا شكل واضح في معطفه وهو على حصانه الأبيض وقال ، هذه الموسيقى ، أليست تعزف من أجل الرجال ، هيا ! ،

قال جاكسون ، ، أرجو أن يمسكوا به هذه المرة . تجرح خيلاء جنرال إلى أقصى حد في كل مرة ينجح فيها في خداعه .

قال بادي ، ، لن يوقعوا به . سيلجأ إلى هذه الصخور ويختبئ في أحد أوجرتها بمجرد أن يصيبه الإغواء ،

قال العجوز مؤكداً ، ، أحسبنا سنضطر للانتظار حتى تشب جراح جاكسون ، ذلك إذا لم ترفض أن توقع بجدها . لقد رفضت حتى الآن كل شيء عدا الطعام ،

قال جاكسون مرة أخرى دون أن يسأم ، ، عليك فقط أن تنتظر . عندما تبلغ هذه الجراح من العمر ما يكفي ، ،  
، أنصتوا ، .

توقف الكلام مرة أخرى عبر التلال لتلألأت أصوات الكلاب ، صيحات مستطيلة رنانة تفيض وتموت في ارتعاشة متوترة ، كأنما هي أجراس أو أوتار لمست ، وكررت وثبتت ، بأصداً كأصوات نواقيس ، واستعيدت مراراً ، لتموت بين التلال الممتمة تحت النجوم ، متلكئة رغم هذا في الآذان صافية كالبلورة ، نائمة ومجترة وحزينة إلى حد ما .

قال ستيوارت بهدوء ، ، سيء جداً إلا يكون جون معنا . . . هذا الطراد كان سيمنعه ، .

وقال جاكسون ، ، كان فتي صيد . كان يستطيع أن ينافس حتى بادي ، .

قال العجوز ، ، كان جون ولداً ممتازاً ، .



قال جاكسون ، « نعم ياسيدى . ولدا طيبا ذا قلب حار ، قال هنرى إنه لم يكن يأتى قط إلى هنا دون أن يحضر لبادى والأولاد شيئا صغيراً بما يباع فى المتاجر ، .

قال ستيوارت ، « لم يكن يتجهم أبداً فى أثناء الصيد ، مهما كان البرد والمطر ، حتى عندما كان قتي صغيراً . بتلك البندقية ذات الماسورة الوحيدة التى اشتراها بحرمانه ، والتى كانت تدقه بعنف كلما أطلقها . ومع ذلك كان يحملها ويخرج بها ، بدلا من تلك البندقية التى اشتراها له الكولونيل العجوز ، ليجر أنه اشتراها بنفسه وبماله الذى اقتصده من أجلها ،

قال جاكسون ، « نعم . إذا وقع شخص فى شيء برضاه التام ، فإن عليه أن يعضى فيه بسرور . »

قال مستر ماك كالم ، « كان قتي شداً صياحاً . كان يفرع الصيد على مسافة عشرة أميال . ما زلت أذكر تلك الليلة عندما نهض وذهب فى طبيعة طراد عبر جسر سامسون ، ولم نعرف بعد ذلك شيئاً ، حتى رأيناه هو والثعلب طافيين فوق ماء النهر على قطعة خشب شاردة ، وهو يفتى وقد رفع عقيرته إلى أقصى ما يستطيع .

قال جاكسون ، « ذلك كان جوفى . كان يقتنص أقصى ما يستطيع من بهجة من كل شيء يعرض عليه . »

قال مستر ماك كالم مرة أخرى ، « كان ولدا عظيماً .

« أنصتوا ،

ومرة أخرى تكلمت الكلاب فى الظلام من تحتهم : وحلق الصوت وطفأ فى الهواء البارد . ومات فى أصدا . كررت الصوت مرة أخرى حتى افتقد بذلك مصدره وضاع ، وحتى الأرض نفسها ربما تكون أيضاً قد

تكلمت ، بوقار وحزن ، وبكل الوحشية التي تفيض من الندم .

كان قد بقي على عيد الميلاد يومان ، وقد تحلقوا مرة أخرى حول النار بعد العشاء ، ومرة أخرى أغنى جنرال عند قدمي سيده . وغدا ستكون ليلة عيد الميلاد ، وستذهب العربية إلى البلدة ، ورغم ضياقتهم الوقورة التي لا تكل لبايارد ، ( فإن كلمة ما لم تقل له عن موعد رحيله ) فقد كان يعتقد أنهم مقتنعون فيما بينهم بأن أمر عودته في الغد إلى بيته للمشاركة في العيد كان أمراً مفروغاً منه ، وحيث إنه لم يعلن هذا بنفسه ، فقد نشأ بينهم جو من حب الاستطلاع والتوقع .

كان الجو بارداً ، بصقيع حاد دفع قطع الخشب المشتعلة للقمعقة والتشق ، منطلقة منها شرارات شريرة ، وقطع جمر صغير سقطت على الأرض لتسحقها حذاء كسولة ، وقد جلس بايارد بينهم وفي عينيه سعة من النوم ، وقد استرخت عضلاته المتعبة في فيض من موجات الحرارة المتراكمة ، وكأنه في حمام دافئ ، واسترخى أيضاً - ومؤقتاً - قلبه الحرون اليقظان دائماً ، غداً فيه من الوقت ما يكفي ليقرر إذا كان سيعود أم لا . ربما يمضي في البقاء هنا ، دون أن يقدم حتى ذلك التفسير ، الذي لن يطلب منه قط . ثم أدرك أن ريف ، ولي ، أو أيا منهما سيذهب ، ويتحدث إلى الناس ، وسيعرف ذلك الشيء الذي اقتعد هو الشجاعة لكي يحدثهم عنه .

وقد خرج بادی من ركنه الظليل ، وقعد على الأرض في وسط نصف الدائرة وقد وضع ظهره قبلة النار ، وأحاط ركبتيه بذراعيه ، وظل كذلك ، بتلك القدرة التي لا تنضب فيما يبدو ، على الجلوس على عجزه في سكون تام دون حركة أوقاتاً طويلة . كان طفل الأسرة ، إذ كانت سته عشرين عاماً . كانت أمه هي زوجة العجوز الثانية . وكانت عيناه المسائتان وشعره الأحمر المقصوص قصيراً حول رأسه المستدير ، كانت تفترق بشكل ملحوظ عن أعين إخوته البنية اللون - وشعرهم الأسود . إلا أن العجوز كان قد ترك طبيعته على وجه بادی ، بنفس الوضوح الذي فعله

مع أى من الأشقاء الآخرين ، ورغم شبابه فقد كان شديداً للآخرين -  
الأنف المحدة وكان نحيفا وقورا ومتحفظا ، وإن كان أكثر نضرة  
قليلا بلون شبابه الحدث وراء بشرته .

كانت للآخرين قامات متوسطة أو دون المتوسط ، تراوح بين قامة  
جاكسون الهزيلة ، التى تبدو شاحبة غير ذات فاعلية ، عبر استدارة هنرى  
المستكينة ، وقامة ريف - وكان - اسمه رافاييل سيمز - وعضلية ستيوارت  
القوية المزنة ، وبنية لى النحيلة المتوترة الملتهبة ولكن بادية ، وله مثل هزال  
النبته الصغيرة كان كفوؤا لذلك الأب الذى كان يحمل سنواته السبع والسبعين  
فوق جسده وكأنها سترة رقيقة . كان العجوز يقول ، متظاهرا بلومه ، وغد  
فى نخافة المغزل . جعل من نفسه شجعا بتدله على كل هذا الطعام الذى  
يأكله ، وكانوا يجلسون ضامتين ، متطلعين إلى قامة بادية النحيلة وفى نفوسهم  
نفس الفكرة : فكرة كان يتصور كل منهم أنها لا تجول إلا بعقله وحده ،  
ولم يبيع بها أحدهم قط ، أن يتزوج بادية يوما ويخلد اسم الأسرة

كان بادية يحمل أيضاً اسم أبيه ، رغم أنه من المشكوك فيه أن يكون  
هذا معروفاً خارج الأسرة ووزارة الحرب وقد فر وهو فى السابعة عشرة  
من عمره وتطوع . وفى معسكر تجميع المشاة فى أركنساس حيث أرسل  
قال له بجند آخر : يا بنت ، وقاتله بادية بهدوء ودون غضب لمدة سبع  
دقائق ، وفى معسكر تجميع الجندين المسافرين فى نيوجرسى فعل رجل  
آخر نفس الشيء ، وقاتله بادية أيضاً ، وبهدوء وشمول ودون غضب  
أيضاً . وفى أوروبا ، وتحت إكراه طبيعته العميقة غير المعقدة ، حاول  
دون قصد ربما ، أن يفعل شيئاً ، أكدت الجهات الرسمية بعد ذلك ، أثره  
الشديد فى مضايقة العدو ، ومن أجله أيضاً منح تعويضاته كما كان يسميها .  
ماذا كان ذلك الشيء الذى فعله ، لم يستطع أبداً أن يدفع للحديث عنه .  
أما قطعة المعدن المزخرفة ، فلم تفشل فقط فى تهدئة غضب أبيه لأن  
واحداً من أبنائه انضم إلى جيش الاتحاد ، بل بالعكس أضافت وقوداً  
لنار غضبه ، ولذا فقد اختفت اللعبة بين مقتنيات بادية القليلة ، ولم يعد

ماضيه العسكرى يذكر قط فى أوساط الأسيرة ، وقد جلس فيما بينهم ، وظهره قبلة النار وذراعه حول ركبتيه ، بينما كانوا هم يجلسون حول المدفأة وفى أيديهم كئوس الشراب التى يتناولونها قبل النوم . كانوا يتحدثون عن عيد الميلاد .

كان العجوز يقول باشمزاز مترفع شديد : ديك روى ، ولديكم حظيرة مملوءة بالمتاع ، وقاع واد مملوء بالسنباط والبط ، وحجرة مملوءة بلحم الخنزير المقدد ، يتحتم عليكم أيها الأولاد الملاحين أن تقطعوا كل هذه المسافة إلى البلدة لتشتروا ديكاً رومياً لعشاء ليلة عيد الميلاد .

قال جاكسون مبرراً برقة ، : عيد الميلاد لن يكون عيداً بالنسبة لـ أى شخص إلا إذا كان لديه ثمة شيء صغير جديد مغاير لـ كل يوم .

أجاب العجوز على الفور ، : أتم أيها الأولاد لا يتحدثون إلا عن مبرد للذهاب إلى البلدة والتسكع فيها اليوم كله ، وتبذير النقود . رأيت من أعياد الميلاد أكثر مما رأيتم . وإذا اشترى الشيء من متجر فلن يكون ذلك عيداً .

سأل ريف : وماذا عن سكان المدن ؟ أنت لا تدع لهم فرصة الاستمتاع بعيد الميلاد على الإطلاق .

قال العجوز على الفور ، : لا يستحقونها . يعيشون على قطع صغيرة من الأرض قدمين فى أربع ، فى زحام ، وكل منهم لصق باب الآخر الخلفى ، ويأكلون طعاماً محفوظاً فى علب معدنية .

قال ستيوارت ، : افترض أنهم هجروا المدينة ، وجاءوا إلى هنا وأخذوا الأرض ، حينئذ ستسمع بابا وهو يلعن أهل المدينة . لا تستطيع أن تمضى فى حياتك دون أن يكون ثمة مدن يتجمع فيها الناس . بابا ، أنت تعرف هذا .

قال مستر ماك كالم باشمزاز وحشى ، : يشترون ديكاً رومياً . يشترونه .

ما زلت أذكر الزمن حينما كان في استطاعتي أن آخذ بندقية وأخرج من هذا الباب الذى أمامكم وأحصل على ديك فى ثلاثين دقيقة ، وفخذ غزال فى ساعة فى أغلب الأحيان . أتم أيها الأولاد لا تعرفون شيئاً عن عيد الميلاد ، كل ما تعرفونه هو نوافذ المتاجر المضاءة بجوز الهند وبساق الهوا . وأمثالها بما يصنعها اليانكي .

قال ريف ، « نعم يا سيدى ، وطرف بعينه إلى بايارد ، « كانت أعظم غلطة اقترفها العالم على الإطلاق ، يوم أن استسلم لى . لم تستطع البلاد أن تفيق من آثارها .

زفر العجوز ، وقال ، « أكون ملعونا إذا لم أكن قد أنجبت ورييت ألين وأشطر مجموعة من الأولاد فى العالم . لا أستطيع أن أقول لهم شيئاً ، لا أستطيع أن أعلمهم ثمة شيئاً . لا أستطيع حتى أن أجلس أمام نار يلقى الملعونة ، دون أن يقولوا لى جميعا الطريقة التى يجب أن تساس بها هذه البلاد الملعونة . كفى ، أتم أيها الأولاد هيا إلى فراشكم .

وفى الصباح التالى ، وعند شروق الشمس ، ذهب جاكسون وريف وستيوارت ولى إلى البلدة فى عربة . ومع ذلك ، فلم يعبر أحدهم عن أية رغبة فى معرفة ما إذا كانوا سيجدونه عند عودتهم مساء ذلك اليوم ، أم أنهم لن يروه مرة أخرى إلا بعد ثلاث سنوات . وقد وقف بايارد فى المدخل المغطى بالجليد ، بدخن سيجارة . وكان الجو صقيعا يتدفق بحبوية لحظة شروق الشمس ، وتطلع إلى العربة وهى ذاهبة وعليها الأربعة الملتحفون ، وتسأل فى أعماقه إن كان سيراهم مرة أخرى بعد ثلاث سنوات ، أم لن يراهم قط بعد ذلك . جاءت الكلاب وتحلفت من حوله وتشمته ، وأدلى إليها بيده بين أنوفها الثلجية وألسنتها الدافئة اللاعقة متطلعا إلى الأشجار التى جاءت من ورائها غير معوقة مقعقة العربة على هواى الصباح الصافى الصامت .

قال بادی من ورائه ، « أنت مستعد ؟ ، واستدار وأخذ بندقية

كانت مسنودة إلى الجدار . وقد تراحت الكلاب من حولهم وتداولت  
بهمهمات قلقة وأنفاس تتسكاثف في الهواء وقادها بادی إلى حظيرتها  
وجمعها داخلها ، وأوصد الباب على احتجاجاتها المتعجبة ومن حظيرة  
أخرى أخرج كلب الصيد الفتي دان وظلت الكلاب ترفع احتجاجاتها  
المكتومة الرقيقة .

ظلا يصيدان في الحقول غير الممهدة العارية وعلى حدود الغابات حتى  
جاءت ساعة الظهيرة وقد تزايد الدفء في الهواء . كان الصقيع قد ذهب ،  
وأصبح الهواء دافئاً متراخياً بلا رياح ، وقد شهدا مرتين في أدغال  
الورد الوحشي طيوراً حمراء تمرق كالسهم وكأنها لعب قرمزية . وأخيراً  
رفع بايارد عينه دون أن تطرف إلى الشمس .

قال « بادی ، على أن أعود . سأعود أصيل اليوم إلى البيت » .

قال بادی دون احتجاج ، وهو كذلك ، ونادى كلب الصيد ،  
« عليك أن تعود لو يارتنا في الشهر القادم » .

أحضرت لهما ما ندى طعاماً بارداً أكلاه ، وبينما كان بادی يعد يبرى  
للرحيل دخل بايارد البيت حيث كان هنرى يرتق بجهد شديد حذاء ،  
والعجوز يقرأ ، بنظارة ذات إطار من الصلب ، جريدة مضى عليها أسبوع .

قال مستر ماك كالم موافقاً ، وهو يرفع نظارته ، « أظن أهلك قد  
أخذوا في البحث عنك . إلا أننا سفتنتظرك في الشهر القادم لتصيد ذلك  
الثعلب . لن يستطيع جنرال أن يرفع رأسه أمام هذه الجراء إذا لم يصطد  
الثعلب في القريب العاجل » .

أجاب بايارد ، « نعم يا سيدي . سأفعل » .

« وحاول أن تقنع جدك بالحضور معك . يستطيع أن يرقد ويستجم  
هنا ويأكل ما شاء من الطعام الذي لا يقل عما يجده في البلدة » .

« نعم يا سيدي . سأفعل . »

قاد بادي الفرس خارجاً بها ، ومد العجوز يده له دون أن يقف وترك هنري رثق الحذاء وتبعه إلى مدخل البيت . قال بتردد ، « تعال مرة أخرى ، وهز يد بايارد مرة واحدة قوية ، ومن بين حشد الكلاب المتزاحمة المستطلعة التي لم تبلغ أشدها بعد مد بادي يده . »

قال باختصار ، « سأظل في انتظارك ، واستدار بايارد ومضى ، وعندما نظر إلى الخلف رفعوا أيديهم بوقار . ثم صاح به بادي فشد لجام بيرى وعاد . كان هنري قد اختفى ثم عاد حاملاً غرارة ثقيلة معقودة بحبل . »

قال ، كدت أن أنساها . قدر من خمر الحنطة من أبي إلى جدك . ثم قال بكبرياء متواضعة « ان تجد خيراً منه في ليوفيل ، ولا في أي مكان آخر ، وشكره بايارد ، وربط بادي الفرارة بمقدمة السرج ، حيث استقرت بجوار ساقه . »

« هكذا . لن يصيها شيء . »

« نعم . لن يصيها شيء . شكراً جزيلاً ، »

« وداعاً . »

« وداعاً . »

ومضت الفرس بيرى ، ونظر إلى الخلف . كانوا واقفين مكانهم ، صامتين . وقورين راسخين . وبجوار باب المظهي . كانت إلن الثعلب جالسة ترقبه متلصصة . وبجوارها تلاعبت الجراء الصغيرة وتدحرجت في ضوء الشمس . كانت الشمس قد صعدت فوق التلال الغربية . واستدار الطريق متجهاً إلى الأشجار . نظر إلى الخلف مرة أخرى . وقد استلقى البيت الطويل في أصيل الشتاء وكان دخانه كريشة

عمودية في الهواء الساكن . وكان الباب خاليا . ودفع بيرى إلى خطوها  
الثعلبي السريع الذي لا يتعب منه . وقدر الويسكى يهتز مع الحصان  
قليلا إزاء ركبته

-- ٥ --

حيث يفترق درب ماك كالم المظلم غدير المطروق عن الطريق  
الرئيسي مصعدا ، أوقف بيرى وجلس برهة في غروب الشمس .  
جيفرسون ١٤ ميلا . مازالت في الوقت فسحة قبل أن يأتي ريف  
والأولاد الآخرون على الطريق . والبلدة تحتفل بالعيد . وبتجمعات  
أهل الإقليم البطيئة البهيجة . ورغم هذا . ربما يكونون قد غادروا  
البلدة مبكرين . ليصلوا إلى البيت قبل حلول الظلام . ربما لا يعتمدون  
عنه أكثر من ساعة . وقد انحدرت أشعة الشمس . فأطلقت الصقيع  
الذي اعتقلته في الأرض خلال ساعات سقوطها العمودية ، وتصاعد الصقيع  
ببطء من حوله ، وهو يجلس بيرى في وسط الطريق . وقد هدأ دمه مع توقف  
حركة بيرى . أدار رأس الحصان بعيداً عن البلدة . ودفعه إلى  
خطواته الثعلبية السريعة مرة أخرى .

سرعان ما أحاط به الظلام . ولكنه مضى تحت الأشجار العارية  
من الأوراق في الطريق الشاحب تحت ضوء النجوم المتحاشد .  
كان بيرى يفكر بالفعل في الإسطبل والعشاء . ومضى وهو يهز  
رأسه بين الحين والحين مجرباً ومستفهما . ولكن بخضوع ودون أن  
يبطئ من سرعته . لم يكن يدري أين سيذهبان . ولا لماذا ؟  
عسباً أنهما كانا يبتعدان عن البيت . وكان الأمر مريباً إلى  
حد قليل . ولكنه لم يفقد ثقته . وقد تزايد البرد في ظل الصمت  
والوحدة والرقابة . شد بإيارد أعنة بيرى وأوقفه . وفك القدر وشرب ،  
ثم ربطه من جديد في السرج .

تصاعدت التلال من حوله موحشة سوداء : فلم يكن ثمة أثر  
لأي مأوى ، ولم يلتقيا بأثر يدي إنسان ، وفي كل اتجاه ترامت  
التلال على التلال سواء في ضوء النجوم ، أو عندما كان ينحدر



الطريق إلى بطون الوديان . حيث كانت الحفر قد أخذت في التجمد والتماسك لتصبح شقوقا كقطع الصلب : تقع تحت سنابك بيرى ، صعدت التلال مخيفة معتمة فوق رأسها ، وقد حملت فوق ظهورها أشجارها العارية من الأوراق تحت السماء المزركشة وحيث تقاطر ماء أحد سيول الشتاء عبر الطريق : قمعت أقدام بيرى في الثلج الهش وأرخت بايارد الأعنة وتشمم الحصان الماء : وشرب من القدر مرة أخرى .

أمسك عودا من تقاب بين أصابعه المتعثرة فاقدة الإحساس وأشعل سيجارا ، ودفع كفه من فوق معصمه . الحادية عشرة ونصف . قال « بيرى ، حسنا ، وفاض صوته عاليا مفاجئا في السكون والظلام والبرد » أحسب من الأفضل لنا أن نبحث عن مكان نلجأ إليه حتى الصباح ، ورفع بيرى رأسه وزفر ، وكأنه قد أدرك معنى الكلمات ؛ وكأنه سيدخل الوحدة الموحشة التي يتحرك فيها راكبه إذا استطاع . ثم ركب ومضيا .

انتشرت الظلمة من حولهما ، إلا أنها كانت تخف من حين إلى حين ، حيث توجد الحقول تحت نور النجوم الغامض لتعظم رتبة الأشجار ، وبعد وقت قصير راكبا وتاركا الأعنة على عنق بيرى وبداء في جيبه . باحثا عن الدفء بين الجلد والفخذين رأى بيتا في مزرعة قطن بجوار الطريق ، وقد تغطى سقفه بطبقة من الصقيع لامعة كالفضة . قال لنفسه سنصل بعد قليل ؛ وانحنى إلى الأمام ووضع يده على عنق بيرى مستشعرا الدم الدافئ الذي لا يصيبه تعب ، وقال « بيرى ، بيت قريب ، إذا لم تتلصقا . »

وصهل بيرى بصوت خافت مرة أخرى ، وكأنه قد أدرك ، وهنا انحدر عن الطريق ، وعندما شد بايارد أعنته ، رأى هو أيضا أثر العربة الشاحب على الطريق المؤدى إلى كتلة غير واضحة المعالم من الأشجار . قال وقد أرخت الأعنة مرة أخرى « بيرى ، أيها الولد الطيب ،

كان البيت مجرد كوخ . كان معتما ، ولكن كلبا هزيلا جاء من

ورائه ونبج عليه ، وظل يحدث ضجيجيه بينما كان بايارد يقيد بيرى إلى الباب ويطرقة بيده فاقدة الإحساس . وقد جاء إليه ، أخيرا من داخل البيت صوت ، وصاح بايارد ، « هالو ، ثم أضاف ، « فقدت طريقى . افتح الباب ، ظل الكلب ينبج عليه دون أن يصيبه إعياء . وبعد برهة انفتح الباب مقععا على وهج جمرات هزيل ، وانبثقت منه رائحة الزنوج العطنة ومن وراء الفتحة الدافئة أطلت رأس .

صاحت الرأس ، « أنت ، جول . اقفل فمك ، وتوقف الكلب خاضعا وارتد وراء البيت ، رغم أنه ظل يزجر بصوت خافت . « من هناك ؟ »

قال بايارد مرة أخرى ، « فقدت طريقى . هل أستطيع أن أفضى الليلة فى جرنك ؟ »

أجاب الزنجى ، ليس عندى جرن . يوجد بيت آخر على الطريق لا يبعد إلا قليلا .

قال بايارد ، « سأدفع لك ، وبحث فى جيبه عن شيء . وقال « حل الإجهاد بحصانى ، وتطلعت رأس الزنجى حول الباب ، ومن ورائها شق من وهج النار . قال بايارد وقد عيل صبره ، « هيا أيها العم . لاترك رجلا واقفا فى البرد ، .

« من أنت أيها الأبيض ؟ »

« بايارد سارتورس ، من جيفرسون . هذه يدي ، ومد يده للزنجى . ولكن الزنجى لم يحاول أن يمسحها

« من بيت المصرى سارتورس ؟ »

« نعم . هيا . »

انتظر دقيقة وانغلق الباب ، ولكن بايارد شد الأعنة جيدا وتجهول بيرى مطمئنا ودار حول البيت ومضى بين حطب القطن الذى جففه الصقيع

فقططق بين حوافره وركبه . وعندما ترجل بايارد على أرض منحدره متصلة أمام باب مفتوح ، ظهر فانوس من داخل الكوخ ، وكان يتأرجح على ارتفاع منخفض بين عيدان القطن التي قرصها الصقيع ، وساقى الزنجي الظليتين الشبيهتين بطرفي المقص . وقد جاء الزنجي بلقافة غير واضحة الشكل مضمومة تحت ذراعه وأمسك بالفانوس بينما نزع بايارد السرج واللجام من على الحصان .

سأل الزنجي وقد أخذه حب الاستطلاع : كيف استطعت أيها الرجل الأبيض أن تبتعد هكذا عن بيتك في عتمة الليل ؟ ،

أجاب بايارد باختصار ، : تهت . أين أستطيع أن أضع حصاني ؟ ،

أدار الزنجي الفانوس نحو حظيرة . وتقدم بيرى بحذر فوق عتبة الباب واستدار إلى ضوء الفانوس ، وعيناه تدوران وفيهما وهج فوسفوري ، ومضى بايارد ورائه وداسكه بالجانب الجاف من سترة السرج الصوفية . وقد اختفى الزنجي ثم عاد بقبضة صغيرة من سنابل القمح ، ودفعها في مزود بيرى بجوار أنفه المدسوسة فيه والباحثة بشوق عن الطعام .

سأل الزنجي ، : ستكون حذراً عند إشعال نار أيها الرجل الأبيض ، أليس كذلك ؟ ،

« بالتأكيد لن أشعل ثمة نقاباً على الإطلاق هنا ، .

« كل ما عندي من ماشية وأدوات وطعام موجود هنا . لا أستطيع أن أحتمل نتائج احتراف كل ما أملك . التأمين لا يصل إلى هذا المسكن البعيد من البلدة . »

قال بايارد ، « بالتأكيد ، وقفل حظيرة بيرى ، وبينما ظل الزنجي يرقبه ، أخذ الزنجي الفرارة من مكانها بجوار الحائط حيث تركها ، وأخرج منها القدر . « لديك كوب هنا ؟ ، اختفى الزنجي مرة أخرى ،

وكان في استطاعة بايارد أن يرى الفانوس خلال شقوق المزود المثبت في الحائط المقابل ، ثم ظهر بعلبة معدنية صدئة ، تفخ من داخلها قبضة من التبن قتايرت . شربا معا . ومن ورائهما كان يرى يحرش طعامه . وقاده الزنجي إلى السلم الذي يؤدي إلى سطح الجرن .

قال بقلق ، أنت لن تنسى النار أيها الرجل الأبيض ؟

قال بايارد ، بالتأكيد . سعدت مساء ، ووضع يده على السلم ، ولكن الزنجي أوقفه وأعطاه اللقافة ذات الشكل الغامض التي أحضرها معه .

ليس لدى إلا واحدة أستطيع أن أستغني عنها ولكنها ستفيد إلى حد ما . ستبيت الليلة مقروراً . وكان غطاء صوفيا ، بالياً وقدرأ عند مجرد اللبس ، ومشبعاً برائحة الزنوج الواضحة .

أجاب بايارد ، شكراً . أنا مدين لك كثيراً . سعدت مساء ،

سعدت مساء أيها الرجل الأبيض ،

وطرف الفانوس بعينه وهو ذاهب ، عبر حركة ساق الزنجي التي تشبه حركة شق مقص ، وصعد بايارد إلى الظلام ، ورائحة التبن الجافة النافذة . هنا ، اصطنع لنفسه عشا من الظلام زحف إليه ، منزلقاً داخل اللحاف الصوفي وقذارته ورائحته جميعاً ودفع يديه الثلجيتين داخل قيصره ، لصق صدره المرتعد . وبعد وقت ، وببطء بدأت يده تستدفئان ، والقر يدغدغهما قليلاً ، إلا أن جسده ظل يرتعد ويتقلص متشنجاً من الإعياء والبرد . ومن تحته كان يرى يحرش في الظلام بهدوء وسلام ، ضارباً الأرض بقدمه من حين إلى حين ، ورويداً رويداً توقفت تقلصات جسد بايارد المتشنجة . وقبل أن ينام رفع اللحاف عن ذراعه ونظر إلى الميناء المضيء . الساعة الواحدة . لقد حل عيد الميلاد بالفعل .

أبفظته الشمس النافذة إليه في حزم حمراء خلال شقوق الجدار ، وقد ظل مستلقياً في فراشه القاسي ، والهواء الثلجي على وجهه كماء

مثلج ، وهو لا يدري مكانه بالضبط ثم تذكر ، وإذا تحرك وجد جسده متخشبا من البرد المتراكم ، وقد بدأ دمه في الجرى في أطرافه ، وكأنه كريات صغيرة مما يستخدم في حشو طلاقات صيد الطيور . جرجر قدميه من فراشه ذي الرائحة الشديدة ، ولكن قدميه كانتا ميتين داخل حذاءه وظل جالسا وهو يثنى ركبتيه ومفصلي قدميه ويفرطها حتى تيقظت ساقيه وفيهما مثل لدغ الإبر .

كانت حركانه متيبسة ثقيلة ، وهبط السلم ببطء وحذر ونزل إلى الشمس الحمراء التي تساقطت على مدخل الجرن وكأنها دوى أبواق . كانت الشمس اعتلت الأفق ولم تسكد ، هائلة الحجم حمراء ، وكان سطح البيت ، وقوائم الوشائع ، وأدوات الزراعة التي تصدأ حيث ألقيت في ساحة الجرن ، وأعواد القطن الميتة حيث قام الزنجي بزراعة أرضه حتى باب كوخه الخلفي ، كانت مغطاة كلها بطبقة رقيقة من الصقيع ، الذي لوحته الشمس بلون وردي متلألئ . وكأنه غلالة سكرية على كعكة حفل كبير . دفع يري فمه المستدير من باب الحظيرة وخضع نحو سيده ، بتحية متكاثفة البخار ، وتحدث إليه بإيارد ولمس أنفه الباردة . ثم فك الغرارة وشرب من القدر . وظهر الزنجي بدلو مملوء باللبن على الباب .

قال وقد تعلقت عينه بالقدر ، « هدية عيد الميلاد ، أيها الرجل الأبيض ، وأعطاه بإيارد جرعة . قال الزنجي ، « شكراً يا سيدي . عليك أن تذهب إلى البيت ، إلى النار ، سأطعم حصانك .. أعد المعجوز طعام إفطارك . » والتقط بإيارد الغرارة ، وتوقف عند البئر خلف الكوخ وملاً دلوا بالماء الثلجي وبلل وجهه .

وثمة نار كانت تشتعل في المدفأة المشدوخة ، وسط رماد وأعقاب سيقان الخشب المتفحمة وأوعية الطهو المتناثرة . وأغلق بإيارد الباب وراءه على الصقيع المتلألئ . بأشعة الشمس ، واحتواه الدفء . ورائحة العطن المتراكم العميقة ، وكأنها بخدر . ردت امرأة منحنية على المدفأة تحيته

بخجل . وسكن على الفور ثلاثة أطفال سود في ركن من السكوخ وتطلعوا إليه يرقبونه بعيون تدور في محاجرهما . كان أحد الأطفال فتاة ، في ملابس قدرة غير مألوفة مزينة وقد تلوت خصل شعرها الصوفي ، في عقد متينة من أشرطة القماش الملون القنرة . أما الثاني فقد كان من الجائر أن يكون ذكراً أو أنثى أو أى شيء آخر . وأما الثالث فقد كان شيئاً عاجزاً في ثوب مصنوع من بعض الملابس الصوفية الداخلية للرجال . كان أصغر من أن يمشى ، وكان يحبو على الأرض بنوع من الإصرار غير الهادف ، ومن كل من فتحت أنفه كان ثمة مجرى لامع يسيل حتى ذقنه ، وكان بعض القواقع كانت تسير هناك .

وضعت المرأة مقعداً أمام النار وأشارت إليه إشارة غامضة كأنها كانت ترجو بها نحو أثر الغرفة السيء عليه . وجلس بإيارد عليه ومد قدميه الباردتين نحو النار . سألتها ، « هل تناولت كأس عيد الميلاد ، أيتها العمة ؟ »

أجابته من مكان ما خلفه ، « لا يا سيدى . ليس عندي ثمة خمر هذا العام ، . وطوح يده بالفراة نحو المكان الذى جاء منه صوتها .

« اشربى . بها الكثير من الخمر . » وقد قعد الأطفال الثلاثة مستندين إلى الجدار ومضوا يرقبونه بهدوء ، دون أن يحدثوا صوتاً أو حركة . سألهم ، « هل حل عيد الميلاد يا أطفال ، ولكنهم ظلوا يتطلعون إليه بإصرار حيوانى حذر ، حتى عادت المرأة وتحدثت إليهم في نغمة ناهرة .

قالت تحرضهم ، « اعرضوا على الرجل الأبيض سانتا كلوز الذى لديكم . » ثم قالت له ، « شكراً لك يا سيدى ، » ووضعت على ركبتيه طبقاً من الصاج وفنجاناً مشروحاً من الصيني على جدار المدفأة عند قدميه . قالت للأطفال مرة أخرى ، « فرجوه أتريدون أن يظن الناس أن سانتا كلوز لا يعرف أين تقيمون ؟ »

وحينئذ تحرك الأطفال ، ومن العتمة وراءهم من حيث خبثوا لعبهم عند دخوله أخرجوا سيارة صغيرة من الصفيح ، وعقدوا من الحبات الخشبية الملونة ، و امرأة صغيرة وقصدياً هائلاً من حلوى النعناع التصقت به أشياء من القمامة وبدءوا في لعقها على الفور بهدوء واحداً بعد الآخر . ملأت المرأة الفنجان من إزاء القهوة الموضوع بين الجرات ، ورفعت الغطاء عن مقلاة حديدية والتقطت بشوكة قطعة غليظة من اللحم المقلو ووضعتها في طبقه ، وأخرجت شيئاً رمادياً من رماد المدفأة وكسرتة نصفين ونفضت عنه الرماد ، ووضعتة كذلك في الطبق . أكل بايارد اللحم والفطيرة وشرب السائل الخفيف الذي لا طعم له . وقد أخذ الأطفال في اللعب بهدوء بهدايا العيد ، إلا أنه كان يراهم من لحظة إلى أخرى وهم يسترقون إليه النظر ويرقبونه . دخل الرجل بدلو اللبن .

سأل ، . أعطتك العجوز تصيرة ؟ ،

نعم . ما أقرب بلدة على خط السكة الحديدية ؟ ، وأخبره الزنجي - على بعد ثمانية أميال . . أتستطيع أن تصحبني إلى هناك صباح اليوم ، وتعيد حصاني إلى مزرعة مستر ماك كالم في أي يوم من هذا الأسبوع ؟ ،

أجاب الزنجي بهدوء ، . زوج شقيقتي استعار بغالى . ليس عندي إلا زوج واحد وقد استعاره . .

سأدفع لك خمسة دولارات ،

وضع الزنجي الدلو على الأرض وجاءت المرأة وأخذته . وحك رأسه ببطء . قال بايارد مرة أخرى ، . خمسة دولارات ،

أنت في عجلة شديدة من أجل العيد ، أيها الرجل الأبيض ، .

قال بايارد وقد عيل صبره ، . عشرة دولارات . ألا تستطيع أن تستعبد بغالك من زوج شقيقتك ؟ ،

« أظننى أستطيع . أظنه سيمعدها قبيل الظهيرة . حينئذ تستطيع الذهاب ، . »

« ولم لا تستطيع أن تحضرها الآن ؟ خذ حصانى واذهب وأحضرها . أريد أن ألقى بقطار ، . »

« أيها الرجل الأبيض ، أنا لم أحتفل بعد بالعيد . أى رجل يعمل كل يوم طوال العام يحتاج لعيد ميلاد صغير ، . »

سب بإيارد باقتضاب ودون حاسة ، ولكنه قال : « وهو كذلك ، إذن . بعد الغداء بالضبط . ولكن عليك أن تجعل زوج شقيقتك يعيدها فى فسحة من الوقت ، . »

« ستكون هنا : لا تشغل بهذا الأمر ، . »

« وهو كذلك . اشرب أنت والعمة من القدر ، . »

« شكراً ياسيدى ، . »

وقد خدر حواسه الهواء العطن فى الغرفة المحيكة الفلق ، كان الدفء يترقب الفرصة ليتغلغل فى عظامه المجهدة والمتيبسة بعد ليلته القارصة . كان الزوج يتحركون فى الغرفة الوحيدة ، المرأة مشغولة أمام المدفأة بشئون طهيها والأطفال السود بلعبهم التسعة زهيدة الثمن وحلواهم القدرة . وقد ظل بإيارد جالسا فى مقعده الخشن ، وهكذا قضى ساعات الصباح غافياً - لم يكن نائماً ، ولكن الزمن ، كان قد فقد فى إقليم لا يعرف الزمن ، هناك تسكع ، غير يقظان ، وإليه ، وقد أدرك هذا أخيراً ، كان ثمة شيء يحاول أن يقتحم أو ينفذ ، وظل يرقب محاولاته الفاشلة من عزله التى تفيض بالسلام : صوت . « الغداء جاهز ، . »

تناول الزنحيان معه الشراب ، بود وتحفظ محدود . مفهومان متضادان ، متعاديان بحكم الجنس والدم والطبيعة ، وظروف البيئة ، يتصالحان برهة من الزمن ، وينصهران داخل بوتقة من الوهم - الجنس البشرى يفسى شهوته



وجبه وجشعه ، يوماً واحداً . وغنمت المرأة بحيا . . عيد الميلاد  
شكراً لك يا سيدى .

ثم الغداء : متاوت بالبطاطا ، مزيد من كعك الفرن المغطى بأنزما ،  
السائل الميت بلا طعم فى إناء القهوة ، دسمة من الموز وكسر جوز الهند  
المديبة ، والأطفال يحبون حول قدميه كالحيوانات ، عندما تشم رائحة  
الطعام . وقد أدرك أخيراً أنهما لا يأكلان ويتنظران حتى ينتهى ، ولكنه  
تغلب على مقاومتها وطعموا جميعاً معا ، وأخيراً ، وقد وضع القدر  
الذى كاد ينضب بين قدميه فى العربة ، نظر مرة واحدة إلى الخلف ،  
إلى الكوخ ، إلى المرأة الواقفة بالباب ، وشحابة شاحبة ساكنة من  
الدخان فوق المدخنة ، ( ذلك أن البغال كانت قد تمت معجزة إعادتها  
بوساطة زوج الشقيقة الذى لا وجود له ) .

كان السرج يتخبط بأضلاع البغال المعجفاء ، وكانت الأجراس المثبتة  
فيه تدق . كان الهواء دافئاً ، إلا أنه كان مقلداً بقطير من البرد الذى  
ستزيد منه عتمة المساء . وقد امتد الطريق عبر الأرض البهيجة . ومن  
وقت إلى آخر ، وعبر الخلفاء المضيتة ، أو من وراء الغابات البنية اللون  
العارية من الأوراق ، كانت تصل طلقات البنادق ذات الصوت الأجلج ،  
وكانا يمران بين الحين والحين بفصائل من الفرسان ، ومن المشاة ، الذين  
كانوا يرفعون أيديا مسترخية للزنجى الذى كان محبوسا داخل سترة عسكرية  
قديمة ، ويلقون نظرات سريعة متلصصة على الرجل الأبيض الجالس بجواره  
على المقعد . د تحية عيد الميلاد ، ومن وراء الخلفاء الصفراء والروابي  
البنية ، كانت التلال الأخيرة مستلقية فى زرقة تحت السماء العميقة المحوطة  
بالأسرار ، د تحية . . .

توقفا ، وشربا ، وأعطى بإيارد رفيقه سيجارة . أصبحت  
الشمس وراءهما ، بلا سحب ولا رياح ، ولا طيور فى الزرقة السماوية  
الكوبالتية الخافتة بالصفاء والسكون . د يوم الشتاء قصير . أربعة ميالاً

أخرى د هيا يا بغال ا ، ثم قعقة ألواح طليقة من الخشب فوق ماء في ومضات هامة بين أشجار صفصاف ساكنة ، محتفظة بإضرار بخضرتها صعد الطريق وقد احمر لونه ، ورفعت أشجار الصنوبر رؤوسها إلى السماء وكأنها جدران حصون مديية الخوافي . وتسلقوا هذا ، وانفرط من أمامهم هضبة بقطاعاتها ، من الخلفاء المصقولة ، والحقول المعتمدة العارية ، وأرض الغابات بنية اللون ، وبیت من حين إلى آخر ، ثم الأفق الشاحب اللازوردي المتلألئ ، ودخان كذلك في أسفل الأفق د ميلان فقط ، ومن ورائهما كانت السماء بالوناً نجاسياً علق في السماء على بعد ساعة . شربا مرة أخرى .

كانت قد لامست الأفق عندما أطلا على الوادى الأخير حيث كانت خطوط السكك الحديدية اللامعة مخفية بين سطوح المنازل والأشجار ، وعلى الهواء ، ومن بعيد ، جاءهما صوت انفجار بطيء ثقيل . قال الزنجي : د مازالوا يحتفلون ،

ومن الشمس هبطوا إلى ظلال بنفسجية . حيث كانت ثمة نوافذ تتلألأ من وراء أكاليل وصفائر من الزهر وأجراس من الورق الملون وعرضات دور تناثرت فيها بقايا مفرقات نارية . وفي الشوارع كان الأطفال المرتدون صدارات وسترات من ألوان بهيجة يتسابقون على دراجات لامعة ، وزلاقات وعربات . ثم انفجار ثقيل آخر من العتمة البعيدة أمامهما ، ثم خرجا إلى الميدان الذى ساده هدوء السبت ، وقد تناثرت فيه أيضا مرق من الورق . كان الأمر كذلك بالضبط في بلدته ، كان يعرف هذا ، إذ كان الرجال والشباب الذين عرفهم منذ أيام صباه يقضون عيد الميلاد هكذا ، يشربون قليلا ، ويطلقون الألعاب النارية ، ويمسحون قطع النقد المعدنية الصغيرة لصبية الزنوج الذين يصيحون بهم وهم يمرون د هدية العيد ، هدية العيد ، وهناك في البيت ، الشجرة في البهو ، وإناء شراب البيرة والبيض أمام نار المدفأة ، وسيمون يدخل غرفتهما معا هو وجونى ، على أطراف أصابعه المتوترة المتعثرة ويحبس أنفاسه وهو واقف

فوق فراشه ، وهما يتظاهران بالنوم حتى يفيض توتره ، ثم يصرخان فيه معا بصوت كالزئير : « هدية العيد ، الأمر الذى كان يشير فيه الاشتزاز والالم ، حسنا . أنا أعلن إن استطاعوا أن يمسكوا بى مرة أخرى ، ولكن فى ساعات الصباح الأولى يكون فى حالة انتعاش ، وعند ساعة الغداء يكون فى حالة من الثثرة الأليفة التى لانجنى منها ثمة فائدة . ومع حلول الليل يكون غير صالح للمعركة ، والعمة جينى تعصف بالبيت صارخة لاعنة ، أن البيت لن يصبح أبدا بعد ذلك حانة للتافهين من الزوج ، ما دامت حافظة قوتها . وليعنها الإله جوبيتر على ذلك . وبعد ذلك وبعد الغروب وفى مكان ما رقص ، بأغصان من شجرة عيد الميلاد وشجرة الدابوق ، وعقود الورق الملون ، والبنات اللاتى كان يعرفن دائما بأساورهن الجديدة وساعتن ومراوحن وسط الأنوار والموسيقى والضحك المتلألئ .

كانت ثمة جماعة صغيرة تقف عند أحد الأركان ، وإذا مرت العربية يسبقها حفيف مفاجئ . . التهب ضوء أصفر فى لحظة الغروب ، وترددت أصدااء الانفجار فى موجات متكاسلة بين الجدران الصامتة ، وأسرع البغال وشدت أطواقها ، وقعقت العربية على أرض الشارع . وفى عتمة الغروب ، ومن الأبواب المضاءة حيث علقت الأجراس والعقود ، نادى الأصوات بإصرار ورقة ، وأجابت أصوات الأطفال معترضة آسفة مترددة ثم المحطة ، حيث كانت ننتظر حافلة وأربع أو خمس سيارات ، ونزل بايارد وأنزل الزنجى الغرارة .

قال بايارد : أشكرك كثيرا . . وداعا . .

« وداعا ، أيها الرجل الأبيض ، .

وفى غرفة الانتظار كان موقد يتوهج باحمرار ، وفى أرجائها وقفت جماعات مرحة فى قراء ملساء ومعاطف ؛ ولكنه لم يدخل . أسند الغرارة إلى الجدار ، ومضى يتمشى على الطوارجية وذهابا ، محاولا بذلك أن يبعث الدفء فى دمه مرة أخرى .

وعلى امتداد خط السكة الحديدية ، وفي الاتجاهين ، أضأت الأنوار الخضراء في العتمة . وفوق الأشجار الغربية وعلى مسافة قبضة كف كانت نجمة المساء كمصباح كهربى فى جدار زجاجى . وتمشى جيئة وذهاباً ، ملقياً نظرات سريعة إلى النوافذ الحمراء ، إلى غرفة الانتظار ، حيث كانت الجماعات المرحلة فى أرديتها الفرائية ومعاطفها ، تتحدث بحموية مهرجانية صامتة ، وإلى غرفة الانتظار الملونة ، حيث كان شاغلوها جالسين حول الموقد يفمغمون بأناة وصبر تحت ضوء المصباح الضعيف . وعندما استدار هنا تحدث إليه صوت مستحييا من الظلال هدية العيد يا (ريس) ، أخرج قطعة نقود من جيبه دون أن يتوقف . ومرة أخرى انفجرت إحدى الألعاب النارية بشدة من الميدان ، ومن فوق الأشجار ، اندفع صاروخ فى خط منحني ، ثم سكن برهة ثم انفتح كقبضة اليد نائراً فى صمت أصابعه الذهبية الغائضة على السماء الزرقاء .

ثم وصل القطار وأوقف بهزة عرباته ذات النوافذ المضادة ، والتقط غرارته مرة أخرى ، ووسط حشد فرح يتصايح بألفاظ الوداع وتهاى العيد ، والرسائل الموجهة إلى الغائبين ، ركب القطار ، غير حليق ، وفى حذائه الممزق ، وسراويله الكاكية القذرة ، وسترته القديمة ، المتهدلة ذات اللون الدخانى ، وقبعته اللبادية البشعة . وجد مكاناً خالياً ووضع القدر بين قدميه وجلس .

المجلد الخامس



. . . . . وحيث إن جوهر الربيع هو الوحشة وشيء من الحزن وإحساس رقيق بالخيبة والضياع ، فإننى أحسب أن روحك تتطهر بدرجة أكثر حدة إذا أضفت إلى هذا توفية للكيل ، شيئاً من الحنين إلى الماضي . وعندما أكون في الوطن أجد نفسى دائماً متجولاً في ذكرى أشجار تفاح أو مروج خضراء أو لون البحر في أماكن أخرى ، ويفيض بي الحزن الكبير لأننى لا أستطيع أن أكون في كل مكان في نفس الوقت ، أو لأن كل صنوف الربيع لا تستطيع أن تكون ربيعاً واحداً ، كشفاء سيدات بيروت . أما الآن ، فإنه يبدو لى وكأننى قد توحدت وأصبحت مستهدفاً لغرض وحيد غاية في التحدد ، وهذا بالنسبة لى على الأقل شيء جدير بالذكر . . . وتوقف قلم هوراس وحلق في الورقة التى تُبج عليها بخطه الذى يتعذر فى الواقع تمييزه ، بينما ترددت أصدااء الكلمات التى انتهت من كتابتها ولم يكده ، ترددت وفى أصداائها جراءة محدودة وحزن غريب ، وللحظة قصيرة انفصل عن المكتب والغرفة والحجرة والبلدة وعن كل ما هو حديث غليظ فج دفعته إليه أقداره ، ثم مرة أخرى مضى ذلك الضياع الوحشي الموغل في الخيال الذى يتميز به . مضى يوم - دون مقاومة عبر فياف موحشة ، جمع فيها في آخر الأمر قواه المتصارعة . وقرباً ستزهر الأغصان الغليظة المتلوبة كالأسلاك على الشرفة وتتغطى بنقط دقيقة بنفسجية اللون في حجم رموس عيسدان الثقاب ، ودون أى جهد على الإطلاق ، كان في استطاعته من مكانه أن يرى المرج المخضوضر تحت أشجار الشربين وقد تناثرت فيه عشوائية تجمعات النرجس مختلطة بالنسرين ونبات المصارع ذو الأوراق المشرعة كالسيوف والرماح . كانت جميعاً تنتظر دورها لى تزهى .

إلا أن جسده ظل خامداً ، وقد اضطجعت يده بالقلم المشلول على الورقة المثبجة . وقد استلقت الورقة على ظهر مكتبه الجديد الأصفر المصقول . كان المقعد الذى جلس عليه جديداً أيضاً ، وكذلك كانت

الحجرة بمحدراتها البيض الميته وأثاثها الملون لكي يبدو في شكل البلوط . كانت الشمس تدخلها النهار بطوله ، غير مخففة بأى أثر من ظل . وفي أيام الربيع المبكرة كانت ممتعة ، إذ كانت تسقط كما تفعل الآن خسلال النافذة الغربية عبر المكتب حيث تفتحت زهرة ياقوت زعفرانى بيضاء في زهرية من الفخار القرمزى الغامق المصقول .

ولكنه إذ كان في مقعده غارقا في تأملاته ، متطلعا من النافذة ، حيث كان يرى ، من وراء سقف مغطى بالقار ، يشرب الحرارة وكأنه قطعة من الإسفنج ويشعها أيضا أمام جدار من الآجر ، كان في استطاعته أن يرى حشدا صغيرا من أشجار السماء الرثة وقد حملت زهورها المتهدلة الخجولة ، فزع لقدوم أيام الصيف الحارة الطويلة ، التي تسقط فيها الشمس على السقف المغطى بالقار الذى يعلو حجرته ، وتذكر مكتبه المعتم الزخم في بيته ، حيث كان فيما يبدو ثمة نسيم يتحرك دائما ، بصفوفه المرتبة من الكتب ، تلك الكتب التى كانت مغبرة ولم يمساها أحد ، وكانت تبث - فيما يبدو ، جوا من الرطوبة والهدوء حتى في أشد الأيام حرارة ، وعندما جالت أفكاره هناك ، افتقد مرة أخرى من الجودة القاسية التى جلس فيها جسمه . وتحرك القلم مرة أخرى .

« ربما تكون الصلابة أو القدرة على الاحتمال تقليداً نعسا لشيء له في نهاية الأمر قيمته ، بالنسبة لهذه الكثرة الكبيرة ممن يقضون حياتهم في الظلام ، حافرين في الأرض أو جرة كحيونات الخلد ، أو كالهوم ممن يتختمهم ضوء شمعة ويمرضهم . ولكن ليس بالنسبة لهؤلاء الذين يحملون السلام في طريقهم ، كما يحمل لهب الشمعة النور . لقد كنت دائما عبدا للكلمة . ولكن يبدو وكأننى أستطيع حتى أن أستعيد لجبنى الذاتى الثقة بالاحتياال عليه قليلا - وأنا أجرؤ أن أقول ، إنك إن تستطيعى أن تقرئى هذا ، كالمعادى ، أو أنك إذا قرأته ، فلن يعنى ثمة شيء بالنسبة لك . ولكنك ستكونين قد أدبت الغرض على أى حال من وجودك ، أنت يا هروس الصمت التى لم يمساها أحد حتى الآن - ، كنت أكثر



سعادة وأنت في قفصك . أكثر سعادة ؟ ، وتحولت الأفكار في رأس هوراس ، وهو يقرأ الكلمات التي كتبها ، والتي غسل فيها كالعادة ، الملابس الداخلية لامرأة في بيت أخرى . وهب على الغرفة لجأة نسيم رقيق ، كان فيه أريج أشجار الخروب صاحب الحلاوة وقد اضطربت الورقة تحت النسيم في مكانها من المكتب ، فنبهته وفجأة ، كرجل يصحو من نومه ، نظر إلى ساعته وأعادها إلى مكانها وكتب بسرعة .

« إننا سعداء بوجود بيل الصغيرة معنا . إنها تحب الحياة هنا ، وتوجد أسرة كاملة من البنات الصغيرات في البيت الجاور ، درجات سلم مملوءة بالاضفائر المزدوجة ، التي تبدو بيل الصغيرة - والحق يقال - أكثر أماناً منهن قليلاً ، إنها تشعر بتفوقها عليهن ببعض الشيء . وهذا حقها بحكم السن الأطفال يجعلون جو البيت مختلفاً كل الاختلاف . من السيء تماماً أن السمسرة لم يصل بهم الذكاء إلى الدرجة التي يقدمون بها بيوتاً مزودة بالأطفال الإيجار خاصة بطفل يشبه بيل الصغيرة ، إلى أقصى حد وقورة وضاعة وبشكل ما غير معقول محتدمة المضوج ، أنت تعرفين هذا . ولكنك لا تعرفينها جيداً . أليس كذلك ؟ كلانا مسرور بوجودها معنا . أنا أعتقد أن هارى ، - وثوقف القلم ، وإن ظل مشرعاً ، وبحث عن الكلمات التي قلنا راغت منه ، فأدرك وهو يفعل هذا ، أن الإنسان وإن كان في استطاعته أن يكذب عن الآخرين ببداهة جاهزة ارتجالية ، فإنه لا يستطيع أن يفعل تجاه نفسه إلا بعد روية وباختيار حذر للكلمات ، ثم ألقى نظرة أخرى على ساعته ، وكشط هذه العبارة عن هارى وكتب « أيتها الصفاء . بيل ترسل إليك قبلاتها ، وجففها وطواها بسرعة ووضعها في غلاف وعنونه ولصق عليه طابعا ، ونهض وأخذ قبعته . إذا جرى فسيكون في استطاعته أن يرسل الخطاب بقطار الرابعة .

في يناير تلقت عمه بايارد بطاقة بريدية منه أرسلها من تامبكو ،  
(م - ٢٦)

وبعد شهر تلقت منه من مدينة مكسيكو برقية يطلب فيها تقوداً . وكانت هذه هي آخر رسالة كتبها ، وقدر معها بقاءه في مكان محدد مدة تكفي لوصول رسالة إليه رغم أنه كان يشير - بين الحين والحين - في بطاقات مزركشة إلى المكان الذي كان فيه ، بالأسلوب الموحش الشرس الذي يتميز به . في أبريل جاءت البطاقة من ريو ، وجاءت إثرها فترة بدا فيها وكأنه قد اختفى من العالم تماماً ، وفضتها مس جيني وناريسيا في هدوء في البيت ، وقد تركت أيامهما برقة حول الطفل المنتظر الذي أسمته مس جيني جون .

أحست مس جيني أن بايارد العجوز قد سخر منهم جميعاً ، وارتركب حياة عظمى في حق أجداده وفي حق جلال مصير الأسرة بموته ، على حد قولها ، عملياً . بالمقلوب ، ولذا فلم تكن راضية عنه ، وحيث إن بايارد الصغير كان في حالة انعدام إلى حد ما ، فقد زاد حديثها رويداً ، رويداً عن جون . وإثر وفاة بايارد العجوز المفاجئة ، انكبت في اندفاع مفاجئ ، على عملية تنقيب وتعمس وصفقتها بأنها عملية التنظيف الشتوية ، ووجدت بين أنار أمه صورة صغيرة لجون رسمها أحد فناني نيو أورليانز عندما كان جون وبايارد في الثامنة من عمرهما تقريباً . وتذكرت مس جيني أنه كان هناك صورة لكل منهما وبدا لها وكأنها تتذكر جيداً احتفاظها بهما معا عندما ماتت أمهما . إلا أنها لم تستطع أن تجد الأخرى . ولذا فقد تركت سيمون ليجمع الأشياء المتناثرة التي تركتها وأخذت الصورة الصغيرة إلى الطابق الأسفل حيث كانت ناريسيا جالسة في المكتب ، ثم أخذتا معا في فحصها .

دان الشعر ، حتى في تلك الفترة المبكرة ذا لون نحاسي غني ، وماثلاً إلى الطول . قالت مس جيني ، « إنني أذكر أول يوم عاد فيه إلى البيت من المدرسة . كنانا ملطخين بالدم كخنائير متوحشة ، كلاهما ، من مقالة الأولاد

الآخرين الذين قالوا لها إنهما يشبهان البنات . نظفتنهما أمهما وربلت عليهما ، إلا أنهما كانا مشغولين بالتفاخر أمام سيمون وبايارد بالمدحبة التي أحدثاها ، إلى الدرجة التي لم يهتما معها كثيراً بما تفعله أمهما . ظل جوني يقول : « كان عليك أن ترى الآخرين ، وانفجر بايارد بطبيعة الحال ، وقال : إنه لعار ملعون أن يترك ولد ليخرج إلى الشارع بجذائل الشعر المسترسل على ظهره ، وأخيراً أكره المرأة المسكينة على الموافقة على الإذن لسيمون بقص شعرهما . » ولكن هل تعرفين ماذا حدث بعد ذلك ؟ لم يسمح أحدهما أن يمس شعره . وبدا وكأنهما لم يضربا بعد عدداً من الصبية ، وكانا قد اعتزما أن يكرها المدرسة بمن فيها على أن تسلم لها بأن في استطاعتهما أن يديعا شعرهما ينمو حتى كهوب أقدامهما إذا كان ذلك هو ما يريدانه . أنا أحسبهما فعلاً هــا ، لأنهما بعد يومين أو ثلاثة عادا إلى البيت دون جراح جديدة ، ثم سمحا لسيمون أن يقصه ، بينما كانت أمهما جالسة في البهو وراء البيانو تبكي . وكانت تلك هي نهاية الأمر طوال مدة بقائهما في المدرسة هنا . أنا لا أدري السبب الذي كان يدفعهما للعراك مع الناس باستمرار بعد أن التحقا بالمدرسة خارج البلدة ، إلا أنهما كانا يجدان دائماً مبرراً . ذلك كان السبب الذي اضطررنا من أجله للتفريق بينهما عندما كانا في فيرجينيا وإرسال جوني إلى برينستون . ألقيا الزهر أو شيئاً ما من هذا القبيل ليقررا من منهما يطرد من الجامعة ، هذا ما أتصوره ، وعندما خسر جوني الرهان ، اعتادا أن يلتقيا كل شهر تقريباً في نيويورك . وقد وجدت بعض الخطابات في مكتب بايارد ، وعلمت منهما أن رئيس البوليس في نيويورك قد كتب إلى الأساتذة في برينستون وفرجينيا يطلب منهم ألا يدعوا بايارد وجوني يعودان إلى المدينة مرة أخرى ، وهي خطابات أرسلها الأساتذة إلينا . ومرة اضطر بايارد لدفع ألف وخمسة مائة دولار تعويضاً عن شيء ارتكبه ضد شرطى أو خادماً في مقهى أو شخص ما من هذا القبيل .

ومضت مس جيني ، تتكلم ، إلا أن نارسيسا لم تكن تنصت . كانت تتفحص الوجه المرسوم في اللوحة الصغيرة . كان وجه طفل يتطلع إليها ، وكان وجه بايارد أيضا ، ورغم هذا فقد كان فيه بالفعل شيء آخر ليس هو تلك العجرفة المكتتبة التي قدر لها أن تراها في وجه بايارد ، ولكن شكلا ما من أشكال التلقائية ، الودودة والفورية والسخية ، وقد ظلت نارسيسا قابضة على الصورة البيضاوية الصغيرة في يدها والعينان الزرقاوان الراسختان تنظران إليها بالمثل بهدوء ، وقد انبث من الوجه كله المحاط بجذائله النحاسية ببشرته الناعمة ، وفيه الطفولي ، انبث منه وأضاء كأنه شعاع دافئ شيء ما حلو ومرح ووحشي ، وأدركت كما لم تفعل قط في حياتها ، المأساة العمياء التي تفيض من حياة الإنسان . وقد ظلت جالسة في سكون تام والحلية في يدها ، وظنتها مس جيني تتطلع إليها ، إلا أنها كانت ترعى الطفل النائم تحت قلبها بكل ما استطاعت تحشيدته من طبيعتها المخلصة : كان الأمر وكأنه قد أصبح في استطاعتها أن تكشف الحجاب عن شكل ذلك المصير المظلم الذي جلبته على نفسها ، كان واقفا بجوار مقعدها ، منتظرا في تكون حتى تحين ساعته . هتفت هامة ، لا ، لا ، وكان في احتجاجها عاطفة جياشة وقد طوقت طفلها بموجة تسلو الموجهة من تلك القوة التي كانت تفيض من داخلها بغزارة زادت مع تراكم الأيام ، محصنة جدرانها بحامية لا تراها العين . لقد سرت لأن مس جيني أرتمها الشيء . لقد تم بذلك تحذيرها كما تحقق أيضا تحصينها .

وقد مضت مس جيني تتحدث عن الطفل وتشير إليه باسم جوني ، وتروى طرفاً من طفولة ذلك الجون الآخر ، حتى أدركت نارسيسا أخيراً أن الاثنين قد اختلطا واشتبكا في حديث مس جيني ، فاكشفت بما يشبه الصدفة - أن السن قد تقدمت بمس جيني أيضاً ، وأن قلبها العجوز الذي لا يقهر ، قد حل به أيضاً ، آخر الأمر ، التعب . كانت صدمة ، لأنها لم تربط قط بين الشيخوخة ومس جيني ، التي كانت إلى أقصى حد رفيعة ، مشدودة القامة ، محتدمة ، صلبة الرأي لاتهادن ،

ورحيمة ، وكانت ترعى البيت الذى لم يكن بيتها . والذى استأنفت حياتها فيه ، بعد أن اجتثت بعنف جذورها من ذلك المسكان البعيد ، حيث كانت العادات والأساليب ، وحتى الطقس نفسه شيئاً مخالفاً وقد أدارته بكفاءة لا تبهده ، وبمعونة زنجى عجوز متدبكي . لا يتحمل من المسئولية أكثر مما يفعل طفل .

وقد ثابرت على إدارة شؤون البيت وكأن بايارد العجوز وبايارد الصغير كانا فيه . ولكن عندما كان الليل يحل ، وتجلسان للتدفئة بالنار فى المكتتب ، وكان العام قد أخذ ينصرم ، والهواء ينساب مرة أخرى مثقلاً بأريج الخروب وشدو الببغاوات ، وبكل شقاوات الربيع مجدة . وأخيراً سلت حتى مس جينى بأنهما لم تعودا فى حاجة للنار . عندما كانت تتكلم فى تلك الأوقات ، لاحظت نارسيسا أنها لم تعد تتحدث عن أيام صبتها البعيدة ولا عن حب ستيوارت بوشاحه القرمزى وحصانه المتوج بأكاليل الغار وماندولينه ، ولكن عن زمن لا يمضى أبعد من طفولة بايارد وجون .

كأن حياتها كانت فى طريقها إلى النهاية ، لا باتجاهها إلى المستقبل ، ولكن إلى أعماق الماضى وكأنها لفة خيط يعاد طيها .

وقد كانت نارسيسا تجلس فى صفاتها وراء أسوار حذرها الحصينة ، منصتة ، ومعجبة أكثر مما فعلت فى أى لحظة أخرى بتلك الروح التى لا تقهر ، والتى ولدت فى صحبة جسد امرأة وألقيت إلى سلالة من الرجال المتهورين الطائشين وفيما يبدو من أجل تحقيق غرض أوحده هو رعاية هؤلاء الناس حتى يصلوا إلى مصارعهم المبكرة المروعة ، فى مرحلة من مراحل التاريخ شهدت الأشقاء والزوج وهم يذبحون بنفس عشوائية الصدقة العمياء عديمة الجدوى التى تقرر مصائر الناس ، وقد رأت وكأنها تحت كابوس لا تلتئم جراحه باليقظة أو النوم ، جذور حياتها وقد انتزعت من التربة حيث كان أجدادها القدامى يضطجعون واثقين فى خير الإنسان

وعدالته - مرحلة كان الرجال فيها أنفسهم رغم اندفاعهم المتهور المترفع في ازدراء ، يصيبهم الخور لو أن الأدوار التي كان عليهم أن يؤدوها كانت أدواراً سلبية وكانت مصائرهم في انتظارهم . جال بخاطرهما مدى تفوق تلك الشهامة في النبيل والتضحية - وهي الشهامة التي لم ترم بجد مسنون عدواً ما كان السيف يستطيع أن يجد طريقاً له ، ذلك الإصرار غير الشاكي لهؤلاء النسوة اللاتي لم ترتل في مديحهن الأناشيد ( نعم ، ولم تذرف عليهن الدموع ) - على ضجيج الرجال الساحر وبريقهم الذي لا جدوى منه - هذا الضجيج وذلك البريق اللذان استطاعا أن يخفيا شهامة هؤلاء النسوة ، والآن ، إنها تحاول أن تجعل منى واحدة منهن ، أن تجعل من طفلي صاروخا آخر يتوهج برهة ، في السماء ، ثم يموت .

ولكنها عادت إلى صفاتها مرة أخرى وتركزت أيامها رويداً رويداً مع اقتراب موعد الوضع وأصبح صوت مس جيني مجرد صوت ، معز ومسل ولكن دون معنى ، وكانت تتلقى في كل أسبوع من هوراس رسالة هوائية المزاج تصطنع المرح ببسالة ، وهذه أيضاً كانت تقرأها بهدوء ودون عاطفة - أي كانت تقرأ ما تستطيع أن تفك رموزه . كانت تجد دائماً صعوبة في قراءة خط هوراس ، وما كانت الأجزاء التي لا تستطيع أن تحل رموزها تعنى شيئاً بالنسبة لها إلا أنها كانت تعرف أنه كان يتوقع منها هذا .

ثم أصبحت الأيام ربيعاً فعلاً . بدأت مشاحنات مس جيني وإيزوم الموسمية التي تستخدم كل ربيع ومضت في سبيلها عنيفة غير ضارة في الحقيقة تحت نافذتها . أخرجوا أبصال الزنبق من القبو وغرسوها في الأرض ، بمعاونة نارسيسا ، وسويا الأحواض الأخرى ، وقلبا أشجار الورد ، وشتل الياسمين . وكانت نارسيسا تذهب راكبة إلى البلدة ورأت طلائع زهور النسرين التي تفتحت على المرج المهجور ، وكأنها هي وهوراس مازالا يقيان هناك ، وأرسلت إلى هوراس صندوقاً منها ، ثم بعد ذلك ، من زهور النرجس . ولكن عندما ازهرت الجلاديو لا

كانت قد انقطعت عن الخروج عدا في ساعات الأصيل المتأخرة أو المساء المبكرة ، عندما كانت تمشي مع مس جيني في الحديقة بين البراعم المتفتحة والبيغاوات الصادحة ، وطيور السمان المتكاسلة في طرقات عتمة في ساعات الفسق الطويلة المترددة ، وما زالت مس جيني تتحدث عن جوني خالطة بين ذلك الذي لم يولد بعد وذلك الذي مات .

تلقوا في أيام يونية المبكرة طلبا بالمال من بايارد حيث كان في سان فرنسيסקو ، وحيث تمكن في النهاية من النجاح في إعطاء الفرصة لمن يسرق أمتعته . أرسلت مس جيني إليه النقود ، وأبرقت إليه . عليك أن تعود إلى البيت ، دون أن تقول لئارسيديسا ، ثم قالت لها ، د سيعود الآن ، سترين أنه سيفعل إن لم يكن لأى غرض فليقض مضاجعنا فترة .

ولكن مضى أسبوع ولم يعد ، وأبرقت مس جيني إليه مرة أخرى ، برسالة ليابة ولكنه كان في شيكاغو لحظة إرسال البرقية ، وعندما وصلت سان فرنسيסקو كان جالسا في ملهى على أنغام السكسفون بين فتيات مدهونات بالطلاء وأزواج في أواسط العمر ، إلى مائدة تناثرت عليها الأكواب الملوثة ، وتلطخت برماد السجائر والخر المنسكب ، كان في صحبته رجلان وفتاة . كان أحد الرجال مرتديا ثوبا عسكريا ، وعلى صدره شارة الطيران الحربى ، أما الآخر فقد كان رجلا ربعا في ثوب فضفاض من الصوف الخشن ، شائب الفودين ، بعينين خاليتين تبجثمان عن رؤى وهمية . كانت الفتاة شيئا نحिला طويلا ، أغلبها فيما يبدو سيقان ، بفم جرى، محمر وعينين باردتين وكانت ترتدى ثوب رقص شديد الأناقة ، وعندما عبر الرجلان الغرفة وتحدثا إلى بايارد ، كانت تحاول إغراءه على الشراب بإصرار لم تستطع كتمه إلا بصعوبة . وقد أخذت بعد ذلك في الرقص مع الطيار ، وكانت تنظر من فينة إلى أخرى إلى بايارد الذى أخذ في تناول الشراب بروية وهدوء ، بينما كان الرجل كك الملابس يتحدث إليه . كانت تقول ، أنا خائفة منه .

كان الرجل رث الملابس يتحدث بانفعال ملجم ، متخذنا من منشغلي

يد مطبقتين على امتداد طولها على هيئة شريطين رفيعين أراد أن يمثل بهما شيئاً . كان صوته أجش مبجوحاً ، وسط ضجيج الأبواق والطبول الذي لا معنى له . وقد أنصت بايارد قليلاً ، وهو يتفرس في الرجل بعينين باردتين ، ثم أخذ بعد ذلك في التطلع عبر الغرفة إلى شيء أو شخص ما ، تاركاً الرجل يتكلم دون أى اهتمام . كان يشرب من الويسكى والصودا بانتظام ، والزجاجة بجواره . وكانت يدها راسختين إلى حد ما ، ولكن وجهه كان في شحوب الموتى ، وكان مخموراً تماماً ، وكانت الفتاة تقول لرفيقها وهي تنظر إلى بايارد من لحظة إلى أخرى .

« اسمع ، أنا خائفة منه . يا إلهي ، لم أكن أعرف ما أصنع ، عندما جئت إلى أنت وصديقك . عدنى ألا تذهب وتدعنا وحدنا . »

قال الطيار في لهجة ساخرة ، « أنت خائفة ؟ ، ولكنه أدار رأسه ، أيضاً وتطلع إلى وجه بايارد الشاحب الأبى ، وقال : « أراهن ، لن تحتاجي حتى إلى حصان . »

قالت الفتاة : « أنت لا تعرفه ، وقبضت على يده ، وضغطت بجسدها المرتعد جسده ، ورغم أن ذراعه قد احتضنها بشدة ، وانزلت يده على ظهرها إلى أسفل قليلاً فقد قال لها عندما اختفيا داخل حشد الراقصين المتماوج الذي احتبسا داخله ، قال لها باحتراس محدود ، وبسرعة :

« هونى عليك يا أختي ، إنه ينظر في هذه الاتجاه . رأيتك يحطم سنتين من قم ضابط أستراي حاول فقط أن يتحدث إلى فتاة كانت في صحبته في حانة في لندن منذ عامين ، وتحركا معا حتى أصبحت الفرقة العازقة على الناحية الأخرى منهما . »

« ما الذى يدعوك للفرع ؟ إنه ليس هندياً أحمر ، لن يؤذيك طالما أنك تقدرين أين تضعين قدمك . إنه على ما يرام . وقد عرفته منذ مدة طويلة ، وفي أما كن يتحتم على الرجل فيها أن يكون مهذباً ، صدقيني . »



قالت مرة أخرى ، أنت لا تعرف ، أنا - ،

صعد ضجيج الموسيقى ثم انهار وصمتت ، وفي السكون المفاجئ صعد صوت الرجل رث الثياب من المائدة المجاورة ، - استطعت فقط أن أقنع أحد هؤلاء الطيارين الجبناء الملاحين على - ،

ثم غرق صوته مرة أخرى في مد الضوضاء ، أصوات سسكرى ، وضحك نسوى رفيع ، وأصوات جر المقاعد ، وعندما اقتربا من المائدة كان الرجل رث الملابس ماضيا في حديثه بإشارات لحوحة ملجمة ، بينما ظل بايارد يتطلع عبر الفتحة ، إلى ذلك الشيء ، أيا كان ، الذي يرقبه وهو يرفع الكأس بثبات إلى شفتيه وشدت الفتاة على ذراع رفيقها .

قالت وهي تتوسل إليه في ألفاظ سريعة ، عليك أن تساعدني على أن أتخلى عنه . أنا قلت لك ، أنا خائفة من الخروج معه وحده ، .

« تتخلين عن سارتوس ؟ أليس الرجل حيوانا كثيف الشعر ، ولا المرأة أيضا عودى إلى روضة الأطفال يا أختي . » ثم أخذ بصدق الفتاة العميق فسألها « قولي ، ماذا فعل بك على أي حال ؟ » .

« لا أدري . سيفعل أي شيء . رعى شرطى المرور ونحن قادمان إلى هنا بزجاجة فارغة . عليك أن ، » .

قال آمرا ، « كفى ، وتوقف الرجل ذو الثياب الرثة عن الكلام ورفع ناظريه وقد عيل صبره . وكان بايارد يتطلع بثبات عبر الفتحة .

قال وهو يتكلم ببطء وعناية ، « صهرى جالس هناك . لا أحدث أسعداً من الأسيرة . مفيظ منا إلى درجة الجنون ، أخذوا منه زوجته ،

سأل الطيار ، « أين ؟ » وأشار إلى جرسون ، « جاك ، تعال ، » .

قال بايارد ، « الرجل ذو الماسة المثبتة في ربطة عنقه . رجل شجاع

لا أستطيع أن أتحدث إليه مع ذلك . ربما يضربني . معه صديقه على كل حال ،

نظر الطيار مرة أخرى وقال ، « يبدو أن معه جسده . ونادى  
الجرسون مرة أخرى ، ثم قال للفتاة ، كوكيتيل آخر ؟ ثم أخذ الزجاجات  
وملا كأسه . وكأس بايارد ، واتجه إلى الرجل رث الثياب ، أين كأسك ؟

أزاحها الرجل جانبا وقد عيل صبره ، وقال : وهو يلتقط مناشف  
اليد مرة أخرى ، « اسمع ، تتزايد مساحة سطح الأجنحة بنسبة تزايد  
ضغط الهواء ، يرفع السرعة إلى نقطة معينة ، فاهم ؟ . والآن ، كل  
ما أريد أن أعرفه هو . .

قال الطيار مقاطعا ، « اسمع يا زميلي ، ارو لنا قصة أخرى أكثر  
جدية . سمعت منذ عامين أن لديهم طائرة .. جرسون ، تعالى هنا ، كان  
بايارد يرقب الرجل ذا الملابس الرثة ببرود .

قالت الفتاة ، « أنت كففت عن الشراب ، . ولمست الطيار من  
تحت المائدة . .

قال بايارد ، « نعم . موناغان لم لا تطير نعشه له ؟ ، .

وضع الطيار كأسه على المائدة وقال ، « أنا ؟ بحق جهنم ، أجازني  
نحل في الشهر القادم ، ورفع كأسه وقال « وهذه ختامنا . ولشرها  
حتى الثمالة ، .

قال بايارد موافقا ، « نعم ، ولم يلبس كأسه . كان وجهه شاحبا  
متيبسا ، فقد أصبح قناعا معدنيا مرة أخرى .

قال الرجل رث الملابس بحماسة ، « اسمعني ، لا يوجد ثمة خطر على  
الإطلاق ، طالما احتفظت بالسرعة تحت نقطة معينة سأحددها لك . لقد  
اختبرت الأجنحة بتعليق أثقال عليها ، وتحققت من قوة الدفع من أسفل  
إلى أعلى ، وراجعت كل الأرقام ، كل ما عليك أن تفعله . . . .

قالت الفتاة بإصرار ، « ألا تشترك معنا في الشراب ؟ »

قال الطيار ، « بالتأكيد سيفعل . قل لي ، هل تتذكر تلك الليلة في أمينز ، عندما حطم ذلك الشيطان الأيرلندي الضخم كومين الناقوس الزجاجي بإطلاق صفارته بجوار الباب ؟ جلس الرجل الأشعث وهو يسوى المنشفة المطبقة على المائدة ، ثم انفجر مرة أخرى ، وكان صوته مبحوحا أجش مجنونا ، بما يعانيه من خيبة شديدة .

« لقد كدت وكدحت ، واستندت وتسولت ، والآن عندما انتهت من صنع الآلة وجاء مفتش الحكومة ، لا أستطيع أن أقوم بتجربة ، لأنكم ، أنتم أيها الطيارون الجبناء ترفضون التحليق بها . السلاح ملوئ بأمثالكم ، تأخذون رواتب الطيارين من أجل الجلوس على أسطح الفنادق تشربون الخمر . أنتم يا طيارو وراء البحار تتحدثون عن بطولاتكم . لا عجب إن كان الألمان ... »

قال له بايارد دون حماسة وبصوته البارد الحذر . « أسكت ، .

قالت الفتاة مرة أخرى ، « أنت لا تشرب ، هيا » وأخذت الكأس ولمست به شفيتها ، ثم قدمتها إليه . وأخذها ، وأمسك بيدها أيضا ، وظل قابضا عليها كذلك ، إلا أنه كان يتطلع بعيدا عبر الغرفة .

قال ، ليس « شقيق الزوجة ، إنه الزوج الرسمي . لا ، الزوج الرسمي لشقيق الزوجة . الزوجة كانت حبيبة شقيق الزوجة . تزوجا الآن امرأة سميئة إنه رجل محفوظ ، .

سأله الطيار ، « عم تتكلم هيا ، فلأخذ كأسا ، ،

ومالت الفتاة مبتعدة عنه بقدر ما سمحت لها ذراعها . وبيدها الأخرى رفعت كأسها وابتسمت له بدلال مقتضب يفيض بالفرح ، وقد قبض على رسغها بأصابعه القاسية ، وبينما كانت تحملق فيه بعينيهما الواسعتين أخذ

في جذبها ببطء بحوه قالت هامة ، د دعنى . لا تفعل ، ووضعت كأسها على المائدة ، وحاولت بيدها الأخرى تخلص راسها من قبضته .

كان الرجل غارقا في تأملاته حول منشقاته المطيعة ، وكان الطيار مشغولا بعناية بكأسه همست مرة أخرى ، د لا تفعل ، وقد تلوى جسدها في مقعدها ، واستنابت بسرعة على يدها الأخرى حتى لا يجرجرها من مكانها ، وظلا يحملقان في بعضهما البعض لحظة - هي وفي عينيها رعب صامت هائل ، وهو بكآبة ، من وراء قناعه الثلجى . ثم أطلقها ودفع مقعده للخلف .

قال للرجل الأشعث ، د أنت هيا ، وأخرج حزمة من الأوراق المالية من جيبه . ووضع أحدها أمامها على المائدة ، وقال هذه أجر عودتك إلى بيتك . ولكنها كانت جالسة تعالج الرسغ الذى كان قابضا عليه ، وترقبه بسكون . أما الطيار فقد كان مشغولا بمكر بقاع كأسه قال بايارد للرجل الأشعث ، د هيا ، ووقف الآخر ، ومضى في أثره .

وفي ركن صغير ، كان هارى متشل جالسا ، وعلى مائدته أيضا زجاجات وكؤوس ، وقد جلس مسترخيا في مقعده ، وعيناه مغمضتان ، ورأسه الصلواء وردية بما عليها من عرق ، في وهج مصباح كهربى . كانت بجواره امرأة استدارت وتطلعت إلى بايارد وفي عينيها يأس مشتعل وقد وقف من حولهما نادل له رأس تشبه رأس قس . وقد لحظ بايارد وهو مار بهم اختفاء ماسة ربطة عنق هارى ، وسمع أصواتهم المريرة المكتومة ، إذ كانت أيديهم تتعارك على المائدة حول شيء محتف وراء ستار جسميهما . وعندما وصل هو وصاحبه إلى باب الخروج ارتفع صوت المرأة بفيض من الألفاظ القذرة ، واستغاثة هستيرية حادة كتمت فجأة بسرعة ، وكان شخصا أطبق بيده على فمها .

وفي الغد ، ذهبت مس جينى في عربتها إلى البلدة ، وأبرقت إليه مرة أخرى . ولكن بايارد كان في لحظة إرسال البرقية - جالسا في مقعد

طائرة على عر الطيران في مطار الحكومة في دايتون ، بينما كان الرجل الأشعث يتحلق ويندفع كالمحموم هنا وهناك .

وكان عدد من طياري الجيش واقفين بالقرب منه ، صامتين ولا يعنيههم الأمر . كانت الطائرة تبدو شبيهة بأي طائرة أخرى ذات جناحين ، عدا اختفاء جميع القضبان الموصلة بين الجناحين ، اللذين كانا مثبتين من الداخل بشبكة من الأسلاك تستند إلى مجموعة من الزنبركات ولذا فإن فعالية سطوح الأجنحة كانت ذات قيمة سلبية وهي ساكنة على الأرض كانت النظرية هي التخلص عند الطيران الأفقي من أثر سطوح الجناحين المعطل في سبيل زيادة السرعة ، وعند الميل بالطائرة على أحد جناحيها ، فإن الضغط الجانبي يرفع فعالية الجناحين بطريقة آلية ، فيزيد من قدرة الطائرة على المناورة ، وكانت غرفة القيادة قريبة من الدفة .

قال الرجل الذي أعاره الخوذة وعوينات القيادة ، برود ، وهكذا فأنت تستطيع أن ترى الجناحين عندما يتقوسان . إنهما زوج قديم من الأجنحة . وألقى بايارد عليه نظرة باردة مكتئبة . قال الآخر ، سارتورس اسمع دع هذا القفص وشأنه . هذه العجائب من الرجال تأتي هنا كل أسبوع ، بشيء يحدث ثورة في عالم الطيران ، بنوع جديد من مصاديد الرجال يطير بشكل رائع - على الورق . إذا كانت السلطات الرسمية ترفض أن تقوم له طيارا وأنت تعرف أننا نجرب هنا كل شيء . يحمل محركا فإن في استطاعتك أن تراهن على أنها قامة ،

ولكن بايارد أخذ الخوذة والعوينات ومضى نحو حظيرة الطائرات . ومضت الجماعة في أثره ووقفوا متخلفين حوله يسكون ، بوجوههم الشاحبة التي لفحتها الرياح ، بينما بدأ المحرك في الدوران لترتفع درجة حرارته . وإذا صعد بايارد إلى مكانه في الطائرة وثبتت عويناته ، تقدم منه الرجل الذي أعارها له ، ووضع شيئا في حجره ، وقال بحدة ، اسمع خذ هذا معك . كان الشيء رباط جورب امرأة ، والثقطة بايارد وأعاده إليه .

قال ، إن أحتاج إليه . شكرا على كل حال

« حسنا . أنت أدرى بشؤونك . ولكن إذا سمحت لها أن توجه  
أنفها إلى أسفل فستفقد كل شيء عدا العجلات » .

قال بايارد : أعرف هذا . سأحتفظ بها معتدلة الاتجاه ، واندفع الرجل  
الاشعث مرة أخرى ، وهو ماض في الكلام ، قال بايارد وقد عيل صبره ،  
« نعم ، نعم . قلت لي هذا كله من قبل . أطلقها » . أدار ميكانيكي  
المروحة ، وإذا تحركت الآلة صوب وسط المطار ، ظل الرجل الاشعث  
متعلقاً بغرفة القيادة وهو يصيح براكها ، وسرعان ما اضطر لأن يجرى  
حتى يلحق بها وظل يصيح أيضا . رفع بايارد يده وفتح خناق الوقود .  
عندما وصل إلى نهاية المطار واستدار ليواجه الريح ، كان الرجل يجرى  
متجهاً إليه وهو يلوح بيديه . وهنا فتح بايارد الخناق إلى نهايته ،  
واندفعت الطائرة إلى الأمام ، وعندما عبر الرجل الواقف وسط المطار ،  
كان الذيل مرتفعاً عن الأرض ، والطائرة مندفعة إلى الأمام في قفزات  
طويلة ، ولمح يدي الرجل الملوحتين بحنون وفيه الفاعر عندما توقفت  
الطائرة عن قفزاتها :

تمايل كل جناح وتلوى من نقطة ارتكازه على جسم الطائرة حتى طرفه ،  
وقاد الشيء بمهارة ليرتفع به عن الأرض . أدرك أنه يوجد ثمة حد إذا  
تعداه أفقده سرعته قوة السطوح الرافعة . كان على ارتفاع أثنى قدم  
تقريباً ، واستدار ، وإذا فعل وجد أن ضغط الجناحين قد قضى تماماً على  
قوة رفع قلب الطائرة ، وضاعف قوة الرفع الخارجية ، ووجد نفسه في  
أبشع انزلاقة رآها منذ أيامه مع الألمان . لم تنزلق الطائرة فقط منحدره ،  
بل قذفت ذيلها إلى أعلى وكأنها حوت غاطس ، وقفز عداد السرعة ثلاثين  
ميلاً فوق الحد الذي حدده المخترع كان يتجه بانحدار خفيف نحو المطار ،  
وشد عصا القيادة إلى الخلف .

اثنتي طرفاً الجناحين بحدة فدفع العصا إلى الأمام في اللحظة التي كاد  
فيها الجناحان أن ينفصلا عن الطائرة ، وأيقن في تلك اللحظة أن الشيء

الوحيد الذي حماه من السقوط كظلة مقلوبة هو سرعة انقضاء الطائرة . وكانت السرعة تزايد وسرعان ما مرق بالمطار ، وهو على ارتفاع ألف قدم . جذب العصا إلى الخلف مرة أخرى ، ومرة أخرى التوى طرفا الجناحين ، ثم دفعها إلى الأمام ، واندفع مرة أخرى في الزلافة وحشية ليخفض من سرعة الطائرة ، ومرة أخرى طوحت الطائرة ذيلها إلى أعلى في منحني مصعد ، ولكن الجناحين انفصلا عن الطائرة هذه المرة ، وخفض رأسه بطريقة آلية عندما اندفع أحدهما نحوه بوحشية ليصطدم بعد ذلك بالذيل ، ويفصله أيضا .

— ٣ —

في ذلك اليوم ولد طفل نارسيسا ، وفي اليوم التالي أخذ سيمون مس جيني في العربة إلى البلدة وأوصلها إلى مكتب الإبراق . وقفت الخيل ، وهي تعض أليقتها وترمي برؤوسها إلى أعلى ، متوثبة بجرأة ، بعد أن شد أعنتها قليلا وبشكل غير محسوس . بينما حاول سيمون بشكل ما أن يأخذ جلسة متعجرفة وهو يرتدى معطفه الفضفاض وقبعته العالية ، وهكذا وجده دكتور بيبودي إذ كان قادمًا في الشارع تحت أشعة الشمس في سترته التيلية المتهدلة . وكان يحمل صحيفة في يده .

قال ، « سيمون ، أنت تبدو كضفدعة . أين مس جيني ؟ » .

قال سيمون مؤيدا ، « نعم سيدي ، نعم سيدي . إنه وقت الفرح والسرور . لقد وصل السيد الصغير . نعم سيدي وصل السيد الصغير وستعود الأيام الماضية ، » .

قال دكتور بيبودي ، وقد فقد صبره ، « أين مس جيني ؟ » .

« إنها في الداخل هناك ، ترسل برقية إلى ذلك الولد ليعود إلى حيث ينتمي ، استدار دكتور بيبودي وابتعد فظل سيمون يرقبه ، وقد أزعجه قليلا عدم انفعاله بالأحداث التي رواها له . قال سيمون ، بصوت عال ،

وهو يفكر « تلقاها وكأنها هراء » ، وفي ألفاظه شعور بالاستخفاف والضيق « سنحي الأيام العتيقة كلها . نعم سيدى ، الأيام العتيقة تعود مرة أخرى ، بالتأكيد . كما كان في أيام السيد جون ، عندما كان الكولونيل هو السيد الشاب ، والزوج من أكوأخهم ، يتجمعون على المرج الأمامى ، وهم يلهمجون بالدعاء للسيدة والسيد الصغير ، وراقب دكتور يهودى وهو يدخل من الباب ، ورآه من صفحته الزجاجية وهو يقترب من مس جينى ، إذ كانت واقفة أمام النضد برسالتها .

قالت الرسالة التى تحمل خطها الحازم الواضح ، « عد أيها. الأحق إلى البيت لترى أسرتك ، وإلا فسأمر بالقبض عليك » ، قالت للعامل ، إنها أكثر من عشرة كلمات . ولكن لأهمية لهذا هذه المرة . سيعود الآن وسترى . وإلا فسأرسل المأمور ليتعقبه . بالتأكيد سأفعل هذا ، بقدر يقينى أن اسمه سارتورس .

قال العامل ، « نعم ياسيدتى ، كان فيما يبدو يلقى صعوبة فى قراءتها ورفع رأسه بعد برهة وأوشك على الكلام ، عندما لاحظت مس جينى شروده وأعادت نص برقيتها بحدة .

وقالت ، « واجعلها أشد عنفا من هذا إذا أردت .

قال مرة أخرى ، « نعم ياسيدتى ، وأخفى رأسه وراء النضد ، وهنا وبقلق محدود ولكنه متزايد وصبر نافذ مالت مس جينى عبر النضد بدولار فضى فى يدها . وأخذت ترقبه وهو يعد الكلمات ، ثلاث مرات وهو فى حيرة مؤلمة .

سألته ، « أيها الفتى ، ماذا هناك ؟ الحكومة لا تحرم ذكر اسم طفل عمره يوم فى برقية أليس كذلك ؟ .

رفع العامل رأسه وقال أخيرا ، « نعم ياسيدتى ، ليس فى ذلك شيء » ، وأعطته الدولار ، واذ ظل جالسا والدولار فى يده ، ومس جينى



ترقبه بمزيد من الضيق ، جاء دكتور بيبودي ولمس ذراعها .

قال ، « جيني - هيا بنا ، » .

قالت وهي تستدير عندما سمعت صوته « صباح الخير . وقت مناسب  
تقوم فيه بواجبك . هذا أول سارتورس تتأخر يوما كاملا عن رؤيته  
في كل هذه السنوات الطويلة ، أليس كذلك ؟ وبمجرد أن أعيد هذا  
الولد الأحمق إلى البيت ، سيكون الأمر كما كان في الأيام الماضية ،  
كما يقول سيمون ، » .

« نعم ، سيمون قال لي هيا بنا . »

قالت وهي تستدير إلى النضد ، « دعني آخذ باقي نقودي ، وكان العامل  
واقفا مكانه بالرسالة في يد وقطعة النقود في اليد الأخرى ، قالت له ،  
« حسنا أيها الشاب ألا يكفي دولار واحد ؟ » .

قال مكرراً « نعم يا سيدتي ، وحول عينييه الملامحتين الشاردتين  
إلى دكتور بيبودي . وتقدم دكتور بيبودي بجسمه الثقيل وأخذ  
منه الرسالة وقطعة النقود .

قال مرة أخرى ، « جيني هيا بنا ، ظلت واقفة مكانها برهة  
في جهود تام وهي في ثوبها الحريري الأسود وقبعتها السوداء فوق  
رأسها معتدلة ، وظلت تحملق فيه بعينيها النفاذتين العجوزتين . اللتين  
رأتا الكثير جدا ، وأدركتا معانيه . ثم مشيت بثبات إلى الباب  
وخطت إلى الشارع وانتظرتة حتى لحق بها ، وكانت يدها راسخة  
أيضا عندما أخذت الصحيفة التي قدمها إليها كان مكتوبا فيها بحروف  
واضحة « طيار من المسيسي ، وأعادتها إليه على الفور ، وأخرجت  
من خصرها منديلا صغيرا رقيقا مسحت به أصابعها برقة

قالت ، « ليس على أن أقرأها ، لا تصل أسماءهم إلى الصحف  
إلا بطريقة واحدة ، وأنا كنت أعرف أنه في مكان ما ، لا شأن

له بالذهاب إليه ، حيث يفعل شيئا لم يكن من شأنه أيضا ، .

قال دكتور يهودى ، ، نعم ، وصحبها إلى العربة ووضع يده المتعثرة عليها ، وهى تصعد إليها .

صاحت فيه ، ، لوش ، لا تضع مخالبك على ، أنا لست كسيحة ، ولكنه سند مرفقها ، بيده الهائلة الرقيقة ، حتى أخذت مكانها فى العربة ، ثم وقف وقبعته فى يده بينما سوى سيمون الغطاء الصوفى فوق ركبتها .

قال ، خذى ، ومد إليها يده بالدولار الفضى . أعادته إلى حقيبتها ، وقفلتها ، ومسحت أصابعها مرة أخرى بالمنديل .

قالت ، حسنا . ، ثم الحمد لله على أنه آخرهم . لفترة ما على كل حال . سيمون إلى البيت ، .

جلس سيمون بجلال ، وقوس ظهره قليلا تحت تأثير المناسبة ، قال دكتور ، متى ستحضر لرؤية السيد الصغير ؟ ، .

أجاب ، ، قريبا يا سيمون ، وهتف سيمون بالخييل ، ودار بالعربة بحركة استعراضية وقد مالت قبعته ، ومال السوط برشاقة إلى الخلف بين أصابعه . ظل دكتور يهودى واقفا فى الشارع ، برميلا ضخما بلا شكل واضح فى صورة إنسان يرتدى سترة مترهلة من التيل ، وفى إحدى يديه قبعته ، والصحيفة مطبقة ، وفى اليد الأخرى رسالة صفراء لم ترسل ، وظل هكذا حتى غاب عن ناظره ظهر مس جينى النحيل المعتدل ، وزاوية قبعتهما الراسخة التى لا تقهر .

ولكنه لم يكن آخرهم ، ذات صباح بعد أسبوع وجد سيمون فى كوخ أحد الزنوج فى البلدة وقد هشمت رأسه ذات الشعر المفلفل بأداة ثقيلة ، أجاد استعمالها بجهول .

سألت مس جينى فى التليفون ، ، فى بيت من ؟ ، قال لها الصوت .

في بيت امرأة تسمى ميلوني هاريس . ميلوني ... ميل ... ومرق أمامها  
وجه بيل ميتشل ، وتذكرت : الفتاة الخلاسية ذات القبعة الالتيقة والمئزر ،  
والساقين الالتيقتين اللامعتين ، التي كانت تضي على حفلات بيل جواً خاصا ،  
والتي تركت خدمة بيل لتفتتح صالونا للتجميل للسيدات . شكرت مس  
جيني الصوت ، وأنهت المحادثة .

والمعجوز الاشيب الفاسد ، وذهبت إلى مكتب بايارد المعجوز وجلست ،  
إذن فهذا هو المكان الذي ذهبت إليه أموال الكنيسة ، التي ضاعت  
هكذا . . . ، كم تساءلت . . . وجلست متصلة في تفكير منتصبه الظهر  
لا تفعل الأحداث من إرادتها ويدها ساكنتان في حجرها . وفكرت ،  
حسنا ، هذا هو آخر واحد منهم ، ولكن لا ، لم يكن واحدا من  
آل سارنورس ، كان عنده على الأقل أثر من عقل ، بينما الآخرون . . .  
قالت مس جيني ، وهي التي لم تقض يوما في الفراش منذ كانت في الأربعين  
و أظنني سأمرض بعض الوقت . .

وقد فعلت بالضبط ما قالت . ذهبت إلى الفراش ، حيث اضلجت  
مستندة إلى الوسائد في غلالة خفيفة من الدانتلا ، ولم تسمح لأي طبيب  
أن يعودها ، عدا دكتور بيودي ، الذي جاء يوما لزيارتها بطريقة غير  
رسمية ، وجلس في خجل واستحياء مدة ثلاثين دقيقة ، وهي تصب على  
رأسه كل الضغينة والغضب المتجدد من فضيحة الدهان .

كانت تعقد في غرفتها اجتماعات يومية مع إيزوم والثورا ، وفي أكثر  
الأوقات بعدا عن التوقع كانت تهب من نافذتها كالعاصفة ، بعنف غير  
مثلوم على إيزوم وكازبي وهما في الفناء تحتها .

كان الطفل والجبل المعمر الوديع الذي يشرف عليه ، يقضيان في هذه  
الفرقة معظم ساعات اليوم ، ثم جاءت معها نارسيسا بعد ذلك ، وكان  
الثلاثة يقضين الساعات وهن جالسات مستغرقات يتهاشن ، وقد تطهرن  
جميعا من كل شعور بالأنانية ، بينما كان ذلك الذي يتهاشن عنه ينام

ويهمز ويستيقظ ويدعم نفسه من جديد وينام مرة أخرى .

قالت مس جيني ، دانه سارتورس ، مافى ذلك شك . إلا أنه طراز أحسن . ليست فيه نظرة أعينهم الشاردة المتوحشة . الاسم كان هو السبب - فيما أعتقد . بايارد . لقد أحسنا عندما سميناها جوني .

قالت نارسيسا ، وهى تلاحظ ابنها النائم بصفاء عميق هادىء ؟ نعم ، .

وهناك ظلت مس جيني حتى حان حينها . ثلاثة أسابيع . كانت قد حددت الموعد قبل أن تذهب إلى الفراش . واستمسكت به بعناد ، رافضة حتى النهوض وحضور تعييد الطفل . وقد تم هذا يوم أحد . كان ذلك فى أواخر يونيو ، وقد انسال أريج الياسمين إلى البيت فى موجات منتظمة . وقد أحضرت إليها نارسيسا والمرية ، وهى تضع على رأسها عمامة أشد تزويقا وزخرفة ، الطفل ، بعد أن اغتسل ، وزين وعطر فى حله الطقوسية ، ثم سمعته بعد ذلك وهم يمشون فى العربة ، ثم استعاد البيت سكونه مرة أخرى . اهتزت الستائر بسلام فى النوافذ ، وجاءت إليها كل روائح الصيف حاملة السلام فوق النسائم المشمسة ، والأصوات ... طيور ، ومن مكان ما ناقوس يوم الأحد ، وصوت النورا ، وقد تطهر قليلا بمصاها الأخير ، وإن ظل مع ذلك رخيا ورقيقا . كانت تعد طعام الغداء . كانت تغنى باسى شيئا بلا نهاية ولا كلمات ، وهى تتجول فى المطبخ ولكنها توقفت دون أن تتم أغنيتها عندما تطلعت حولها ورأت مس جيني فى ثوب خروجها واقفة بالباب . كانت أكثر نحافة قليلا ، إلا أنها كانت منتصبه القامة كالعادة .

مس جيني ! ماذا فى العالم ! عليك أن تعودى إلى فراشك .

هيا ، دعيني أعاونك على الذهاب إلى غرفتك ، إلا أن مس جيني تقدمت منها بثبات .

سألتها ، « أين إيزوم ؟ » .  
« إنه في الجرن . عليك أن تعودى إلى فراشك . سأخبر مس  
نارسيسا بما فعلته . »

قالت مس جيني ، « ابتعدى عني . سئمت البقاء في البيت .  
أنا ذاهبة إلى البلدة نادى إيزوم » وظلت النورا تحتج . ولكن  
مس جيني ظلت دون انفعال على إصرارها ، وذهبت النورا إلى الباب  
ونادت إيزوم وعادت ، وهي تردد تحذيراتها المشائمة المنذرة بالسوء ،  
وبعد برهة دخل إيزوم .

قالت مس جيني وهي تعطيه المفاتيح ، « خذ . أخرج السيارة ،  
وانطلق إيزوم ومن ورائه مس جيني متباطئة . وقد أرادت النورا أن  
تتبعها ، وبها قلق مظم ، ولكن مس جيني ردتها إلى مطهاها ، وعبرت  
الفناء وجلست في السيارة بجوار إيزوم . قالت له ، « وأنت أيها الولد  
عليك أن تقود هذا الشيء بعناية ، وإلا فسأجلس مكانك وأتولى الأمر  
بنفسي . »

عند ما وصلا إلى البلدة كانت الأجراس تدق متكاسلة ، من فوق  
أبراجها النحيلة المصعدة بين الأشجار ، إلى غمام الصيف الفضفاضة .  
وعند طرف البلدة أمرت مس جيني إيزوم أن يهرج إلى برج مخضوضر ،  
فضيا فيه ، وتوقفا بعد برهة أمام بوابات الجبابة الحديدية .

قالت موضحة الغرض من زيارتها ، « أريد أن أرى إن كانوا قد  
أثروا سيمون كما ينبغي . لن أذهب إلى الكنيسة اليوم . لقد أغلق على  
ما يكفى من الوقت بين الجدران ، وقد قاضت بها انتماشة رقيقة من مجرد  
رؤيتها للشاهد الطبيعية ، وكأنها صبي صغير يلعب خارج أسوار المدرسة .

كانت مدافن الزوج تمتد وراء أرض الجبابة الرئيسية ، وقادها إيزوم  
إلى قبر سيمون . لقد أخذت جمعية دفن الموتى على عاتقها أمر الاهتمام

بسيمون الذى كان عضوا فيها وبعد مضي ثلاثة أسابيع من دفنه ، كانت التبة تزدهم بباقات الزهور التى تساقطت منها ظهورها تاركة وراءها كتلة عظيمة نجافة من السيقان ، وهياكل الأسلاك التى أخذت فى الصدا بسلام ، النورا ، أو ثمة شخص آخر ، كان قد سبقها إليه وأحاط القبر بصفوف غير مستقيمة من قطع الفخار المزوق وكسر الزجاج الملون . قالت مس جيني بصوت مرتفع ، « أحسبه يستحق شاهدا من حجر أيضا ، » واستدارت ورأت ليزوم وهو يتساقى جذع شجرة ، كان يدور فيها ويتقافز فى حلقات حادة طائران من السماء ، أنت ، ليزوم ، .

« سيدتى ، وقفز ليزوم من فوق الشجرة فى الحال ، وهاجمته الطيور بدفعة أخيرة من الصيحات الوقحة المستيرية . دخلا قسم الموتى البيض ، ومرا بين صفوف من الأشكال الرخامية التى تحمل أسماء كانت تعرفها جيدا ، وتوارىخها فى بساطة تامة هادئة فوق الحجر الأصم . ومن حين إلى حين كانت تجتذب انتباههما قوارير رمزية وحائث ، وتحيط بهما حشائش مشدبة معنى بها ونظيفة تنعكس خضرتها على الرخام الناصع البياض والسماء الزرقاء المرقطة وأشجار الشربين السوداء حيث كانت تغنى الحائث بين أحضانها . وتستعيد ألمانها بلا نهاية . هنا وهناك كانت تستلقى الزهور اللامعة فى ألوان غير غائضة فى تجمعات عشوائية متناثرة بين الأبيض والأخضر ، ثم شد جون سارتوس ظهره وإشارة يده المتبجحة الفظة من بين حشد من أشجار الشربين التى انحدر بعدها القل بشدة نحو الوادى .

وكان قبر بايارد أيضاً كتلة بلا شكل محدد من الأزاهير الذابلة ، وأمرت مس جيني ليزوم أن يجمعها ويحملها بعيدا . كان البناءون يستعدون لإقامة الطوار من حوله وقد استلقى الشاهد الحجرى نفسه بالقرب من القبر تحت غطاء من النسيج الغليظ .

رفعت الغطاء وقرأت الحروف النظيفة الجديدة . بايارد سارتورس .

١٦ مارس ١٨٩٣ - ١١ يونيو ١٩٢٠ . ذلك كان أفضل . بسيط . لم يكن ثمة رجل من آل سارتورس ليخترع الفاظاً عجاجة يضمها لهولة . لا يستطيعون حتى أن يستلقوا أمواتاً في الأرض دون زهو وتبجح . وبحوار القبر كان ثمة شاهد حجري آخر ، يشبه الأخير فيما عدا ما حضر عليه من كلمات . ولكن اللبسة السارتورية كانت عليه ، رغم أنه لم يكن ثمة قبر يصحبها ، وكان الشيء كله كصوت متبجح في كنيسة خاوية . ومع ذلك فقد كان هناك شيء آخر ، وكان روحه الفطرية المرحية ذلك الذي ضحك ملء شذقيه وسخر من أكثر تراثه من الزهو الأجوف الكسبب المتبجح ، كأن روحه قد استطاعت بشكل ما حتى بعد أن قضى ، ورغم أن عظامه تستلقى في قبر مجهول وراء البحار ، أن تخفف من غلواء التلوينة المتجمة التي أشاروا بها عليه إشارة الوداع .

ملازم جون سارتورس ، سلاح الطيران الملكي

قتل في العمليات ، ٥ يوليو ١٩١٨

« أنا حملته على أجنحه نسر وجئت به إلى ،

وهمس نسيم ناعم بين أشجار الشربين وكأنه آهة مستطيلة ، تحركت فيه الأغصان بوقار ، وفي الهدوء الخيم بين الأشكال الرخامية المتباعدة شدة الحائث حينئذ المشتعل الذي لا ينتهي . وعاد ليزوم من أجل حمل آخر من الزهور الذابلة وحمله بعيداً .

وكان شاهد بايارد العجوز بسيطاً أيضاً ، فقد ولد كما حدث ، في وقت متأخر جداً ليشارك في حرب ، وفي وقت مبكر جداً ليشارك في التالية ، وتذكرت دعاة الأقدار به فقد حرمة من فرص الزهو والمفاخرة ثم أنكرت عليه امتياز الدفن على أيدي رجال ، كانوا سيبتكرون له ألفاظ الزهو المجاجة الباطلة . لقد كادت أشجار الشربين أن تصجب لحدي ابنه جون وزوجته ، كانت أشعة الشمس تصلهما في ومضات ، فتزركش الحجر

الذى لوحه الطقس بنمنمة متشنجة ، لم يكن من الميسور تمييز الكتابة المدونة إلا بصعوبة . ولكنها كانت تعرف ما عليها ، ماذا ذلك السم النافع ، الوحي ، المثل الأعلى الذى يفيض من ذلك الذى تسلط عليهم جميعاً والذى بث في المكان بأجمعه ، حيث ينبغي أن يجد المتعبون من الناس الراحة ، وقارا متعجرفا ، لا شأن له بعالم الأموات ، أكثر بما لأغلفة الكتب من شأن بما فيها من كتابة وقد استقرت تحته أيضا شواهد الزوجات اللاتي جرحروهن إلى مداراتهن المتبجحة . كانت رغم أسماء الأسر الطنانة ، متواضعة وخجولة كشدو طيور السمان تحت نصايح النور ،

كان واقفا على منصة من حجر ، في سترته الرسمية عارى الرأس ، وقد تقدمت إحدى قدميه قليلا عن الأخرى ، واستقرت يده بخفة على عمود حجرى بجواره . كانت رأسه مرفوعة قليلا بإيماء الكبرياء المتبالية التي كررت نفسها جيلا بعد جيل ، بإخلاص مشوم ، كان قد أدار ظهره للعالم ، وتطلع بعينيه المنحوتتين عبر الوادى حيث كان خط السكة الحديدية الذى بناه والتلال الزرقاء التي لا تتغير والمستلقة وراءه ، ومن وراء ذلك ، استحکامات اللانهاية نفسها .

كانت المنصة والنمثال مرقطين بمواسم من المطر والشمس ، وبما يتساقط من فوق أغصان الشربين ، وقد عثيت الحروف المنحوتة بقوة بما عليها من عطن ، إلا أنه كان من الممكن تمييزها :

كولونيل جون سارتورس ، الولايات الفدرالية الأمريكية

١٨٧٦

١٨٢٣

جندى سياسى ، مواطن عالمى

من أجل تنوير الإنسان عاش

وبمحور الإنسان مات

تأنا هنا يا بن الآلام وتذكر الموت

وقد سببت هذه العبارات المنحوتة هياج أسرة القاتل ، ثم تلاه احتجاج



رسمي . وامثالاً للرأى العام ، حقق بايارد المعجوز انتقامه : لقد أمر برفع العبارة « ببحود الإنسان مات » فأزيلت بطريقة غير كاملة بوساطة الأزميل ، وأضاف تحتها : سقط على يد ردلو ، سبتمبر ، ١٨٧٦ .

وقد ظلت مس جيني راقفة في تأمل عميق ، جسدا رقيقا منتصباً في حرير أسود وقبعة صغيرة لا تهادن ولا تتعنى . تخللت الريح أشجار الشربين في آهات طويلة وفي رتابة النبض فاضت على الهواء اللامع ترديدات الحائم المحزونة اليائسة . وعاد إيزوم ليأخذ آخر حمل من الزهور الميتة ، وإذا نظرت عبر مشهد الرخام العريض الممتد ، حيث كانت تنساب ظلال الظهيرة وتتحرك رأت عدداً من الأطفال يلعبون بهدوء ووقار محدود وهم في أناقة يوم الأحد اللامعة بين الموقى الهادئين . حسناً ، كان ذلك هو الأخير منهم ، أخيراً جاء إلى تجمعهم المهيّب ، في ظل الانعكاسات الخافية ، التي تفيض من شهواتهم المتبججة ، حيث تعود أجسادهم بهدوء إلى تراب ، تحت الرموز الوثنية التي تعبر عن أمجادهم التافهة ، وتلويحاتهم المنحوتة التي حفرت على الحجر الخالد . وتذكرت شيئاً قاله لها نارسيسا مرة ، عن عالم بلا رجال ، وتساءلت ، إن كان في مثل هذا العالم طرق هادئة ، ومنازل يغطي سقفها السلام ، ولم تكن تعرف .

عاد إيزوم ، وعندما مضى ، ناداها دكتور بيجودى . كان مرتدياً كالعادة سراويله الملهلة الواسجة ، وسترته اللامعة المصنوعة من التيل ، وقبعته المتهللة ، وكان ابنه يصحبه .

قالت مس جيني وهي تصافح لوش الصغير ، « حسناً ، يا ولد » . كانت عظام وجهه مريضة ومشكلة دون دقة . كانت له قبضة من الشعر الأسود المستقيم الجاف ، وكانت عيناه ثابتتين وبنيتين ، وفه كبيراً ، وفي مجموعته كان في وجهه القبيح الرقة والمرح وكل ما يغرى على الثقة به . كان نحيف البنية ، ولم يكن يحفل بملابسه وكانت يداه كبيرتين ونحيلتين كان يجري بهما عمليات جراحية دقيقة ، بمهارة صياد ، يجتلد سنجاناً ،

ونخفة مشعوز ساحر . كان يعيش في نيويورك ، حيث كان يعمل مع جراح اسمه معروف في كل بيت . ومرة كل عام ، وأحياناً مرتين ، كان يركب القطار - ستة وثلاثين ساعة ويقضى عشرين ساعة مع أبيه ( كانا يقضيانها في التجول بالبلدة ، أو راكبين في الريف في عربته المتهالكة اليوم كله ، أو جالسين على الشرفة ، أو أمام النار يتحدثان معاً ) ثم يأخذ القطار مرة أخرى ليكون في عيادته بعد أن قضى اثنتين وتسعين ساعة بعيداً عنها - كان في الثلاثين من عمره ، الابن الوحيد الذي أنجبت له المرأة التي ظل دكتور ييبودي يخطب ودها أربعة عشر عاماً قبل أن يستطيع أن يتزوجها . كان غرامه أيام تجواله في عربة في الإقليم بأسره ليداوى المرضى ويبتز الأطراف التالفة وكان غالباً يقطع أربعين ميلاً ليراها بعد غيبة تصل إلى عام كامل ، ليقطع عليه طريقه ، ويخول إلى فراش امرأة تله أو ساق مصابة ، فيكسفي بأن يبعث لها برسالة مكتوبة على عجل ، تلتف لها عبء الانتظار عاماً آخر .

قالت مس جيني : هانت قد عدت إلى بلدك مرة أخرى .

نعم يا سيدتي . وأجلك رشيقة جذابة كالعهد بك دائماً .

قال دكتور ييبودي . : جيني سيئة المزاج إلى الدرجة التي لا تمكنها من عمل أى شيء إلا أن تجف تماماً وتبدد وتذروها الرياح .

أجابت على الفور قائلة ، : ستتذكر أنتى لا أسمح لك بأن تقوم برعايتى عندما لا أكون بخير ، ثم سألت لوش الصغير ، : أحسبك ستعود في القطار التالي ، أليس كذلك ؟ .

نعم سيدتي ، أخشى أن يكون الأمر كذلك . لم يحن موعد أجازتي بعد .

حسنًا بهذه الطريقة التي تعيش بها ، ستقضيها يوماً في بيت المعجائز الرجال في مكان ما . لم لا تأتون جميعاً لتناول الغداء ، وليتمكن هو من رؤية الولد أيضاً ؟

اجاب لوش الصغير . . . اتنى أن افعل هذا . إلا أنتى لا أملك الوقت الذى يمكننى من عمل كل ما أريده ، ولذا فقد قررت ألا افعل شيئاً منها . وبالإضافة ، فإن على أن اقضى أصيل اليوم فى صيد السمك ،

وأضاف أبوه ، . نعم ، وتقطيع السمك الجيد بمطواة لرؤية تركيبه الداخلى ، دعينى أحك لك ما فعله صباح اليوم . قبض على ذلك الكلب الذى أطلق إيب عليه الرصاص فى الشتاء الماضى وشق ساقه وفك المروق المتشابكة بسرعة لم تعجز إيب وحده عن إدراك ما ينوى عمله ، بل الكلب أيضاً ، الذى لم يدرك الأمر إلا فى وقت متأخر جداً ليفج . كل ما نسيته هو أن نفوس داخله إلى عمق أكبر بحثاً عن روحه . .

قال لوش الصغير دون تأثر ، . أنت لا تعلم أنه ليست لديه روح ، قام دكتور ستراود ببعض التجارب فى الكهربية ، وهو يقول إنه يعتقد أن الروح . . .

قالت مس جينى مقاطعة ، . هراء ، لوش ، الأفضل لك أن تحضر زجاجة من دهان ويل فولز ليحملها إلى طبيبه . حسناً - . ثم ألقت نظرة على الشمس وقالت . الأفضل لى أن أذهب . إن لم يكن فى عزمكما الحضور لتناول الغداء - .

اجاب لوش الصغير . شكراً لك ياسيدتى . .

وقال أبوه ، . أحضرته هنا لأعرض عليه مجموعتك . لم تكن نعرف أن الهزال باد علينا إلى هذا الحد . .

اجابت مس جينى ، . حسناً . افعلها ، ومضت ، وظلا مكانهما يرقبان ظهرها الأنيق حتى غابت عن أنظارهما وراء أشجار الشربين .

قال لوش الصغير متأملاً . والآن قد وجد آخر منهم . ليكبر ويخاق لأمله المتاعب حتى ينجح فى النهاية فى عمل ما يتوقعونه منه أن يفعله . حسناً ، ربما يخفف من غلوائه ويحد من جوحه دم بينبو . لأنهم قوم

مسالمون ، تلك الفتاة ، وهو راس وكأنه . . . ونساء فقط يقمن على تربيته . . .

وصر أبوه على أسنانه وقال ، ، ولكن به دم سارتورس أيضا ، . وصلت مس جيني إلى البيت ، وقد بدت مجعدة قليلا ، وعنفقتها نارسيسا قليلا ثم أقنعتها آخر الأمر أن تستلقي في فراشها بعد الغداء . وغفلت عنها بينما مضت ساعات الأصيل . الوسادة ، وسحت على الظلال المستطيلة ، وصوت مفاتيح بيانو نلمس برقة في الطابق السفلي . قالت تحدث نفسها ، وبدهشة تقرب من الفزع ، ، نمت ساعات الأصيل كلها ، ، إلا أنها ظلت راقدة في سكون ، والستار تتماوج برقة على نوافذها . وعزف البيانو يصعد إليها مختلطا بأريج الياسمين القادم من الحديقة ، ويشدو العصافير وثرثرتها ساعة الأصيل فوق شجرة التوت في الفناء الخلفي . ثم نهضت وعبرت البهو ودخلت حجرة نارسيسا ، حيث كان الطفل نائما في مهده . ، وقد غفت المربية بجواره في اطمئنان ، وخرجت مس جيني على أطراف أصابعها ونزلت الدرج ودخلت الردهة وسحبت مقعدها من وراء البثانوي . وتوقفت نارسيسا عن العزف .

www.library4arab.com

سألها ، ، هل أرحمت بالنوم ؟ ما كان ينبغي عليك أن تفعل ما فعلت صباح اليوم . ،

قالت مس جيني ، ، هراء إنه يعود على بالفائدة دائما ، أن أرى كل هؤلاء الجحش من الرجال وهم مضطجعون هناك ، بشماراتهم الرعامية وأشياءهم الأخرى . شكراً لله ، لن يستطيع أحدهم أن يمسني بسوء . ، أنا أحسب الله يعرف جيداً ما يصنع ، إلا أنني أعلن ، أحيانا . . . اعزفي شيئاً ، .

أطاعتها نارسيسا ، ولمست المفاتيح برقة ، وظلت مس جيني مكانها برهة وهي تنصت . وتلصص المساء إلى المكان ببطء ، ورويداً رويداً أصبحت الظلال في الغرفة أكثر وضوحاً وفي الخارج كانت العصافير تثرثر وهي تطير في

سحابات حادة وأتتهم رائحة الياسمين من الحديقة بانتظام التنفس ونشطت  
مس جيني وبدأت في الحديث عن الطفل . ومضت نارسيسا تعزف  
بهدهء وقد أضاء ثوبها الأبيض وطوقه الأسود في العتمة بشحوب ، في لمان  
الشمع المكتوم . وانسال الياسمين وانسال ، وقد صمتت العصافير وظلت  
مس جيني تتكلم في ساعة الفسق عن جوني الصغير بينما ظلت نارسيسا  
أيضا تعزف شاردة مستغرقة ، وكأنها لم تكن تنصت . ثم . ودون أن  
تتوقف أو تدير رأسها ، قالت .

« ليس اسمه جون ، إنه ينيو سارتورس » .

« ماذا ؟ »

قالت مرة أخرى ، « اسمه ينيو سارتورس » .

وظلت مس جيني صامته برهة . كانت النورا تتجول في الغرفة الملاصقة  
إذ كانت تعد المسائدة للعشاء ، سألتها مس جيني ، « وهل تتوقعين من  
هذا ثمة خير ؟ هل تظنين أن في استطاعتك أن تغيري واحدا منهم

بتغيير الاسم ؟  
**www.library4arab.com**

وقاضت الموسيقى بنعومة في العتمة ، وكانت العتمة مأهولة بأشباح أشياء  
قديمة مجيدة وفاجعة وفاتنة . وعندما تكون أبهتها جبارة بما فيه الكفاية  
فمن الأكيد أن يكون فيها أحد آل سارتورس وحينئذ لا يكون هناك  
مناص من الفاجعة . قطع على رقعة شطرنج . ولكن اللاعب ، واللعبة  
التي يلعبها . . . . يجب عليه أن يطلق ثمة أسماء على قطعه التي يلعب بها .

ولكن سارتورس ، ربما يكون هو نفسه اللعبة - لعبة راح زمنها ،  
وتلعب بقطع من حجر شكلات في وقت متأخر جداً وحسب طراز عني  
عليه الزمن ومات . طراز سئمته إلى حد ما اللاعب نفسه . لأن الموت يكن في  
صوت الاسم نفسه . وفيه شؤم أيضاً محتوم ذو أبهة كيبارق من فضة  
تندفع مبتعدة في ساعة الغروب ، أو كأصوات أبواق تفيض على امتداد  
الطريق إلى رونسيفو .

قالت مس جيني مرة أخرى ، د هل تعتقدين ، لأن اسمه يينبو ،  
أنه سيكون أقل خسة وحماسة وسارتورسية من أى واحد منهم ؟ ،

وظلت نارسيسا تعزف ، وكأنها لم تكن تنصت ، ثم أدارت  
رأسها ، ودون أن تتوقف عن العزف ، ابتسمت كالحالمة برقة لمس جيني  
وفي ابتسامتها صفاء واستغراق وهيام ، ومن وراء رأس مس جيني الأنيقة  
التي فقدت دقة معاملها في العتمة ، استقرت الستائر الأرجوانية الداكنة في  
أماكنها في سكون ، من وراء النافذة كان المساء حلما بنفسجيا بلارياح ،  
أما تحتضن بين ذراعيها الهدوء والسلام .

## المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالمين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل

www.library4arab.com

- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

## المشروع القوي للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا	١-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانينكار	الوثنية والإسلام (ط١)	٢-
شوقي جلال	جورج جيمس	التراث المبروق	٣-
أحمد الحصري	انجا كارييتيكوفا	كيف يتم كتابة السيناريو	٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا في غيبوبة	٥-
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إفيتش	اتجاهات البحث اللساني	٦-
يوسف الأنطكي	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	٧-
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	٨-
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودي	التغيرات البيئية	٩-
محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي	جيرار جينيت	خطاب الحكاية	١٠-
هناء عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١١-
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١٢-
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين	١٣-
حسن المومن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسي للأدب	١٤-
أشرف رفيق عفيفي	إدوارد لوسى سميث	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١٥-
ياشرف أحمد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١٦-
محمد مصطفى بدوي	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١٧-
طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	١٨-
سيد عطية	جوديث كراول	الأمم والشعر في العالم	١٩-
يعني طريف الخولي وبدوي عبد الفتاح	ج. ج. كراول	قصة العلم	٢٠-
ماجدة العناني	صمد بهرنجي	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	٢١-
سيد أحمد علي الناصري	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين	٢٢-
سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلي الجميل	٢٣-
بكر عباس	باتريك بارندر	ظلال المستقبل	٢٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	مثنوي	٢٥-
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	نين مصر العام	٢٦-
ياشرف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشري الخلاق	٢٧-
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة في التسامح	٢٨-
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	٢٩-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو بانينكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	٣٠-
عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	ديفيد روب	الانقراض	٣٢-
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكنز	التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	٣٣-
حصاة إبراهيم المنيف	روجر ألن	الرواية العربية	٣٤-
خليل كلفت	بول ب. نيكسون	الأسطورة والحداثة	٣٥-
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديثة	٣٦-



جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	واحة سيوة وموسيقاها	٢٧-
أنور مغيث	ألن تورين	نقد الحداثة	٢٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٢٩-
محمد عيد إبراهيم	آن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين باربر	عالم ماك	٤٢-
المهدى أخريف	أوكتاڤيو پاث	اللهب المزدوج	٤٣-
مارلين تاترس	الدوس هكسلى	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت ديتا وجون فاين	التراث المقدور -	٤٥-
محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتى	فرانسوا دوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب غلوب	ه . ت . نوريس	الإسلام فى البلقان	٤٩-
محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكي	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بينياليستى	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	٥١-
لطفي فطيم وعادل دمرداش	ب . نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	العلاج النفسى التدعيمى	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجاتون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود علي مكي	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمد السيد على	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	المحبرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفنى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
بإشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	آلان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الحليم	أنطونيو جالا	خمسة مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	فالتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	الطام الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . تومبكنز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	صلاح الدين والمماليك فى مصر	٧٤-

أحمد درويش	أندريه مورو	فن التراجم والسير الذاتية	٧٥-
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	٧٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٣)	٧٧-
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	٧٨-
سعيد الغانمي وناصر حلاوي	بوريس أوسبونسكي	شعرية التأليف	٧٩-
مكارم الغمري	ألكسندر بوشكين	بوشكين عند «نافورة الدموع»	٨٠-
محمد طارق الشرقاوي	بندكت أندرسن	الجماعات المتخيلة	٨١-
محمود السيد علي	ميجيل دي أونامونو	مسرح ميجيل	٨٢-
خالد المعالي	غوتفريد بن	مختارات شعرية	٨٣-
عبد الحميد شيحة	مجموعة من المؤلفين	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	٨٤-
عبد الرازق بركات	صلاح زكي أقطاي	منصور الحلاج (مسرحية)	٨٥-
أحمد فتحي يوسف شتا	جمال مير صادق	طول الليل (رواية)	٨٦-
ماجدة العناني	جلال آل أحمد	نون والقلم (رواية)	٨٧-
إبراهيم الدسوقي شتا	جلال آل أحمد	الابتلاء بالغرب	٨٨-
أحمد زايد ومحمد محيي الدين	أنتوني جينز	الطريق الثالث	٨٩-
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وآخرون	رسم السيف وقصص أخرى	٩٠-
محمد هناء عبد الفتاح	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	٩١-
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	أساليب ومضامين المسرح الإسباني وأمريكي المعاصر	٩٢-
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون وسكوت لاش	محدثات العولمة	٩٣-
فوزية العشماوي	صمويل بيكيت	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	٩٤-
سليمان عبد اللطيف	أندريه بولك	حروب من مسرح ومجمل	٩٥-
إليوار الكرام	نخبة	ثلاث ربيقات ووردة وفصلين أخرى	٩٦-
بشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج١)	٩٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	٩٨-
إبراهيم قنديل	ديفيد روبنسون	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	٩٩-
إبراهيم فتحي	بول هيرست وجراهام تومبسون	مساواة العولمة	١٠٠-
رشيد بنحدو	بيرنار فاليط	النص الروائي: تقنيات ومناهج	١٠١-
عز الدين الكتاني الإدريسي	عبد الكبير الخطيبي	السياسة والتسامح	١٠٢-
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤدب	قبر ابن عربي يليه آباء (شعر)	١٠٣-
عبد الغفار مكاوي	برتولت بريشت	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	١٠٤-
عبد العزيز شبيب	جيرارچينيت	مدخل إلى النص الجامع	١٠٥-
أشرف علي دعبور	ماريا خيسوس روبييرامتي	الأدب الأندلسي	١٠٦-
محمد عبد الله الجعدي	نخبة من الشعراء	سررة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	١٠٧-
محمود علي مكي	مجموعة من المؤلفين	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	١٠٨-
هاشم أحمد محمد	چون بولوك وعادل درويش	حروب المياه	١٠٩-
منى قطان	حسنه بيجوم	النساء في العالم النامي	١١٠-
ريهام حسين إبراهيم	فرانسيس هيدسون	المرأة والجريمة	١١١-
إكرام يوسف	أرلين علوي ماكلويد	الاحتجاج الهادي	١١٢-

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانت  
 ١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستقيم وول شوينكا  
 ١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف  
 ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون  
 ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد  
 ١١٨- النهضة النسائية فى مصر بى بارون  
 ١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل  
 ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد  
 ١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى  
 ١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت  
 ١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية أنيئل ألكسندرو فنابولينا  
 ١٢٤- الفجر الكائب: أوهام الرأسمالية العالمية جون جراى  
 ١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديفى  
 ١٢٦- فعل القراءة قولفانج إيسر  
 ١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى  
 ١٢٨- الأدب المقارن سوزان ياسنيت  
 ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته  
 ١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندرفرانك  
 ١٣١- مصر القيمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين  
 ١٣٢- ثقافة المرأة مايا فينرستين  
 ١٣٣- الحوكمة فى طريق الرواية نيل على  
 ١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب  
 ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت  
 ١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو  
 ١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه  
 ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان  
 ١٣٩- باريسقال (مسرحية) ريتشارد فاچنر  
 ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هريوت ميسن  
 ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين  
 ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر  
 ١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر  
 ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولدونى  
 ١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس  
 ١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميغيل دى ليبس  
 ١٤٧- مسرحيتان تانكريد دورست  
 ١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكى أندرسون إمبرت  
 ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول  
 ١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليمان
- أحمد حسان  
 نسيم مجلى  
 سمىة رمضان  
 نهاد أحمد سالم  
 منى إبراهيم وهالة كمال  
 ليس النقاش  
 ياشراف: روف عباس  
 مجموعة من المترجمين  
 محمد الجندى وإيزابيل كمال  
 منيرة كروان  
 أنور محمد إبراهيم  
 أحمد فؤاد بلع  
 سمحة الخولى  
 عبد الوهاب علوب  
 بشير السباعى  
 أميرة حسن نويرة  
 محمد أبو العطا وآخرون  
 شوقى جلال  
 لويس بقطر  
 عبد الوهاب علوب  
 أحمد محمود  
 ماهر شفيق فريد  
 سحر توفيق  
 كاميليا صبحى  
 وجيه سمعان عبد المسيح  
 مصطفى ماهر  
 أمل الجبورى  
 زعيم عطية  
 حسن بيومى  
 عدلى السمرى  
 سلامة محمد سليمان  
 أحمد حسان  
 على عبدالرؤف البمبى  
 عبدالغفار مكاوى  
 على إبراهيم منوفى  
 أسامة إسبر  
 منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهند وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام القراءة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ثيرمو	مى التلمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجرى	عبدالعزیز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوجنا الأسبوى	صلاح عبدالعزیز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصانفة
١٦٦-	العلاقات بين المتنبيين والطمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	في عالم طاغور	رابندرناث طاغور	شكري محمد عياد
١٦٨-	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	بجمل فيسر	بسم الله الرحمن الرحيم
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بييجو	الدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصه إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل قصبيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	الثقافة الأمريكية من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسننت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوة (شعر)	و.ب. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حاملة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب طوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُردج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر النيب

١٨٩ -	الصحى والبصرة: مقالات في بلاغة النقد الناصر	بول دي مان	سعيد القانمي
١٩٠ -	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجاني
١٩١ -	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازي السيد
١٩٢ -	سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
١٩٣ -	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ -	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥ -	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦ -	المهلة الأخيرة (رواية)	فالتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧ -	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوي
١٩٨ -	الاتصال الجماهيري	إيوين إمري وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ -	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لاندائو	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ -	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمي سبيروك	فخزي لبيب
٢٠١ -	الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٠٢ -	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ -	الشعر والشاعرية	ألفاف حسين حالي	جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤ -	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شاراز	أحمد هويدي
٢٠٥ -	الجيئات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي - سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦ -	الهيولية تصنع علماء جديداً	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧ -	ليل أفريقي (رواية)	رامون خوتاسنديز	محمد أبو العطا
٢٠٨ -	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوربان	محمد أحمد صالح
٢٠٩ -	سيرة المسيح	مؤلف غير معروف	أشرف الصباغ
٢١٠ -	مثنويات حكيم سنائي (شعر)	سنائي الفرنزوي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ -	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدي عبد الفتي
٢١٢ -	قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان	مرزيان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣ -	مصر منذ قديم نابلون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون قلاود	سيد أحمد علي الناصري
٢١٤ -	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيندز	محمد محيي الدين
٢١٥ -	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوي
٢١٦ -	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧ -	مسرحيتان طليعيتان	سمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوي
٢١٨ -	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتانان	علي إبراهيم منوفي
٢١٩ -	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠ -	الهيولية في الكون	باري باركر	علي يوسف علي
٢٢١ -	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢ -	فرانز كافكا	رونالد جراي	نسيم مجلى
٢٢٣ -	العلم في مجتمع حر	ياول فيرابند	السيد محمد نفادي
٢٢٤ -	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥ -	حكاية غريق (رواية)	جابريل جارشيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦ -	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	طاهر محمد علي البربري

- ٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر خوسيه ماريا ديث بوركي
- ٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن جانيت وولف
- ٢٢٩- مازق البطل الوحيد نورمان كيغان
- ٢٣٠- عن الذباب والقثران والبشر فرانسواز جاكوب
- ٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) خايمي سالوم بيدال
- ٢٣٢- ما بعد المعلومات توم ستونير
- ٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي آرثر هيرمان
- ٢٣٤- الإسلام في السودان ج. سبنسر تريمفهام
- ٢٣٥- ديوان شمس تبريزي (ج١) مولانا جلال الدين الرومي
- ٢٣٦- الولاية ميشيل شودكفيتش
- ٢٣٧- مصر أرض الوادي روبين فيدين
- ٢٣٨- العولمة والتحرير تقرير لمنظمة الأنكثاد
- ٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي جيل رامراز - رايوخ
- ٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار كاي حافظ
- ٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية) ج. م. كوتزي
- ٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض وليام إمبسون
- ٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) ليفي بروفنسال
- ٢٤٤- الغليان (رواية) لورا إسكيبيل
- ٢٤٥- نساء مقاتلات إليزابيتا أديس وآخرون
- ٢٤٦- مختارات قصصية جابريل غارثيا ماركيث
- ٢٤٧- ثقافة الجماهيرية والوراثة في مصر محمد الطاقى الشاذلي
- ٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) أنطونيو جالا
- ٢٤٩- لغة التمزق (شعر) دراجو شتامبوك
- ٢٥٠- علم اجتماع العلوم يومنيك فينك
- ٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) جوردون مارشال
- ٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية مارجو بدران
- ٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية ل. أ. سيمينوفا
- ٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة ديف روبنسون وجودي جروفز
- ٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون ديف روبنسون وجودي جروفز
- ٢٥٦- أقدم لك: ديكارت ديف روبنسون وكريس جارات
- ٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة وليم كلى رايت
- ٢٥٨- الفجر سير أنجوس فريزر
- ٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور نخبة
- ٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (ج٣) جوردون مارشال
- ٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود زكي نجيب محمود
- ٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) إدواردو مندوتا
- ٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن جون جرين
- ٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة هوراس وشلبي
- السيد عبدالظاهر عبدالله
- ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
- أمير إبراهيم العمري
- مصطفى إبراهيم فهمي
- جمال عبدالرحمن
- مصطفى إبراهيم فهمي
- طلعت الشايب
- فؤاد محمد عكود
- إبراهيم الدسوقي شتا
- أحمد الطيب
- عنايات حسين طلعت
- ياسر محمد جادالله وعربي مديولى أحمد
- نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
- صلاح محجوب إدريس
- ابتسام عبدالله
- صبرى محمد حسن
- بإشراف: صلاح فضل
- نادية جمال الدين محمد
- توفيق على منصور
- علي إبراهيم منوفي
- محمد الطاقى الشاذلي
- عبداللطيف عبدالحميد
- رفعت سلام
- ماجدة محسن أباطة
- بإشراف: محمد الجوهري
- علي بدران
- حسن بيومي
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمود سيد أحمد
- عبادة كحيلة
- فاروجان كازانجيان
- بإشراف: محمد الجوهري
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمد أبو العطا
- علي يوسف علي
- لويس عوض

- ٢٦٥- روايات مترجمة  
٢٦٦- مدير المدرسة (رواية)  
٢٦٧- فن الرواية  
٢٦٨- ديوان شمس تبریزی (ج٢)  
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)  
٢٧٠- وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)  
٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ  
٢٧٢- الأديرة الأثرية في مصر  
٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لمركبة عربية في مصر  
٢٧٤- السيدة باربارا (رواية)  
٢٧٥- ه. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا  
٢٧٦- فنون السينما  
٢٧٧- الجينات والصراع من أجل الحياة  
٢٧٨- البدايات  
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية  
٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى  
٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية)  
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية  
٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى  
٢٨٤- هرقل مجنونًا (مسرحية)  
٢٨٥- حكاية ابن مسن في الطولوس  
٢٨٦- سياحة نانا إبراهيم بك (ج١)  
٢٨٧- الثقافة والعولة والنظام العالمي  
٢٨٨- الفن الروائي  
٢٨٩- ديوان منوچهری الدامغانی  
٢٩٠- علم اللغة والترجمة  
٢٩١- تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج١)  
٢٩٢- تاريخ المسرح الإسباني في القرن العشرين (ج٢)  
٢٩٣- مقدمة للأدب العربي  
٢٩٤- فن الشعر  
٢٩٥- سلطان الأسطورة  
٢٩٦- مكث (مسرحية)  
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية  
٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى  
٢٩٩- ثورة في التكنولوجيا الحيوية  
٣٠٠- أسطورة بروميثيوس في الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج١)  
٣٠١- أسطورة بروميثيوس في الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج٢)  
٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين
- أوسكار وايلد وصمويل جونسون  
جلال آل أحمد  
ميلان كونديرا  
مولانا جلال الدين الرومي  
وليم جيفور بالجريف  
وليم جيفور بالجريف  
توماس سى. باترسون  
سى. سى. والترز  
جوان كول  
رومولو جاييجوس  
مجموعة من النقاد  
مجموعة من المؤلفين  
براين فورد  
إسحاق عظيموف  
ف. س. سوندرز  
بريم شند وآخرون  
عبد الحليم شرر  
لويس رولبرت  
خوان رولفو  
يوريبيديس  
حكاية نانا إبراهيم بك (ج١)  
حكاية نانا إبراهيم بك (ج٢)  
أنتوني كنچ  
ديفيد لودج  
أبو نجم أحمد بن قوص  
جورج موانان  
فرانشيسكو رويس رامون  
فرانشيسكو رويس رامون  
روجر آلن  
بوالو  
جوزيف كامبل وبيل موريز  
وليم شكسبير  
ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي  
نخبة  
جين ماركس  
لويس عوض  
لويس عوض  
جون هيتون وجودى جروفز
- لويس عوض  
عادل عبدالمنعم على  
بدر الدين عروكي  
إبراهيم الدسوقي شتا  
هبرى محمد حسن  
صبرى محمد حسن  
شوقي جلال  
إبراهيم سلامة إبراهيم  
عنان الشهاوى  
محمود على مكى  
ماهر شفيق فريد  
عبدالقادر التلمسانى  
أحمد فوزى  
ظريف عبدالله  
طلعت الشايب  
سمير عبدالحميد إبراهيم  
جلال الحفناوى  
سمير حنا صادق  
على عبد الرزاق البمبى  
أحمد عثمان  
سليمان عبد الحميد إبراهيم  
محمد عبد الوهاب  
محمد يحيى وآخرون  
ماهر البطوطى  
محمد نور الدين عبدالمنعم  
أحمد زكريا إبراهيم  
السيد عبد الظاهر  
السيد عبد الظاهر  
مجدي توفيق وآخرون  
رجل ياقوت  
بدر الديب  
محمد مصطفى بدوى  
ماجدة محمد أنور  
مصطفى حجازى السيد  
هاشم أحمد محمد  
جمال الجزيرى وبهاء جاهين وإيزابيل كمال  
جمال الجزيرى و محمد الجندي  
إمام عبد الفتاح إمام

- ٣٠٣- أقدم لك: بوذا جين هوب ويورن فان لون  
٣٠٤- أقدم لك: ماركس ريبوس  
٣٠٥- الجلد (رواية) كروزيو مالابارته  
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ جان فرانسوا ليوتار  
٣٠٧- أقدم لك: الشعور ديفيد بايينو وهوارد سلينا  
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة ستيف جونز ويورن فان لو  
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت  
٣١٠- أقدم لك: يونج ماجي هايد ومايكل ماكجنس  
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي ر.ج كوانجود  
٣١٢- روح الشعب الأسود وليم بيبويس  
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر) خاير بيان  
٣١٤- مارسيل بوشامب: الفن كعدم جانيس مينيك  
٣١٥- جرامشي في العالم العربي ميشيل بروندينو والطاهر لبيب  
٣١٦- محاكمة سقراط أي. ف. ستون  
٣١٧- بلا غد س. شير لايموفا- س. زنيكين  
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة مجموعة من المؤلفين  
٣١٩- صور دريدا جايتري اسبيفاك وكريستوفر نوريس  
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج مؤلف مجهول  
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١) ليفي برو فنسال  
٣٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي ديليو يوجين كلينباور  
٣٢٣- فن السلطان في السلطنة عثمانية هانز هانز هانز  
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية) أشرف الصباغ  
٣٢٥- عالم الآثار (رواية) فيليب بوسان  
٣٢٦- المعرفة والمصلحة يورجين هابرماس  
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج ١) نخبة  
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر) نور الدين عبد الرحمن الجامي  
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر) تد هيوز  
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد  
٣٣١- عندما جاء السريدين وقصص أخرى ستيفن جراي  
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى نخبة  
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٦٨٥-١٥٥٨ نبيل مطر  
٣٣٤- لقطات من المستقبل آرثر كلارك  
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية ناتالي ساروت  
٣٣٦- متون الأهرام نصوص مصرية قديمة  
٣٣٧- فلسفة الولاء جوزايا رويس  
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى نخبة  
٣٣٩- تاريخ الأدب في إيران (ج ٢) إدوارد براون  
٣٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط بيرش بيربروجلو
- إمام عبد الفتاح إمام  
إمام عبد الفتاح إمام  
صلاح عبد الصبور  
نبيل سعد  
محمود مكي  
ممدوح عبد المنعم  
جمال الجزيري  
محيي الدين مزيد  
فاطمة إسماعيل  
أسعد حليم  
محمد عبدالله الجعدي  
هويدا السباعي  
كاميليا صبحي  
نسيم مجلي  
أشرف الصباغ  
أشرف الصباغ  
حسام نايل  
محمد علاء الدين منصور  
بإشراف: صلاح فضل  
خالد مفلح حمزة  
هانز هانز هانز  
محمود علاوي  
كريستين يوسف  
حسن صقر  
توفيق علي منصور  
عبد العزيز بقوش  
محمد عبد إبراهيم  
سامي صلاح  
سامية نياب  
علي إبراهيم منوفي  
بكر عباس  
مصطفى إبراهيم فهمي  
فتحى العشري  
حسن صابر  
أحمد الأنصاري  
جلال الحفناوي  
محمد علاء الدين منصور  
فخري لبيب



٢٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمي
٢٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت في الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدي	جمال الجزيري
٢٤٧-	الصبيبة الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨-	التصوفة الأولون في الأدب التركي (ج١)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدمورين وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	ميادئ المنطق	جوزايا روس	أحمد الانصاري
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣-	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٢٥٤-	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٢٥٥-	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	حجت مرتجي	محمود علاوي
٢٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعي
٢٥٧-	متون هرمس	تيموثي فريك وبيتر غاندي	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	أمثال الهوسا العامة	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشاروني
٢٦٠-	التصوير في الأدب العربي الحديث	أدون جريجر	علي الشاروني
٢٦١-	التصوير: التهديد والجاذبة	هاينرش شبورل	عطف منتد وأمل شاور
٢٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	ريتشارد جيبسون	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	إسماعيل سراج الدين	صبري محمد حسن
٢٦٤-	حادثة شكسبير	شارل بودليز	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥-	سأم باريس (شعر)	كلاريسا بنكولا	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	مجموعة من المؤلفين	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القلم الجريء	جيرالد برنس	البراق عبدالهادي رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	فوزية العشماوي	عابد خزندار
٢٦٩-	المرأة في أدب نجيب محفوظ	كليرلا لويت	فوزية العشماوي
٢٧٠-	الفن والحياة في مصر الفرعونية	محمد فؤاد كوبريلي	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١-	التصوفة الأولون في الأدب التركي (ج٢)	وانغ مينغ	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	أومبرتو إيكو	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أندرية شديد	علي إبراهيم منوفي
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	ميلان كونديرا	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الخلود (رواية)	جان أنوى وآخرون	خالد أبو اليزيد
٢٧٦-	الفضب وأحلام السنين (مسرحيات)	إنوار براون	إدوار الخراط
٢٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	محمد إقبال	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)		يوسف عبدالفتاح فرج

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	٣٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جوتتر جراس	٣٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٣٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادی	بهاء الدين محمد إسفنديار	٣٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٣٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادراد	٣٨٥- مشترى العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٣٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء چاهين	چون دن	٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٣٨٨- مواظ سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. في. روبرتس	٣٩٠- الأرشيقات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشى	٣٩١- الحافلة الليكية (رواية)
عبداللطيف عبدالحميد	فرناندو دى لاجرانجا	٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	٣٩٣- فى قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٣٩٥- آلام سياوش (رواية)
محمود علاوى	نقى نجارى راد	٣٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتى شين	٣٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	إلى ردى ووالد ردى	٣٩٨- أقدم لك: ستر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد بروفنس والى كوركس	٣٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياودن ساردر وأخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أندريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغورة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينيفر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
باشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المتفى (شعر)
أمل الصبان	ياسكال كازانوف	٤١٤- الجمهورية العالمية للأداب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش نورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر

- ٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥) رينيه ويليك  
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية جين هاثواي  
٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية جون مارلو  
٤٢٠- مكرو ميخاس (قصة فلسفية) فولتير  
٤٢١- الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول روى متحدة  
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١) ثلاثة من الرحالة  
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف نخبة  
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر) نور الدين عبدالرحمن الجامي  
٤٢٥- من طاووس إلى فرح محمود طلوعى  
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى نخبة  
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية) باي إنكلان  
٤٢٨- الخزانة الحفية محمد هوتك بن داود خان  
٤٢٩- أقدم لك: هيجل ليود سبنسر وأندرجى كروز  
٤٣٠- أقدم لك: كانط كرسنوفر وانت وأندرجى كليوفسكى  
٤٣١- أقدم لك: فوكز كريس هوروكس وزوران جفتيك  
٤٣٢- أقدم لك: ماكياقللى باتريك كيرى وأوسكار زاريت  
٤٣٣- أقدم لك: جويس ديفيد نوريس وكارل قلنت  
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية بونكان هيث وجودى بورهام  
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زيرج  
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (ج١) نوردين كريليت  
٤٣٧- رحلة لى فى بلاد الشرق الربيع سبيل التفريقى  
٤٣٨- بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بيبرس  
٤٣٩- موت المرابى (رواية) صدر الدين عيسى  
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة كرسن بروسنار  
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية) أرونداتى روى  
٤٤٢- حتشيسوت: المرأة الفرعونية فوزية أسعد  
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها كيس فرستينغ  
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة لاوريت سيجورنه  
٤٤٥- حول وزن الشعر پرويز نائل خانلرى  
٤٤٦- التحالف الأسود ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير  
٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم ج. پ. ماك إيثوى وأوسكار زاريت  
٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور ديلاى إيفانز وأوسكار زاريت  
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية نخبة  
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية صوفيا فوكا وريببكا رايت  
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية ريتشارد أوزبورن وبورن فان لون  
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت  
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة جان لوك أرنو  
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية رينيه بريدال
- مجاهد عبدالمنعم مجاهد  
عبد الرحمن الشيخ  
نسيم مجلى  
الطيب بن رجب  
أشرف كيلانى  
عبدالله عبدالرازق إبراهيم  
وحيد النقاش  
محمد علاء الدين منصور  
محمود علاوى  
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب  
ثريا شلبى  
محمد أمان صافى  
إمام عبدالفتاح إمام  
إمام عبدالفتاح إمام  
إمام عبدالفتاح إمام  
إمام عبدالفتاح إمام  
حمدي الجابرى  
عصام حجازى  
ناجى رشوان  
إمام عبدالفتاح إمام  
علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب  
عائدة سيف الدولة  
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب  
محمد طارق الشرقاوى  
فخرى لييب  
ماهر جويجاتى  
محمد طارق الشرقاوى  
صالح علمانى  
محمد محمد يونس  
أحمد محمود  
ممدوح عبدالمنعم  
ممدوح عبدالمنعم  
جمال الجزيرى  
جمال الجزيرى  
إمام عبد الفتاح إمام  
محيى الدين مزيد  
حليم طوسون وفؤاد الدهان  
سوزان خليل

- ٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥) فريدريك كويلستون محمود سيد أحمد
- ٤٥٦- لا تنسنى (رواية) مريم جعفرى هويدا عزت محمد
- ٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى سوزان مولر أوكين إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون مرثيديس غارثيا أرينال جمال عبد الرحمن
- ٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية توم تيتنبرج جلال البنا
- ٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية ستوارت هود وليتزا جانستز إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٦١- أقدم لك: لكأن داريان ليدر وجودى جروفز إمام عبدالفتاح إمام
- ٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوريين عبدالرشيد الصادق محمودى عبدالرشيد الصادق محمودى
- ٤٦٣- الدولة المارقة ويليام بلوم كمال السيد
- ٤٦٤- ديمقراطية للقلّة مايكل بارنتى حصّة إبراهيم المنيف
- ٤٦٥- قصص اليهود لويس جنزبيرج جمال الرفاعى
- ٤٦٦- حكايات حب ويطولات فرعونية فيولين فانويك فاطمة عبد الله
- ٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية ستيفين ديلو ربيع وهبة
- ٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة جوزايا رويس أحمد الأنصارى
- ٤٦٩- جلال الملوك نصوص حبشية قديمة مجدى عبدالرازق
- ٤٧٠- الاراضى والجودة البيئية جارى م. بيرزنسكى وآخرون محمد السيد التنة
- ٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢) ثلاثة من الرحالة عبد الله عبد الرزاق إبراهيم
- ٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الاول) ميغيل دى ثريانتس سابيدرا سليمان العطار
- ٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى) ميغيل دى ثريانتس سابيدرا سليمان العطار
- ٤٧٤- الحب والنسوية سارة جامبل سعاد عبدالحميد
- ٤٧٥- الحب والنسوية سارة جامبل سعاد عبدالحميد
- ٤٧٦- أرض العبابب بعيدة: بيرم التوفسى ماريلين بوث سحر توفيق
- ٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين هيلدا هوخام أشرف كيلانى
- ٤٧٨- الصين والولايات المتحدة ليوشيه شنج و لى شى دونج عبد العزيز حمدي
- ٤٧٩- المقهى (مسرحية) لاو شه عبد العزيز حمدي
- ٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية) كو مو روا عبد العزيز حمدي
- ٤٨١- بردة النبى روى متحدة رضوان السيد
- ٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية روبر جاك تيبو فاطمة عبد الله
- ٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية سارة جامبل أحمد الشامى
- ٤٨٤- جمالية التلقى هانسن روبرت ياوس رشيد بنهدو
- ٤٨٥- التوبة (رواية) نذير أحمد الدهلوى سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٤٨٦- الذاكرة الحضارية يان أسمن عبدالحليم عبدالغنى رجب
- ٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية رفيع الدين المراد أبادى سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى نخبة سمير عبدالحميد إبراهيم
- ٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً إدموند هُسرل محمود رجب
- ٤٩٠- أسرار البيقاء محمد قادري عبد الوهاب علوب
- ٤٩١- نصوص قصصية من روائع الألب الأريقى نخبة سمير عبد ربه
- ٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة جى فارجيت محمد رفعت عواد

www.library4arab.com

٤٩٢-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العثمانية والنوع والنولة في الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوهيث تاكر وماجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	قيصل بن خضراء
٥٠٠-	في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز روكي	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء في الغرب (ج١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (ج١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (ج٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبد الباقي جلبنارلى	عبد الله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكورة (مسرحية)	كارلو جولونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقع (رواية)	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائي	تيتز روكي	جمال عبد الناصر
٥١٣-	علم الجسد	تيتز روكي	مصطفى فهمي
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كور	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى بوجلاس	فدوى مالطى بوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	آرنولد واشنطن وديونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الروح الفرنسي بمصر من الطم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبد الوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بايون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرويل ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وقل إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جيرو	عمر الفاروق عمر

صفا فتحي	چاك دريدا	٥٣١- ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟
بشير السباعي	هنري لورنس	٥٣٢- المغامر والمستشرق
محمد طارق الشرقاوي	سوزان جاس	٥٣٣- تعلم اللغة الثانية
حمادة إبراهيم	سيفرين لبا	٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون
عبدالعزیز بقوش	نظامي الكنجوي	٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)
اشوقى جلال	صمويل منتجتون ولورانس هاريزون	٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم
عبدالغفار مكاوي	نخبة	٥٣٧- الحب والحرية (شعر)
محمد الحديدي	كيت دانيلز	٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني
محسن مهيلحي	كاريل تشرشل	٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة
رعوف عباس	السير رونالد ستورس	٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية
مروة رزق	خوان خوسيه مياس	٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى
نعيم عطية	نخبة	٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث
وفاء عبدالقادر	ياتريك بروجان وكريس جرات	٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية
حمدي الجابري	روبرت هنتشل وآخرون	٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين
عزت عامر	فرانسيس كريك	٥٤٥- يا له من سباق محموم
توفيق علي منصور	ت. ب. وايزمان	٥٤٦- ريموس
جمال الجزيري	فيليب تودي وأن كورس	٥٤٧- أقدم لك: بارت
حمدي الجابري	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع
جمال الجزيري	بول كويلي وليتاجانز	٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات
حمدي الجابري	نيك جروم وييرو	٥٥٠- أقدم لك: شكسبير
سجاد النوري	شيد هانلي	٥٥١- توفيق وروبو
علي عبد الرعوف البعبي	ميجيل دي نوبانتس	٥٥٢- قصص متالية
رجاء ياقوت	دانيال لوفرس	٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر
عبدالسميع عمر زين الدين	عفاف لطفي السيد مارسوه	٥٥٤- مصر في عهد محمد علي
أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي	أناثولي أوتكين	٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين
حمدي الجابري	كريس هوروكس وزوران جيفتك	٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وجراهام كرولي	٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد
إمام عبدالفتاح إمام	زيودين سارداروبورين فان لون	٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية
عبدالحى أحمد سالم	تشا تشاجي	٥٥٩- الماس الزائف (رواية)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦١- جناح جبريل (شعر)
عزت عامر	كارل ساجان	٥٦٢- بلايين وبلايين
صبري محمدي التهامي	خاثينتو بينابينتي	٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)
صبري محمدي التهامي	خاثينتو بينابينتي	٥٦٤- عش الغريب (مسرحية)
أحمد عبدالحميد أحمد	ديورا إ. ج. جيرنر	٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر
علي السيد علي	موريس بيشوب	٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى
إبراهيم سلامة إبراهيم	مايكل رايس	٥٦٧- الوطن المقتصب
عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر	٥٦٨- الأصول في الرواية

٥٦٩- موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولاودي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرعوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وچودي جرونز	محيي الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف النولية (مج ١)	جون فيزر وبول سيترجز	ياشراق: محمد فتحى عبدالهادي
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمن	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدي
٥٨٨- أنشوبت الثالث	أنيس كابرول	هاجر جويجاتي
٥٨٩- تمكنت العجبة (رواية)	فيل سيني	عبدالله عبد الوهاب
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالنواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (ج ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج ٢)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبد الرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبد الرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهري	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ثوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢- ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	آرثر أيزابجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (ج١)	هارى سينت فيليبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (ج٢)	هارى سينت فيليبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدججة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيدولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير (رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم ي. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوار جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر القاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	تقي الدين على منصور
٦٢٧-	حيات إيران	تشارلز داروين	عبدالمطلب
٦٢٨-	أصل الأنواع	نيقولا جويات	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	أحمد بللو	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	نخبة	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نولورس برامون	باشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	نخبة	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	زوى ماكرويد وإسماعيل سراج الدين	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	جودة عبد الخالق	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التبثيت والتكيف فى مصر	جناب شهاب الدين	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولنده	ف. روبرت هنتر	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	روبرت بن ورين	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	تشارلز سيميك	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	الأميرة أناكومنينا	أحمد شافعى
٦٤٠-	الكسياد	برتواند رسل	حسن حبشى
٦٤١-	برتوانرسل (مختارات)	جوناثان ميلر ويورين فان لون	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	عبد الماجد الدرايادى	معدوح عبد النعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	هوارد د. تيرنر	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	الطوم عند المسلمين		فتح الله الشيخ



- ٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف عبد الوهاب علوب
- ٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية سيهر نبيح عبد الوهاب علوب
- ٦٤٧- رسائل من مصر جون نينيه فتحى العشرى
- ٦٤٨- بورخيس بياتريث سارلو خليل كلفت
- ٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى جى دى موياسان سحر يوسف
- ٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط روجر أوين عبد الوهاب علوب
- ٦٥١- ديليسبس الذى لا نعرفه وثائق قديمة أمل الصبان
- ٦٥٢- آلهة مصر القديمة كلود ترونكر حسن نصر الدين
- ٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية) إيريش كستمر سمير جريس
- ٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١) نصوص قديمة عبد الرحمن الخميسى
- ٦٥٥- أساطير وآلهة إيزابيل فرانكو حلیم طوسون ومحمود ماهر طه
- ٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيات) ألفونسو ساسترى مدوح البستاوى
- ٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون مريديس غارثيا أرينال خالد عباس
- ٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث خوان رامون خيمينيث صبرى التهامى
- ٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية نخبة عبد الطيف عبد الحليم
- ٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم ريتشارد فايفيلد هاشم أحمد محمد
- ٦٦١- روايات أندلسية إسلامية نخبة صبرى التهامى
- ٦٦٢- رحلة إلى الجنود داسو سالديبار صبرى التهامى
- ٦٦٣- امرأة عادية ليوسيل كليفتون أحمد شافعى
- ٦٦٤- المجموع الشمسى سيمون دافيزيول سام زكريا
- ٦٦٥- عوالم أخرى بول دافيزيول سام زكريا
- ٦٦٦- تطوير الصورة الشعرية عند شكسبير وولفجانج اتش كليمن جمال عبد الناصر ومحمد الجيار وجمال جاد الرب
- ٦٦٧- الأزمة القائمة لعلم الاجتماع الغربى ألفن جولنر على ليلة
- ٦٦٨- ثقافات العمولة فريدريك جيمسون وماساو ميوشى ليلى الجبالى
- ٦٦٩- ثلاث مسرحيات رول شوينكا نسيم مجلى
- ٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو جوستاف أدولفو ماهر البطوطى
- ٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟ جيمس بولدوين على عبد الأمير صالح
- ٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال نخبة إيتال سال
- ٦٧٣- ضرب الكليم (شعر) محمد إقبال جلال الحفناوى
- ٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى آية الله العظمى الخمينى محمد علاء الدين منصور
- ٦٧٥- أثينا السوداء (ج٢، ج١) مارتن برنال بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
- ٦٧٦- أثينا السوداء (ج٢، ج١) مارتن برنال بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
- ٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢) إدوارد جرانفيل براون أحمد كمال الدين حلمى
- ٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢) إدوارد جرانفيل براون أحمد كمال الدين حلمى
- ٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (ج٢) وليام شكسبير توفيق على منصور
- ٦٨٠- سنوات الطفولة (رواية) رول شوينكا سمير عبد ربه
- ٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟ ستانلى فش أحمد الشيمى
- ٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية) بن أوكرى صبرى محمد حسن

www.library4arab.com

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	هبري محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (ج١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (المصحاء) (ج٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العناني
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. نوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحي
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادوش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش في فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتاين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أيبجانسي وأوسكار زاريت	حمدي الجابري
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعي (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيري
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولنر وبيل مايبلين	حمدي الجابري
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودي جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودي جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندريجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسي	إيفان وارد وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحادثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيلان	محمود علاوي
٧٠٣-	عشق الله في إيران (ج١)	إبراهيم جبرائيل إبراهيم	أمين الشرايبي
٧٠٤-	نيلما	مولانا جلال الدين رومي	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالي	عبدالحميد مذكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراغنة من؟	بونالد مالكولم ريد	رعوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباي وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادي رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج١)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٣-	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج٢)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٤-	ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (ج١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (ج٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (ج٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (ج٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (ج٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (ج٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين في الإسلام (مج١)	ه. أ. ولفسون	مصطفى لييب عبد الغنى

الصفصافي أحمد القطوري	يشار كمال	الصفحة وقصص أخرى	٧٢٢-
أحمد ثابت	إفرايم نيمنى	تحديات ما بعد الصهيونية	٧٢٣-
عبد الريس	بول روبنسون	اليسار الفرويدي	٧٢٤-
مى مقلد	جون فينكس	الاضطراب النفسى	٧٢٥-
مروة محمد إبراهيم	غيرمو غوثاليس بوستو	الموريسكيون فى المغرب	٧٢٦-
وحيد السعيد	ياجين	حلم البحر (رواية)	٧٢٧-
أميرة جمعة	موريس ألي	العولة: تدمير العمالة والنمو	٧٢٨-
هويدا عزت	صائق زيبا كلام	الثورة الإسلامية فى إيران	٧٢٩-
عزت عامر	آن جاتى	حكايات من السهول الأفريقية	٧٣٠-
محمد قدرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	٧٣١-
سمير جريس	إنجو شولتسه	قصص بسيطة (رواية)	٧٣٢-
محمد مصطفى بدوى	وليم شيكسبير	مأساة عطيل (مسرحية)	٧٣٣-
أمل الصبان	أحمد يوسف	بونابرت فى الشرق الإسلامى	٧٣٤-
محمود محمد مكى	مايكل كوبرسون	فن السيرة فى العربية	٧٣٥-
شعبان مكارى	هوارد زن	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج١)	٧٣٦-
توفيق على منصور	باتريك ل. أبوت	الكوارث الطبيعية (مج٢)	٧٣٧-
محمد عواد	جيرار دى جورج	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الولة المملوكية	٧٣٨-
محمد عواد	جيرار دى جورج	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	٧٣٩-
مرفت ياقوت	بارى هندس	خطابات القوة	٧٤٠-
أحمد هيكل	يرنارد لويس	الإسلام وأزمة العصر	٧٤١-
رزق بهنسى	خوسيه لاكوارا	أرض حارة	٧٤٢-
شوقي حلال	بيت ولف	الثقافة: نظرية وممارسة	٧٤٣-
سمير عبد الحيد	محمد اقبال	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	٧٤٤-
محمد أبو زيد	بيك الدنبلى	المآثر السلطانية	٧٤٥-
حسن النعمى	جوزيف أ. شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	٧٤٦-
إيمان عبد العزيز	تريفور وايتوك	الاستعارة فى لغة السينما	٧٤٧-
سمير كريم	فرانسيس بويل	تدمير النظام العالمى	٧٤٨-
باتسى جمال الدين	ل.ج. كالفيه	إيكولوجيا لغات العالم	٧٤٩-
باشراف: أحمد عثمان	هوميروس	الإلياذة	٧٥٠-
علاء السباعى	نخبة	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	٧٥١-
نمر عارورى	جمال قارصلى	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	٧٥٢-
مهنس يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	التنمية والقيم	٧٥٣-
عبد السلام حيدر	أنا مارى شيمل	الشرق والغرب	٧٥٤-
على إبراهيم منوفى	أندرو ب. ديبكى	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	٧٥٥-
خالد محمد عباس	إنريكي خاردييل بونثيلا	ذات العيون الساحرة	٧٥٦-
أمال الروبى	باتريشيا كرون	تجارة مكة	٧٥٧-
عاطف عبد الحميد	بروس روبنز	الإحساس بالعولة	٧٥٨-
جلال الحفناوى	مولوى سيد محمد	النثر الأردى	٧٥٩-
السيد الأسود	السيد الأسود	الدين والتصور الشعبى للكون	٧٦٠-

فاطمة ناعوت	فيريچينيا وولف	٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة )
عبدالعال صالح	ماريا سوليداد	٧٦٢- المسلم عدواً و صديقاً
نجوى عمر	انريكو بيا	٧٦٣- الحياة في مصر
حازم محفوظ	غالب الدهلوى	٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)
حازم محفوظ	خواجة الدهلوى	٧٦٥- ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)
غازى برو و خليل أحمد خليل	تيري هنتش	٧٦٦- الشرق المتخيل
غازى برو	نسيب سمير الحسينى	٧٦٧- الغرب المتخيل
محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى	٧٦٨- حوار الثقافات
رندا النشار و ضياء زاهر	فريدريك هتمان	٧٦٩- أدباء أحياء
صبرى التهامى	بينيتو بيريث جالدوس	٧٧٠- السيدة بيرفيكتا
صبرى التهامى	ريكارو جويرالديس	٧٧١- السيد سيجوندو سومبرا
محسن مصيلحى	إليزابيث رايت	٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة
باشراف: محمد فتحى عبدالهادى	جون فيزر و بول ستيرجز	٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (ج٢)
حسن عبد ربه المصرى	مجموعة من المؤلفين	٧٧٤- الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والتركيزات
جلال الحفناوى	نذير أحمد الدهلوى	٧٧٥- مرآة العروس
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١)
عزت عامر	جيمس إ. ليدسى	٧٧٧- الانفجار الأعظم
حازم محفوظ	مولانا محمد أحمد و رضا القادري	٧٧٨- صفوة المديح
سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى	نخبة	٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى
سمير عبد الحميد إبراهيم	غلام رسول مهر	٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠
جلال عبد الرحمن	دي هوان	٧٨١- اللوحة إلى اليمين
جلال عبد المقصود	رفق حارسون	٧٨٢- المسرح السوفى
طلعت السروجى	فيك جورج ويول ويلدينج	٧٨٣- العولة والرعاية الإنسانية
جمعة سيد يوسف	ديفيد أ. وولف	٧٨٤- الإساءة للطفل
سمير حنا صادق	كارل ساجان	٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان
سحر توفيق	مارجريت أتوود	٧٨٦- المذنب (رواية)
إيناس صادق	جوزيه بوفيه	٧٨٧- العودة من فلسطين
خالد أبو اليزيد البلتاجى	ميروسلاف فرنر	٧٨٨- سر الأهرامات
منى الدروبي	هاجين	٧٨٩- الانتظار (رواية)
جيهان العيسوى	مونيك بونتو	٧٩٠- الفرائض الكفونية العربية
ماهر جويجاتى	محمد الشيمى	٧٩١- العطور ومعامل العطور في مصر القديمة
منى إبراهيم	منى ميخائيل	٧٩٢- دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومطرفة
روح وصفى	جون جريفيس	٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل
شعبان مكاوى	هوارد زن	٧٩٤- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢)
على عبد الرؤوف البمبى	نخبة	٧٩٥- مختارات من الشعر الإسباني (ج١)
حمزة المزينى	نعوم تشومسكى	٧٩٦- أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن
طلعت شاهين	نخبة	٧٩٧- الرؤية في ليلة معتمة (شعر)
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلدرود و دافيد جيلدرود	٧٩٨- الإرشاد النفسى للأطفال

٧٩٩-	سلم السنوات	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٨٠٠-	قضايا في علم اللغة التطبيقي	ميشيل مكارثي	عبد الجواد توفيق
٨٠١-	نحو مستقبل أفضل	تقرير دولي	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢-	مسلمو غرناطة في الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعي
٨٠٣-	التغير والتنمية في القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسي
٨٠٤-	سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الطلوجي
٨٠٥-	من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البيريري
٨٠٦-	الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧-	يحي حقى: تشريح مفكر مصري	ميريام كوك	خيرى نومة
٨٠٨-	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩-	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	محمود سيد أحمد
٨١٠-	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	محمود سيد أحمد
٨١١-	تاريخ التحليل الاقتصادي (مج٢)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمي
٨١٢-	تأمل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية	ميشيل مايفيزولي	فريد الزاهي
٨١٣-	لم أخرج من ليلي (رواية)	أنى إرنو	نورا أمين
٨١٤-	الحياة اليومية في مصر الرومانية	نافثال لويس	أمال الروبي
٨١٥-	فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لييب عبد الغنى
٨١٦-	العدو الأمريكى	فيليب روجيه	بدر الدين هروكى
٨١٧-	مائدة أفلاطون: كلام في الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨-	السياسيون والتجار في القرن الثامن (ج١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩-	اليونان الكلاسيكية (ج٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠-	ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١-	هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢-	فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣-	وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤-	لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥-	ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (ج١)	ياكوب يوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦-	ميراث الترجمة: عصر النهضة في إيطاليا (ج٢)	ياكوب يوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧-	أهل مطروح: البيرو والمشتغلون والذين يقضون الساعات	نوناك پ. كول وثرىا تركى	محمد على فرج
٨٢٨-	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩-	مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠-	رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١-	ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو بولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢-	تاريخ التحليل الاقتصادي (ج٢)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمي
٨٣٣-	الفلسفة الألمانية	فرتز شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤-	كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥-	تشخيخوف: حياة في صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦-	بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى



ظهور أحمد	جاويد إقبال	٨٧٥- النهر الخالد (مج ٢)
أمانى المنياوى	هنرى جورج فارمر	٨٧٦- دراسات فى الموسيقى الشرقية (ج ١)
صلاح محجوب	موريتس شتيتشيدر	٨٧٧- أدب الجدل والدفاع فى العربية
صبرى محمد حسن	تشارلز نوتى	٨٧٨- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج ١)
صبرى محمد حسن	تشارلز نوتى	٨٧٩- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج ٢)
عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه	أحمد حسنين بك	٨٨٠- الواحات المفقودة
هويدا عزت	جلال آل أحمد	٨٨١- التنويريون ودورهم فى خدمة المجتمع
إبراهيم الشواربى	حافظ الشيرازى	٨٨٢- ميراث الترجمة: أغانى شيراز (ج ١)
إبراهيم الشواربى	حافظ الشيرازى	٨٨٣- ميراث الترجمة: أغانى شيراز (ج ٢)
محمد رشدى سالم	باربرا تيزار ومارتن هيوز	٨٨٤- تعلم الأطفال الصغار
بدر عرودى	جان بودريار	٨٨٥- روح الإرهاب
ثائر ديب	نوجلاس روبنسون	٨٨٦- الترجمة والإمبراطورية
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٨٨٧- غزليات سعدى (شعر)
هويدا عزت	مريم جعفرى	٨٨٨- أزهار مسلك الليل (رواية)
ميخائيل رومان	وليم فوكنر	٨٨٩- ميراث الترجمة: سارتورس

[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)

**[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)**



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١٠٢١٠ / ٢٠٠٥

تم توزيع هذا الكتاب في مطبعات  
**www.library4arab.com**



# سارتورس

وليم فوكنر

"سارتورس" هي أولى سلسلة من الروايات يصف فيها فوكنر  
اضمحلال أسرتي كومبسون وساراتورس، ممثلي الجنوب القديم،  
وعلو نجم أسرة سنوبس الفجة التي لا تلقى كبير بال لمتطلبات  
الضمير. والمهاد الأساسي لهذه الروايات هو "جفرسن" صورة  
كبة ليرة في الحقل المثلج في المساء. فوكنر يتناول  
التي ابتدعها خيال المؤلف. وتدور أسرة كمبسون يتمثل في إدمان  
الخمير، ورفض العمل والحياة، والتعلق بـماضي أسطوري، والانغماس  
في خطابة جوفاء.

[www.library4arab.com](http://www.library4arab.com)